نزهة المجالس

ومنتخب النفائس

للإمام الشيخ عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري الشافعي

من علماء القرن التاسع عشر

الجزء الثاني

الناشر

دار البيان العربي

الأزهر / درب الأتراك ت: ٥١١٨٠٩٧

باب: في فضل الصدقة وفضل المعروف خصوصًا مع القريب والجار الغريب

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾[الحديد :١٨] الآية، وقال النبي ﷺ: «**كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس**»، وقال ﷺ: «**إن الصدقة لتطفئ عن أهلها حر القبور، وإنما يستظل المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته**» رواه البيهقي والطبراني، وقال ﷺ: «**عليك بالصدقة فإن فيها ست خصال ثلاثًا في الدنيا وثلاثًا في الآخرة فأما التي في الدنيا فتزيد في الرزق وتزيد في المال وتعمر الديار، وأما التي في الآخرة فتستر العورة وتصير ظلاً فوق الرأس وسترًا من النار**» وفي شرح البخاري لابن أبي جمرة عن النبي ﷺ «**أذهبوا البلاء بالصدقة واستعينوا على قضاء حوائجكم بالصدقة**» وقال مكحول التابعي - رضي الله عنه -: إذا تصدق المؤمن استأذنت جهنم أن تسجد له شكرًا على خلاص واحد منها من أمة محمد ﷺ من عذابها وقال ﷺ: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة**».

حكاية: اشترت عائشة جارية فنزل جبريل - عليه السلام - وقال: يا محمد أخرج هذه الجارية من بيتك فإنها من أهل النار فأخرجتها عائشة ودفعت إليه شيئًا من التمر فأكلت الجارية نصف تمرة ودفعت النصف إلى فقير رأته في الطريق فجاء جبريل، وقال: يا محمد إن الله تعالى يأمرك أن ترد الجارية فإن الله تعالى أعتقها من النار؛ لأنها تصدقت بنصف تمرة ذكره ابن الجوزي وقال ﷺ: «**يا عائشة اشتري نفسك من النار ولو بشق تمرة**» رواه أحمد بإسناد حسن، وعن النبي ﷺ: «**من لم يكن عنده ما يتصدق به فليلعن اليهود والنصارى**» وفي الحديث الصحيح: «**أن بكل تسبيحة صدقة وبكل تحميدة صدقة**»، الحديث إلى آخره مشهور.

فائدة: كان ابن مسعود - رضي الله عنه - إذا سمع سائلاً يسأل يقول: من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا؟ وهو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وقال أبو الليث السمرقندي: معناه من لم يكن عنده ما يتصدق به فليستغفر الله للمؤمنين فإنه صدقة، وفي الحديث الصحيح: «**وتبسمك في وجه أخيك صدقة**».

حكاية: خرج النبي ﷺ: إلى السوق بثمانية دراهم يشتري قميصًا فرأى جارية تبكي، فسألها فقالت: خرجت أشتري حاجة لأهلي بدرهمين فذهبا مني فذفعهما لها ومضى إلى السوق فاشترى قميصًا بأربعة دراهم فلما رجع رأى شيخًا يقول: من كساني ثوبًا كساه الله من حلي الجنة فدفع إليه القميص، ثم رجع إلى السوق واشترى قميصًا بدرهمين ثم رجع فوجد الجارية تبكي فسألها فقالت: أخاف العقوبة من أهلي لطول غيبتي فقال: «**الحقي بأهلك**» فتبعها حتى وصل إلى دار أهلها فطرق بابهم وقال: «**السلام عليكم**» فلم يجبه أحد فقال: ثانيًا وثالثًا فأجابوه فقال النبي ﷺ: «**لم لا أجبتموني من أول مرة**» قالوا: لنتبرك بصوتك فسألهم العفو عن

الجارية، فقالوا: هي حرة لأجلك يا رسول الله فرجع النبي ﷺ وهو يقول: **«ما رأيت ثمانية أعظم من هذه أمنا جارية بها وعتقنا بها جارية وكسونا بها عريانًا»**، قاله في كتاب شرف المصطفى.

فائدة: كان أحب الثياب إلى النبي ﷺ القميص رواه النسائي وأبو داود. وعن أم سلمة وأنفعه للبدن في الصيف الكتان وأفضله البياض وكذا غيره من الثياب، لقوله ﷺ: **«أحسن ما زرتم به الله في قبوركم ومساجدكم البياض»** وفي الأحياء: أحب الثياب إلى الله البياض. وسيأتي في المعراج وفي باب فضل العلم إن شاء الله تعالى فضل الأخضر، وقال علي - رضي الله عنه -: من لبس نعلاً أصفر قضيت حاجته. وعن غيره: من لبس ثوبًا أصفر قل همه. قال النبي ﷺ: **«ثلاث من كن فيه نشر الله عليه كنفه وأدخله الجنة رفق بالضعيف وشفقة على الوالدين وإحسان إلى المماليك»** رواه الترمذي، وقال أبو سلمة: مررت برجل يضرب غلامه فشفعت فيه فعفا عنه، فقال أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه -: سمعت النبي ﷺ يقول: **«من أغاث مكروبًا أعتقه الله من النار يوم الفزع الأكبر»** وقال: **«من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضوًا منه من النار»** رواه الإمام أحمد.

حكاية: كان منصور بن عمر - رضي الله عنه- يعظ الناس يومًا فقام رجل من الحاضرين وسأل أربعة دراهم، فقال منصور بن عمار: من أعطاه أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات فقام عبد ليهودي وأعطاه ثم قال العبد: ادع الله لي بالعتق وأنا فقير فادع الله لي بالغنى وأنا مذنب فادع الله لي بالمغفرة وادع لسيدي بالإسلام فدعا له فلما رجع قال له سيده: ما الذي أبطأك عني؟ فقال: حضرت مجلس منصور بن عمار وتصدقت بأربعة دراهم ودعا لي أربع دعوات دعوة بالعتق فقال: أنت حر لوجه الله تعالى ودعوة بأن يخلف الله في نفقتي فقال: لك أربعة آلاف درهم، ودعا لك بالإسلام فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، ودعا لي ولك بالمغفرة، فقال: ليس هذا في قدرتي فرأى في منامه قائلاً يقول: أنت فعلت ما في قدرتك وأنا أفعل ما في قدرتي غفرت لك وللعبد وللواعظ وللحاضرين أجمعين.

حكاية: خرجت امرأة حبيب العجمي - رضي الله عنه - لتأتي بنار لتخبز العجين فجاء سائل فدفعه إليه، فلما جاءت قالت: أين العجين؟ قال: تصدقت به فغضبت وإذا برجل يدق الباب ومعه خبز ولحم، فقال لزوجته: انظري ما أسرع ما رده الله علينا بزيادة وتصدق في بعض الأيام بعشرة آلاف دينار في أول النهار فقال: يا رب قد اشتريت نفسي منك بهذا ثم أتبعها بعشرة آلاف أخرى، وقال: يا رب هذه شكر لما وفقتني له ثم أخرج عشرة آلاف أخرى، وقال: يا رب إن لم تقبل الأولى والثانية فاقبل هذه ثم بعشرة آلاف أخرى وقال: يا رب إن قبلت الثالثة فهذه تكون شكرًا لها قال القرطبي - رضي الله عنه -: إن عائشة - رضي الله عنها - تصدقت برغيف لا تملك غيره وكانت صائمة فقالت لها خادمتها في ذلك، وإذا برجل

قد أهدى لها شاة مكفنة، فقالت عائشة - رضي الله عنها -: هذا خير من رغيفك. قال القرطبي: كان العرب يلبسون الشاة عجينًا ويجعلونها في التنور.

حكاية: كان في بني إسرائيل رجلان مشتركان فلما اقتسما صار لكل واحد ثلاثة آلاف دينار فذهب أحدهما فتزوج امرأة بألف وكانت كثيرة المال فقال صاحبه له: ما فعلت؟ فقال: تزوجت بألف فانطلق وتصدق بألف وقال: اللهم زوجني بها عروسًا في الجنة، ثم قال له: ما صنعت؟ قال: اشتريت غلمانًا بألف، قال: فانطلق فتصدق بألف وقال: إن فلانًا اشترى خدمًا يموتون وأنا اشتريت منك غلمانًا في الجنة، ثم قال: ما صنعت؟ قال: اشتريت بستانًا بألف، فانطلق فتصدق بألف وقال: اللهم إن فلانًا اشترى بستانًا في الدنيا وأنا اشتريت منك بستانًا في الجنة ففقد ماله وصار فقيرًا ثم جاء إلى صاحبه وسأله أن يكون خادمًا له فسأله عن ماله، فقال: أقرضته الله فقال: بئس ما فعلت فقال: كأنك من الذين يقولون: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات:٥٣]. أي محاسبون فلما مات أخبر الله تعالى بما يكون من أمرهما فأما المتصدق فقد وصل إلى أمواله فقال: إنه كان لي قرين: ﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ [الصافات:٥٢] فيقول الله تعالى: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝﴾ [الصافات:٥٤-٥٥]أي في وسطها فناداه الله ﴿إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ۝﴾ [الصافات:٥٦-٥٧] أي من المعذبين.

قال مؤلفه - رحمه الله تعالى -: هكذا رأيته عن بني إسرائيل.

حكاية: كان في زمن داود - عليه السلام - عجوز فتصدقت في يوم بثلاثة أرغفة وكانت قد طحنت دقيقًا فطيرته الريح فقالت لداود - عليه السلام - احكم بيني وبين الريح فأعطاها ألف درهم فقال سليمان: ارجعي إليه واطلبي منه الحكم فرجعت فأعطاها ألف درهم أخرى فقال سليمان: ارجعي واطلبي منه الحكم، فقال: من يأمرك بالرجوع قالت: سليمان فطلبه وسأله عن ذلك فقال: الحكم واجب والصدقة فضل والواجب أولى فطلب داود الريح وقال: ما حملك على إتلاف دقيقها فأحالت على الخازن وأحال الخازن على جبريل وجبريل على ميكائيل، وميكائيل على رب العالمين فقال: يا جبريل أخبر داود أني لم أفعل شيئًا عبثًا وذلك أن فأرة نقبت مركبًا كاد أن يغرق فأمرت الريح فألقت الدقيق إلى أهل السفينة فسدوا به الثقب، فكان ذلك سببًا لنجاتهم يا داود خذ ثلث ما في المركب للعجوز فإذا هو ثلثمائة ألف دينار، فقال داود: هل فعلت شيئًا من الخير؟ قالت: نعم تصدقت بثلاثة أرغفة.

حكاية: رأيت في المورد العذب: أن شابًا صحب داود - عليه السلام - فأخبر ملك الموت بأنه يموت بعد ثلاثة أيام فشق ذلك على داود فلما مضى ثلاثة أيام رآه سالمًا ثم مضى عليه شهر فتعجب من ذلك فجاءه ملك الموت وقال: لما أردت قبض روحه بعد ثلاثة أيام تجلى الله علي، وقال: يا ملك الموت إنه قبل فراغ عمره بيوم خرج فوجد مسكينًا فأعطاه عشرين

درهمًا، فقال له: بارك الله في عمرك فاستجبت دعوته وأعطيته بكل درهم عامًا، وقال نبينا ﷺ: «**اغتنموا دعوة السائل عند فرحة قلبه بالصدقة**».

موعظة: قال العلائي: قال عيسى - عليه السلام -: من رد سائلاً لم تغش الملائكة بيته سبعة أيام. وقال نبينا ﷺ: «**الصدقة تسد سبعين بابًا من السوء**» رواه البيهقي.

لطيفة: رأيت في تفسير مفتي الجن والإنس - نجم الدين النسفي من أئمة الحنفية - كثر الله منهم في تفسير سورة الضحى أن سلمان - رضي الله عنه - أهدى النبي ﷺ عنقود عنب فجاءه سائل فأعطاه العنقود فرآه عثمان فاشتراه من السائل وأهداه أيضًا للنبي ﷺ وهكذا ثلاث مرات فقال النبي ﷺ: أتاجر أنت أم سائل؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى:١٠].

فائدة: قالت عائشة - رضي الله عنها -: يا رسول الله ما الذي لا على منعه؟ قال: «**الملح والماء والنار**» فقلت: يا رسول الله هذا الماء قد عرفنا فما بال الملح والنار؟ قال: من أعطى الملح فكأنما تصدق بجميع ما طيب الملح ومن أعطى النار فكأنما تصدق بجميع ما أنضجت النار ومن سقى مسلمًا شربة ماء حيث يوجد الماء فكأنما أعتق رقبة، ومن سقى مسلمًا شربة ماء حيث لا يوجد الماء فكأنما أحياه، وقال ابن عباس: من وضع الماء على شارع نظر الله إليه بالرحمة كل يوم مرتين.

حكاية: قال سعد بن عبادة: يا رسول الله إن أمي قد ماتت أفأتصدق عنها؟ قال: «**نعم**»، قال: فأي الصدقة أعظم أجرًا قال: «**سقي الماء**»، كما رأيته في «**شرح المنهاج**» للدميري في «**كتاب الوصايا**».

فائدة: قال النبي ﷺ: «**الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء**» وكانت عائشة - رضي الله عنها - تقرأ المعوذتين وترش على المريض، وقال جعفر الصادق - رضي الله عنه -: من قرأ الفاتحة أربعين مرة على قدح ماء ونضح به وجه المريض المحموم شفاه الله وعن النبي ﷺ: «**خير شراب الدنيا والآخرة الماء**» وعن النبي ﷺ: «**من التواضع أن يشرب الرجل من سؤر أخيه، فما من أحد يشرب من سؤر أخيه إلا كتب الله له سبعين ألف حسنة ومحا عنه مثلها ورفع له سبعين ألف درجة**».

فائدة: قال النبي ﷺ: «**أربع بركات أنزلها الله من السماء إلى الأرض النار والماء والملح والحديد**». قال القرطبي: من منافعه السكين والفأس وغير ذلك.

وفي نزهة النفوس والأفكار: أن من حمل شيئًا من الحديد قوى الله قلبه وذهبت عنه الأحلام الرديئة، ومن منافع الملح أنه يحلل الأرياح ويقطع البلغم من المعدة ويذهب الصفرة من الوجه ويحسن اللون إذا استعمله صباحًا ومسًاء، ومن منافع النار أن الله تعالى: جعلها تذكرة يعني موعظة لجهنم ومتاعًا للمقوين وهم المسافرون وتقدم منافع الماء في فضل رمضان.

وحكي أن زوجة عمر بن عبد العزيز قالت: اشتهى عمر عسلاً فلما قدمته له وأكل منه قال: من أين لكم هذا؟ قلت: أرسلت غلامي علي خيل البريد بدينارين فاشتراه لك فباعه وأعطاني رأس مالي ورد الباقي إلى بيت المال ثم قال لنفسه: يا عمر أتعبت خيل المسلمين في شئونك.

حكاية: خرج علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يبيع إزار فاطمة - رضي الله عنها - ليأكلوا بثمنه فباعه بستة دراهم فرآه سائل فأعطاه إياه فجاء جبريل في صورة أعرابي ومعه ناقة، فقال: يا أبا الحسن اشتر هذه الناقة فقال: ما معي ثمنها؟ قال: إلى أجل فاشتراها بمائة ثم تعرض له ميكائيل في طريقة فقال: أتبيع هذه الناقة؟ قال: نعم ولقد اشتريتها بمائة قال: ولك من الربح ستون فباعها له فتعرض له جبريل فقال: بعت الناقة؟ قال: نعم قال: ادفع لي ديني فدفع له مائة ورجع بستين فقالت له فاطمة: من أين لك هذا؟ قال: تاجرت مع الله تعالى بستة دراهم، فأعطاني ستين ثم جاء النبي ﷺ فأخبره بذلك فقال: «**البائع جبريل والمشتري ميكائيل والناقة لفاطمة تركبها يوم القيامة**».

حكاية: رأيت في شرح البخاري لابن أبي جمرة: أن عليًا دخل منزله والأولاد يبكون فسأل فاطمة عن ذلك فقالت: من الجوع فاستقرض دينارًا وإذا برجل يقول: يا أبا الحسن أولادي يبكون من الجوع فأعطاه الدينار وإذا بالنبي يقول: «**يا علي يا أبا الحسن هلا عشيتني الليلة؟**» قال: نعم ثقة منه بالله عز وجل، فدخل منزله فوجد ثريدًا فقدمه للنبي ﷺ فلما أكل قال: «**هذا بالدينار الذي أعطيته علي فلانًا**».

حكاية: رأي عثمان - رضي الله عنه - درع علي يباع بأربعمائة درهم ليلة عرسه علي فاطمة رضي الله عنها - فقال عثمان: هنا درع فارس الإسلام علي لا يباع أبدًا فدفع لغلامه أربعمائة درهم وأقسم عليه أن لا يخبره بذلك ورد الدرع معه فلما أصبح عثمان وجد في داره أربعمائة كيس في كل كيس أربعمائة درهم مكتوب علي كل درهم هذا ضرب الرحمن لعثمان بن عفان، فأخبر جبريل النبي ﷺ بذلك فقال: «**هنيئًا لك يا عثمان**».

حكاية: قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: وقع قحط في عهد أبي بكر، فقيل له: إن الناس في شدة فقال: إنكم لا تمسون حتى يفرج عنكم فلما كان آخر النهار جاءت عير عثمان من الشام فجاءه التجار، وقالوا: إن الناس في شدة من القحط وقد قدم عليك مائة راحلة من البر فبعنا إياها قال: كم تربحوني قالوا: العشرة نجعل ربحها درهمين قال: زادوني أكثر من ذلك قالوا: نربحك أربعة، قال: زادوني قالوا: نحن تجار المدينة فمن زادك قال: إن الله تعالى زادني بكل درهم عشرة قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] أشهدكم أنها صدقة للمسلمين، قال ابن عباس: فرأيت النبي ﷺ تلك الليلة في المنام علي برذون أبلق وعليه حلة حرير من نور وهو مستعجل فقلت: يا نبي الله إني مشتاق إليك، فقال: يا ابن عباس إن عثمان تصدق بصدقة وإن الله قبلها منه وزوجه عروسًا في الجنة وقد دعينا إلى عرسه.

سؤال: فإن قيل: كيف أمر النبي ﷺ بالصدقة وقد حرم عليه أكلها.

فالجواب: من وجوه:

الأول: أنه كان يحث عليه فحرم عليه أكلها وعلى كل هاشمي ومطلبي إن كانت واجبة، وتحرم أيضًا علي عبيدهم في الأصح؛ لئلا يتوهم متوهم أنه إنما يأمر بها لأجل نفسه، وفيه تنبيه علي أن العبد ينبغي له أن يقف موقف التهم.

الثاني: أظهر الله تعالى شرفه حيث أباح له طريقة الغزو للقهر وهو الغنائم وحرم الله عليه ما طريقه الذل والانكسار وهو الصدقة.

الثالث: أنه كان ﷺ رحمة للعالمين والمتصدق إنما يتصدق علي سبيل الترحم فلو أحلت له الصدقة لكان مرحومًا للخلق لا رحيمًا بهم وكانوا له رحمة ولا يكون لهم.

الرابع: لو أحلت له الصدقة لكان المعطي له خيرًا منه؛ لأنه ﷺ قال: «**اليد العليا خير من اليد السفلي**».

الخامس: عرضت عليه كنوز الأرض فلما يقبلها من ربه فكيف يقبل القليل من غيره، فإن قيل: كيف قال ﷺ: «**ما نقص مال من صدقة**»؟ ولا شك أن الصدقة بدرهم من عشر تصير تسعة.

فالجواب: أن الصدقة تقع بيد الله قبل أن تقع بيد السائل فيربيها كما يربي أحدكم فلوه فهذا في الحقيقة زيادة لا نقصان، والفَلُوّ بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو: هو المهر كما صرح به في رواية أخرى حيث قال ﷺ: «**كما يربي أحدكم مهره أو فصيله**» قال في الترغيب والترهيب: الفصيل ولد الناقة فإن قيل: كيف قال ﷺ: «**الصدقة تسد سبعين بابًا من البلاء**»؟ نحن نرى من يتصدق ثم يبتلى.

فالجواب: من وجهين:

الأول: أنها تدفع البلاء حال الصدقة.

الثاني: تدفع بلاء العقوبة لا بلاء المثوبة.

فائدة: الصدقة أربعة أحرف: صاد تصون صاحبها من مكاره الدنيا والآخرة، دال تدله علي طريق النجاة، وقاف تقربه إلى ربه عز وجل، وهاء تهديه إلى الأعمال الصالحات.

حكاية: قال بعض الصالحين: رأيت حية فقالت: أجرني أجارك الله فقال: من أنت؟ فقالت: أنا من أهل التوحيد ففتح لها فاه فدخلت جوفه فإذا برجل معه سيف فسأله عنها فلم يجدها فرجع الرجل من حيث جاء فقالت: الحية للرجل إن شئت ضربتك في كبدك أو غيره قال: ولم؟ قالت: لأنك عملت المعروف مع غير أهله فقال لها: أمهليني حتى أحفر لي قبرًا

فنزل عليه ملك فأطعمه شيئًا فنزلت: الحية قطعًا فقال: من أنت؟ قال: أنا المعروف الذي فعلته مع الحية، قال عيسى - عليه السلام -: استكثروا من شيء لا تأكله النار. قيل: ما هو؟ قال: المعروف، وفي الحديث: «**أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة وأول من يدخل الجنة أهل المعروف**» رواه الطبراني في الأوسط.
قيل: معناه أنهم يكونون في الآخرة أهلاً لمعروف الله كما كانوا في الدنيا أصحاب المعروف لأجل الله، وقيل: وصفهم بذلك؛ لأنهم تكرموا بأموالهم في الدنيا والآخرة وبحسناتهم للمذنبين من هذه الأمة. قال النبي ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة يأتي الله بقوم من أمتي فيدخلهم الجنة بغير حساب ويأتي الله بقوم فيحاسبهم**» فيقول الله تعالى: يا عبادي من نبيكم؟ فيقولون: نبينا محمد ﷺ فيقول: هل زيد في سيئاتكم؟ فيقولون: لا فيقول: هل نقص من حسناتكم شيء؟ فيقولون: لا فيقول: يا عبادي علي من كان اتكالكم، فيقولون: علي حسن ظننا بك فيأمر الله رضوان بإخراج الذين أدخلهم الجنة بغير حساب فيدعوهم، فيقول: هؤلاء إخوانكم من أمة محمد ﷺ قد زادت سيئاتهم علي حسناتهم فيهبون حسناتهم لهم فيدخلون الجنة فلذلك قال: أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة وفي الحديث: إن الأسد يقول: اللهم لا تسلطني علي أحد من أهل المعروف.

فائدتان:

الأولي: قال ﷺ: «**من استعاذكم بالله فأعيذوه ومن سألكم بالله فأعطوه ومن استجاركم بالله فأجيروه، ومن أسدى إليكم معروفًا فكافئوه فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه**» رواه أبو داود وفي رواية الطبراني: «**حتى تعلموا أن قد شكرتم له فإن الله تعالى شاكر يحب الشاكرين**» وقال ﷺ: «**من لم يحمد الناس لم يحمد الله**» حكاه الرازي في الباب الخامس من تفسير الفاتحة، وقال النبي ﷺ: «**من لا يشكر الله لا يشكر الناس**» رواه الترمذي، وقال: حديث صحيح. قال في الترغيب والترهيب: الهاء من الجلالة والسين من الناس يرفعان وينصبان ويرفع الأول وينصب الثاني، وعكسه وقال ﷺ: «**إن أشكر الناس لله أشكرهم للناس**» وقال ﷺ: «**من أسدي إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيرًا فقد أبلغ في الثناء**».

الثانية: عن النبي ﷺ: «**من تبسم في وجه غريب ضحك الله إليه يوم القيامة، ومن صافحه وأعانه جاز علي الصراط أسرع من طرفة العين وما من مؤمن يموت في غربته إلا بكت عليه الملائكة رحمة له وفسح له في قبره بنور يتلألأ من حيث دفن إلى مقصد رأسه أو مسقط رأسه**» وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «**إذا نظر الغريب عن يمينه وعن شماله وعن أمامه وعن خلفه ولم ير أحدًا يعرفه غفر الله ما تقدم من ذنبه**» وفي حديث آخر: «**إن الله تعالى لينظر إلى الغريب في كل يوم ألف نظرة**» وفي حديث آخر: «**ما من غريب يمرض فيرمي ببصره فلا يقع علي من يعرفه إلا كتب الله له بكل نفس تنفس سبعين ألف حسنة ومحا عنه سبعين ألف سيئة**» وعن

النبي ﷺ: «أكرموا الغرباء من أكرمهم فقد أكرمني ومن أحبهم فقد أحبني ومن أكرم غريبًا في غربته وجبت له الجنة» وعنه ﷺ: «ألا لا غربة على مؤمن وما مات مؤمن في غربة غائبًا في والديه إلا بكت عليه السماء والأرض» وعنه ﷺ: «أحب شيء إلى الله الغرباء، قيل: ومن الغرباء؟ قال: الفرارون بدينهم يجتمعون على عيسى ابن مريم - عليه السلام - يوم القيامة».

لطيفة: قال رجل لسليمان بن داود - عليهما السلام -: يا نبي الله إن لي حاجة بأرض الهند فمر الريح أن تحملني إليها في هذه الساعة، فنظر سليمان - عليه السلام - إلى ملك الموت - عليه السلام - فرآه يبتسم فسأله عن ذلك فقال: تعجبت!! أمرت بقبض روح هذا الرجل بأرض الهند في بقية هذه الساعة وأراه عندك، فأمر سليمان الريح فحملته إلى الهند في تلك الساعة فقبض روحه هناك.

فصل: في إكرام الجار

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النساء:٣٦] وهو الجار القريب ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [النساء:٣٦] وهو الغريب، قاله ابن عباس: قال غيره: الأول المسلم والثاني اليهودي فالأول له ثلاثة حقوق، حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام، والثاني له حق الجوار والإسلام فإن كان يهوديًا فله حق الجوار فقط، وقال سهل بن عبد الله التستري - رضي الله عنه -: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النساء:٣٦] يعني: قلبك ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [النساء:٣٦] يعني: نفسك ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النساء: ٣٦] عقلك ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة:١٧٧]: جوارحك، وقال ابن عباس: الصاحب بالجنب هو الرفيق في السفر. ورأيت عن الحسن بن علي - رضي الله عنهما - أن جاره اليهودي انخرق جداره إلى منزل الحسن فصارت النجاسة تنزل في داره واليهودي لا يعلم بذلك فدخلت زوجته يومًا فرأت النجاسة قد اجتمعت في دار الحسن فأخبرت زوجها بذلك فجاء اليهودي إليه معتذرًا، فقال: أمرني جدي ﷺ بإكرام الجار فأسلم اليهودي، وقال الحسن البصري: ليس حسن الجوار كف الأذى عن الجار بل حسن الجوار الصبر على أذى الجار، وقال ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره ومن آذى جاره حرم الله عليه الجنة».

موعظة: قال النبي ﷺ: «من آذى جاره فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى ومن حارب جاره فقد حاربني، ومن حاربني فقد حارب الله» وقال ﷺ: «أتدرون ما حق الجوار؟ إن استعان بك فأعنه، وإن استقرضك أقرضه وإن افتقر جد عليه وإن مرض عده وإن مات اتبع جنازته، وإن أصابه خير هنئه وإن أصابته مصيبة عزه ولا تستطل عليه بالبناء فتحجز عنه الريح إلا بإذنه، وإن اشتريت فاكهة فاهد له منها، فإن لم تفعل فأدخلها سرًا ولا تخرج بها أولادك فيغيظوا بها ولده».

لطائف: الأولى: قال رجل لعبد الله بن المبارك - رضي الله عنه -: إن جارنا يشتكي من عبدي ولعله يكذب عليه، فقال: إذا أذنب عبدك ذنبًا فاحفظه عليه. فإذا شكاه جارك فأدبه على

ذلك فتكون قد أرضيت جارك وأدبت عبدك. وعن النبي ﷺ: «**حرمة الجار كحرمة الأم**».

الثانية: كان عدي بن حاتم الطائي صحابيًا روى عن النبي ﷺ ستة وستين حديثًا، وكان إذا ركب فرسه تخط رجلاه بالأرض وكان يفت الخبز لمن جاوره من النمل، ويقول: له علينا حق الجوار حكاه النووي في تهذيب الأسماء واللغات.

الثالثة: رأيت في لوامع أنواع القلوب: نزل بالنبي ﷺ أضياف فلما توضأ النبي ﷺ شربوا ما فضل منه ومسحوا وجوههم بما وقع منه على الأرض، فقال: ما حملكم علي ذلك؟ قالوا: حب الله ورسوله لعل الله ورسوله يحبنا فقال: «**المرء مع من أحب، إن كنتم تحبون الله ورسوله فحافظوا علي ثلاث خصال: صدق الحديث، وأداء الأمانة وحفظ الجوار، فإن أذى الجار يمحو الحسنات**».

فائدة: تقدم أن الصدقة علي القريب أفضل قال النبي ﷺ: «**يا أمة محمد والذي بعثني بالحق نبيًا لا يقبل الله صدقة من رجل وله قرابة محتاجون إلى صلة يصرفها إلى غيرهم والذي نفسي بيده لا ينظر الله إليه يوم القيامة**» رواه الطبراني. وقال النبي ﷺ: «**أيما رجل أتاه ابن عمه يسأله من فضله فمنعه منعه الله من فضله يوم القيامة**» رواه الطبراني في «**الأوسط**». وصدقة السر أفضل؛ لأنها تطفئ غضب الرب ومن السبعة الذين يظلهم الله في عرشه رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه، وصورته أن يبيع شيئًا بثمانية يساوى عشرة.

مسألة: الأخذ من الزكاة أفضل من الأخذ من صدقة التطوع، وتقدم في فضل الزكاة أن المستحق إذا ترك أخذها يأثم قال الجنيد والخواص: الأخذ من الصدقة أفضل وهل يأخذ سرًا أم جهرًا فيه خلاف قال الغزالي: الأخذ جهرًا والترك سرًا أحسن، وأفضلية إظهار الزكاة والصدقة وإخفائها مبنىّ على حسن المقاصد والنيات. قال في الروضة في قسم الصدقات في الكلام على إعطاء أهل الحرف يعني من الزكاة رأس مال يحصل منه ما يقوم بكفايتهم كل أحد بقدر حرفته فالفاكهاني يكفيه عشرون درهمًا والخباز خمسون درهمًا والباقلاني عشرة دراهم والبقال مائة والنقلي خمسمائة درهم والعطار ألف والبزاز ألفان والصيرفي خمسة آلاف والجوهري عشرة آلاف والمشتغل بالعلم يأخذ كفاية العمر الغالب فيشتري عقارًا يستعين به، والمسكين وهو الذي يحتاج إلى عشرة وعندي سبعة أو ثمانية أو كالفقير وهو الذي يحتاج إلى عشرة وعنده ثلاثة ولو كان له دار يسكنها أو ثوب يتجمل به أو عبد يخدمه ولا يشترط أن يكون زمنًا ولا عفيفًا عن المسألة.

لطيفة: قال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه: نعم القوم السؤال يحملون زادنا إلى الآخرة. وقال بشر الحافي: الفقراء ثلاثة: فقير لا يسأل وإن أعطي لا يأخذ فهذا مع الروحانيين في عليين، وفقير لا يسأل وإن أعطي أخذ فهذا مع المقربين في الفردوس، وفقير يسأل عند الحاجة فهو مع الصديقين من أصحاب اليمين.

موعظتان:

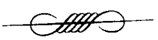
الأولى: قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: قال النبي ﷺ: «**من سأل الناس في غير فاقةٍ نزلت به أو عيالٍ لا يُطيقهم جاء يوم القيامة ليس عليه لحم**».

قال النبي ﷺ: «**من يسأل من غير فقر فكأنما يأكل الجمر**» قال في الإحياء: السؤال حرام كالميتة؛ فلا تحل إلا لضرورة وفي شرح البخاري لابن أبي جمرة عن النبي ﷺ: «**لا بأس للمؤمن أن يشكو حاله لأخيه المؤمن**»

الثانية: التبكير إلى السوق وإسراع الخروج من المسجد بعد صلاة الصبح وشراء الخبز من الشحاتين وإطفاء السراج بالفم ومنع الخمير من العجين يورث الفقر، وكذا المشي بين الماعز والغنم، فإن كان ولا بد فليقرأ سورة: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١﴾[قريش: ١] وسمع النبي ﷺ عليًّا - رضي الله عنه - يقول: اللهم لا تحوجني إلى أحد من خلقك فقال: «**لا تقل كذا قل: اللهم لا تحوجني إلى أشرار خلقك**» قال: من هم؟ قال: «**الذين إذا أعطوا منعوا وإذا منعوا أعابوا**».

موعظة: قال النبي ﷺ: «**من احتكر طعامًا أربعين يومًا فقد برئ من الله وبرئ الله منه**» رواه الحاكم.

لطيفتان: الأولي: سعيد بن العاص مات النبي ﷺ وعمره ثلاث وستون سنة ثم مات هو - رضي الله عنه - سنة تسع وخمسين وأوصى في مرضه بوفاء دينه وقدره ثمانون ألف دينار، قيل له: فيما صرفتها؟ قال: في رجل جاءني يتزاءى دمه في وجهه من الحياء فبدأته بحاجته قبل سؤاله، والله أعلم.



باب: الزهد والقناعة والتوكل

قال الله تعالى: ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة :٣٨] وقال عز وجل: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ﴾ [الحديد :٢٠] قال نجم الدين النسفي: كل صفة لثمان سنين إلى أربعين سنة لعب ثمان سنين ولهو ثمان سنين وزينة ثمان سنين، وتفاخر ثمان سنين وتكاثر ثمان سنين فإذا بلغ أربعين سنة، فإن كان موفقًا أقبل على الآخرة وتزود لها وإلا خسر خسرانًا مبينًا، وقوله: ﴿كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ [الحديد :٢٠] أي الزراع؛ لأن الزارع يكفر البذر أن يستره في الأرض ثم يهيج أي يصير يابسًا ثم يكون حطامًا أي متكسرًا وفي الآخرة عذاب شديد أي لمن رغب في الدنيا ومغفرة من الله ورضوان لمن تزود منها للآخرة، قال القرطبي: قال رجل: يا نبي الله أخبرني بجلساء الله تعالى يوم القيامة قال: هم الخائفون الخاضعون المتواضعون الذاكرون الله كثيرًا قال: فهم أول الناس دخولاً الجنة فيخرج الملائكة فيقولون لهم: ارجعوا إلى الحساب فيقولون: علام نحاسب؟ لا أفضيت علينا الأموال في الدنيا فنقبض منها ونبسط وما كنا أمراء فنعدل ونجور ولكن جاءنا أمر الله فعرفناه حتى أتانا اليقين، قال النبي ﷺ: «**اتقوا الله فإنه يقول يوم القيامة: صفوتي من خلقي فتقول الملائكة: من هم يا ربنا؟ فيقول: الفقراء الصابرون الصادقون الراضون بقدري أدخلهم الجنة، فيدخلون الجنة يأكلون ويشربون والأغنياء في الحساب يترددون**».

فائدة: أصاب إبراهيم ﷺ حاجة فذهب إلى صديق يستقرض منه شيئًا فلم يستقرضه فرجع مهمومًا، فأوحي الله إليه: لو سألتني لأعطيتك فقال: يا رب عرفت مقتك للدنيا فخشيت أن أسألك إياها فتمنعني فأوحى الله إليه ليست الحاجة من الدنيا، وقال النبي ﷺ: «**من طلب الدنيا حلالاً واستعفافًا عن المسألة وتعففًا من جاه لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر، ومن طلب الدنيا تكاثرًا وتفاخرًا لقي الله وهو عليه غضبان**» وقال الفضيل - رضي الله عنه -: من أقام نفسه في ذل في طلب الحلال حشره الله مع الصديقين ورفعه إلى الشهداء يوم القيامة.

حكاية: كان رجل يخدم موسى - عليه السلام - ويقول: حدثني موسى كليم الله ثم افتقده موسى أيامًا فسأل عنه فجاء رجل يقول: مسخ خنزيرًا فدعا موسى ربه أن يرده إلى حاله، فأوحى الله إليه: يا موسى لو دعوتني بما دعاني به آدم فمن دونه ما أجبتك ولكن أخبرك بما صنع إنه كان يأكل الدنيا بالدين.

حكاية: رأيت في تفسير العلائي في سورة يس: أن عيسى - عليه السلام - مر على قرية فوجد أهلها أمواتًا على الطرقات من غير دفن فسأل الله عنهم فأوحى الله إليه: إذا كان الليل فادعهم فإنهم يجيبونك، فلما كان الليل ناداهم فقال واحد منهم: لبيك يا روح الله تعالى قال: ما قصتكم؟ قال: بتنا في عافية وأصبحنا في الهاوية قال: ولم؟ قال: لحبنا الدنيا كحب الصبي لأمه إذا أقبلت علينا فرحنا بها وإذا أدبرت بكينا عليها، قال: ما بال أصحابك لا يجيبوني قال:

إنهم ملجمون بلجم من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد قال: فكيف أنت أجبتني من بينهم؟ قال: إني لست منهم بل مررت بهم حال نزول العذاب فأصابني ما أصابهم وأنا معلق بشفرة علي شفير جهنم فلا أدري أأنجو منها أم لا؟

حكاية: قال النسفي في زهر الرياض: لما تولى سليمان الملك جاءه جميع الحيوانات يهنئونه إلا نملة فإنها جاءت تعزيه فعاتبها النمل في ذلك، فقالت: لم أهنئه وقد علمت أن الله إذا أحب عبدًا زوى عنه الدنيا وحبب إليه الآخرة، وقد اشتغل سليمان - عليه السلام - بأمر لا يدري ما عاقبته فهو بالتعزية أولي من التهنئة وجاءه في بعض الأيام شراب من الجنة، وقيل له: إذا شربته لم تمت فشاور جنده إلا القنفذ فإنه كان غائبًا فأشاروا عليه أن يشربه فأرسل الفرس خلف القنفذ فلم يجبه، فأرسل الكلب إليه فأجابه فسأله سليمان عن الشراب فقال: لا تشربه فإن الموت في العز خير من البقاء في سجن الدنيا، قال: صدقت وأراق الشراب في البحر فطاب ماؤه، قال له: كيف لا أطعت الفرس دون الكلب؟ قال: لأنها تعدو بعدوها كما تعدو بصاحبها، والكلب لا يطيع إلا صاحبه.

حكاية: قال مكحول التابعي - رضي الله عنه -: مر سليمان - عليه السلام - علي بساط ملكه على الريح بحراث فقال: وددت أني أكلم سليمان ثلاث كلمات فأخبره الله بذلك فنزل عليه، فقال: أخبرني عن الكلمات فقال: يا نبي الله أنت لا تجد لذة أمس، وأنا لا أجد تعبه فأنا وأنت سواء، وأنت تموت وأنا أموت فنحن سواء وأنت تحاسب علي قدر ما أعطاك وأنا أحاسب علي قدر ما أعطاني فبكى سليمان، وقال: يا رب لولا أنك كريم لا ترجع في هبتك لسألتك الرجوع فيها.

حكاية: قال بعض العباد من بني إسرائيل: يا موسى اسأل ربك أن يرزقني فسأل ربه فأوحى الله إليه: يا موسى أقليلاً سألت أم كثيرًا؟ فقال: يا رب بل كثيرًا فلما أصبح موسى وجد السبع قد أكل الرجل، فقال: يا رب سألتك له كثيرًا فأكله السبع فقال: يا موسى إنك سألت له كثيرًا وكل ما كان في الدنيا فهو قليل.

حكاية: قال ابن عباس - رضي الله عنهما - خرج موسى - عليه السلام - إلى شاطئ البحر فوجد مؤمنًا وكافرًا يصيدان السمك المؤمن يذكر ربه فلا يصيد شيئًا والكافر يذكر صنمه فتقع السمك في شبكته فتعجب موسى من ذلك فأوحى الله إليه: انظر يا موسى، فنظر إلى الجنة فإذا فيها حوض من ذهب مكتوب عليه اسم المؤمن فيه من الحيتان ما لا يحصي عدده إلا الله، ومثل له جهنم فيها قصر من نار مكتوب عليه اسم الكافر وفيه من الحيات والعقارب ما لا يعلمه إلا الله فأوحى الله إليه: يا موسى قل لعبدي المؤمن: أيهما أحب إليك أن أسوق إليك حيتانًا بدلاً عن نعيم الجنة؟ فبكى الرجل وقال: يا رب إن منعت عني الرزق صبرت طمعًا في رضاك فكيف الحيتان؟.

حكاية: قال بعض العارفين: رأيت كأن القيامة قد قامت والناس يذهبون إلى الجنة زمرًا زمرًا، فنظرت إلى طائفة من أحسن الناس وجهًا فذهبت لأكون معهم فحالت الملائكة بيني وبينهم فقلت: لهم ولم؟ قالوا: هؤلاء السابقون لا يكون معهم إلا من كان له قميص واحد، وأنت لك قميصان ومن كل شيء اثنان فاستيقظ مرعوبًا فصار لا يملك إلا واحد من كل صنف.

فائدة: قال سهل بن سعد: قال النبي ﷺ: «**ما لبس أحد ثوبًا فقال: الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة إلا غفر الله له ما تقدم من ذنبه**». ما رواه أبو داود. وفي رواية معاذ بن أنس زيادة: «**وما تأخر**».

فائدة: روى سهل مائة حديث وثمانية وثمانين حديثًا عن النبي ﷺوكان عمره يوم مات النبي ﷺخمس عشرة سنة وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة. وأما سهل بن أبي حثمة بفتح الحاء المهملة وسكون المثلثة فهو صحابي أيضًا، وروى عن النبي ﷺخمسة وعشرين حديثًا ولما مات النبي ﷺكان عمره ثماني سنين. وسهل بن حنيف صحابي أيضًا روى عن النبي ﷺأربعين حديثًا. ورأيت في مجمع الأحباب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**حمدان عظيمان للإنسان إذا جاءه ما يكرهه قال: الحمد لله وإذا جاءه ما يسره قال: الحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات**».

حكاية: كان القاضي أبو بكر بن فورك رضي الله عنه يتغالى في ثيابه فرآه يهودي رث الهيئة فقال: أنتم قلتم عن نبيكم محمد ﷺالدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فأي سجن أنت فيه وأي جنة أنا فيها؟ فقال: أنا بالنسبة إلى ما أعد الله لي في الجنة في سجن وأنت بالنسبة إلى ما أعد الله لك في جهنم في جنة. فأسلم في الحال. قال كعب الأحبار رضي الله عنه: لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان الخزف الباقي خيرًا من الذهب الفاني. وقال السلمي في دقائقه: الحسنة في الدنيا الإعراض عنها والحسنة في الآخرة ترك الاشتغال بها. وقيل: الحسنة في الدنيا معرفة الله والحسنة في الآخرة رؤية الله.

موعظتان:

الأولى: نقل أبو الليث السمر قندي - رضي الله عنه - أن ملكين التقيا في السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر: إلى أين تريد؟ قال: أمرت بشيء عجيب قال: ما هو؟ قال: في البلد الفلاني رجل يهودي قد دنت وفاته وقد اشتهى سمكة ولم توجد في بحرهم فأمرني ربي أن أسوق إليه الحيتان ليصطاد له سمكة؛ وذلك لأنه لم يعمل حسنة إلا كافاه الله بها في الدنيا، وقد بقيت له حسنة واحدة فأراد أن يبلغه شهوته ليخرج من الدنيا وما له عند الله حسنة وقال الملك الآخر: وأنا بعثني ربي بأمر عجيب في البلد الفلاني رجل صالح ما عمل سيئة إلا كافأه عليها وقد دنت وفاته فاشتهى زيتًا وقد بقي عليه ذنب واحد فأمرني ربي أن أريق الزيت ليحزن على ذلك فيكفر الله عنه ذنبه فيلقاه ولا ذنب عليه. قال محمد بن كعب في قوله تعالى: ﴿فَمَن

﴿يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة :٧] هو الكافر ثواب خيره في الدنيا ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة :٨] هو المؤمن يرى جزاء شره في الدنيا دون الآخرة.

الثانية: قال محمد بن واسع رضي الله عنه: اشتهيت كبدًا مشوية أربعين سنة ثم خرجت للجهاد لعل أن يقع في سهمي من الغنيمة شاة فآكل منها شهوتي فرأيت في المنام ثلاثة نزلوا من السماء فكتبوا هذا خرج ليقال شجاع وهذا خرج مجاهدًا وهذا خرج رياء ثم نظروا إليّ فقالوا: هذا شهواني اشتهى كبدًا مشوية فقلت: بالله لا تفعلوا أنا تائب إلى الله لا أعود لا أعود.

وقال الجنيد: دخلت على السري السقطي فرأيته يبكي، فسألته فقال: جاءتني بنتي البارحة وقالت: هذه ليلة حارة أفأعلق لك الكوز حتى يبرد قلت: نعم، فرأيت في منامي حوراء لم أر أحسن منها فقلت: لمن أنت؟ فقالت: لمن لا يشرب المبرد، فأخذت الكوز وضربت به الأرض.

حكاية: قال مالك بن دينار رضي الله عنه: رأيت في أزقة البصرة جارية معها الخدام فقلت لها: أيبيعك مولاك فقالت لي: لو باعني ما تصلح أن تشتريني فقلت: نعم وخيرًا منك فضحكت وأمرت بحملي إلى سيدها فوقعت الهيبة في قلب سيدها فقال: ما حاجتك؟ قلت: تبيعني هذه الجارية، قال: أو تقدر على ثمنها؟ قلت: قيمتها عندي نواتان مسوستان لكثرة عيوبها لأنها إذا لم تتعطر دفرت وإذا لم تستك بخرت وإذا لم تتمشط وتدهن قملت وإن عمرت هرمت ذات حيض ونجاسة وأنا أشتري من الله تعالى جارية بدون ذلك خلقها الله من سلالة الكافور ومن المسك والنور والجوهر لو مزج ريقها بالبحر لطاب ماؤه ولو دعت ميتًا لأجاب ولو بدا معصمها للشمس لأظلمت ولو بدت في الظلمات لأنارت ولو واجهت الآفاق بحليها وحللها لتعطرت نشأت من بين رياض المسك والزعفران وقضبان الياقوت والمرجان وقصرت في خيام النعيم لا تخلف عهدها ولا يتبدل ودها فأيهما أحق بالثمن؟

قال: الذي وصفت، ما ثمنها؟ قلت: أن تركع ركعتين في الليل وتترك شهوة لله تعالى فالتفت إليها وقال: يا جارية أنت حرة لوجه الله تعالى. وقال لعبيده مثل ذلك وتصدق بجميع ماله ونزع ثيابه وأخذ له سترًا غليظًا واتزر به فقالت الجارية: لا أعيش بعدك فنزعت ثيابها ولبست عباء وخرجا إلى عبادة الله تعالى رضي الله عنهما.

موعظة: قال عيسى – عليه السلام – **«مثل الدنيا كمثل رجل يسير في مفازة فإذا أسد هائج فنظر وراءه فإذا الأسد يريده ونظر أمامه فإذا المفازة ليس ملجأ، فلما أدركه الأسد رأي بئرًا فطرح نفسه فيه فتعلق بشجرة فوقف الأسد فوق الجب فنظر إلى أسفل الجب فرأى ثعبانًا فيقول في نفسه: الأسد فوقي والثعبان تحتي حتى أنظر إلى الشجرة هل لها أصل أتمسك به؟ فإذا أصلها معلق بغصنين، وإذا بفأرة سوداء وفأرة بيضاء يقطعان في العرقين فلا يزال متفكرًا فيما هو فيه إذ نظر إلى غصن من أغصان الشجرة عليه ثمرة فيتناول منها فلا يشعر بشيء حتى تقطع الفأرتان عرق الشجرة فيهلك فهذا مثل**

لطالب الدنيا، أما الأسد فملك الموت وأما الشجرة فأجله وأما الفأرتان فالليل والنهار يقطعان أجله وأما الجب فهو القبر وأما الثعبان فالنار وأما المرأة فحطام الدنيا» وكان عيسى - عليه السلام - يلبس الشعر ويتوسد الحجر ويأكل الشعير ويقول: سراحي القمر وطعامي نبات الأرض ودابتي رجلاي فهل اغتني مثلي؟ وأمه مريم - رضي الله عنها - وكانت كذلك زاهدة عابدة وأخوها من أبيها هارون كذلك أيضًا سموه باسم هارون أخي موسى وكان بينهما ألف سنة.

حكاية: قال في الإحياء: إن عيسى - عليه السلام - اشتد عليه الرعد والبرق والمطر يومًا فجعل يطلب شيئًا يلجأ إليه فرأى خيمة فأتاها فوجد فيها امرأة فتركها، فإذا بغار في جبل فأتاه فإذا فيه أسد عظيم فوضع يده علي رأسه وقال: يا إلهي جعلت لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى فأوحى الله إليه: مأواك في مستقر رحمتي ولأزوجنك مائة حوراء يوم القيامة ولآمرن مناديًا ينادي: أين الزهاد في الدنيا؟ زوروا عرس الزاهد عيسى ابن مريم.

حكاية: قال بعض الصالحين: رأيت في المنام رجلاً يطلب غزالة وخلفه أسد فقتله قبل أن يلحق بالغزالة وهكذا إلى تمام المائة وكلما قتل الأسد واحدًا وقفت الغزالة عند رأسه فتعجب من ذلك، فقال الأسد: لا تعجب أنا ملك الموت والغزالة هي الدنيا وهؤلاء طلابها أقتلهم واحدًا بعد واحد، فإن قيل: كيف أمطر الله علي أيوب جرادًا من ذهب؟ قيل: جعله الله عوضًا من الدود، فالجراد نعمة للطائع وعقوبة للعاصي؛ لأنه مخلوق من الذنوب وذلك أن المريض تلقى ذنوبه في البحر فيخلق الله منها التمساح فإذا مات صار دودًا ثم جرادًا بإذن الله تعالى.

موعظة: ذكر العلائي في سورة النحل أن إبليس يعرض الدنيا على من يريدها كل يوم فيقول: من يشتري شيئًا يضره ولا ينفعه ويهمه ولا يسره فيقول عشاقها وأصحابها: نحن فيقول: إنها معيوبة فيقولون: لا بأس فيقول: ثمنها ليس بالدرهم ولا بالدينار ولكن بنصيبكم من الجنة فإني اشتريتها بأربعة أشياء بلعنة الله وغضبه وسخطه وعذابه وبعت الجنة بها فيقولون: نعم فيبيعهم إياها علي ذلك، ثم يقول: بئست التجارة، ورأيت في سفينة الأبرار أن الله تعالى خلق الدارين ونصب لهما دلالين فدلال الجنة محمد ﷺ وبائعها المولى وثمنها التوحيد، وبذل المال والنفس، ودلال الدنيا إبليس ومشتريها الراغبون وثمنها ترك الدين وقال بعض الحكماء: الدنيا ميراث المغرورين، ومسكن البطالين، وسوق الراغبين، وميدان الفاسقين، ومراح الكافرين، وسجن المؤمنين ومزبلة المتقين، زاد مؤلفه ومزرعة للعالمين.

لطيفة: لما مر سليمان بوادي النمل قالت نملة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[النمل :١٨] وإنما قالت: ذلك خوفًا علي قلوبهم أن تميل إلى الدنيا فلم سلم سليمان عليها قالت: وعليك السلام أيها الفاني المشتغل بملكك فأنت تظن يا سليمان أن ذلك أمرًا ونهيًا، فأنا نملة ضعيفة لي أربعون ألف مقدم، تحت يد كل مقدم أربعون صنفًا من

النمل كل صنف من المشرق والمغرب، فقال: كيف تلبسون السواد؟ قالت: لأن الدنيا دار مصيبة ولباس أهل المصائب السواد قال: فما هذا الحز الذي في وسطك؟ قالت: هذه منطقة الخدمة للعبودية قال: فما بالكم تبعدون عن الخلق؟ قالت: لأنهم في غفلة فالبعد عنهم أولى، قال: فما بالكم عراة؟ قالت: هكذا ولدنا إلى الدنيا وهكذا نخرج منها، قال: فكم تأكلين؟ قالت: حبة أو حبتين قال: ولم؟ قالت: لأنا على سفر والمسافر كلما خف حمله خف ظهره قال: اطلبي مني حاجة قالت: أنت عاجز والطلب منك غير جائز، قال: لابد من الطلب قالت: زد في رزقي وفي عمري قال: اطلبي شيئًا يكون في يدي، قالت: إن الله يقضي حوائج المحتاجين قال: ما اسمك قالت: منذرة أنذر أصحابي من الدنيا الساحرة وأرغبهم في الآخرة، وفي رواية اسمها طاحية وفي رواية حر، ثم قالت: يا سليمان ما أفخر ما أوتيت في ملكك؟ قال: الخاتم؛ لأنه من الجنة قالت: تعلم معناه؟ يعني الذي أعطيناك من الدنيا في يدك بقدر فص الخاتم ثم قالت: هل غير هذا؟ قال: نعم بساط من الجنة على ظهر الريح، قلت: هذا تنبيه على أن جميع ما معك كمثل الريح اليوم وغدًا يزول، قال: فإن غدوها شهر ورواحها شهر، قالت: فيها إشارة إلى أن عمرك يطير وأنت مستعجل المسير، قال: علميني منطق السير، قالت: اشتغل بمناجاة الله عن مناجاة الغير قال: أخبريني بالإنس والجن قالت: فيه إشارة إلى أن الخلق اشتغلت بخدمتك فاشتغل أنت بخدمتي، قال: إني أستأنس بفص الخاتم؛ لأن عليه اسم الله، قالت: استأنس بالمسمى يغنيك عن الاسم.

فائدة: أراد الحسن أن ينقش على خاتمه فلم يدر ما يكتب عليه فرأى عيسى بن مريم - عليه السلام - في منامه فسأله عن ذلك فقال: اكتب عليه لا إله إلا الله الملك الحق المبين، فإنها تذهب عنك الغم والحزن وهي خاتمة الإنجيل وكان نقش خاتم الإمام مالك حسبي الله ونعم الوكيل وخاتم موسى - عليه السلام - لكل أجل كتاب، وقال: معاذ - رضي الله عنه - ركعتان من متختم أفضل من سبعين ركعة من غير متختم ثم قالت النملة: أتدري لما سمي أبوك داود؟ قال: لا. قالت: لأنه داوى قلبه قالت: أتدري لما سميت سليمان؟ قال: لا. قالت: لأنك سليم القلب وآن لك أن تلحق بأبيك داود فعند ذلك طلب الإقالة من ربه في الملك فخرج الجواب: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [ص :٣٩].

لطيفة: يا مؤمن لك البشرى هذا سليمان طلب الإقالة من ربه أن ينزع عنه الملك خمسين سنة فما نزعه فكيف ينزع منك الإيمان؟ أنت تطلب حفظه مدة عمرك وكان بين موت سليمان ومولد النبي ﷺ ألف وسبعمائة سنة.

مواعظ:

الأولى: قال وهب بن منبه: بينما الخضر - عليه السلام - على شاطئ البحر إذا رجل فقال: سألتك بحق الله أن تعطيني شيئًا لله، فقال: لا أملك إلا نفسي وقد وهبتك إياها،

فأخذه فباعه لرجل له بستان فاستعمله فعمل فيه عملاً عظيمًا، فقال: صاحب البستان بحق الله من أنت؟ قال: أنا الخضر فقال: أنت حر لوجه الله فسجد فنوديَ: يا خضر طلبت الدنيا واتخذتها مسكنًا حتى ابتلاك بالرزق وذلك أنه كان قد بنى صومعة وغرس شجرة.

الثانية: جاء في الخبر أن الدنيا تمثلت لعلي بن أبي طالب على صورة امرأة قد تزينت له بكل زينة وهي تظن أنه لا يعرفها قال: ألست الدنيا؟ قالت: نعم كيف عرفتني؟ قال: كشف لي الغطاء قالت: كلمني، قال: أنت مطلقتي وكلام المطلقة حرام، اخرجي من داري، قالت: الدار داري، قال: صدقت، فخرج وتركها فخرجت خلفه لقد قميصه كزليخا مع يوسف - عليه السّلام - فلم تجد له درعًا فقالت: سلمت مني يا علي قال: اخدعي غيري وأنشد شعرا :

عتبت علي الدنيا فقلت: إلى متى أكابد دارًا همها ليس ينجلي

فقالت: نعم يا ابن الكرام لأنني غضبت عليكم منذ طلقني علي

وقال الشافعي: من زهد في الدنيا اليوم قرت عيناه غدًا بما يرى من السرور، وقال علي.

وما هي إلا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهن اجتذابها

فإن تجتنبها كنت سلمًا لأهلها وإن تجتذبها نازعتك كلابها

فائدة: قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: التوكؤ علي العصا من أخلاق الأنبياء، وكان النبي ﷺ يتوكأ عليها ويأمر بالاتكاء عليها وعنه ﷺ: **«العصا من علامة المؤمن، وسنة الأنبياء، ومن خرج في سفر ومعه عصا من لوز فقد أمنه الله من سبع ضار ولص عاد، ومن كل ذات حُمة حتى يرجع إلى أهله ومنزله وكان معه سبعة وسبعون من الملائكة»**، وقال البرماوي: ذات حمة بضم المهملة أي ذات سم كالحية والعقرب، وقال الحسن البصري - رضي الله عنه -: للعكاز ثمانية خصال: سنة الأنبياء، وزينة الصلحاء، وسلاح على الأعداء، وعون للضعفاء ويهرب من صاحبها الشيطان، ويخشع منه الفاجر، وتكون لصاحبها قبلة وقوة إذا أعيا، وعنه ﷺ: **«من بلغ أربعين ولم يأخذ العصا عد له من الكبر والعجب»**.

فصل: في القناعة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ [الانفطار :١٣]، أي في قناعة ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار :١٤]، أي في طمع، وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل :٩٧]، قال في الرسالة القشيرية: قال كثير من المفسرين: المراد بالحياة الطيبة في الدنيا هي القناعة، وقيل: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء :٨١]، أي يميتني بالطمع ويحييني بالقناعة، وقال الجنيد، في قوله تعالى: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [النمل:٢١]، أي لألبسنه ثوب الطمع ولأحرمنه ثوب القناعة.

لطيفة: قال في الرسالة القشيرية: لما مرّ موسى بالجدار وأقامه الخضر، قال له موسى:

﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف :٧٧]فلما خرجا من القرية دعا الخضر ظبيًا فوقف بينهما فصار الجانب الذي يلي الخضر لحمًا مشويًا والجانب الذي يلي موسى لحمًا طريًا، فسأله موسى عن ذلك فقال: لأنك طمعت وأنا قنعت. وقال في العقائق: جاءهما من الهواء طبقان على أحدهما خبز وسمك مشوي فوقع بين يدي الخضر، والآخر عليه سمك طري فوقع بين يدي موسى فتبسم الخضر وقال: أنا صبرت وأنت لم تصبر، والقرية هي أنطاكية والجدار كان طوله مائتين وخمسين ذراعًا وعرضه سبعمائة ذراع وكان قد مال على طريق الناس فدفعه الخضر بساعده فساعده موسى في ذلك فاستوى كما كان.

حكاية: قالت حفصة بنت عمر - رضي الله عنهما - لأبيها: يا أبت البس ألين الثياب فقال: يا حفصة ألست تعلمين أن أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته؟ قالت: نعم قال: نشدتك الله هل تعلمين أن النبي ﷺ لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو وأهله غدوة إلا جاعوا عشية، ولا شبعوا عشية إلا جاعوا غدوة؟ قالت: نعم قال: ناشدتك الله هل تعلمين أن النبي ﷺ كان يغسل ثيابه فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فلا يجد ثوبًا يخرج به إلى الصلاة؟ قالت: نعم قال: ناشدتك الله فما زال يذكرها حال النبي ﷺ حتى بكى وأبكاها. وقال النبي ﷺ: **«ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه»**.

فصل: في التوكل على الله

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق :٣] وقال النبي ﷺ: **«من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله»** وقال الحسن البصري: التوكل هو الرضا بفعل الله تعالى، أي اعتماد القلب على الله. وسيأتي الفرق بين التوكل والتسليم والتفويض آخر الباب.

حكاية: رأيت في كتاب العقائق: أن رجلاً من أهل البصرة اجتمع عليه من الدين ألف دينار، فطالبه الغرماء فلم يجد من يقرضه فهرب إلى الكوفة ودخل مسجدها، وقال: يا ملائكة ربي ارفعوا قصتي إلى الله فإني غريب ومديون فجاء رجل وأيقظه من نومه وقال: يا صاحب القصة اجلس فهذه ثلاثة آلاف دينار فسأله عن ذلك فقال: كنت نائمًا فرأيت قائلاً يقول: في المسجد غريب ومديون قد رفع قصته إلينا فادفع إليه ثلاثة آلاف دينار فإذا نفدت فائتنا وأنا فلان، فقال: معاذ الله أن أرفع قصتي إلا لمن أرسلك إلي.

حكاية: قال في العقائق أيضًا: إن ملكين نزلا من السماء أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب ثم رجع إليّ آخر النهار فالتقيا في السماء فقال: أحدهما لصاحبه أين كنت؟ قال: في المشرق أرسلني ربي إلى كنز رجل فخسفت به الأرض، فقال: الآخر وأنا أرسلني ربي بأمر عجيب أمرني أن أخرج الكنز من قرار الأرض وأجعله بدار رجل فقير بالمغرب ليس له درهم ولا دينار فسمعها رضوان خازن الجنة، فقال: قصتي أعجب من ذلك: إن الله تعالى أمرني أن أذهب إلى دار ذلك الفقير الذي صار الكنز في داره وأعد الكنز كم درهم وكم دينار ثم أمرني أن

أبني قصورًا في الجنة بعدد كل درهم ودينار لصاحب الكنز والفقير فقال الملكان: ربنا أطلعنا على هذه الكرامة التي أكرمت بها صاحب الكنز والفقير، فقال سبحانه وتعالى: لما خسف الكنز قال صاحبه: الحمد لله الذي جعلني راضيًا بقدره، وأما الفقير فلم يفرح بالكنز بل قال: إن في خزانته مالا يحوجني إلى غيره.

حكاية: خرج سليمان - عليه السلام - إلى شاطئ البحر فوجد نملة في فمها ورقة خضراء فلما وصلت إلى الماء خرجت ضفدع فحملتها على ظهرها وغاصت بها قليلاً ثم رجعت، فسألها سليمان - عليه السلام - عن ذلك فقالت: يا نبي الله في البحر صخرة صماء وفي وسطها دودة وقد وكلني الله برزقها كل يوم مرتين وخلق ملكًا على صورة الضفدع فيحملني إلى الصخرة فتنشق فتأخذها الدودة مني وتقول: سبحان من خلقني وفي البحر أسكنني ومن الرزق لم ينسني، اللهم كما لم تنسني من رزقك فلا تنس أمة محمد ﷺ من عفوك ورحمتك.

حكاية: قال أنس - رضي الله عنه -: خرجت مع النبي ﷺ فرأينا طيرًا أعمى يضرب بمنقاره علي شجر، فقال النبي ﷺ: «**أتدري ما يقول**» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**يقول: اللهم أنت العدل وقد حجبت عني بصري وقد جعت فأقبلت جرادة فدخلت في فمي ثم ضرب بمنقاره علي الشجر**» فقال ﷺ: «**أتدري ما يقول؟**» قلت: لا قال: «**إنه يقول: من توكل على الله كفاه**».

حكاية: قال مالك بن دينار - رضي الله عنه -: خرجت إلى الحج فرأيت طيرًا في منقاره رغيف فتبعته، فجاء إلي شيخ موثوق وصار يلقمه لقمة لقمة ثم طار وجاءه بماء في فمه فسكبه في فم الشيخ، فقلت له: من أنت قال: من الحجاج أخذني اللصوص وربطوني ههنا فصبرت علي الجوع خمسة أيام ثم قلت: يا من يجيب دعوة المضطر إذا دعاه، فأنا مضطر فارحمني فأرسل الله لي هذا الغراب، قال مالك: فحللته من وثاقه ومضينا.

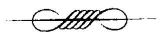
حكاية: ذكر ابن خلكان عن ابن عباس: أنه كان يأكل مع أصحابه طعامًا، فجاء قط فطرحوا له لقمة فأخذها وذهب سريعًا ثم رجع فطرحوا له لقمة أخرى، وهكذا خمس مرات فتبعه رجل إلى بيت خراب فوجد فيه قطًا أعمى وهو يضع اللقمة بين يديه فانقطع السيخ أبو الحسن إلى الله وترك الاكتساب، ورأيت في تفسير الرازي أن عيسى - عليه السلام - مر بالحواريين وهم يصطادون السمك فقال لهم: تعالوا حتى نصطاد الناس فقالوا: من أنت؟ قال: عيسى فآمنوا به فلما تركوا الصيد جاءوا فأخبروا عيسى - عليه السلام - بذلك فضرب على الأرض فأخرج لكل واحد رغيفًا، ثم قالوا: عطشنا، فضرب بيده على الأرض فخرج الماء فقالوا: من أفضل منا؟ قال: من يأكل من كسب يمينه.

فائدة: تعوذ النبي ﷺ من جهد البلاء قال عمر - رضي الله عنه -: هو قلة المال وكثرة العيال. وقال غيره: هو الجار السوء والرسول البطيء والمرأة المخاصمة والسراج المظلم

وهرة تعوي، فإن قيل: ما الحكمة في أن سليمان - عليه السلام - رد الله عليه الشمس بعد ما غربت حتى صلى العصر ومحمد ﷺ ما ردها عليه حين نام في الوادي بل صلى الصبح قضاء؟ فالجواب: أن محمدًا ﷺ وكل يقظته إلى مخلوق وهو بلال الحبشي، وجواب آخر - وهو الأحسن -: أن سليمان حكم عليه الوقت فلا تصح الصلاة إلا فيه ومحمد حكم على الوقت فتصح الصلاة فيه، وفي غيره قضاء منه ومن أمته، مع أنها قد ردت له ﷺ في بعض الأوقات، ولقد أجاد القائل - رحمه الله تعالى -:

والشمس بعد غروبها ردت له والبدر بين يديه شق وأفرجا

فإن قيل: ما الفرق بين التوكل والتسليم والتفيض؟ فيقال: التوكل أن تسكن إلى وعد الله، والتسليم أن تكتفي بعلم الله، والتفويض أن ترضى بحكم الله عز وجل.



باب: حفظ الأمانة وترك الخيانة
وذكر النساء وفضل الزواج وذم الطلاق والتحذير من اللواط
وفضل الزراعة وبيان قوله ﷺ: «خلقتم من سبع ورزقتم من سبع»

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[النساء:٥٨] وقال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾[النحل:٩١].

حكاية: قال في (الإحياء): إن رجلاً واعد النبي ﷺ أن يأتيه في مكانه فنسي الرجل اليوم الأول والثاني، ثم جاء في الثالث فوجده ﷺ مكانه فقال: **«يا فتي شققت علي أنا ههنا منذ ثلاثة أيام أنتظرك»**، وذكر بعض المفسرين في قوله تعالى حكاية عن إسماعيل: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾[مريم:٥٤]، قيل: إن رجلاً قال له: اجلس في هذا المكان حتى آتيك فجلس فيه سنة ثم جاءه، وقال: مكانك حتى آتيك فغاب عنه سنة، مثل هذا رأيته عنه عن الشيخ عبد القادر الكيلاني والقائل له الخضر - رضي الله عنه -، فإن قيل: كل نبي فهو صادق الوعد فلم يخص إسماعيل بذلك؟

فالجواب: تكرر من مواعيد كثيرة لعباده فوفى بها؛ لأنه من بيت الوفاء، قال الله تعالى: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾[النجم:٣٧].

حكاية: قال في روض الأفكار: خرج رجل من أهل اليمن لزيارة النبي ﷺ فقال له جماعة: سلم على أبي بكر فلما دخل المدينة نسي فرجع من الطريق حتى يبلغ الرسالة فلما فعل ذلك وأراد الذهاب إلى مكة، وجد القافلة قد رحلت فرجع إلى قبر النبي ﷺ ونام فرأى النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، فقال أبو بكر: هذا الرجل يا نبي الله؟ قال: **«نعم»** فالتفت إلي وقال: **«يا أبا الوفاء»** قلت: يا رسول الله كنيتي أبو العباس فقال: **«أنت أبو الوفاء»** وأخذ بيدي فرفعت فانتهبت فرأيتني في المسجد الحرام فأقمت بمكة ثمانية أيام حتى جاء الحجاج.

فائدة: رأيت في تفسير العلائي في سورة براءة عن ابن عمر وبن عباس - رضي الله عنهما - قالا: دخلنا مع جماعة على رسول الله ﷺ فقلنا: يا نبي الله إنك قلت: **«ثلاثة من كن فيه فهو منافق، ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه ثلث النفاق، إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان»**، فظننا أن لا نسلم منهن أو من بعضهن ولم يسلم منهن كثير من الناس فضحك النبي ﷺ وقال: **«ما لكم ولهن إنما خصصت بهن المنافقين أما قولي: إذا حدث كذب فلذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾[المنافقون:١] أفأنتم كذلك؟»**، قلنا: لا يا رسول الله قال: **«لا عليكم أنتم من ذلك براء، وأما قولي: وإذا وعد أخلف فذلك فيما نزل الله علي: ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ﴾[التوبة:٧٥] الآيات الثلاث أفأنتم كذلك؟»** قلنا: لا يا رسول الله لو عاهدنا الله شيئا وفيناه، فقال: **«لا عليكم أنتم من ذلك براء، وأما قولي: إذا ائتمن خان فذلك**

فيما أنزل الله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ [الأحزاب: ٧٢] فكل مؤمن مؤتمن علي دينه فالمؤمن من يغتسل من الجنابة سرًا وعلانية، أفأنتم كذلك؟» قلنا: نعم يا رسول الله قال: «لا عليكم أنتم من ذلك براء».

حكاية: نذر يوسف – عليه السلام – إن خرج من السجن ليصنعن وليمة للفقراء وغيرهم، فلما خرج من السجن نسي نذره فذكره جبريل فصنع طعامًا شهرًا وجمع الناس فاجتمع الكبير والصغير، فقال جبريل: لم يحضره المقصود، فقال يوسف: من هو؟ قال: عجوز عمياء في بيت من جريد النخل، فأرسل إليها رسولاً، فقالت للرسول: قل ليوسف: يحضر بنفسه، وأنشد بلسان الحال يقول:

لا تبعثوا لي من النسيم تحية   إني أغار من النسيم عليكم

فرجع الرسول إليه وأخبره بذلك فذهب يوسف إليها، وقال: أيتها العجوز احضري دعوتنا، فقالت: أين قولك يا سيدي من قولك: يا عجوز طالما أنعمنا عليك ونثرنا الجواهر علي قدميك؟ فقال يوسف: ما هذا الإذلال؟ قالت: أنا زليخا فبكى يوسف رحمة لها، فلما حضرت لم يبق في المجلس أحد إلا قام لها فخلع عليها يوسف الخلع فقالت: قد ملكنا من هذا كثيرًا إن لم تفعل ما أريد رجعت مكاني قال: ما هو؟ قالت: بصري وشبابي وأن تكون زوجا لي، فنزل جبريل وقال: قد أكرمناها لأجلك برد بصرها وشبابها فأكرمها أنت بالزواج فتزوجها في الحال.

حكاية: قيل: كانت زليخا من بنات الملوك وكان بينها وبين مصر نصف شهر فرأت في منامها يوسف فتعلق حبه بقلبها فتغير لونها فسألها أبوها عن ذلك، فقالت: رأيت صورة في منامي لم أر أحسن منها، فقال أبوها: لو عرفت مكانه لطلبته لك ثم رأته في العام الثاني، فقالت له: بحق الذي صورك من أنت؟ قال: أنا لك فلا تختاري غيري فاستيقظت وقد تغير عقلها، فقيدها أبوها بالحديد ثم رأته في العام الثالث، فقالت: بحق الذي صورك أين أنت؟ قال: بمصر فاستيقظت وقد صح عقلها فأخبرت أباها بذلك ففك القيد منها وأرسل إلى ملك مصر أن لي بنتًا قد خطبها الملوك وهي راغبة إليك، فكتب إليه من أرادنا أردناه فجهزها أبوها بألف جارية وألف عبد وألف بعير وألف بغلة، فلما دخلت مصر وتزوجها الملك بكت بكاءًا شديدًا، وسترت وجهها وقالت: للخادم ليس هو الذي رأيته في المنام، فقالت لها الجارية: اصبري، فلما رآها الملك افتتن بها وكان إذا أراد النوم معها مثل الله له جنية في صورتها وحفظها ليوسف، فلما اجتمع بها وجدها بكرًا كما حفظ آسية بنت مزاحم – رضي الله عنها – من فرعون؛ لأنها من زوجات النبي ﷺ في الجنة، فإن قيل: إذا كان الله تعالى حفظها من فرعون، فما معنى قوله تعالى: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥]، فإن المراد بالثيبات آسية وبالأبكار مريم على أحد الأقوال، فالجواب أن المرأة تسمى ثيبًا إذا كانت متزوجة، وإن لم توطأ ويجري

عليها أحكام الثيب ألا ترى أنه لو مات زوجها وجبت عليها العدة؟ ومريم لم تزل بكارتها؛ لأنها ولدت من سرتها.

حكاية: قال وهب بن منبه - رضي الله عنه -: مرض شاب من بني إسرائيل فنذرت أمة إن شفى الله ولدها لتخرجن من الدنيا سبعة أيام فشفاه الله فحفرت قبرًا، وقالت لولدها: احث عليّ التراب ثم بعد سبعة أيام أخرجني منه فلما حثا عليها التراب وجدت فيها بابًا إلى بستان فدخلته فرأت فيه امرأتين على رأس إحداهما طير يروح بجناحيه عليها، والأخرى على رأسها طير ينقرها، فقالت للأولى: بم نلت هذا؟ قالت: خرجت من الدنيا وزوجي راضٍ عني، وقالت للأخرى: بم نلت هذا؟ قالت: خرجت من الدنيا وزوجي ساخط عليّ فإذا رجعت إلى الدنيا فاسأليه العفو عني فبعد سبعة أيام أخرجها ولدها فأخبرت زوج المرأة فعفا عنها، ثم رأتها بعد ذلك في المنام، فقالت لها: جزاك الله خيرًا قد نجوت من العذاب.

حكاية: مات رجل من بني إسرائيل وخلف امرأة وثلاث بنات فلما انقضت عدتها تزوجت فلما كان قبل الدخول بليلة رأت زوجها الأول مهمومًا في المنام فسألته، وقالت: ما نسيتك؟ فقال لها: لو لم يقع النسيان لما تزوجت بفلان فلما أصبحت أخبرت نبي ذلك الزمان عليه الصلاة والسلام، وقالت: يا نبي الله اسأل فلانًا أن يطلقني فطلقها فأوحى الله إليه قل للمرأة: لما عاملت زوجها بالوفاء غفرنا ما كان بيننا وبينها من الجفاء وأعطيناها بكل شعرة علي بدنها جارية تخدمها ويجمع الله بينها وبين زوجها في الجنة.

فائدة: قال معاذ بن جبل: صلاة من متزوج أفضل من أربعين صلاة من غيره، وقال ابن عباس: تزوجوا فإن يومًا مع المتزوج خير من عبادة ألف عام، وقال النبي ﷺ لبعض أصحابه: **«ألك زوجة؟»** قال: لا، قال: **«ولا جارية»** قال: لا، قال: **«وأنت موسر بخير»**، قال: وأنا موسر بخير قال: **«أنت من إخوان الشياطين لو كنت من النصارى كنت من رهبانهم، إن من سنتنا النكاح، شراركم عزابكم وأراذل موتاكم عزابكم»**.

موعظتان: قال النبي ﷺ لبعض أصحابه: **«تزوج ولا تطلق فإن الله يبغض الذواقين والذواقات»** وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: **«من عمل في فرقة بين امرأة وزوجها كان عليه لعنة الله في الدنيا والآخرة وحرم عليه النظر إلى وجهه»**، وعن أبي أيوب الأنصاري عن النبي ﷺ قال: **«من فرق بين امرأة وزوجها فرق الله بينه وبين الجنة يوم القيامة»** وسيأتي في باب الخوف: أن الطلاق قد يجب وقد يستحب، وقد يكره وقد يحرم، والله أعلم.

حكاية: عن جعفر بن محمد الصادق قال: كان في بني إسرائيل رجل صالح وله امرأة جميلة فرآها شاب فعشقته وصنعت له مفتاحًا يدخل عليها متى شاء، فقال زوجها في بعض الأيام: قد أنكرت حالك فلابد أن تحلفي لي على عدم الخيانة قالت: نعم فلما خرج من عندها

ودخل الشاب أخبرته بذلك، فقال: كيف الخلاص؟ قالت: البس ثياب المكارى وخذ حمارًا وقف على باب المدينة فلما جاء زوجها وطلبها أن يحلفها على جبل معظم عندهم يحلفون عنده فخرجت معه فلما رأت المكارى، قالت: لابد من ركوبي مع هذا فأركبها فلما صعدوا علي الجبل ألقت نفسها علي الحمار فانكشف شيء من بدنها، ثم قالت: والله ما رآني غير هذا فاضطرب الجبل من تحتهم اضطرابًا شديدًا فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [إبراهيم :٤٦]، وعن عمار بن ياسر - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «**أيما امرأة خانت زوجها عليها نصف عذاب هذه الأمة**»، وسيأتي على هذا زيادة في المعراج إن شاء الله تعالى.

حكاية: كانت امرأة نوح - عليه السلام - تخونه بأن تأمر الناس بعدم اتباعه، وامرأة لوط تخونه أيضًا بأن تخبر قومه بالملائكة فلما أن أتوا إليه في صورة شبان مردان، قيل: كيف جاز أن تكون امرأة النبي كافرة لا زانية؟

فالجواب أن الأنبياء - عليهم السلام - بعثهم الله إلى الكفار ليدعوهم ويبشروهم فوجب أن لا يكون معهم ما ينفرهم والزنا من أعظم المنفرات بخلاف الكفر فلا يرونه عارًا، قال العلائي: في سورة هود أن جبريل وميكائيل وإسرافيل دخلوا على لوط في صورة حسنة فذهبت زوجته وأخبرت قومه فجاءوه يهرعون أي يسعون فخاف على الملائكة؛ لأنه لم يعرفهم وضاق بهم ذرعًا أي ضاق صدره، كما أن البعير إذا كان حمله خفيفًا طال باعه، وإن كان ثقيلاً ضاق باعه فقال لوط: هذا يوم عصيب أي شديد، قال الله تعالى للملائكة: لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات، فلما دخلوا عليه كالضيوف، قال لوط: ما بلغكم أمر هذه القرية؟ قالوا: وما أمرها؟ قال: أشهد بالله إنها شر قرية في الأرض عملاً قال: هذا أربع مرات، وكل مرة يقول جبريل لمن معه من الملائكة: اشهدوا ثم قال لوط: يا قوم هؤلاء بناتي يعني أزوجكم بهن، وقيل: أراد بالبنات نساءهم؛ لأن النبي كالأب لقومه، قال العلائي: وهو الصحيح، فقالت الملائكة: إنا رسل ربك ففتح الباب فوضع جبريل يده علي أبصارهم فانطمست وعلي أيديهم فيبست، فرجعوا وهم يقولون: يا لوط اصبر حتى يطلع الصبح، فقال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾ [هود :٨١] الاستثناء، فـ ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ [هود :٨١] فقال لوط: متى يأتيهم العذاب؟ قال: إن موعدهم الصبح قال: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود :٨١] فلما خرج لوط وأخذ أهله قال: لا يلتفت منكم أحد فلما سمعوا صوت العذاب التفتت امرأته، وقالت: واقوماه فصارت حجرًا فأمر الله تعالى جبريل فرفع مدائن لوط وهي خمسة علي جناحه حتى سمعت الملائكة صياح الديكة ونهيق الحمير ولم ينتبه لهم نائم ولم يتكسر لهم إناء فجعل عاليها سافلها، ثم أرسل عليهم حجارة من سجيل، قيل: هو جبل في السماء، وقيل: بحر بين السماء والأرض.

موعظة: مر سيدنا عيسى - عليه السلام - في أرض فرأى نارًا تشتعل على رجل فأخذ ماء وأطفأها فتحولت النار شابًا أمرد وتحول الرجل نارًا واشتعل علي الصبي، فتعجب من ذلك فدعا الله تعالى فأنطق الله له الرجل فقال: يا نبي الله إني كنت أفعل الفاحشة بهذا الصبي فجعلني الله نارًا أشتعل عليه تارة ثم يردني إلى حالي أولاً، ويجعل الصبي نارًا يشتعل علي تارة إلى يوم القيامة، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: إذا ركب الذكر على الذكر هرب الشيطان خوفًا من اللعنة أن تصيبه، وقال ﷺ: **«ملعون ملعون ملعون من عمل عمل قوم لوط»** وعن النبي ﷺ **«من مات وهو يعمل عمل قوم لوط لم يلبث في قبره إلا ساعة واحدة ثم يبعث الله إليه ملكًا يشبه الخطاف فيخطفه برجليه ويطرحه في قوم لوط ويكتب علي جبينه آيس من رحمة الله»** وعنه ﷺ **«يؤتى يوم القيامة بأطفال ليس لهم رؤوس فيقول الله تعالى لهم: من أنتم؟ فيقولون: نحن المظلومون فيقول: ومن ظلمكم؟ فيقولون: آباؤنا كانوا يأتون الذكران من العالمين فألقونا في الأدبار، فيقول الله تعالى: سوقوهم إلى النار واكتبوا علي وجوههم آيسين من رحمة الله»**.

مسألة: حد اللواط كحد الزنا. قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: لو رأينا رجلاً يزني بامرأة ورجلاً يلوط بصبي ولم نقدر إلا على دفع واحد دفعنا الذي يلوط بالصبي، ولو قال: يا لوطي، فالصواب أنه صريح في القذف كما جزم به صاحب التنبيه فيجب الحد إن قاله المحصن: وهو البالغ العاقل الحر المسلم الذي غيب حشفته بقبل في نكاح صحيح وهو عفيف عن وطء يحد به ولو في الدبر، لكن قال البغوي: إذا وطئ في الدبر تبطل حصانة الفاعل فقط؛ لأن الإحصان لا يحصل بالوطء فيه، فلذلك لا تبطل به الحصانة قال الرافعي: ورأي إبطال حصانتهما لوجوب الحد عليها.

حكاية: قال الحارث: خرجت بأصحابي إلى النزهة فرجع واحد منهم فتبعه كلب من كلابنا فدخل الرجل علي زوجة الحارث وأوقع الفاحشة بها، فوثب الكلب عليهما فقتلهما فلما رجع الحارث وجدهما ميتين فأنشد فيهما:

فيا عجبًا للخِلِّ يهتك حرمتي ويا عجبًا للكلب كيف يصون

قال نوح - عليه السّلام -: يا رب أمرتني أن أصنع السفينة فما أصنعه نهارًا يفسده قومي ليلاً فقال: اتخذ كلبًا يحرسك فاتخذه فإذا جاءوا ليفسدوا عمله صاح عليهم فيستيقظ نوح - عليه السلام - فيطردهم، فهو أول من اتخذ الكلب للحراسة، قال بعض العلماء: سبب امتناع الملائكة من دخول بيت فيه صورة أو كلب؛ لأن الصور فيها مشابهة لخلق الله تعالى والكلب لكثرة أكله النجاسات وقبح رائحته؛ ولأن بعضها يسمى شيطانًا وهو الأسود، فلا يحل صيده وإذا مر بين يدي المصلى بطلت صلاته عند الإمام أحمد بن حنبل.

قال مؤلفه - رحمه الله تعالى -: ينبغي أن يقال: سبب امتناع الملائكة من دخول بيت فيه

كلب؛ لأنه خلق من ريق الشيطان، وذلك أن إبليس - لعنه الله - بزق على آدم وهو طين فكشطته الملائكة فصار موضع السرة من بني آدم فخلق الله من التراب الذي أصابه ريق إبليس الكلب. ذكره في العقائق والملائكة والشياطين لا يجتمعان.

عجيبة: إذا ذبح الكلب طهر لحمه وجلده عند أبي حنيفة - رضي الله عنه -.

مسألة: لو كان معه شاة وكلب جائع غير عقور وجب ذبحها للكلب، إن لم يجد غيرها ولا يحل قتل غير العقور.

لطيفة: قال رجل لابن سيرين - رضي الله عنه -: رأيت في المنام كأني أخطب فلانة وهي امرأة سوداء قصيرة، فقال: اذهب إليها وتزوج بها فإن مالها كثير وعمرها قصير، فتزوجها ففي تلك الليلة ماتت فورث منها مالاً كثيرًا.

حكاية: جاء صياد بسمكة إلى بعض الملوك فأعطاه أربعة آلاف درهم، فقالت زوجته: أسرفت، فقال: كيف آخذها منه؟ فقالت: قل له: السمكة ذكر أم أنثى فإن ذكر نوعًا فقل له: أريد ضده فسأله عن ذلك فقال الصياد: لا ذكر ولا أنثى بل خنثي فضحك الملك وأعطاه أربعة آلاف درهم فلما أخذها سقط منه درهم فأخذها سريعًا، فقالت زوجته: إنه بخيل لا يستحق من ذلك شيئًا، فسأله عن سبب ذلك فقال الصياد: لأن اسم الملك عليه فأعطاه أربعة آلاف أخرى، فنادى أن لا يسمع أحد رأي زوجته، وقال عمر - رضي الله عنه -: خالفوا النساء فإن في خلافهن البركة، وقال الحسن البصري: من أطاع زوجته فيم تهوى أكبته في النار، وقال علي - رضي الله عنه -: لا تطيعوا للنساء أمرًا ولا تدعوهن يدبرن أمرًا، فإنهن إن تركن وما يردن أفسدن الملك وعصين المالك، وجدناهن لا دين لهن في خلواتهن ولا ورع لهن عند شهواتهن، اللذة بهن يسيرة والحيرة بهن كثيرة، فيهن ثلاث خصال من خصال اليهود يتظلمن وهن ظالمات ويحلفن وهن كاذبات ويتمنعن وهن راغبات فاستعيذوا بالله من شرارهن، وكونوا علي حذر من خيارهن وعنه - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: **«استعينوا على النساء بالعري فإن المرأة إذا عريت لزمت بيتها»**. والله أعلم، وعن المقدام قال: خطب النبي ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: **«إن الله تعالى يوصيكم بالنساء خيرًا»** كررها ثلاثة وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال النبي ﷺ: **«استوصوا بالنساء خيرًا فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه»**؛ لأن أعوج ما فيها أعلاها وهو لسانها، والضِّلَع بكسر الضاد وفتح اللام وسكونها، وعن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: **«ذروا الحسناء العقيم وعليكم بالسوداء الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة»** وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ: **«من مشى في تزويج امرأة لرجل ليجمع بينهما رزقه الله ألف امرأة من الحور العين، وكان له بكل خطوة خطاها أو كلمة تكلم بها في ذلك عبادة سنة قيام ليلها وصيام نهارها»**.

فائدة: عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: **«إذا غسلت المرأة ثياب زوجها كتب الله لها ألف**

حسنة وغفر لها ألف سيئة، واستغفر لها كل شيء طلعت عليه الشمس ورفع لها ألف درجة» وقالت عائشة **«صرير مغزل المرأة يعدل التكبير في سبيل الله، والتكبير في سبيل الله أثقل من السموات والأرض، وأيما امرأة كست زوجها من غزلها كان لها بكل لبسة على بدنه مائة ألف حسنة»** وقال أبو قتادة: صرير النساء وقراءة القرآن عند الله سواء، جهاد النساء المغزل، وقال النبي ﷺ: **«أول ما يوضع في ميزان العبد نفقته علي أهله»** وقال ﷺ: **«من اشتري لعياله شيئًا حمله بيده إليهم حط الله عنه ذنوب سبعين سنة»**، وحمل النبي ﷺ شيئًا من السوق فأراد رجل أن يحمله فقال: **«صاحب الشيء أحق بحمله»**، وعن أنس عن النبي ﷺ: **«من خرج إلى سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيئًا فحمله إلى بيته فخص به الإناث دون الذكور نظر الله إليه ومن نظر الله لم يعذبه»**، وفي حديث آخر: **«من أفرح أنثى فكأنما بكى من خشية الله ومن بكى من خشية الله حرم الله بدنه على النار»** ورأيت في كتاب النورين في إصلاح الدارين أن النبي ﷺ قال: **«البيت الذي فيه البنات ينزل الله عليه كل يوم اثنتي عشرة رحمة من السماء، ولا تنقطع زيارة الملائكة من ذلك البيت، ويكتبون لأبويها كل يوم عبادة سنة»**.

موعظة: قال النبي ﷺ: **«من كان عنده امرأتان فلم يعدل بينها جاء يوم القيامة وشقه ساقط»**.

مسألة: يجب العدل بين الزوجات في النوم ليلاً، فإذا كان عندها ليلاً لم يدخل فيه على الأخرى إلا لضرورة، ولا تجب التسوية في الإقامة نهارًا ولا في الأكل والشرب والجماع.

حكاية: كان ببغداد رجل متزوج بابنة عمه وكان قد عاهدها أن لا يتزوج عليها فجاءه في بعض الأيام امرأة إلى دكانه وسألته أن يتزوج بها، فأخبرها بعهده مع ابنة عمه فرضيت منه في كل جمعة يومًا، فتزوجها واستمر على تلك الحالة ثمانية أشهر فأنكرت عليه بنت عمه وأرسلت جاريتها لتنظر إلى أين يذهب فدخل بيتًا فسألت عنه الجيران فقالوا: قد تزوج، فأخبرت الجارية سيدتها بذلك، فقالت: لا تخبري أحدًا، فلما مات الرجل أرسلت ابنة عمه جاريتها بخمسمائة دينار وقالت: اذهبي إلى زوجته وقولي: عظم الله أجرك في فلان فإنه مات وترك ثمانية آلاف دينار، سبعة لابنه وألف بيني وبينك فلما أخبرتها بذلك دفعت لها ورقة، وقالت: ادفعيها إلى بنت عمه فإذا فيها براءة من الصداق ولم تأخذ منها شيئًا.

حكاية: قال عبد الله الواسطي: رأيت امرأة على عرفات وهي تقول: من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له فعلمت أنها ضالة فقلت: أيتها المرأة من أين أقبلت؟ فقالت: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١] فعلمت أنها من المقدس فقلت: ما الذي جاء بك؟ قالت: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] فقلت: ألك زوج؟ قالت: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] فقلت: أتركبين بعيري؟ قالت: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧] فلما أرادت الركوب قالت: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] فأعرضت عنها، فلما ركبت

قلت: ما اسمك؟ قالت: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ﴾ [مريم:١٦] فقلت لها: ألك أولاد؟ قالت: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ﴾ [البقرة:١٣٢] فعلمت أن لها أولادًا فقلت: ما أسماؤهم؟ قالت: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء:١٦٤] ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النساء:١٢٥] ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [ص:٢٦] فقلت في أي موضع أطلبهم قالت: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [النحل:١٦] فعلمت أنهم أدلة الركب، فقلت: يا مريم ألا تأكلين شيئًا؟ قالت: ﴿إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا﴾ [مريم:٢٦] فلما وصلنا إليهم ورأوها بكوا، قالت: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ﴾ [الكهف:١٩] الآية، فسألتهم عنها، فقالوا: إنها ضلت منذ ثلاثة أيام وقد نذرت أن لا تتكلم إلا بالقرآن ثم بعد ذلك رأيتهم يبكون فسألتهم فقالوا: إنها في النزع فدخلت عليها وسألتها عن حالها فقالت: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّ﴾ [ق:١٩] فلما ماتت رأيتها تلك الليلة في المنام فقلت: أين أنت؟ قالت: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ۝ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾ [القمر:٥٤-٥٥] - رضي الله عنها - وعن أمثالها وهم بحمد الله كثيرون وإنما ذكرت هؤلاء على سبيل التبرك.

موعظة: قال ابن مسعود: يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول الله تعالى له: رددت أمانة فلان، فيقول: لا يا رب فيقول: ردها اليوم فيقول: يا رب ذهبت الدنيا ولا شيء معي فيقول: أنا أدلك عليها ثم يقول لملك من الملائكة: خذ بيده وانطلق به إلى جهنم وأره تلك الأمانة، فيقول له: اهبط وأخرجها فيهوي في النار سبعين عامًا، فإذا صار على شفير جهنم تفلتت منه فيهبط إليها سبعين عامًا وهكذا حتى يريد الله تعالى.

حكاية: قيل: أودع رجل رجلاً مالاً كثيرًا ثم سافر إلى مكان بعيد فلما قدم من سفره أراد أن يأخذ ماله، فوجد الرجل الذي عنده المال قد مات وترك ولدًا فاسقًا قد ضيع أموال والده في المعصية، فخاف الرجل على ماله فسأله عنه، فقال: إنه محفوظ فلما دفعه إليه قال: كيف حفظته؟ قال: إن ضيعت ديني فلا أضيع الأمانة فأعطاه ذلك المال وكان عدته خمسة آلاف دينار، فتاب عن المعاصي وبارك الله له فيه، وكان ذلك ببركة حفظ الأمانة.

حكاية: قيل: كان بمكة رجل فقير وله زوجة صالحة فقالت: ليس عندنا شيء فخرج إلى الحرم، فوجد كيسًا فيه ألف دينار ففرح به فرحًا شديدًا وأخبر زوجته بذلك، فقالت له: لقطة الحرم لا بد فيها من التعريف فخرج فسمع المنادي: من وجد كيسًا فيه ألف دينار. فقال: أنا وجدته فقال: هو لك ومعه تسعة آلاف دينار، قال: أتستهزئ بي؟ قال: لا والله ولكن أعطاني رجل من أهل العراق عشرة آلاف دينار وقال: اطرح منها ألفًا في الحرم ثم ناد عليها، فإن ردها من وجدها فادفع الجميع إليه؛ لأنه أمين والأمين يأكل ويتصدق فتكون صدقتنا مقبولة لأمانته.

لطيفة: قال بعض المفسرين: في قوله تعالى: ﴿فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ﴾ [البقرة:٢٦٠]، وهي الديك والغراب والطاووس والبط، وإنما خصهم بذلك؛ لأن الخيانة وجدت عندهم،

فالطاووس خان آدم، والبط قطع شجرة اليقطين عن يونس والديك خان إلياس؛ لأنه سرق ثوبه، والغراب خان نوح؛ لأنه اشتغل بالجيفة لما أرسله لينظر موضعًا خاليًا من الماء.

فائدة: لما خلق الله الجنة نادى مناد من يشتري دار اللقاء والبقاء، فقالت الملائكة: ما ثمنها؟ قال: حمل الأمانة فقالوا: لا نحمل ثقلها، فقال آدم: قد اشتريتها فقيل له: أتحمل ثقلها؟ قال: بمعونتك وإن عجزت فبمشيئتك بك أستجير وأنت المجير، قال: صدقت أنا جار من استجار بي فلما وقع في الذلة قال: يا رب أنت قلت أنا جار من استجار بي وقد استجرت بك فخذ بيدي فبشره جبريل بالتوبة.

حكاية: جاء بعضهم إلى ذي النون المصري - رحمه الله تعالى - ليتعلم منه اسم الله الأعظم، فأقام عنده سنة وستة أشهر، ثم أقسم عليه أن يعلمه فدفع إليه إناء عليه غطاء وقال: اذهب به إلى فلان فذهب به ثم كشف الغطاء في أثناء الطريق فوثبت من الإناء فأرة فغضب غضبًا شديدًا، ورجع إلى ذي النون المصري وقال: أتستهزئ بي؟ فقال له: ائتمناك على فأرة فختنتنا فيها فكيف أستأمنك على اسم الله الأعظم.

حكاية: خلق الله الأمانة علي صورة صخرة فعرضها على السموات والأرض عرض تخيير لا عرض إلزام فأشفقن منها، فقال آدم: لو أمرت بحملها لحملتها فحملها إلى ركبتيه ٧أرة

ثم وضعها ثم إلى وركيه، وهما عظما الورك ثم وضعها ثم حملها على عاتقه فلما أراد وضعها، قيل له: مكانك فهي في عنقك وعنق أولادك إلى يوم القيامة؛ لأنك حملتها باختيارك.

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: الأمانة هي الصلاة والزكاة والحج والكيل والميزان وزاد غيره غسل الجنابة؛ لأن التستر عن غير الله تعالى في الجميع ممكن، وقيل: الأمانة هي الفرج؛ لأنه أول مخلوق من الإنسان، والعين أمانة واللسان أمانة والبطن أمانة، وقال بعض الصحابة: جاء أعرابي إلى باب المسجد فنزل عن ناقته ودخل صلى صلاة كاملة ودعا دعاء حسنًا ثم خرج فلم يجد الناقة فقال: يا رب أديت أمانتك فأين أمانتي؟ فلم يمكث حتى جاء رجل وقد قطعت يده فسلم إليه الناقة فتعجبنا من ذلك ذكره النيسابوري في سورة البقرة، وحكاه العلائي في آل عمران عن طاوس اليماني التابعي، وأنه قال: يا رب في ضمانك، فلما خرج حرم الكعبة ولم يجدها قال: يا رب ما سرق إلا منك وإذا برجل نزل من جبل أبي قبيس قد قطعت يده وهو يقود الناقة. قال طاووس: فسألناه ما سبب ذلك؟ فقال: جاءني رجل على فرس أشهب فقطع يدي وقال لي: رد الناقة، فإن قيل: كيف حمل آدم الأمانة دون السموات والأرض؟.

فالجواب: لأن آدم ذاق لذة الجنة فاشتاق إليها فحملها ليرجع إليها، وقيل: حملها؛ لأن فيه قوة محمد ﷺ.

لطائف:

الأولى: لما حمل المؤمن الأمانة حرم الله عليه النار، كما حرم الله على الحمار الأهلي الذبح والنار في الدنيا؛ لأنه حمل متاع المؤمن، والكافر لما هرب من الأمانة سلط الله عليه القتل في الدنيا والنار في الآخرة كالحمار الوحشي لما هرب من المؤمن أباح الله ذبحه وأكله.

الثانية: إذا حملت الجارية من سيدها حرم الله بيعها وتحتم عتقها كذلك المؤمن لما حمل الأمانة امتنع بطريق التفضل والامتنان من الله تعذيبه.

الثالثة: لما ابتلع الحوت يونس قصد إليها صاحبها فقالت: اعتزل عني فإن معي الأمانة فلا أضيعها؛ لأجل الشهوة، فعلى هذا يكون الحوت أنثى كنملة سليمان كما أجاب به أبو حنيفة لقوله تعالى: ﴿نَمْلَةٌ﴾ [النمل:١٨].

حكاية: رأيت في عقائق الحقائق: أن الله تعالى عرض علي آدم صور المخلوقين ليأنس بشيء منها، فأعرض عنهن؛ لأنهن من غير الجنس فلما نام عرض الله عليه صورة حواء فمال قلبه إليها؛ لأنها من جنسه، فلذلك جازت الرؤية قبل عقد النكاح للوجه والكفين فقط من الحرة، أما الأمة فينظر منها ما سوى ما بين السرة والركبة، ثم قال تعالى لها: كوني فكانت من ضلعه الأيسر من غير أن يجد ألمًا، ولولا ذلك لم يعطف رجل على زوجته ثم أمر بالتقدم إلى آدم، وقال: زوجتك مصطفاي من خلقي، فلما انتبه من نومه ورآها أغمضت عينيها، فقالت الملائكة لآدم: أتحبها يا آدم؟ قال: نعم، ثم قالوا لها: أتحبينه؟ قالت: لا وفي قلبها أضعاف ما في قلبه من المحبة. قال: ولما خلق الله حواء كساها حسن ألف حوراء وأجلسها على سرير وعندها أربعة آلاف حوراء لو نظرت واحدة منهن إلى الدنيا لاستغنت بها عن الشمس والقمر، وهن عند حواء كالسراج عند الشمس فأراد آدم القرب منها فقيل له: حتى تؤدي مهرها، قال: قد وهبتها كل شيء في الجنة فقال: صداقها أكثر من ذلك، قال: وما هو؟ قال: أن تصلي على محمد ﷺ عشر صلوات، وقد تقدم في باب الجمعة بأزيد. وقيل: إن الله تعالى قال له: وهبتك هذه الشجرة فاجعلها صداقها وقد أبحت لكما جميع ما في الجنة؛ لأنكما في دار ضيافتي وشجرة الحنطة الآن صداق زوجتك فلا تأكلا من معلومكما في دار ضيافتي شيئًا، فلما أكلا من الشجرة بدت لهما سوآتهما ولم تبد لغيرهما ولو بدت لغيرهما لقيل: وبدت منهما، وهبط آدم بالهند وحواء بجدة فبكى بكاء شديدًا فسأله جبريل عن بكائه، فقال: دلني على حواء هل هي بالحياة؟ قال: نعم وهي أصلح منك حالاً تأكل كل يوم سمكة قال: هل عندها مني خبر؟ قال: لا ولكن حفظها الله؛ لأجلك ثم اشتد به الجوع فنسي حواء فجاءه جبريل بثورين أحمرين وثلاث حبات من الحنطة، وقال: لك حبتان ولحواء واحدة فصار للذكر مثل حظ الأنثيين، كل حبة وزنها ألف درهم وثمانمائة درهم فزرع وحصد وطحن وخبز في أربع ساعات

فلما أكل وشبع نام فرآها في نومه، فقالت: يا آدم أنت نائم أم يقظان؟ فاستيقظ آدم وقد زاد بكاؤه وأنشد لسان حاله وقال:

كتبت كتابًا لو قدرت صبابة ... لصرت لفرط الشوق في طيه نشرا
وما بي من الشوق المبرح نحوكم ... يجل لعمري أن أحد له قدرا
على أنني من كل أرض بعيدة ... أزوركم ليلًا وأهجركم فجرا
ومع ذا وذا قلبي لفرط اشتياقه ... يزيد بذكراكم على حره حرا
أبيت قرير العين أرعى خيالكم ... ويصبح كفي من لقائكمو صفرا
إذا اشتاقت النفس المشوقة نحوكم ... تطوف بمغناكم فتلمحكم شذرا
فتحظى بوصل منكمو في منامها ... فياليت ذاك النوم دام لها شهرا

فقال له جبريل: أبشر فما أراك الله إياها في المنام إلا وقد قرب الاجتماع، قال الثعلبي - رضي الله عنه -: فرق الله بينهما مائة عام كل منهما يطلب صاحبه فلما تقاربا من مكان سمي مزدلفة، فلما اجتمعا وتعارفا في مكان سمي عرفات، وتمنيا الخير في مكان سمي منىً.

فصل: في الزراعة وبيان قوله ﷺ: «خلقتم من سبع ورزقتم من سبع»

عن أنس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: **«ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»**. وعن أبي أيوب الأنصاري -رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: **«من غرس له غرسًا أعطاه من الأجر عدد ما يخرج من ذلك الغرس»**. وعن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ: **«ما من مسلم يزرع زرعًا يأكل منه سبع أو طير أو إنس أو جان إلا كان له صدقة»**.

فائدة: قال جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما -: من غرس غرسًا يوم الأربعاء، فقال: سبحان الوارث الباعث أتته بأكلها.

حكاية: مر بعض الملوك علي شيخ كبير يغرس غرسًا فقال له: أنت تؤمل أن تأكل منه؟ قال: زرعوا لنا فأكلنا ونزرع لهم فيأكلون. فأعطاه ألفًا، فضحك الشيخ، فسأله عن ذلك فقال: عجبت من سرعة ثمرة هذا الغراس، فأعطاه ألفًا أخرى، فضحك فسأله فقال: الغراس يحمل مرة في العام، وغراسي هذا حمل مرتين، فأعطاه ألفًا أخرى وتركه. قال عبد الله بن سلام: لا تدع غراس أرضك وإن خرج الدجال، وقيل لعثمان بن عفان - رضي الله عنه -: أتغرس بعد الكبر؟ فقال: لأن تقوم الساعة وأنا من المصلحين خير من أن توافيني وأنا من المفسدين.

فوائد:

الأولي: نقل العلائي في سورة يوسف أن الله تعالى أنزل على موسى: ما من فدان يزرع إلا

والله تعالى ينزل عليه ألف ملك يباركون في نباته فإذا استوى أنزل الله ثلاثة آلاف يباركون في شطئه أي في الذي يتفرع منه، فإذا آن حصاده أنزل الله ستة آلاف ملك يباركون في حبه ويهللون رب العزة ويكبرونه، ولن يأكل منه شيء حتى ينزل عشرة آلاف ملك يباركون في أكله.

الثانية: أنزل الله على داود - عليه السلام - في الزبور: إني أنا الله رب كل شيء، خلقت الدنيا وجعلت قوامها القمح والشعير ولم أخلق شيئًا أعز علي منهما، فمن أفسد منهما شيئًا فقد برئت منه ذمتي. قال عبد الله بن سلام: خلق الله القمح والشعير وجعلها رأس كل بركة، فيهما أمن الأرض أن تزول، وعن النبي ﷺ: «**أكرموا الخبز فإن الله تعالى سخر من بركات السماء والأرض ولا تسندوا به القصعة فإنه ما أهانه قوم إلا ابتلاهم الله بالجوع ومن يتبع ما سقط من السفرة غفر له**».

ومن كراماته: أن لا ينتظر به لإدام، ووجد بعض الصحابة لقمة فأمر غلامه بحفظها فأخذها الغلام فأكلها، فقال: له أنت حر لوجه الله؛ لأن من رفع لقمة وأماط عنها الأذى وأكلها لم تستقر في جوفه حتى يغفر الله له وأنا أكره استخدام عبدًا غفر الله له.

الثالثة: أنزل الله علت إبراهيم: خلقت القمح والشعير وخلقت فيهما النفع كله فحذر قومك فساده، فإن فساده يرفع الغيث عن العباد.

الرابعة: أول صناعة عملت على وجه الأرض صناعة الحرث، وأول من حرث آدم ثم أدركه التعب في آخر النهار، فقال لحواء: ازرعي ما بقي فصار زرعها شعيرًا فتعجب من ذلك فأوحى الله إلى آدم لما أطاعت العدو بدلت لها القمح بالشعير، قال كعب الأحبار - رضي الله عنه -: كانت الحبة في عهد آدم كبيض النعام.

الخامسة: نقل أبو نعيم في الطب النبوي عن حذيفة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «**أطعمني جبريل الهريسة أشد بها ظهري لقيام الليل**»، ورأيت في كتاب العجائب أن الإكثار من أكل الفطير يورث أمراضًا مختلفة ودواؤه أكل الزنجبيل بعده أو الثوم.

السادسة: اختلفوا هل زراعة الحنطة مقدمة علي غيرها أم غيرها مقدم عليها؟ فقال: بعضهم بالأول لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ [النبأ: ١٤]، يعني السحاب ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾ [النبأ: ١٤] أي منصبًا متتابعًا ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا﴾ [النبأ: ١٥]، وقال بعضهم: بالثاني، لقوله تعالى: ﴿فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ [ق: ٩].

السابعة: قوله تعالى: ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ [النبأ: ١٦] يعني بساتين ملتفًا بعضها علي بعض، قال أبو نعيم: كان النبي ﷺ يحب من الفاكهة العنب. وقال غيره: إنه يقوي البدن والمقطوف بعد يومين أنفع من المقطوف في يومه، وأما الزبيب فإن أكله علي الريق ينفع من علل كثيرة، وقال ﷺ: «**نعم الطعام الزبيب يشد العصب ويذهب الوصب ويطفئ الغضب ويطيب النكهة**

ويذهب البلغم ويصفي اللون» والوصب: المرض، والنكهة هي رائحة الفم وفي حديث آخر: **«عليكم بالزبيب فإنه يكشف المرة ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب الهم»** ورأيت في كتاب شرعه الإسلام الهادي إلى دار السلام: أن الشيطان يغضب من أكل العنب مع الزبيب وأكل الجوز واللوز الأخضرين مع يابسهما.

الثامنة: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: **«ما للنفساء عندي شفاء مثل الرطب ولا للمريض مثل العسل»**، وقال ﷺ: **«أطعموا نسائكم في نفاسهن التمر، فإنه من كان طعامها في نفاسها التمر خرج ولدها حليمًا، فإنه كان طعام مريم حين ولدت ولو علم الله طعامًا خيرًا لها من التمر لأطعمها إياه»** وقال ﷺ: **«أكل التمر أمان من الفالج»**.

التاسعة: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: أهدي للنبي ﷺ طبق فيه تين فأكل وقال لأصحابه: **«كلوا فلو قلت: إن فاكهة نزلت من الجنة بلا عجم لقلت: هو التين كلوه فإنه يقطع البواسير وينفع من النقرس»** وذكر في العجائب أن أكل يابسه على الريق فيه منفعة عظيمة، وقال ﷺ: **«عليكم بأكل البلس فإنه يقطع عرق الجذام ألا وهو التين»**.

العاشرة: عن عقبة بن عامر قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«عليكم بهذه الشجرة المباركة وهي الزيتون، فتداووا به فإنه صحة للبواسير»**، وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: **«كلوا الزيت وادهنوا به فإن فيه شفاء من سبعين داء منها الجذام»** وقال الذهبي: الادهان بالزيت يقوي الشعر والأعضاء ويبطئ الشيب وشربه ينفع من السموم وهو ترياق الفقراء.

فصل: في قوله ﷺ: «خلقتم من سبع»

يعني من سلالة وهي النطفة تسل من الظهر سلاًّ من طين أي من مخلوق من طين وهو آدم، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ [المؤمنون:١٤]، أي جعلنا النطفة البيضاء علقة حمراء وهي دم جامد، ثم جعلنا الدم قطعة لحم على قدر ما يمضغه الآكل، ثم قسم أجزاء النطفة إلى عظام وأعصاب وعروق ولحم. قال عمرو بن العاص: إذا مكثت النطفة في بطن الأم أربعين يومًا رفعها ملك إلى الله، وقال: أخلق يا أحسن الخالقين، فيقضي الله فيها ما شاء ثم تدفع إلى الملك، فيقول: يا رب سقط أم تمام؟ فيبين له ثم يقول: يا رب أواحد أم توأمان؟ فيبين له، فيقول: يا رب طويل الأجل أم قصير؟ فيبين له، ثم يقول: يا رب ذكر أو أنثى؟ فيبين له، ثم يقول: يا رب أشقي أم سعيد؟ فيبين له ثم يقول: اقطع رزقه أي قدره فيقدر له رزقه فيقول: قدر أجله ثم يرجع به إلى بطن أمه، قال القرطبي: في قوله تعالى: ﴿أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان:٢]، أي مختلط قال ابن عباس: العظم والعصب والقوة من الرجل والدم واللحم والشعر من المرأة. قال القاضي أبو بكر بن العربي: إذا خرج ماء الرجل أولاً وكان أكثر كان الولد ذكرًا بحكم السبق ويشبه أعمامه بحكم الكثرة، وإن خرج من المرأة أولاً، وكان أكثر كان الولد أنثى بحكم السبق ويشبه أخواله بحكم الكثرة، وإن خرج ماء الرجل أولاً ولكن كان ماء

المرأة أكثر كان الولد ذكرًا للسبق ويشبه أخواله لكثرة ماء المرأة، وإن خرج ماء المرأة أولاً ولكن ماء الرجل أكثر كان أنثى لسبق المرأة وتشبه أعمامها لكثرة ماء الرجل.

فائدة: حسن لون الحامل يدل على الذكور، وكذا الثقل في الجانب الأيمن وكبر حلمة الثدي الأيمن، وغلظ الحليب يدل عليه أيضًا، فإن اشتبه فخذ منه شيئًا يسيرًا واجعله على مرآة برفق واجعله في الشمس، فإن انبسط الحليب فأنثى وإلا فذكر والله أعلم، ثم ركب اللحم على العظم وجعل العظام قوية صلبة من نطفة ضعيفة وجعلها قوامًا للبدن ثم قدرها إلى صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق، ولما كان العبد محتاجًا إلى الحركة لم يجعلها عظمًا واحدًا بل جعلها عظامًا كثيرة وهي مائتا عظم وثمانية وأربعون عظمًا في الرأس منها خمسة وخمسون مختلفة الأشكال فألف بعضها إلى بعض حتى صار الرأس مدورًا فمنها ستة للفخذ وأربعة عشر للحي الأعلى واثنان للأسفل، والبقية هي الأسنان بعضها عريضة تصلح للطحن وبعضها حادة تصلح للقطع، ثم ركب الرقبة من سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها زيادات ونقصان لينطبق بعضها على بعض حتى صارت كالكرسي تحت الرأس وركب الرقبة على الظهر وركب الظهر من أسفل الرقبة إلى منتهى عظام الفخذ من أربع وعشرون خرزة، ثم خلق في الإنسان خمسمائة وعشرين عضلة مركبة من لحم وعصب وأغشية، فأربعة وعشرين منها لتحريك حدقة العين، وهي مركبة من سبع طبقات لو فقدت طبقة لتعطلت العين من النظر وأظهر في مقدار عدسة منها السموات مع اتساعها، وبعد أقطارها وزينها بالأجفان لتحفظها وتصقلها، ولم يجعل شعر الجفن أبيض؛ لأنه يضعف البصر ثم شق الآذان وأودعها مآمر الحفظ وسمعها ودفع الهوام عنها وجعل فيها تجويفات واعوجاجات حتى لا يدخل الهوام إليها سريعًا، بل ينتبه الإنسان من غفلته قبل وصول الهوام إلى موضع السمع، وهي أفضل من العين؛ لأن الله تعالى لم يبعث رسولاً أصم، والله أعلم

لطيفة: قال الإمام أحمد: وطء الحامل يزيد في سمع الجنين وبصره، ثم رفع الأنف من وسط الوجه وأحسن شكله وأودعه حاسة الشم ليدرك به غذاء القلب وهو الهواء وغذاء البدن وهو روائح الأطعمة ثم فتح الفم وزينه بالأسنان وأحسن صفوفها وبيض ألوانها وأودع فيه اللسان ناطقًا ومترجمًا عما في القلب وحوطه بالشفتين حفظًا للطعام والكلام، ثم خلق الحناجر مختلفة الأشكال في الضيق والسعة والطول والقصر والخشونة والملاحة فاختلفت الأصوات بذلك فلا يشبه صوت صوتًا وتميز بعض الناس عن بعض بالصوت في الظلمة، ثم خلق اليدين لتمتد إلى المقاصد وعرض الكف وقسم الأصابع إلى خمس كل أصبع بثلاثة أنامل، ووضع الأربع في جانب والإبهام في جانب ليدور على جميع الأصابع فإن بسطها وضم الأصابع كانت مجوفة ثم زينها بالأظافر للحك ولأخذ الشيء الرقيق الذي لا تمسكه الأنامل، ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدور وعظام الكتف وعظام الفخذين والساقين وأصابع الرجلين وجعل

عروقهما متصلة ولكل عضو عضلات بحسب احتياجه إليها، وجعل البطن جامعًا لآلات الأكل والشرب كالأمعاء والكبد والمعدة والطحال والمرارة والكلية والمثانة، فالمعدة لطبخ الطعام والكبد يحيله دمًا والطحال يأخذ منه السوداء والمرارة تأخذ منه الصفراء والكلية تأخذ منه المائية إلى المثانة، وهي مكان البول، فإذا دمًا خالصًا أخذته العروق إلى سائر البدن ثم لكل عضو من هذه الأعضاء ملك يديره ويصلح أمره كما أن البر لا يصير طحينًا وعجينًا وخبزًا إلا بالصناع كذلك الغذاء لا يصير دمًا ولحمًا إلا بالصناع وهم الملائكة يصلحون الغذاء في باطنك وأنت في الغفلة ومددهم من ملائكة السماء ومددهم من حملة العرش ومدد الجميع من الله تعالى، ثم غذاه في بطن أمه بدم الحيض ثم سهل له الطريق وألهمه بالخروج، ثم غذاه بلبن أمه حارًا في الشتاء باردًا في الصيف وألهمه مص الثديين وجعل حلمة الثدي على قد فمه وفتح له في الحلمة ثقبًا ضيقًا لا يخرج اللبن منه إلا بالمص، فإذا تم له عامان لم يغنه اللبن بل يضره، فيحتاج إلى الطعام والطعام يحتاج إلى المضغ والطحن والقطع وأنبت له اثنين وثلاثين سنًا عند الحاجة، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون:١٤]، ثم رزقه التمييز والعقل حتى تكمل فصار مراهقًا ثم شابًا ثم كهلًا ثم شيخًا إما شاكرًا وإما كفورًا.

واعلم أن الله تعالى خلق الآدمي من ماء وتراب ونار وهواء فالبصر من النار والسمع من الهواء والشم من الماء والذوق من التراب وجعل في المولود اثني عشر منفذًا بعد البروج سبعة منها في سبعة أفلاك وخلق في الولد سبعة أعضاء فلا يصح السجود إلا عليها وهي الجبهة واليدان والركبتان والقدمان، وفي الفلك سبعة أنجم وفي الولد سبعة ألطاف السمع والبصر والذوق والشم والنطق والعقل واللمس وحركاته كحركات الكواكب وولادته كطلوعه وموته كغروبه وهذا باعتبار العالم العلوي، وأما السفلي فجسده كالأرض، وعظمه كالجبال، ومخه كالمعادن، وعروقه كالأنهار، ولحمه كالتراب، وشعره كالنبات، ووجهه كالمشرق، وظهره كالمغرب، ويمينه كالجنوب، وشماله كالشمال ونفسه كالريح وكلامه كالرعد وضحكه كالبرق وبكاؤه كالمطر وغضبه كالسحاب وعرقه كالسيل، ونومه كالموت، وسهره كالخيال، وأيام صباه كالربيع، وشبابه كالصيف وكهولته كالخريف وشيوخته كالشتاء وخلق الله الشمس ضياء والقمر نورًا والليل ظلمة والهواء لطافة والجبال كثافة والماء رقة فجعل الضياء حظ الحور العين والنور حظ الملائكة والظلمة حظ الزبانية واللطافة حظ الجن والكثافة حظ التراب، والرقة حظ الشياطين ثم جمع ذلك في بني آدم فجعل الضياء حظ الوجه والنور حظ العينين والظلمة حظ الشعر واللطافة حظ الروح والكثافة حظ العظم، والرقة حظ الدماغ فلما جمع بين المتضادين في صورة واحدة مدح نفسه بقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤].

فوائد لعلاج البدن: قال رسول الله ﷺ: «**عباد الله تداووا فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له دواء**».

الأول: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: **«من ساء خلقه عذب نفسه ومن كثر همه سقم بدنه ومن لاحى الرجال ذهبت كرامته وسقطت مروءته»** لَاحَى أي ضارب وخاصم.

الثانية: احتجم النبي ﷺ من وجع كان برأسه وكان ﷺ إذا أصابه وجع الصداع خضب رأسه بالحناء، وسيأتي منافع الحناء في باب العدل واجتناب الظلم، ومما ينفع من الصداع بزر قطونا مع الخل يضمد به الرأس وكذلك شم المسك أو ماء الورد أو أكل الخيار أو القثاء وشمهما أو لطخ الرأس بالسدر أو الخل والنزلة ينفعها شم الكمون إذا عجن بالخل والنخالة إذا طحنت ووضعت على حجر الرحى إذا أحمى على النار ورش عليه الخل، ويلتقي بخاره نفع الرأس نفعًا جيدًا، وقال النبي ﷺ: **«ما مررت بملأ من الملائكة ليلة المعراج إلا قالوا: مر أمتك بالحجامة ولا جاءه من يشكو وجعًا في رجليه إلا أمره بالحناء فيهما»**.

الثالثة: وجع الأذن يزيله عصارة السداب مع قشور الرمان إذا وضع على النار وقطر في الأذن أو قطر في الأذن دهن لوز مر أو عصارة النعناع مع العسل ينفع.

الرابعة: العين إذا حصل لها مرض غير الرمد يزيله الزعفران إذا خلط بلبن المرأة واكتحل به أو ضمد الجبهة بقشور البطيخ الأصفر أو قشور الجوز الأخضر إذا جف سحق ووضع على مقدم الرأس، قال أبو سعيد الخدري: دواء العين ترك مسها وقد داوى النبي ﷺ الرمد ومما يقوي البصر أكل السداب وقد تقدم في عاشوراء زيادة.

الخامس: عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ **«لا تكرهوا أربعة لأربعة لا تكرهوا الرمد فإنه يقطع عروق العمى ولا تكرهوا الزكام فإنه يقطع عروق الجذام ولا تكرهوا السعال فإنه يقطع عروق الفالج ولا تكرهوا الدماميل فإنها تقطع عروق البرص»**، وقال ﷺ: **«الشعر الذي في الأنف والأذنين أمان من الجذام»** وقال النبي ﷺ: **«لا تنتفوا الشعر الذي يكون تحت الأنف فإنه يورث الآكلة ولكن قصوه قصًا»**، ومما ينفع مع السعال أكل الملوخية أو أكل البندق أو شرب المصطكى، وأيضًا سعال الصبيان ينفعه أكل الكمون بالعسل.

السادسة: إذا وضع صمغ الزيتون على ضرس أزال وجعه أو الملح أو الفلفل ومما يسهل طلوع أسنان الصغير دلك اللثة بشحم الدجاج أو زبد البقر وقد تقدم قريبًا أن السفرجل ينفع الصدور، وقال عبد الله بن رواحة: أصابني وجع الصدر فشكوت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: **«ادن مني فوالذي نفسي بيده لأدعون لك بدعوة لا يدعو بها مؤمن إلا كشف الله كربته»** ثم وضع يده على صدري وقال: **«اللهم أذهب عنه ما يجد واشفه بدعوة محمد ﷺ فشفاه الله في الحال»**.

السابعة: المغص يزيله شرب الخرنوب إذا دق وطبخ على النار أو أكل قشور الكمون، أو طبخ قشور النارنج وأكلها. وقال أنس - رضي الله عنه -: قال النبي ﷺ: **«عليك بالسنا والسنون فإن فيهما شفاء من كل داء»**، قال أبو نعيم: السنون هو الكمون وقال أنس - رضي الله عنه - أنطق الله شجرة الزعتر فقالت: يا رسول الله خذني فوالذي بعثك بالحق ما أنزل الله داء

إلا وفي منه دواء، وقال ﷺ: «**لو علمت أمتي ما في الحلبة لاشتروها ولو بوزنها ذهبًا**».

الثامنة: قالت عائشة: قال النبي ﷺ: «**الخاصرة عرق الكلية إذا تحرك أذى صاحبه ودواؤه الماء المحرك بالعسل**».

التاسعة: الطحال، ذكر أبو نعيم أنه يؤخذ سام أبرص ويعلق على موضع الطحال فكلما جف الطحال ويطرحه عند الصلاة إذا صلى ومما ينفع له أيضًا شرب الزعفران وعصارة السلق أو شرب المصطكى وكذا شرب ماء حب الرشاد بالعسل.

العاشرة: جاء في الحديث: «**إذا طاب قلب المرء طاب جسده وإذا خبث خبث الجسد**».

الحادية عشرة: عن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ: «**خير الدواء الحجامة والفصادة**» وقال ﷺ: «**الحبة السوداء فيها شفاء من كل داء إلا الموت**» والله أعلم.

باب: الخوف

قال الله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[التوبة:١٣]، وقال تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾[الفرقان:٥٣]، أي بحر الرجاء وبحر الخوف في قلب المؤمن وقال النبي ﷺ: «**لا يلج النار أحد يبكي من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع**، وقال ﷺ: «**دمعة العاصي تطفئ غضب الرب**» وعن ابن عباس وأبي هريرة قالا: قال ﷺ: «**من ذرفت عيناه من خشية الله، كان له بكل قطرة من دموعه مثل جبل أحد في ميزانه وله بكل قطرة عين في الجنة على حافتيها من المدائن والقصور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**» فإن قيل قد بكى إبليس فما أفاده بكاؤه.

فالجواب: أنه قال: دمعة العاصي وما قال: دمعة الكافر فالمعاصي سمومٌ والدمعة ترياقها نعم، جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: «**إن من أخيار أمتي قومًا يضحكون جهرًا من سعة رحمة الله ويبكون سرًا من خوف عقابه أبدانهم في الأرض وقلوبهم في السماء وأرواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة**».

فائدة: عن عائشة، عن النبي ﷺ قال: «**إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له ما يكفرها ابتلاه الله بالحزن فيكفرها عنه**» ورؤي بعضهم في المنام فقيل له: ما الذي رأيت؟ قال: رأيت درجة أرفع من درجة المحزونين. وقال أبو اليزيد البسطامي: بكى شعيب - عليه السلام - حتى عمي فرد الله بصره ثم بكى أيضًا فأوحى الله إليه وهو أعلم إن كان بكاؤك خوفًا من النار أمناك منها، وإن كان بكاؤك شوقًا للجنة فقد أوجبناها لك فقال: يا رب لا لهذا ولا لهذا وإنما أبكى شوقًا إليك فأوحى إليه فابك فما لهذا الداء دواء إلا البكاء.

موعظة: رأى إسرافيل - عليه السلام - في اللوح المحفوظ أن عبدًا يعبد ربه ثمانين ألف عام، ثم يرد الله عليه عبادته ويلعنه فبكى إسرافيل خوفًا أن يكون هو ذلك العبد فسألته الملائكة عن بكائه فأخبرهم بما رآه في اللوح المحفوظ فبكوا جميعًا كل منهم يخاف أن يكون هو ذلك

العبد، ثم قالوا: نذهب إلى عزرائيل فإنه مجاب الدعوة فيدعو لنا فأخبروه فقال: اللهم لا تغضب عليهم فدعا لهم ونسي نفسه؛ لأنه لم يقل: اللهم لا تغضب علينا، وقيل: إن إبليس رأى على باب الجنة مكتوبًا أن لله عبدًا من المقربين يأمره ربه بأمر فلا يمتثل أمره فقال: يا رب ائذن لي أن ألعنه فلعن نفسه بنفسه ألف عام وكان اسمه: في سماء الدنيا العابد وفي الثانية الراكع وفي الثالثة الساجد وفي الرابعة الخاشع وفي الخامس القانت وفي السادسة المجتهد وفي السابعة الزاهد ثم بعد ذلك سمي إبليس؛ لأنه أبلس من رحمة الله، وفي الإحياء قال عيسى - عليه السلام -: يا معشر الحواريين أنتم تخافون المعاصي ونحن معاشر الأنبياء نخاف الكفر وشكا نبي من الأنبياء الجوع والقمل والعرى سنتين فأوحى الله إليه أما رضيت إن عصمت قلبك أن يكفر بي حتى تسألني الدنيا؟ فأخذ التراب وجعله على رأسه، وقال: رضيت يا رب فاعصمني من الكفر.

حكاية: قال إبليس: يا رب أخرجتني من الجنة لأجل آدم وإني لا أقدر عليه إلا بتسليطك فقال: أنت مسلط عليه قال: زدني قال: لا يولد له ولد إلا ولد لك مثله، قال: زدني قال: صدورهم مساكن لكم قال: زدني قال: اجلب عليهم أي صح بخيلك ورجلك فكل راكب وراجل في معصية الله فهو من خيله ورجله وشاركهم في الأموال بإنفاقها في المعصية والأولاد بعدم التسمية عند الجماع، وقيل: هم أولاد الزنا قال آدم: يا رب قد سلطته علي فلا أمتنع منه إلا بك، قال: لا يولد لك ولد إلا وكلت به من يحفظه من الملائكة، قال: زدني قال: الحسنة بعشر أمثالها قال: زدني قال: لا أنزع منهم التوبة ما دامت أرواحهم في أبدانهم، قال: زدني قال: أغفر لهم ولا أبالي قال: اكتفيت اكتفيت قال: إبليس: يا رب جعلت في بني آدم الرسل وأنزلت عليهم الكتب فما رسلي؟ قال: المهان، قال: فما كتبي؟ قال: الوشم. قال: فما حديثي؟ قال: الكذب. قال: فما القرآن؟ قال: الشعر قال: فما مؤذني؟ قال: المزمار قال فما مسجدي؟ قال: الأسواق قال: فما بيتي؟ قال: الحمام، قال: فما طعامي؟ قال: الذي لم يذكر عليه اسمي قال: فما شرابي؟ قال: المسكر وفي رواية قال: وما مصائدي؟ قال: النساء.

موعظة: عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما -: قال: سأل النبي ﷺ إبليس عن ضجيعه قال: السكران وعن جليسه قال: الذي يؤخر الصلاة عن وقتها، وعن ضيفه قال: السارق، وعن أنيسه قال: الشاعر وعن رسوله قال: الساحر، وعن قرة عينه قال: الذي يحلف بالطلاق وإن كان صادقًا، وعن حبيبه، قال: تارك الصلاة وعن أعز الناس عليه، قال: من يسب أبا بكر وعمر.

حكاية: قالت عائشة - رضي الله عنها -: كانت لي جارية تخدمني فاستيقظت في بعض الليالي وطلبت الماء فلم أجده في الكوز، فسألتها عن ذلك فقالت: رأيت في المنام القيامة ورأيت والدي يستغيث من العطش فطلب مني ماء فذهبت إلى الكوز فأخذت منه شربة فسمعت

قائلاً يقول: من هذا الذي يسقي شارب الخمر شلت يداه؟ فاستيقظت وقد يبست يداها، وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «**من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب تاب الله عليه وإن عاد لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا فإن تاب تاب الله عليه فإن عاد في الرابعة لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا فإن تاب لم يتب الله عليه**» رواه الترمذي، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وقال ﷺ: «**لعن الله الخمر وشاربها وحاضرها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه**».

مسألة: يجب على السكران قضاء الصلاة ويقع طلاقه ويصح بيعه ونكاحه، وجميع تصرفاته القولية والفعليه له، وعليه إذا شربها مختارًا عالمًا بالتحريم، وقال أبو حنيفة: ضرب الشارب أشد من ضرب القاذف.

حكاية: قال رجل لأبي حنيفة: شربت الخمر، ولا أعلم أطلقت زوجتي أم لا، قال: الزوجة زوجتك حتى يتبين الطلاق، فسأله الثوري فقال: راجع زوجتك فإن كنت طلقتها فقد راجعتها وإلا فلا يضرك فسأل شريك بن أبي نمر فقال: طلقها ثم راجعها فسأل زفر فقال: الحق ما قاله أبو حنيفة: وأضرب لك مثال ذلك كرجل مر بثوبه النظيف على نجاسة ولم يعلم هل أصابته أم لا، فثوبه باق على طهارته فما زاده إلا تطهيرًا.

حكاية: غرس نوح - عليه السلام - دالية فيبست فشق ذلك عليه فقال إبليس: أنا أحييها لك فذبح عليها أسدًا ودبًّا ونمرًا وابن آوى وكلبًا وثعلبًا وديكًا فاخضرت فلذلك يصير شارب الخمر أولاً شجاعًا كالأسد وقويًّا كالدب وغضبانًا كالنمر ومحدثًا كابن آوى ومقاتلاً كالكلب ومتملقًا كالثعلب ومصوتًا كالديك فحرمت الخمر على نوح، واسمه عبد الجبار، وسمي نوحًا لكثرة نوحه على ذنوب أمته.

حكاية: قال ذو النون المصري: كنت مسافرًا فرأيت ماء متغيرًا يخرج من كهف فدخلت إليه فوجدت إبليس يبكي، فقلت: ما هذا البكاء؟ فقال: وهل يحق البكاء إلا لي كنت من المقربين عند الله والآن صرت من المطرودين، فقلت له: كيف خالفت أمره؟ فقال: لم يكن أمري عناية ثم قرأ هذه الآية ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر:٤٧].

حكاية: رأى يحيى بن زكريا - عليهما السلام - إبليس في بعض الأودية باكيًا فسأله، فقال: كيف حال من عبد ربه زمنًا طويلاً ثم ذهبت عبادته مجانًا؟ فقال: ارجع عن إضلالك للخلق، فقال: يا يحيى إن كنت أضللهم فمن أضلني؟ قال: ارجع إلى ربك قال: فكن لي شفيعًا عنده فبكى يحيى في محرابه؟ وقال: يا إلهي قد علمت حديث المطرود وقد وقف على باب الصلح فهل له إليه طريق؟ فنزل جبريل، وقال: إن الله يقرئك السلام، ويقول لك: اشتغل بنفسك وإلا فعلت بك ما فعلت به. ورآه أيضًا في بعض الأيام يبكي فسأله عن ذلك، فقال: على عمل مائة ألف عام وقفت فيها على الباب، فخرج ذلك الجواب ليس لك طريق قد

أخطأت التوفير فقال يحيي: يا رب هلا صالحته فجاءه جبريل، وقال: إنه يبكي نفاقًا لا رقاقًا قل له: يسجد لقبر آدم فأخبر بذلك فضحك، وقال: أنا لم أسجد له حيًا فكيف أسجد له ميتًا؟

لطيفة: بكى آدم في البر والبحر فدمعه في البر صار قرنفلاً وفي البحر بلخشًا؛ لأنه هبط من باب التوبة، وحواء بكت في البر والبحر فدمعها في البر صار منه الحناء وفي البحر صار لؤلؤًا، وإبليس بكى في البر والبحر فدمعه في البر صار شوكًا وفي البحر صار تمساحًا، والحية بكت في البر والبحر فدمعها في البر صار عقربًا وفي البحر صار سرطانًا والطاووس بكى في البر والبحر فدمعه في البر صار بقًا وفي البحر صار علقًا.

قال الراوي عن النبي ﷺ: **«لو جمع بكاء أهل الدنيا وبكاء داود لكان بكاء داود أكثر، ولو جمع بكاء أهل الدنيا وبكاء داود وبكاء نوح إلى بكاء آدم لكان بكاء آدم أكثر أي على خطيئته»**.

فائدة: لما خلق الله الخلق من ظهر آدم كالدر وقال لهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، أولهم: محمد ﷺ: قال القرطبي: هذا دليل على من قال: أن جميع الأطفال في الجنة. قال الكلبي: مسح الله ظهر آدم بين مكة والطائف، وقال السدي: في سماء الدنيا حين هبط آدم من الجنة قال ابن جريج: خرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضاء وكل نفس مخلوقة للنار سوداء وفي الحديث: **«أن الله خلق آدم ومسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعلمون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذريته فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون»**، قال رجل: ففيم العمل يا رسول الله؟ فقال: **«إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله النار»**، وإنما لم يذكر ظهر آدم؛ لأن المعلوم أن كلهم بنوه وأنهم أخرجوا من ظهره. قال النسفي: ثم أمرهم بالسجود فسجدت فرقة وتخلفت فرقة، ثم إن الساجدين افترقوا أيضًا فرقتين، فرقة فرحت بالسجود وفرقة ندمت فالفرقة الأولى عاشوا مسلمين، وماتوا كذلك والفرقة النادمة عاشوا مسلمين وماتوا على غيره، والفرقة التي تخلفت عن السجود افترقوا أيضًا فرقتين فرقة ندمت على ترك السجود فعاشوا كفارًا وماتوا مسلمين، والذين لم يندموا عاشوا كفارًا وماتوا كذلك.

عجيبة: قال بعض العلماء: سبب هداية أهل الكهف أنهم كانوا قيامًا على رأس ملكهم دقيانوس فوثب هر من ورائه على غفلة فارتاع وفزع فقالوا: لو كان إلهًا ما خاف من السنور، فلذلك أخبر الله محمدًا ﷺبالفرار منهم والفزع، لئلا يعتقد أحد فيه الألوهية، وقيل: إنما أخبره بالفرار منهم لو رآهم؛ لأنهم من علامات الساعة فيكون فراره خوفًا من الساعة لا منهم.

حكاية: مرت رابعة العدوية - رضي الله عنها - على رجل معه خروف مشوي فنظرت إليه طويلاً وبكت فقال: تريدين أن تأكلي منه شيئًا؟ فقالت: ما نظرت إليه من قبل الشهوة، وإنما نظرت إليه من قبل أن الحيوانات يدخلون النار أمواتًا وابن آدم يدخلها حيًا.

فائدة: رأيت في كتاب «**الشورين في إصلاح الدارين**»: من قال خلف كل فريضة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهًا واحدًا وربًّا وشاهدًا لا معبود سواه، ونحن له مسلمون، جعل الله له الصراط أربعة أذرع، أي عرض أربعة أذرع قال ابن الجوزي - رحمه الله -: هو شعرة من جفن مالك خازن النار طولها ألف عام.

حكاية: خرج مالك بن دينار بعد صلاة العشاء لحاجة فرأى الثلج نازلاً من السماء يمينًا وشمالاً، فتفكر في تطاير الصحف إلى طلوع الفجر ونسى حاجته، قالت عائشة - رضي الله عنها -: هل تذكرون أهليكم يوم القيامة فقال النبي ﷺ: «**أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدًا، الأول: عند تطاير الصحف، والثاني: عند الميزان والثالث: عند الصراط**» قال أنس بن مالك - رضي الله عنه -: سألتك يا رسول الله أن تشفع لي يوم القيامة فقال: «**أنا فاعل ذلك غدًا إن شاء الله تعالى**»، قلت: فأين أطلبك؟ قال: «**عند الصراط**» قلت: فإن لم ألقك؟ قال: «**عند الميزان**» قلت: فإن لم ألقك؟ قال: «**عند الحوض فإني لا أخطئ هذه الثلاثة**»، قال بعض العلماء: الصحيح أن الحوض يرده الناس قبل الميزان ومال إليه القرطبي.

مسألة: لو قال: أنت طالق كالثلج أو كالنار وقع الطلاق في الحال نقله الرافعي في آخر الباب الأول من أبواب الطلاق ثم نقله أبو حنفية.

لطيفة: الثلج في المنام رزق لمن أكله في وقته، وإن كان كثيرًا فهو عذاب؛ لأنه آية من الآيات التي أرسلها الله على بنى إسرائيل ومن وقع عليه ثلج أصابه هم.

لطيفة: رأيت في عظة الألباب أن بعض الصالحين في بغداد رأى صبيًّا على باب مكتب يبكي فسأله عن ذلك، فقال: كتب لي المعلم في اللوح سطرًا أبكاني فقلت: ما هو؟ قال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر:١-٥]، تهديد بعد تهديد وتخويف بعد تخويف، يخوف الله به عباده فقال له: أخر بكاءك إلى غد فإنه يكتب لك أبلغ من هذا قال: وما يكتب؟ قال: قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ [التكاثر:٦]، إلى آخرها فاضطرب الصبي فسقط ميتًا فوثب إليه المعلم، وقال: أنت قتلته، فأخبر أهله فرفعوه إلى الخليفة فقص عليه القصة فقال: دعوه فقد أسرع الصبي الصالح إلى منازل السعداء.

حكاية: رأيت في كتاب نرجس القلوب: كان في الزمن الأول عبد تمادى في طغيانه وزاد في عصيانه فتداركه الله بلطفه، فقال لزوجته: هل من شفيع يشفع لي؟ قالت: لا قال: أتوب إلى الله؟ قالت: لا تذكره فقد أفسدت المعاملة بينك وبينه فخرج إلى الصحراء وقال: يا سماء اشفعي لي ويا أرض اشفعي لي، فما زال كذلك حتى وقع مغشيًا عليه فبعث الله ملكًا فأجلسه ومسح وجهه، وقال: أبشر فقد قبل الله توبتك فقال: من كان شفيعي إليه، قال: خوفك.

حكاية: خرج عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - ومعه أصحابه إلى السفر، فوضعوا

سفرة ليأكلوا، فمر عليهم راع، فدعاه ابن عمر ليأكل فقال: إني صائم قال: في مثل هذا الحر وأنت ترعى الغنم؟ قال: أبادر أيامي الخيالة قال: فهل لك أن تبيعنا من غنمك؟ قال: إنها لمولاى قال: فما يقول لك مولاك إن قلت أكلها الذئب؟ فولى الراعي، وهو يقول: فأين الله؟ فمازال ابن عمر يقول: قال الراعي: أين الله أين الله حتى قدم المدينة فسأل عن الغلام فاشتراه وأعتقه واشترى الغنم ووهبها له، وقال: أعتقتك كلمتك في الدنيا وأرجو أن تعتقك في الآخرة.

لطيفة: النخلة إذا نبتت في الأرض الباردة كانت سريعة التلف وثمرها رديء كذلك القلب إذا كان باردًا من خشية الله كان عمله قليلاً ويخاف عليه عند الموت من زوال الإيمان والعياذ بالله تعالى.

موعظة: قال سفيان الثوري - رضي الله عنه -: قال الله تعالى لجبريل: ادن فدنا ثم قال: ادن فدانا، فقال تعالى: ألم أكرمك؟ ألم أرسلك؟ قال: بلى ولكن وعزتك لا آمن مكرك قال: كذلك كن، ورأى النبي ﷺ جبريل متعلقًا بأستار الكعبة وهو يقول: إلهي إلهي لا تغير اسمي ولا تبدل جسمي، فإن الفراق بعد الوصال شديد والهجران بعد القرب أليم.

حكاية: قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: قدم وفد من العرب على النبي ﷺ وفيهم شاب فقال الشاب للشيوخ: انطلقوا وآمنوا بمحمد وأنا أحفظ رحالكم ففعلوا، ثم جاء الشاب وتعلق بالنبي ﷺ وقال: أستجير بك من النار فقال القوم: دعه يا غلام فقال: والذي بعثه بالحق لا أفلته حتى يجيرني من النار فنزل جبريل وقال: أخبره أن الله تعالى قد أجاره منها.

موعظة: في قصة بلعام بن باعوراء وبرصيصًا عبرة لأولى الألباب، فالأول: عبد الله أربعمائة عام ثم مكر الله به فحول وجهه إلى عبادة الشمس. وقد تقدم في فضل الفاتحة أنه لم يشكر الله يومًا من الأيام بزيادة، والثاني: عبد الله مائة عام وكان مجاب الدعوة فأرسل إليه ملك زمانه ابنته ليدعو لها، فقال إبليس: اتركها عندك الليل فلما كان من الليل وسوس له حتى واقعها فقال: اقتلها وإلا فضحتك بين الناس، فقتلها فأخبر إبليس الملك بذلك فأمر بصلبه فجاءه إبليس وقال: من فعل هذا بك؟ قال: أنت قال: من يخلصك؟ قال: أنت قال: فاسجد لي فسجد له بالإشارة فمات كافرًا والعياذ بالله تعالى.

فائدة: قال الترمذي الحكيم: رأيت رب العزة فقلت: يا رب أخاف من زوال الإيمان، قال: قل بين سنة الفجر والفريضة يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام أسألك أن تحيى قلبي بنور معرفتك يا الله يا الله يا محيي الموتى برحمتك يا أرحم الراحمين.



باب: التوبة

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التحريم :٨] ، قال الحسن البصري - رضي الله عنه -: التوبة النصوح هي الندم بالقلب، والاستغفار باللسان، والترك بالجوارح، والإضمار أن لا يعود وعن النبي ﷺ: «**الموت أهون على التائب من شربة باردة للعطشان**»، فإن قيل: كيف أخفى الله الموت والقيامة؟

فالجواب: أن الله تعالى وعد بقبول التوبة فلو بين ذلك تمادى العبد في المعصية إلى ذلك الوقت فيكون كالإغراء له على الفعل وهو لا يجوز ذكره العلائي في سورة طه.

فائدة: قال سهل - رضي الله عنه -: إذا عمل العبد حسنة وقال: يا رب أنت الذي وفقتني وأعنتني، قال الله تعالى: أنت أطعت وأنت تقربت، وإن قال: أنا عملت قال الله تعالى: أنا الذي قدرت ثم يعرض عنه إذا عمل سيئة، وقال: يا رب أنت قدرت على غضب الله عليه وقال: أنت عصيت وأنت أسأت، وإن قال: يا رب أنا ظلمت نفسي وأسأت قال تعالى: وأنا قضيت وأنا غفرت وسترت، وزاد ابن الملقن في كتاب الحدائق عن بعضهم أنه كان يقول: يا إلهي أنت قضيت وأنت حكمت فهتف به هاتف وقال: هذا شرط الربوبية فأين شرط الاعتراف بالعبودية؟ فقال: يا إلهي وأنا عصيت أنا أذنبت فقال الهاتف: وأنا غفرت وأنا سترت وأنا أهل التقوى وأهل المغفرة، وقال موسى - عليه السلام -: يا رب إذا سألك الطائع ماذا تقول له؟ قال: أقول: لبيك قال: فالزاهد قال: أقول: لبيك قال: فالصائم؟ قال: أقول: لبيك قال: فالخاطئ: قال: أقول: لبيك لبيك لبيك، يا موسى كل واحد من هؤلاء يتكل على عمله والعاصي يتكل على رحمتي وأنا لا أخيب عبدًا اتكل عليّ؛ لأني قلت: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

حكاية: قال بعض الصالحين: كنت أقطع الطريق فرأيت على الدجلة نخلتين إحداهما رطبة عليها رطب، والأخرى يابسة، ورأيت طيرًا يأخذه ويضعه في رأس اليابسة فصعدت إليها فرأيت حية عمياء، والطير يأخذ الرطب، ويضعه في فمها فقلت: يا رب هذه حية أمر النبي بقتلها أقمت لها طيرًا يأخذ الرطب ويأتي إليها برزقها وأنا أشهد لك بالوحدانية، ثم أقمتني في قطع الطريق؟ فهتف بي هاتف يقول: بابي مفتوح للقاصدين فكسرت سيفي، وقلت: التوبة التوبة فقال الهاتف: قد قبلناك، وكنت قد انفردت عن أصحابي فسمعوني أقول: التوبة التوبة، فلما جئتهم سألوا عن ذلك، فقلت: كنت مطرودًا فوقع الصلح، فقالوا: ونحن نصالح معك أيضًا فنزعنا ثيابنا وخرجنا نريد مكة فدخلنا قرية وإذا بعجوز تقول: أيكم فلان الكردي، فقلت: هو أنا فأخرجت ثيابًا، وقالت: هذه ثياب ولدي أردت أن أتصدق بها، فرأيت النبي ﷺ في المنام، وقال: «**أعط هذه الثياب لفلان الكردي**» فأخذتها وقسمتها بين أصحابي وفي الخبر: إذا تاب العبد توقد توبته بين السماء والأرض سبعين قنديلاً وينادي المنادي: ألا وإن العبد قد اصطلح مع ربه.

لطيفة: مر بعض الصالحين على راع يرعى غنمًا والذئاب معها، فقال: متى اصطلح الذئب مع الغنم؟ قال: لما اصطلح الراعي مع الله.

فائدة: رأيت في تفسير النيسابوري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: أراد الله أن يتوب على آدم فطاف بالبيت سبعًا وهو يومئذ ربوة حمراء فصلى ركعتين، وقال: اللهم إنك تعلم سرى وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي، اللهم إني أسألك إيمانًا يباشر قلبي ويقينًا صادقًا حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبته لي، ورضني بما قسمت لي فأوحى الله إليه: يا آدم غفرت لك ذنبك ولن يأتني أحد من ذريتك يدعوني بمثل ما دعوتني إلا غفرت له ذنوبه وكشفت غمومه ونزعت الفقر من بين عينيه، وجاءته الدنيا وهو لا يريدها، قال النيسابورى: وهذا يقتضي أن التوبة بعد الهبوط والصحيح أنها قبله؛ فلذلك أعاد الأمر بالهبوط مرة ثانية بقوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة:٣٨]؛ لأن آدم وحواء لما أكلا من شجرة قال لهما: ﴿ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة:٣٦]، فلما تابا وقع في أنفسهما أن الهبوط ارتفع بالتوبة فأمرهما بالهبوط ثانيًا: ليعلما أن حكمه باق وتحقيقًا للوعد بقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠].

لطيفة: وجدت المعصية من المؤمن؛ لأن روحه وجدت بالمجاورة ريح الكافر في صلب آدم والكافر يفعل الحسنة؛ لأن روحه وجدت ريح المؤمن أيضًا، فإذا كان يوم القيامة، بسط الله بساط الحكمة ويضع عليه أعمال العباد فتهب ريح فيطير كل جنس إلى جنسه فتطير معصية المؤمن إلى معصية الكافر، وتطير حسنة الكافر إلى حسنات المؤمن ويرث كل من المؤمن والكافر منزل الآخر في الدار التي أعدها الله له؛ وذلك لأن كلًّا منهما له منزل في الجنة ومنزل في النار، فإذا مات المؤمن ورث منزله في الجنة ومنزل الكافر أيضًا فيصير له منزلان، وإذا مات الكافر ورث منزل المؤمن في النار ومنزله فيصير له منزلان، ذكره النسفي رحمه الله.

مسألة: اختلف العلماء في حد الكبيرة على أقوال كثيرة، جمعها أبو طالب المكي، فقال: أربع في القلب وهي الإصرار على المعصية والشرك بالله واليأس من رحمة الله، والأمن من مكر الله، وثلاثة في البطن وهي شرب الخمر وأكل مال اليتيم وأكل الربا، واثنان في الفرج الزنا واللواط، واثنان في اليد السرقة والقتل، وواحدة في الرجلين وهي الفرار من الزحف، وواحدة في جميع البدن وهي عقوق الوالدين، وأربع في اللسان وهي شهادة الزور وقذف المحصنات والسحر واليمين الغموس وهي التي يتعمد فيها الكذب سميت بذلك؛ لأنها تغمس صاحبها في الإثم ونار جهنم ولا كفارة لها عند أبي حنيفة وأحمد، وقال الشافعي: يكفرها الصوم وهي ثلاثة أيام ولو في كل شهر يوم. ولا يجوز قطع صومها بخلاف الإثنين والخميس، وإذا كان عاجزًا عن أحد الثلاث عتق رقبة مؤمن بلا عيب يخل بالعمل والكسب، أو كسوة

عشرة مساكين بما يسمى كسوة وإطعامهم بالسوية وهو الأحق كل مسكين مد طعام وهو ثلاثة أواق بالدمشقي من غالب قوت بلده.

موعظة: أمر نوح - عليه السلام - أن لا يقرب الذكر الأنثى في السفينة فخالفه الكلب فأخبرته الهرة فطلبه فحلف ثم عاد مرة أخرى، فسألت الهرة ربها أن يمسك عليه حتى يراه نوح فاستمر ذلك فيه عقوبة له إلى يوم القيامة، قال القرطبي في تفسيره: إن العنز امتنعت من الدخول إلى السفينة فمسكها جبريل بذنبها فاستمر ذنبها موقفًا من سوء المخالفة.

فائدة: قال كعب الأحبار: لولا هؤلاء الكلمات لجعلتني اليهود حمارًا، يعني من سحرهم وهي هذه: أعوذ بوجه العظيم الذي ليس شيء أعظم منه وبكلماته التامة التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر وبأسماء الله الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم من شر ما خلق وذرأ وبرأ. ونقل العلائي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - من قرأ قبل النوم: ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ [يونس :٨١] الآية لا يضره كيد ساحر ولا تكتب على مسحور إلا دفع الله عنه السحر، وقال الكرماني في شرح البخاري: ومما ينفع الرجل إذا حبس عن أهله أي منع من الجماع أن يأخذ سبع ورقات سدر أخضر ويدقها بين حجرين ويخلطها بماء ويقرأ عليه آية الكرسي وكل سورة أولها: «**قل**»، ويلحس منه ثلاث لحسات ثم يغتسل بالباقي فإنه أنجح، والله أعلم. وفي صحيح مسلم: «**من مشى إلى عراف وصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يومًا**»، وفي غيره: «**إذا دخل منكر ونكير على ميت مشي إلى كاهن، يقول أحدهما لصاحبه: أرى منه ريح الكاهن فينفخ عليه نفخة فيشتعل بها نارًا**».

حكاية: يقال: كان في زمن موسى - عليه السلام - رجل لا يستقيم على توبة فأوحى الله إلى موسى قل له: لا تفسد توبتك، فإن رجعت إلى معصيتك جافيتك ولا أقبل توبتك فبلغه الرسالة فصبر أيامًا ثم رجع إلى المعصية، فأوحى الله إلى موسى: قل له: إني غضبت عليه فبلغه الرسالة فخرج إلى الصحراء، وقال: يا إلهي ما هذه الرسالة التي أرسلتها إلى مع موسى، أنفدت خزائن عفوك؟ أضرتك معصيتي؟ أو بخلت على عبادك؟ وأي ذنب أعظم من عفوك حتى تقول لا أغفر لك فكيف لا تغفر لي والكرم من صفاتك؟ فإذا أيست عبادك من رحمتك فمن يرجون، وإن طردتهم فمن يقصدون؟ اللهم إن كانت رحمتك نفدت ولا بد من عذابي فاجعل على ذنوب عبادك فإني فديتهم بنفسي، فأوحى الله إلى موسى: قل له: لو كانت ذنوبك مطبقة بين السماء والأرض لغفرتها لك كما عَرَفْتَنِي بكمال العفو والرحمة.

حكاية: كان ببغداد رجل مسرف على نفسه وله أم صالحة وكان كلما عمل معصية كتبها في ديوان فبينما هو ذات ليلة وإذا بالباب يطرق فخرج فوجد امرأة جميلة، فقال: ما حاجتك قالت: عندي أيتام ما أكلوا طعامًا منذ ثلاثة أيام فقال: ادخلي فعرفَتْ منه الفساد فقالت: معاذ الله فجذبها كرهًا عنها فقالت: يا كاشف كل شدة اعصمني منه، ثم اسمع ما أقول، فقالت:

ألا أيها الناسي ليوم رحيله أراك عن الموت المفرق لا هيا
ألم تعتبر بالظاعنين إلى البلى وتركهم الدنيا جميعًا كما هيا؟
ولم يخرجوا إلا بقطن وخرقة وما عمروا من منزل ظل خاليا
وأنت غدًا أو بعده في جوارهم وحيدًا فريدًا في المقابر ثاويًا

ثم بكت وقالت: يا رب أغثني وخلصني من هذا الرجل، فلما سمع كلامها بكى بكاء شديدًا، فقالت: بالله عليك إن كان حصل لك الصلح بينك وبين مولاك فلا تنس كرامة البكاء، فأعطاها نفقة وقال لها: أطعمي أولادك واسأليهم أن يدعوا لي بمحو ما في الديوان قالت: نعم، فلما صنعت لهم الطعام سألتهم أن يدعوا له فقالوا: والله لا نأكل حتى ندعوا له فإن الأجير لا يستحق الأجرة حتى يعمل، ثم إن الرجل دخل على أمه ونظر في الديوان فوجده أبيض ما فيه سيئة فأخبر أمه بذلك فسألته ما السبب؟ قال: جاءتني امرأة تطلب قوت أولادها فجرى الصلح على يديها ثم توضأ وقال: اللهم محوت الذنوب من المكتوب ألحقني بك ثم سجد فحركته أمه فإذا هو قد مات.

لطيفة: إنما أمر إبراهيم - عليه السلام - بذبح ولده إسماعيل؛ لأنه رأى عاصيًا فدعا عليه فهلك، ثم ثانيًا ثم ثالثًا، فقال الله تعالى: كف عن عبادي أما تعلم أني رحيم بهم إن تابوا تبت عليهم؟ ألم يخرج من أصلابهم من يوحدني؟ فالمشيئة مشيئتي فإذا سألتني هلاك عبدي فأنا أسألك ذبح ولدك واحدة بواحدة، ذكره ابن عباد في شرح الحكم.

فائدة: لما خرج يوسف - عليه السلام - من الجب أشرق نوره على جبال كنعان فعرف إخوته بخروجه فلحقوه وباعوه، وقال عكرمة: بأربعين درهمًا وقال ابن عباس: بعشرين درهمًا، كذلك العاصي إذا بكى ندمًا أشرق نوره تحت العرش فتقول الملائكة: ما هذا النور؟ فيقال: هذا عبد خرج من جب المعصية إلى فضاء الطاعة. وقد قدمنا في باب الخوف أن دمعة حواء صارت في البحر لؤلؤًا يتقدم في سوق الجواهر كذلك دمعة العاصي إذا بكى من خشية الله تعالى يقول الله تعالى: يا ملائكتي قوموا دمعة عبدي فتقول: قيمتها أن تقبل منه الحسنات فيقول الله تعالى: قيمتها أكثر من ذلك فتقول الملائكة: قيمتها أن تكفر عنه السيئات، فيقول: قيمتها أكثر فتقول: قيمتها أن تعطيه الجنة، فيقول تعالى: أكثر من ذلك فيقولون: ربنا عجزنا عن معرفة القيمة فيقول: قيمتها النظر إلى جمال وجهي.

حكاية: كان في بني إسرائيل عبد عصى ربه عشرين سنة، ثم نظر المرآة يومًا فرأى الشيب في لحيته، فقال: إلهي عصيتك عشرين سنة، فإن رجعت إليك تقبلني فسمع صوتًا اجتنبتنا فاجتنبناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فأمهلناك، وإن رجعت إلينا قبلناك. ورأيت في تفسير العلائي في سورة يوسف - عليه السلام - أن الله تعالى أنزل في صحف إبراهيم - عليه السلام -: من العزيز الحميد إلى من أبق من العبيد سلام عليكم، هذه رسالتي إليكم بما

أختصكم به من نور العلم، وذكاء الفهم فأول ذلك أني أخرجتكم من العدم إلى الوجود واخترت لكم الجود، وأنشأنا لكم الأبصار فأبصرتم والأسماع فسمعتم والألسنة فنطقتم، والقلوب فعلمتم، والعقول ففهمتم، وأشهدتكم على أنفسكم لي بالوحدانية فشهدتم عند الإقبال أدبرتم. وبعد الإقرار أنكرتم، ونقضتم عهودنا وغيرتم فلا يوحشنكم ذلك منا فإن عدتم عدنا. وزدنا في الكرم وجدنا فمن عثر أقلنا ومن قطع وصلنا. ومن تاب قبلنا. ومن نسى ذكرنا، من عمل قليلاً شكرنا نعطي ونمنح، ونجود ونسمح ونعفو ونصفح كرمنا مبذول وسترنا مسبول. عبدي انظر إلى السماء وارتفاعها، والشمس وشعاعها، والأرض وأقطارها والأمواج وبحارها والفصول وأزمانها، والأوقات وإتيانها وما هو ظاهر وكامن متحرك وساكن مستيقظ وراكع وساجد وما غاب وما حضر، وما خفي وما ظهر، الكل يشهد بجلالي ويقر بكمالي ويعلن بذكرى ولا يغفل عن شكري عبدي أذكرك وتنساني. وأسترك ولا ترعاني لو أمرت الأرض لابتلعتك من حينها. أو البحار لغرقتك في معينها. ولكن أحميك بقدرتي وأمدك بقوتي وأؤخرك إلى أجل أجلته. ووقت وقته فلا بد لك من الورود علي، والوقوف بين يدي، أعدد عليك أعمالك، وأذكرك أفعالك حتى إذا أيقنت بالبوار، وقلت: لا محالة إنك من أهل النار أوليتك غفراني ومنحتك رضواني. وغفرت لك الذنوب والأوزار وقلت: لا تحزن فمن أجلك سميت نفسي الغفار وأنشدوا في المعنى:

أتعرض عنا والجنان فسيح	وتهرب منا إن ذا لقبيح
ويبدو لنا من نحوك الصد والجفا	ومن نحونا ودٌّ لديك صحيح
وندعوك للحسنى ونمنحك الرضا	وأنت لأسباب البعاد طروح
وكم مرة جاءتك منا رسائل	وفيها خطاب لو سمعت فصيح
فيا أيها الغصن الرطيب قوامه	وفيه لنا سر يصان وروح
إليك أشرنا بالوداد فكل ما	يعد قبيحًا فهو منك مليح

فائدة: لما هبط آدم - عليه السلام - بكى على ذنبه فقال: يا رب إني تبت وأصلحت أتقبلني، فأوحى الله إلى آدم: إني كتبت على عرشي من قبل أن أخلق السموات والأرض وإني لغفار لمن تاب، أحشر التائبين ضاحكين مستبشرين ودعاؤهم مستجاب. وتقدم قريبًا أن الله تعالى تاب على آدم قبل هبوطه، وذكر الغزالي - رضي الله عنه - في الإحياء أن العبد إذا كان مسرفًا على نفسه فيرفع يديه ويقول: يا رب، حجبت الملائكة صوته أولاً وثانيًا وثالثًا وفي الرابعة يقول الله تعالى: إلى متى تحجبون صوت عبدي عني؟ قد علم أنه ليس له رب يغفر الذنوب غيري، أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت له.

فوائد: الأولى: ما الحكمة في تسليط إبليس على المؤمن؟ قال العلائي: في سورة يوسف قال العلماء: فيه لطف عظيم، فإنه تعالى يجعل بمعاصينا عليه شدة قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [البقرة:٣٦] أي فوسوس لهما الشيطان، ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الكهف:٦٣]، ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ﴾ [يوسف:١٠٠]، وقال النيسابوري في أول تفسيره: الحكمة في تسليط إبليس لعنه الله على المؤمن أنه إذا أوقعه في معصية وتاب منها يكون أشد عليه ممن لم يوقعه في المعصية، كالصياد إذا وقع في شبكته صيد ثم ذهب فإنه يكون أشد عليه ممن لم يوقعه. وقال أيضًا: مثال المؤمن مع إبليس كشجرة مر عليه رجل فأخذ منها سواكًا مثلاً فلا يخاصمه صاحبها؛ لأنها تنبت غيره فإن أخذ فأسًا وأراد قطعها منعه من ذلك وخاصمه فالمعصية كالسواك فيخلفها بحسنة والكفر كالفأس فإذا أراد الشيطان أن يوقعه في الكفر منعه الله من ذلك.

الثانية: ما الحكمة في خلق إبليس؟

فالجواب: أراد الله تعالى أن يغفر ذنوبنا ويردها عليه فيضاعف عليه العذاب وأيضًا فلو لا النار لم يظهر طيب العود كذلك لولا الشيطان لم يظهر فضل المؤمن إما بالمخالفة له أصلاً وذلك بتوفيق الله تعالى، وإما بالتوبة عما فعله بوسوسة مع موافقة القدر؛ لأن المدينة لابد من كناس يدفع عنها القاذورات فلا يغني عنهم صاحب المسك شيئًا فالقلب مدينة والنفس منتنة فخلق إبليس كناسًا لها، وأيضًا فالله تعالى كان قادرًا على نصر المؤمنين في الحرب فهزمهم ليجدوا الشهادة ثم نصرهم ليجدوا الغنيمة كذلك نصرهم على الشيطان ليجدوا الجنة ثم غلبهم الشيطان مرة أخرى فأوقعهم في الشهوات، فإذا تابوا فقد حصلت لهم لذة الدنيا والآخرة، قال ابن العماد في كشف الأسرار: خلق الله إبليس من الظلمة وقيل: من اللعنة. وقال الرازي ردًا على القائلين بأنه من الملائكة وأنهم خلقوا من النور وهو من النار، وقال النووي وغيره: الصحيح أنه من الملائكة، وقال القاضي عياض: أنه أبو الجن كما أن آدم أبو البشر وفي الحديث: «**إن الله تعالى لما أراد أن يخلق لإبليس زوجة ألقى عليه الغضب فطارت منه شظية فخلق الله منها امرأته**» رسلاً بفتح الراء وإسكان السين المهملة. وذكر ابن العماد أن له ذكرًا في فخذه الأيمن وفرجًا في الأيسر ورؤية الجن على صورهم الحقيقية ممتنعة وتصح الجمعة بأربعين مكلفًا من الجن، أو كان بعضهم إنسًا وبعضهم جنًا إذا تصوروا كصور الآدميين.

الثالثة: ما الحكمة في أعوذ بالله دون غيره من الأسماء؟ قال النيسابوري: لأن العدو كلما كان شديدًا احتيج له إلى عدة كثيرة، وهذا الاسم جامع لجميع صفات الكمال.

الرابعة: ما الحكمة في الاستعاذة بالله العظيم من الشيطان الرجيم دون جبريل وغيره من الملائكة؟ مع أن الكفاية من شره تحصل بأصغر الملائكة، وهو أصغر من أن يستعاذ منه بالله العظيم، قال النيسابوري: كأنه يقول: عبدي ما وكلت حفظك إلى غيري بل توليته بنفسي.

الخامسة: ما الحكمة في اقتران التعوذ بالبسملة؟ قال النيسابوري: لأن البسملة فيها شفاء المؤمن والاستعاذة فيها اسم الشيطان، وفي الحديث: «**أغلقوا أبواب المعاصي بالاستعاذة**

وافتحوا أبواب الطاعة بالتسمية» .

السادسة: ما الحكمة في موت الحبيب ﷺ وإبقاء العدو؟

الجواب: إن العدو خصم والحبيب شافع والله تعالى قاض فقدم الشفيع قبل الخصم لينوب عنا في الخصومة، قال النيسابوري: لما أنظره الله تعالى قال: وعزتك لا أخرج من قلب بني آدم ما دام فيه الروح فقال: وعزتي لا أمنعهم التوبة ما دامت أرواحهم في أجسادهم فقال: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص :٨٢] ، فقال تعالى: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [آل عمران :١٩٥] ، فقال: ﴿لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأعراف :١٧] ، قال العلائي: ينسيهم الآخرة ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ [الأعراف :١٧]، معناه يزين لهم الدنيا ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ [الأعراف :١٧] ، معناه: يصدهم عن الحق ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ [الأعراف :١٧] ، معناه يزين لهم الباطل. قال الرازي: لما قال هذا الكلام رقت قلوب الملائكة على البشر فأوحى الله تعالى إليهم أنه بقي بالإنسان جهة الفوق والتحت، فإذا رفع يديه في الدعاء على سبيل الخضوع أو وضع وجهه على الأرض على سبيل الخشوع غفرت له ذنوب سبعين سنة، فإن قيل: من أين علم الملعون أن أكثرهم لا يشكر الله حيث قال: ثم لا تجد أكثرهم شاكرين؟ قيل: رأى ذلك في اللوح المحفوظ. وقيل: ظن ذلك فأصاب. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ [سبأ :٢٠] فلما قال: ذلك قال الله تعالى: أنا أفتح عليهم باب التوبة، فقال لعنه الله: وأنا أسده عليهم بطول الأمل فقال الله تعالى: هل تقدر أن تمنعني من المغفرة لهم؟ قال سفيان الثوري - رضي الله عنه -: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر :٤٢] ، أي ليس أن تقدر أن توقعهم في ذنب أعجز عن مغفرته.

السابعة: ما وجه ذكر خصوص عدوانه للإنسان وهو عدو الله والملائكة وعدو الجن أيضًا؟ قال العلائي: أنه عدو للإنسان؛ لأنه لمّا لم يسجد لآدم ظن أن آدم صار سببًا للعنة وهو يزعم أنه لا يعادي الله بدليل قول عمر بن الخطاب: رأيت إبليس ضعيفًا فسألته عن ذلك، فقال: من خوف فراق الله، وإنما لم يعاد الجن؛ لأنهم آمنوا بأنبياء الإنس. قال العلائي في سورة النحل: إن إبليس لعنه الله قال: يا رب إن أمة محمد ﷺ يقولون: إنا نحب الله ونبغض الشيطان ثم يعصون أمرك ويطيعون أمري فقال الله تعالى: فبدعواهم محبتي وعقولهم ما قصروا في حقي وبدعواهم أنهم يبغضونك أغفر لهم ما عملوا بأمرك.

الثامنة: لما نهى الله آدم عن أكل الشجرة وجدها قريبة من سريره فأمره أن يطير فطار السرير ألف عام في الجنة ثم نزل فوجدها قريبة منه فأمره أن يطير فطار ألف عام أخرى ثم نزل فوجدها قريبة منه فقال: يا رب نهيتني عنها وجعلتها قريبة مني فقال: لو لم أضع الرحمة بجنب المعصية لم أصنع السرير تحت الشجرة، فلما هبط جاءه جبريل بثورين فحرث عليهما ثم ضربهما، فقالا: كيف تضربنا؟ قال: إنكما خالفتم أمري فقالا: ولم لم يعاقبك ربك يا آدم لما أكلت من الشجرة فبكى وقال: يا رب عيرني كل شيء حتى البقر فأخرسها الله تعالى إلى يوم القيامة.

بشارة: قال آدم: يا رب هل غفرت لي في الجنة؟ فقال: لو غفرت لك في الجنة لم يظهر كرمي بمغفرتي لرجل واحد ولكن أردت أن تخرج إلى الدنيا وتأتيني بألوف من العصاة فأغفر لهم حتى يتبين كرمي وجودي.

حكاية: كان دانيال - عليه السلام - عارفًا بالطب فأراد أن يظهر نفسه فأمر طباخ الخليفة أن يزيد دانقًا من الملح في الطعام ففعل ذلك فضعف نظر الخليفة فسأل دانيال عن ذلك، فقال: إن الطباخ زاد في ملح الطعام فسأله فقال: نعم قال: ولم قال: أمرني دانيال بذلك فسله فقال: إنك لم تحتج إلى علمي فأردت أن تحتاج إليه، كذلك مولانا سبحانه وتعالى له خزانة رحمة فقدر المعصية ليحتاج الخلق إلى رحمته، وقيل لعلي بن أبي طالب: هل يرحم الله العصاة؟ فدعا بإناءين أحدهما حسن والآخر قبيح فنزل المطر فملأهما جميعًا، فقال: كذلك رحمة الله تعم الطائع والعاصي وقال داود - عليه السلام -: إلهي ما كرمك على عبادك؟ فقال الله تعالى: يا داود إني لا أرد العصاة عن المعصية بالعذاب بل أردهم بالإحسان ليستحيوا مني فيتوبوا إلي، يا داود قل للمتلذذين بذكري هل وجدتم ربًا أكرم مني وأوحى الله إلى موسى: قم على بابي فإني لطيف وادعني فإني مجيب، واسألني فإني غني وناجني، فإني قريب، واصحبني فإني كريم.

حكاية: رأيت كتاب الحدائق لابن الملقن - رحمه الله تعالى -: أن بني إسرائيل أصابهم قحط فخرج موسى - عليه السّلام - يستقي فلم تزداد الشمس إلا حرًا والسماء إلا صحوًا، فقال: يا رب إن كان جاهي خلق عندك فبجاه محمد ﷺ اسقنا الغيث، فأوحى الله إليه جاهك غير خلق عندي ولكن فيكم رجل له أربعون سنة يعصيني فمن أجله منعتكم الغيث، فقام موسى فيهم خطيبًا، وقال: أيها العاصي الذي له أربعون سنة يعصي ربه أقسمت عليك أن تخرج من بيننا فقال العاصي: إن قمت عرفني بنو إسرائيل فوضع رأسه في جيبه، وقال: يا إلهي تبت إليك فنزل المطر كأفواه القرب، فقال موسى: يا رب بم أستقيتنا الغيث؟ قال: بالعاصي، فقال: يا رب أرني إياه فقال الله تعالى: يا موسى أنا سترته حال معصيته فكيف أفضحه وقد تاب؟ ورأيت في حقائق الحقائق أن كل عبد له صورة في قائم العرش وعليها ستارة فإذا عمل العبد طاعة ارتفعت الستارة فتراه الملائكة، وإذ عمل معصية نزلت عليه الستارة فلا تراه الملائكة، ورأيت في قوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق :١٨] ، أن الله تعالى يبدل كاتب الحسنات بغيره وكاتب السيئات لا يبدل له، والإشارة في ذلك أن العبد يرد يوم القيامة بشهود كثيرة للحسنات وكاتب واحد للسيئات، فيقول الله تعالى: لا أقبل واحدًا وأترك جماعة.

حكاية: كان بالبصرة شاب عصى ربه كثيرًا، وكانت أمه تنهاه فلا ينتهي، وكانت تحضر مجلس الحسن البصري - رضي الله عنه - وتقول: إنه قال كذا وكذا؛ لتخوفه فلما حضره

الموت، قال: يا أماه اذهبي إلى الحسن واسأليه أن يحضر عندي ليعلمني التوبة فذهبت إليه فقال: الحسن لا أحضره ولا أصلي عليه، فرجعت مكسورة الخاطر وأخبرت ولدها بقول الحسن، فقال: يا أماه إذا خرجت روحي فاجعلي الحبل في عنقي واسحبيني على وجهي في البيت وقولي: هذا جزاء عبد عصى ربه واجعلي قبري في بيتي؛ لئلا تتأذى بي الأموات، كما تتأذى بي الأحياء فلما وضعت الحبل في عنقه سمعت هاتفًا يقول: ارفقي بولي الله ثم دفنته في بيتها، وإذا بالباب يطرق فقالت: من بالباب؟ قال: الحسن البصري، قالت: ما جاء بك؟ قال: رأيت رب العزة في المنام فقال: يا حسن تقنط عبدي من رحمتي وتسد الطريق في وجه عبدي، وعزتي وجلالي غفرت له وأدخلته الجنة.

حكاية: قال أنس - رضي الله عنه -: كان النبي ﷺ يومًا يتفكر في ذنوب أمته وإذا بطير منظوم بالدر والياقوت فتعجب النبي ﷺ من حسن صورته، ثم طار إلى جزيرة من رمل فصار يأخذ بمنقاره من الرمل ويرمي في البحر ثم جاء إلى النبي ﷺ وأخبره بذلك وقال: أردت أن أرد أمواج البحر فتبسم ﷺ وقال: «**عجبت من حسن صورتك وضعف عقلك**»، فقال: إن الله جعلني مثلاً حين علم ما خطر ببالك، والذي بعثك بالحق ما ذنوب أمتك في سعة رحمة الله إلا كما يأخذ الطائر بمنقاره ويرمي به في البحر.

لطائف: الأولى: قال الله تعالى حكاية سليمان في قصة الهدهد: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [النمل: ٢١]، قيل: يبعده عن إلفه، وقيل: ينتف ريشه ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٢١] ثم نزل جبريل - عليه السلام - وقال: إن الله يقرئك السلام، ويقول: القسمة أربعة: العذاب للكافرين والذبح للمنافقين والبرهان للمطيعين والعفو للمذنبين.

الثانية: جاء في الخبر إذا كثرت ذنوب بني آدم يثقل العرش على الحملة فيلعنون ذلك فيقولون: يا كريم العفو حتى يخف عنهم، وإذا قال العبد: يا كريم يقول الله: ماذا رأيت من كرمي وأنت في سجن الدنيا، اصبر حتى ترى كرمي في الجنة.

الثالثة: أكبر الأشياء المعرفة وأوسعها أصغر الأشياء، وهو القلب والرحمة أوسع الأشياء فكيف لا تسع المعصية وهي من أصغر الأشياء؟

حكاية: رأيت في كتاب العقائق: إذا مات العبد عاصيًا وجمع الله الخلائق يوم القيامة صفوفًا فيدخل في صف العلماء فيمنعونه ثم المصلين فيمنعونه فيقول: وافضيحتاه!! ما بقى إلا النار فيذهب إليه بنفسه فيراه مالك فيقول: إلى أين تذهب؟ فيقول: إلى النار فيقول: من أي الأمم أنت؟ فيقول: من أمة محمد ﷺ فيقول: اذهب إليه، فيقول: لا أعلم موضعه فيقول: إنه تحت العرش فيذهب إليه باكيًا مستغيثًا فيقول النبي ﷺ: «**إني مشغول بالأمة**» فعند ذلك ينادي: يا من لا شريك له ارحم من لا شفيع له» فيقول النبي ﷺ: يا رب أمرتني أن لا أشفع فيه ثم تدخله الجنة، فيقول الله له: لما انقطع رجاؤه من الخلق رجع إلي واعتمد علي وأنا الجواد من

قصدني وجدني، وعن النبي ﷺ قال: انطلقوا به إلى النار ثم يلتفت فيقول الله تعالى: ما لك تلتفت؟ فيقول: يا رب خرجت من الدنيا وما انقطع رجائي منك فيقول الله تعالى: وعزتي وجلالي ما كان هذا ظن عبدي، ولكن هذه دعوى ادعاها، أشهدكم يا ملائكتي أني قد قبلت دعواه وغفرت له.

مسائل:

يشترط لصحة التوبة أربعة شروط: ندم وإقلاع وعزم على أن لا يعود ورد ظلامة آدمي إن تعلقت به، فإن ظلمه بأخذ ماله ومات وجب رده إلى وارثه؛ لأنه المطالب في الآخرة فلو أعسر وانتظر الوارث يساره وتاب صحت توبته، قال الماوردي، فإن مات معسرًا وفى الله عنه، كما سيأتي في باب فضل العدل. ويشترط لصحة التوبة أن يكون قادرًا على المعصية فلو تاب عن الذنب مثلاً لعجزه عنه بهرم أو غيره فلا يشترط أن تكون التوبة لله تعالى، فلو كان يعصي بماله فترك المعصية لشحه مثلاً فلا تقبل توبته. قال الإسنوي في المهمات: لا يشترط لصحة توبته أن يفضح نفسه عند الحاكم بل عليه أن يستتر بستر الله و لا أن يقيم الحد على نفسه؛ لأن العفو في حقوق الله قريب من التائبين، فإن رفع أمره إلى الحاكم كما فعل ماعز - رضي الله عنه - حيث شهد على نفسه بالزنا أربع مرات عند النبي ﷺ حتى رجمه بالحجارة فهو الأكمل، وفي الروضة: المعصية أفضل من الشهادة بها عند الحاكم. وأما مظالم العباد فيجب إظهارها والتمكين من استيفائها، وأما غيرها من المعاصي كالنظر إلى محرم، والقعود في المسجد مع الجنابة ومس المصحف بغير وضوء، وشرب الخمر وسماع الملاهي فيستحب أن يكفر كل معصية بحسنة تشاكلها فيكفر معصية النظر إلى ما لا يحل بالنظر إلى المصحف وسماع الملاهي بسماع القرآن، والقعود في المسجد جنبًا بالاعتكاف فيه، وشرب الخمر بالتصدق بكل شراب حلال، ويكفر أذى المسلمين بالإحسان إليهم، ويكفر القتل بإعتاق الرقاب، قاله في الإحياء. واعلم أن كفارة القتل بالعتق واجبة إلا إذا كان عاجزًا فيصوم شهرين متتابعين، فلو أفطر بمرض وجب الاستئناف ولا يضر الفطر لحيض أو نفاس أو جنون أو إغماء مستغرق جميع النهار.

فوائد: الأولى: قال السري السقطي لرجل: معنى التوبة أن لا تنسى ذنبك فقال: الرجل بل معنى التوبة أن تنسى ذنبك ووافقه الجنيد؛ لأن ذكر الجفاء في حال الصفاء جفاء، المعصية جفاء والتوبة جفاء، قال النسفي: قال رجل من أصحاب الجنيد له: إني أصبت ذنبًا فادع الله أن يغفره لي فسمع الجنيد هاتفًا يقول: لما كشف ستره لك فاغفر له أنت.

الثانية: قال رجل لابن مسعود - رضي الله عنه -: عملت ذنبًا هل من توبة، فأعرض عنه ثم التفت إليه فرأى عينيه تذرفان بالدموع، فقال له: إن الجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة فإن عليه ملكًا موكلاً لا يغلقه إلى يوم القيامة فلا تيأس من رحمة الله، وقيل: إنما هلك إبليس؛ لأنه لم يعترف بخطيئة ولم ير وجوب التوبة فلم يتب وتكبر وقنط من رحمة الله،

وآدم سعد؛ لأنه اعترف بذنبه ورأى أن التوبة واجبة فتاب إلى ربه وتواضع ولم ييأس من رحمة الله.

الثالثة: قال عبد الله بن سلام - رضي الله عنه -: ألا أحدثكم عن كتاب منزل في بني إسرائيل أن العبد إذا عمل ذنبًا ثم ندم عليه طرفة عين، سقط عنه أسرع من طرفة عين؟ وقال ﷺ: «**إن العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة**» قيل: وكيف يا رسول الله؟ قال: «**يكون نصب عينيه تائبًا فارًا منه حتى يدخل الجنة**» قال الغزالي - رضي الله عنه - تجب التوبة على الفور، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء:١٧]، أي عن قرب عهد بالخطيئة فإذا بادروا بالتوبة سريعًا محيت المعصية كالنجاسة إذا كانت رطبة فإزالتها سهلة، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود:١١٤]، ولا طاقة لظلمة المعصية مع نور الحسنة كما لا طاقة لكدرة الوسخ مع بياض الصابون.

الرابعة: عن عمر - رضي الله عنه - قال: دخلت على مريض من الأنصار مع النبي ﷺ وهو في سكرات الموت فقال النبي ﷺ: «**تب**» فلم يقدر أن ينطق بلسانه، فجال بطرفه نحو السماء فتبسم النبي ﷺ فسئل عن ذلك فقال: «**لما لم يقدر بلسانه أومأ بقلبه إلى السماء وندم قال الله تعالى: يا ملائكتي عبدي عجز عن التوبة بلسانه فندم بقلبه أشهدكم أني قد غفرت له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر**»، وعنه ﷺ: أنه جاءه جبريل عند موته فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: من تاب قبل موته بسنة قبلت توبته، فقال: «**يا جبريل سنة لأمتي كثيرة**»، فغاب ثم رجع فقال: إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: من تاب قبل موته بشهر قبلت توبته فقال: «**يا جبريل الشهر لأمتي كثير**»، فغاب ثم رجع وقال: إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: من تاب قبل موته بجمعة قبلت توبته فقال: «**يا جبريل الجمعة لأمتي كثير**»، فغاب ثم رجع وقال: إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: من تاب قبل موته بيوم قبلت توبته فقال: «**يا جبريل اليوم لأمتي كثير**» فغاب ثم رجع وقال: ربك يقرئك السلام ويقول لك: من تاب قبل موته بساعة قبلت توبته فقال: «**يا جبريل الساعة لأمتي كثير**»، فغاب ثم رجع وقال: إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: إن كانت السنة كثيرة والشهر كثير والجمعة كثيرة واليوم كثير والساعة كثيرة لمن لم يرجع إليّ قبل موته بسنة ولا شهر ولا جمعة ولا يوم ولا ساعة حتى بلغت الروح الحلقوم ولم يمكنه الاعتذار بلسانه فاستحيا وندم بقلبه غفرت له ولا أبالي. ذكره النسفي في زهرة الرياض عن عبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ: «**من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه**» ثم قال: «**إن السنة لكثيرة من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه**» ثم قال: «**الشهر لكثير من تاب قبل موته بجمعة تاب الله عليه**»، ثم قال: «**إن الجمعة لكثيرة من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه**»، ثم قال: «**إن اليوم لكثير من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه**»، ثم قال: «**إن الساعة لكثيرة من تاب قبل أن يغرغر تاب الله عليه**».

السادسة: تفكر إبراهيم - عليه السلام - في أمر آدم - عليه السلام - وقال: يا رب خلقته بيديك ونفخت فيه من روحك، وأسجدت له ملائكتك، وأسكنته الجنة بلا عمل، ثم لزلة واحدة ناديت عليه بالمعصية وأخرجته من الجنة، فأوحى الله إليه: يا إبراهيم أما علمت أن مخالفة الحبيب أمر شديد.

السابعة: لما عصى آدم بكى عليه كل شيء في الجنة إلا الذهب والفضة فأوحى الله إليهما ما لكما لا تبكيان على آدم، فقالا: كيف يبكى على من خالف أمرك؟ فقال: وعزتي وجلالي لأجعلنكما قيمة كل شيء، ولأجعلن بني آدم خدمًا لكما، فإن قيل: كيف حرم الله أجساد الأنبياء على الأرض؟

فالجواب: أن التراب أحد الطهورين فهو مطهر للنجاسة الكلية والذنوب أقبح النجاسات إلى الطهارة بالتراب؛ فلذلك تأكل الأرض أجساد غير الأنبياء؛ لأنهم معصومون من الذنوب عمدًا وسهوًا قبل النبوة وبعد النبوة.

الثامنة: نختم بها الباب ختم لنا وللمسلمين بخير وعافية، وقال النبي ﷺ: «**يا علي ألا أعلمك دعاء تدعو به لو كان عدد المذر ذنوبًا غفر لك؟ قل: اللهم لا إله إلا أنت الحليم الكريم تباركت، سبحانك رب العرش العظيم**».

باب: في فضل العدل واجتناب الظلم
والشفقة على خلق الله وإكرام المشايخ وفضل الخضاب

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]الآية قال العلائي: العدل هو الإنصاف والإحسان إلى من أساء إليك، والفحشاء هو القبح من قول أو فعل، والمنكر هو ما لا يعرف في شريعة ولا سنة، والبغي هو التطاول على الغير على سبيل الظلم والعدوان، وقال ﷺ: «**الظلم ظلمات يوم القيامة**» وقال ﷺ: «**قال ربكم عز وجل: وعزتي وجلالي؛ لأنتقمن من الظالم في عاجله وآجله ولأنتقمن ممن رأى مظلومًا يقدر أن ينصره فلم ينصره**».

حكاية: مر أبو حنيفة في بعض الطرقات فأصاب بقدمه قدم صبي فقال: يا أبا حنيفة أما تخشى القصاص يوم القيامة فوقع مغشيًا عليه، وقال - رضي الله عنه -: يؤدي الظلم إلى سوء الخلقة والعياذ بالله، والله المستعان.

موعظة: مرت على صدر سيدنا سليمان - عليه السلام - نملة وهو نائم فلما أحس بها أخذها وألقاها، فقالت: يا نبي الله ما هذه السطوة، أما علمت أنك تقف بين يدي ملك قاهر يأخذ للمظلوم من الظالم، فغشى عليه، فلما أفاق قال لها: تجاوزي عمن ظلمك قالت: نعم بثلاث شروط: الأولى: أن لا ترد سائلًا، الثاني: أن لا تضحك بطرًا في الدنيا، الثالث: أن لا تمنع جاهك لمن استغاث بك قال: نعم، فعفت عنه.

حكاية: أخذ رجل من أعوان السلطان سمكة من صياد قهرًا عنه فلما أخذها وأصلح أمرها وأراد أن يأكل منها فتحت فاها وعضته على أصبعه عضًّا شديدًا فذهب إلى طبيب فقال له الطبيب: اقطع أصبعك ففعل فسرى الألم إلى الكف، فقال الطبيب: اقطعه وإلا سرى الألم إلى الساعد فخرج هاربًا ونام تحت شجرة، فقيل له: اذهب إلى الصياد وأعطه شيئًا واسأله الرضا عنك، ففعل وتاب عن الظلم فرد الله عليه يده كما كانت - بإذن الله تعالى - قال في «**عوارف المعارف**»: وطئ رجل بقدمه على قدم النبي ﷺ بنعل كثيف فقال: «**أوجعتني فنفحه بسوط كان في يده**»، قال الرجل: فجعلت ألوم نفسي تلك الليلة فلما أصبحت قال لي رجل: أجب النبي ﷺ فذهبت إليه وأنا متخوف فقال: نفحتك بالسوط نفحة وهذه ثلاثون نفحة فخذها.

حكاية: كان دين لأبي حنيفة - رضي الله عنه - على مجوسي فذهب إليه ليطالبه فأصاب نعله نجاسة فنفضه، فطارت النجاسة على جداره فتحير أبو حنيفة - رضي الله عنه - وقال: إن كان كشطها نقص من تراب جداره، فطرق بابه فخرج إليه وقال: أمهلني يا إمام المسلمين فقال: قد تنجس جدارك بسببي فاجعلني في حل، فقال يا أبا حنيفة أتريد أن تُطهر جداري؟ قال: نعم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، والله أعلم.

حكاية: اشترى إبراهيم بن أدهم - رضي الله عنه - تمرًا من رجل بمكة فرأى تمرتين بين يديه فأخذهما ظانًّا أنهما من التمر الذي اشتراه ثم توجه إلى بيت المقدس فرأى في منامه ملكين، يقول أحدهما للآخر: من هذا؟ قال إبراهيم بن أدهم - زاهد خراسان - غير أن طاعته موقوفة منذ سنة؛ لأنه أخذ تمرتين من مكة فلما طلع الفجر توجه إلى مكة فوجد البائع قد مات فسأل: ولده أن يجعله في حل ففعل، ثم رجع إلى بيت المقدس، فرأى الملكين في منامه فقال أحدهما لصاحبه: هذا إبراهيم بن أدهم قد قبل الله طاعته الموقوفة منذ سنة فبكى إبراهيم من الفرح وكان بعد ذلك لا يأكل إلا في كل سبعة أيام أكلة من الحلال.

حكاية: قال أبو يزيد البسطامي - رضي الله عنه -: خرجت على الجامع يوم الجمعة في الشتاء فزلقت رجلي، فتمسكت بجدار بيت فذهبت إلى صاحبه فإذا هو مجوسي، فقلت: استمسكت بجدارك فاجعلني في حل قال: أوفي دينكم هذا الاحتياط قلت: نعم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وقال الإمام النووي في بستان العارفين: قيل لأبي سليمان الداراني بعد موته في النوم: ما فعل الله بك؟ قال: أخذت عودًا من حمل شيح باب الصغير فأنا في حسابه منذ سنة، وقال الشبلي - رضي الله عنه - في مرضه الذي مات فيه: علي درهم تصدقت عن صاحبه بألوف فما على قلبي شغل أعظم منه، وقال القشيري: يؤخذ بدانق واحد سبعمائة صلاة. وتوقف فيه القرطبي لقول الله تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، فلا يحزن إلا مثلها، وفي الحديث: أن رجلًا قال يا رسول الله: رأيت إن قتلت في سبيل الله أيكفر الله عني ذنوبي؟ قال: «**نعم وأنت صابر محتسب إلا الدين**» وفي حديث آخر

«والذي نفسي بيده لو أن رجلاً قتل في سبيل الله ثم قتل وعليه دين ما دخل الجنة»، قال القرطبي: محله فيمن مات وهو قادر على الوفاء أو لم يوص به أما من استدان في حق ومات وهو معسر، فإن الله تعالى يؤدي عنه، بفضله لما رواه أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: **«إن الله يدعو صاحب الدين يوم القيامة فيقول له: ابن آدم فيم أضعت حقوق الناس؟ فيم أذهبت أموالهم؟ فيقول: يا رب أُفْسِدَ ولكن أصبت إما غرقًا وإما حرقًا فيقول: أنا أحق من قضى عنك، فترجح حسناته على سيئاته فيؤمر به إلى الجنة»**، وفي الحديث: **«من أقرض دينًا إلى أجله فله بكل يوم صدقة إلى أجله فإذا حل الأجل فله بكل يوم مثل الدين صدقة»**.

فوائد:

الأولى: دخل النبي ﷺ المسجد فوجد أبا أمامة - رضي الله عنه - جالسًا، فقال: **«مالي أراك في المسجد في غير وقت الصلاة؟»**، فقال: هموم لزمتني وديون يا رسول الله قال: **«أفلا أعلمك كلامًا إن قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك؟»** قلت: بلى يا رسول الله قال: **«قل إذا أصبحت وإذا أمسيت اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال»**.

الثانية: قال أبو بكر الصديق: علمني رسول الله ﷺ دعاء كان عيسى - عليه السلام - يعلمه لأصحابه وقال: **«لو كان على أحدكم جبل أحد دينًا فدعا الله بذلك لقضاه الله عنه»**، وهو هذا: **«اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أنت ترحمني فارحمني برحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك»**، قال أبو بكر: كان عليّ دين فقضاه الله عني، قال كعب الأحبار: والله إنه لفي التوراة من دعا بهذا الدعاء قضى الله دينه وكفاه عدوه.

الثالثة: امتنع النبي ﷺ من الصلاة على ميت لدين عليه فجاء جبريل بدراهم قدر دينه، وقال: صل عليه يا محمد فإنه كان يقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، كل يوم مائة مرة.

الرابعة: رأيت في كتاب «الدعاء» لابن أبي الدنيا عن معاذ عن النبي ﷺ قال: **«من كان عليه دين فقال: اللهم منزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم ورب جبريل وميكائيل وإسرافيل ورب الظلمات والنور ورب الظل والحر أسألك أن تفتح لي باب رحمتك، وأن تحلل عقدتي من ذنبي وأن تؤدي عن أمانتي إليك وإلى خلقك، قضى الله دينه»**.

حكاية: كان في بني إسرائيل ثلاثة قضاة، فأراد الله أن يمتحنهم فأرسل الله ملكين، أحدهما على فرس ومعها ولدها والآخر على بقرة فدعا صاحب البقرة المهرة فتبعته، فقال: صاحب الفرس هي بنت فرسي، وقال الآخر: هي بنت بقرتي فتخاصما إلى قاض منهم فدفع له صاحب البقرة الرشوة فحكم بأنها بنت البقرة، ثم ذهبا إلى الثاني فحكم كذلك ثم ذهبا إلى الثالث، فقال: إني حائض فقال: الرجل يحيض! فقال: كيف تلد البقرة فرسًا، فهذا قاضيان

في النار وقاضٍ في الجنة.

حكاية: نقل ولي الله تعالى الشيخ العارف بالله تقي الدين الحصني في قمع النفوس أن قاضيًا صالحًا حضره الموت وكان في زمنه رجل ينبش القبور ويأخذ الأكفان فدعاه وأعطاه ثمن كفنه؛ لئلا يكشف عنه فلما دفن نبش قبره فلما قرب من اللحد سمع قائلاً يقول: شم قدميه فيهما معصية قال: شم بصره قال: كذب قال: شم سمعه قال: إنه أصغى إلى كلام أحد الخصمين أكثر من الآخر فنفخ فيه فالتهب نارًا، وقال الثعلبي: مر عيسى - عليه السلام - على جماعة قد قلعوا عيونهم فسألهم عن ذلك فقالوا: مخافة من عاقبة القضاء، قال: أنتم الحكماء والعلماء فامسحوا أعينكم وقولوا: بسم الله ففعلوا فإذا هم كما كانوا.

موعظة: قال النبي ﷺ: «**من ولى القضاء أو جعل قاضيًا بين الناس فقد ذبح بغير سكين**» رواه أبو داود والترمذي، وقال الحاكم: صحيح الإسناد. أشار بالذبح بغير سكين لطول التعذيب، وقال النبي ﷺ: «**إن الله مع القاضي ما لم يجر فإذا جار تخلى عنه**» رواه الترمذي والحاكم.

مسألة: القضاء فرض كفاية فمن قام به أسقط الفرض عن الباقين، فإن تعين على واحد لزمه طلبه بأن كان أهلاً للقضاء دون غيره.

فائدة: قال الإمام فخر الدين الرازي - رضي الله عنه -: اعلم أن المداخل التي يأتي الشيطان من قبلها ثلاثة: الشهوة والغضب والهوى، فبالشهوة يصير الإنسان ظالمًا لنفسه وبالغضب يصير الإنسان ظالمًا لغيره وبالهوى يتعدى ظلمه إلى حضرة جلال الله فلهذا قال النبي ﷺ: «**الظلم ثلاثة فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم عسى الله أن يتركه فالظلم الذي لا يغفر هو الشرك، والظلم الذي لا يترك هو ظلم العباد والظلم الذي عسى الله أن يتركه هو ظلم الإنسان لنفسه**»، فمنشأ الظلم الذي لا يغفر هو الهوى ومنشأ الظلم الذي لا يترك هو الغضب ومنشأ الظلم الذي عسى الله أن يتركه الشهوة ثم لهذه الثلاثة نتائج البخل والحرص نتيجة الشهوة، والعجب والكبر نتيجة الغضب والكفر والبدعة نتيجة الهوى، فإذا اجتمعت هذه الستة في بني آدم تولد له منها سابعة وهي الحسد فلهذا ختم الله مجامع الشرور الإنسانية بالحسد، قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥]، كما ختم مجامع الخبائث الشيطانية بالوسوسة قال تعالى: ﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٥]، فليس في بني آدم أشر من الحسد، بل قيل: إن الحاسد أشر من إبليس، قال فرعون لإبليس: هل تعلم أحد أشر مني ومنك؟ قال: الحاسد، وهو أول معصية في السماء؛ لأن إبليس حسد آدم وأول معصية في الأرض؛ لأن قابيل حسد هابيل، فقتله. قال الكرابيسي صاحب الشافعي - رضي الله عنهما -: فأصول هذه القبائح ثلاثة ونتائجها سبعة والفاتحة سبع آيات في مقابلتها، وأصل الفاتحة البسملة وهي ثلاثة أسماء في مقابلة أصول القبائح، فمن واظب على قراءتها دفع الله عنه الآفات القبيحة إن شاء الله تعالى.

الثانية: قال جعفر الصادق - رضي الله عنه -: من قرأ الفاتحة أربعين مرة على ماء ثم نضح بها وجه محموم شفاه الله تعالى.

فصل: في العدل

قال الله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:١٠٨]، قال الإمام الرازي - رضي الله عنه -: قالت المعتزلة: إما أن الله تعالى يريد أن لا يظلم أحدًا أو لا يظلم أحد أحدًا فإن كان الأول فلا يستقيم على قولكم؛ لأن مذهبكم لو عذب الطائع لم يكن ظلمًا منه؛ لأن الظلم هو التصرف في ملك الغير وهو سبحانه يتصرف في ملكه، وإن كان الثاني فباطل أيضًا على قولكم أن الكل بقضائه وقدره فلا يبقى للآية معنى على مذهبكم، قلنا: فلم يجوز أن يكون المراد الثاني؟ قالوا: فإنه تمدح بنفي الظلم فيكون محالاً عليه فأجبناهم جوابًا.

الأول: أنه تمدح بنفسه كالسنة والنوم وهما محالان عليه.

الثاني: لو عذب الطائع كان له ذلك؛ لأنه تصرف في ملكه لكنه لا يفعله ولو فعله لم يكن ظلمًا في نفسه لكنه يشبه صورة الظلم، فأطلق أحد المتشابهين على الآخر وهو مجاز حسن، ورأيت في قواعد ابن عبد السلام لو وجد المكلف مضطرين متساويين ومعه رغيف لو أطعمه لأحدهما عاش يومًا ولو أطعم كل واحد نصفه عاش نصف يوم فالمختار أن تخصيص أحدهما غير جائز؛ لأن أحدهما يكون وليًّا لله تعالى، ولأن سبحانه أمر بالعدل والإحسان.

حكاية: دخل شقيق البلخي على هارون الرشيد فقال: عظني فقال: إن الله تعالى أقامك مقام الصديق فيريد منك الصدق، وأقامك مقام الفاروق فيريد منك أن تفرق بين الحق والباطل، وأقامك مقام عثمان فيريد منك الحياء وأقامك مقام علي فيريد منك العدل والعلم، قال: زدني قال: إن لله تعالى دارًا يقال لها: جهنم وجعلك بوابًا لها تدفع الناس عنها، وأعانك بالمال والسوط والسيف وقال لك أيها العبد المأمور ادفع الخلق عن هذه الدار بهذه الثلاثة فمن جاءك فقيرًا فأعطه من المال، ومن لم يطع فأدبه بالسوط ومن قَتَلَ بغير حق فاقتص منه بالسيف، قال: أنت البحر وهم الأنهار، فإن صفوت صفوا وإن تكدرت تكدروا.

حكاية: قال نافع: كنت أسمع عمر بن الخطاب كثيرًا يقول: ليت شعري من هذا الذي يأتي من ولدي يملأ الأرض عدلاً، وقال: بينما أنا مع عمر وهو يعس ليلاً إذ سمع امرأة تقول لابنتها: اخلطي الحليب بالماء فقالت: يا أماه أوليس قد نادى عمر لا يخلط الحليب بالماء؟ قالت: إنه لا يرانا. قالت: ما لنا أن نطيعه في الملأ ونطيعه في الخلاء؟ فلما أصبح عمر نادى أولاده عبد الله وعبيد الله وعاصمًا وعرض عليهم الجارية وقال: لو كان لأبيكم من حركة ما سبقه إليها أحد، فتزوجها عاصم فولدت له بنتًا ثم ولدت البنت بنتًا، وهي أم عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه.

لطيفة: روى عن البيهقي أن رجلاً كان يخلط اللبن بالماء ويبيعه ثم ركب البحر ومعه قرد فأخذ الصرة التي فيها المال المجموع من ثمن اللبن والماء، وصعد إلى المركب وصار يلقى دينارًا في البحر ودينارًا في المركب وصاحبه ينظر إليه حتى ألقى نصف المال في البحر. وتقدم في باب التقوى أنه يؤكل على وجه رواه الشافعي- رضي الله عنه- حكاه القرطبي. ويكره اقتناؤه وكان النبي ﷺ إذا رأى قردًا سجد، وفى عجائب المخلوقات وغيره: من تصبح بوجه القرد عشرة أيام أتاه السرور، قال: مؤلفه وهذا مردود بسجود النبي ﷺ شكرًا عند رؤيته؛ لأنه على صورة من سخط الله عليهم. وربما قال العلماء: من الكراهة اقتنائه وفى عجائب المخلوقات: في بحر بعض جزائر بحر الصين قردة كالجواميس بيض ألوانها.

حكاية: قال رباح بن عبيدة: خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى الصلاة فرأيت شيخًا يكلمة فقلت من هذا؟ قال: الخضر- عليه السلام - أخبرني أن أتولى على هذه الأمة وأعدل فيهم. وكان رعاة الشاة يقولون في ولايته: من هذا العبد الصالح الذي قام على الناس؟ فقيل: من أخبركم به؟ قالوا: إذا كان الخليفة عادلاً كفت الذئاب عن الغنم فلما كان بعد أيام قالوا: نرى الذئب في هذا اليوم قد أكل الغنم، فجاء الخبر بعد شهر بموت عمر - رضي الله عنه -.

حكاية: لما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة خير زوجه في فراقها أو تقيم عنده وكان قبل الخلافة يلبس أفخر الثياب، فلما تولى الخلافة صار له قميص واحد وإزار واحد، قيمتها أربعة عشر درهمًا، وقيل له: لو اتخذت حراسًا لطعامك وشرابك كما يفعل الخلفاء، فقال: اللهم إن كنت تعلم أني أخاف شيئًا غير يوم القيامة فلا تؤمن خوفي وذكر القيامة يومًا فبكى بكاء كثيرًا حتى أغمى عليه ثم ضحك فسئل عن ذلك فقال: رأيت القيامة ومناد ينادي: أين أبو بكر الصديق، فجيء به فحوسب حسابًا يسيرًا، ثم أمر به إلى الجنة ثم عثمان ثم علي بن أبي طالب، ثم نادى: أين عمر بن عبد العزيز؟ فوقعت على وجهي فأتاني ملكان وأوقفاني بين يدي الله فحاسبني حسابًا يسيرًا، ثم رحمني فبينما أنا مع الملكين إذ رأيت جيفة، فقلت: من أنت؟ قال: الحجاج فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: وجدته شديد العقاب ثم أنتظر ما ينتظره الموحدون.

فائدة: قال عمر بن عبد العزيز: رأيت الزهري في المنام فقلت له: هل من دعوة؟ قال: قُل لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتوكل على الحي الذي لا يموت، اللهم إني أسألك العفو والعافية وأسألك أن تعيذني وذريتي من الشيطان الرجيم، مات عمر سنة إحدى ومائة وهو ابن تسع وثلاثين سنة، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر فبينما الناس على قبره إذ سقطت ورقة مكتوب فيها بسم الله الرحمن الرحيم أمان من الله العزيز لعمر بن عبد العزيز في التوراة مكتوب أن الأرض لتبكي على عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - قالت زوجته: اشتهى عمر عسلاً فلما قدمته وأكل منه، قال: من أين لكم هذا؟ قلت: أرسلت غلامي على خيل

البريد فاشتراه لك فباعه وأعطاني رأس مالي ورد الباقي إلى بيت المال ثم قال لنفسه: يا عمر أتعبت خيل المسلمين في شهوتك.

حكاية: قال وهب بن منبه: لما أخرب بختنصر بيت المقدس وحرق التوراة ونهب الأموال، وكان ملكه سبعمائة سنة، فاحتمل الأموال من بيت المقدس على مائة ألف عجلة وسبعين ألف عجلة. وكان سليمان - عليه السلام - قد ابتناه من ذهب وفضة ودر وياقوت وذمرد بالذال المعجمة، قاله النووي، وأسر بني إسرائيل والأنبياء وكان منهم العزيز فرفع صوته وقال: اللهم إنك خلقت السموات والأرض بمشيئتك ثم بوأت بني إسرائيل الأرض المقدسة، وسلطت عليهم عدوك وعدوهم فجاء ملك، وقال: يا عزيز أتريد أن تعلم سر قضاء الله تعالى؟ قال: إن الله أرسلني إليك وأريد منك أن تصر لي من الشمس صرة، وتزن لي مثقالاً من الريح، وتكيل لي كيلاً من النور، وترد لي أمس قال: ومن يطيق ذلك، قال: الذي لا يسئل عما يفعل، يا عزيز إن كنت تسئل عن هذا فلا تعرفه فكيف لو قلت لك كم تحت الأرض من ينبوع؟ وكم في البحر من قطرة؟ وكم عدد أرواح الموتى؟ وأين طريق الجنة؟ قال العزيز: لا علم إلي بشيء من هذا فقال: إذا لم تعلم هذا وأنت تشاهده ببصرك فكيف تعلم علم الله الذي حجبه عن خلقه؟ يا عزيز سل البحار ما لأمواجها تعلو وتندفع فإذا بلغت حدها رجعت بزمام القهر، أرأيت لو اختصمت الأرض والبحار إليك ما كنت تحكم بينهما؟ إذا قالت الأرض: أريد أن أتوسع وأمتد في البحر، وقالت البحار: أريد أن أتوسع قال: أقول قد جعل الله لكل واحد منكما حدًّا لا يتجاوزه قال: نعم حكمت احكم بهذا على نفسك فإن الله تعالى جعل لبني آدم أجلاً واحدًا ولهم حدًّا لا بد أن يصلوا إليه.

حكاية: قال موسى - عليه السلام - يا رب أرني عدلك قال: اذهب إلى مكان كذا ففعل، فوجد عينًا وشجرة فجلس تحتها مستخفيًا، فجاء فارس فشرب من العين ونسي كيسًا فيه ألف دينار، فجاء صبي فأخذه، ثم جاء رجل أعمى فتوضأ من العين فتذكر الفارس كيسه فرجع وسأل الأعمى، فقال: ما وجدته فضربه فقتله فتعجب موسى - عليه السلام - من ذلك فأوحى الله إليه: اعلم أن الصبي قد أخذ حقه؛ لأن الفارس قد أخذ من والد الصبي ألف دينار، وأما الأعمى فإنه قتل أبا الفارس فأوصلت إلى كل ذي حق حقه.

فائدة: نسج العنكبوت على النبي ﷺ وعلى عبد الله بن أنس - رضي الله عنه - لما أرسله النبي ﷺ لقتل كافر فقطع رأسه داخل غارًا فنسج عليه العنكبوت فجاء الطلب فلم يروه، ونسج على زين العابدين بن الحسين - رضي الله عنهما - لما صلبوه مجردًا، ونسج على داود - عليه السلام - لما طلبه جالوت، قال القرطبي: من تركه في البيت يورث الفقر وفي الإصطبل يورث ضعف الدواب وأصله امرأة ساحرة فمسخها الله تعالى، قال ابن الملقن في العمدة: يستحب قتل العنكبوت لقول النبي ﷺ: **«اقتلوا العنكبوت فإنه شيطان»**.

موعظة: قال داود – عليه السلام –: يا رب ما من يوم إلا ولك فيه من آل داود صائم، وما من ليلة إلا ولك فيها من آل داود قائم فقال: ذلك بقوتهم أو مني؟ فقال: بل منك يا رب، فقال: وعزتي وجلالي لأكلنك إلى نفسك سنة فقال: لا بعزتك قال: شهرًا قال: لا بعزتك قال: أسبوعًا قال: لا بعزتك قال: يومًا قال: لا بعزتك قال: لحظة، فرضي وجمع حوله ثلاثين ألف مقاتل وجمع قراء الزبور فسقط عليه طير من ذهب فتبعه ليأخذه فوقع نظره على امرأة جميلة فأعجبته، فأرسل زوجها إلى الجهاد ثم أرسله من مكان إلى مكان ليقتل، فلما قتل تزوجها وهي أم سليمان – عليه السلام – فأرسل الله إليه ملكين كالخصمين فلما رآهما قد دخلا عليه من غير باب داره خاف منهما، فقالا: ﴿لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [ص:٢٢]، ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [ص:٢٣]، وكان داود – عليه السلام – متزوجًا بتسع وتسعين امرأة فقال: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ﴾ [ص:٢٤]بفعله مع زوج المرأة وخرجا من عنده فعرف أنه قد امتحن فمكث أربعين سنة يبكي حتى نبت العشب من دموعه، فأوحى الله إليه اذهب إلى زوج المرأة وتحلل منه فناداه فقال: من هذا الذي شغلني عن لذتي؟ قال: أنا داود عرضتك للقتل فقال: يا داود عرضتني للجنة فأوحى الله إليه: يا داود إني حكم عدل أخبره بأنك تزوجت امرأته فناداه فقال: من هذا الذي شغلني عن لذتي؟ فقال: أنا داود فقال: ما تريد أليس قد جعلتك في حل؟ قال: إني قد تزوجت امرأتك فلم يرد عليه فناداه ثانيًا فلم يجبه فحثا داود التراب على رأسه فقال: ويل لداود إذا نصبت الموازين، فأوحى الله إليه: قد غفرت لك، قال: وكيف تغفر لي ولم يغفر لي صاحبي؟ قال: أنا أرضيه وأستوهبك منه.

حكاية: كان في بني إسرائيل عابد عبد الله دهرًا طويلاً في صومعة وأنبت الله له كرمة عنب يأكل منها كل يوم قطف عنب وإذا عطش مد يده فيقع فيها الماء فمرت به امرأة جميلة، فقالت: يا راهب قد دخل الليل والقرية بعيدة فدعني أنام عندك هذه الليلة فلما صارت عنده تجردت عن ثيابها فغض بصره فتعرضت له فطالبته نفسه بذلك، فقال: إن الزاني يكتب على جبهته آيس من رحمة الله، وخوف نفسه بنار جهنم فلم ترجع فعرض عليها النار الصغرى وملأ سراجه دهنًا وغلظ الفتيلة وأدخل أصبعه فنادى مالك: يا نار كلي فأحرقت أصابعه كلها مع يده فصاحت المرأة صيحة فارقت الدنيا فسترها بثوبها وقال: إلى الصلاة فلما طلع الفجر صاح إبليس في المدينة: ألا وإن الراهب قد زنى بفلانة وقتلها فركب الملك بعسكره إليه وناداه فأجابه، فقال: أين فلانة؟ قال: عندي قال: دعها تخرج قال: إنها ميتة فقال: ما رضيت بالزنا حتى قتلتها، فأخذوه بالسلاسل الحديد ووضعوا المنشار على رأسه، وقال: جروه، فلما فعلوا تأوه فقال الله تعالى: يا جبريل قل له: قد أبكيت حملة عرشي وسكان سمواتي وعزتي وجلالي لئن تأوه مرة ثانية لأهدمن السموات على الأرض فصبر واحتسب ولم يخبرهم بحاله، فأنطق الله المرأة وقالت: إنه مظلوم والله ما زنى، وأخبرتهم بخبره مع النار فلما رأوا يده محترقة ندموا

على قتله فحفروا له والمرأة قبرًا فوجدوه مسكًا، فنادى مناد من السماء: اصبروا حتى تصلي عليهما الملائكة وألقى عليهم كتابًا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من الله تعالى إلى عبده أني قد نصبت المنبر تحت عرشي وجمعت ملائكتي وخطب جبريل وأشهدت الملائكة أني قد زوجته خمسين ألف عروس من الفردوس ذلك لمن خشي ربه.

فصل: في الشفقة على خلق الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، خصوصًا إلى الدابة والرقيق، وقال النبي ﷺ في حق الرقيق: «**إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم من العمل ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم**».

مسألة: تجب نفقة الرقيق غير المكاتب على سيده قوتًا وأدمًا وكسوة وسائر المؤن صغيرًا كان أو كبيرًا زمنًا أو سليمًا مرهونًا أو مستأجرًا على حسب كفايته من غالب قوت البلد الذي يطعم منه المماليك، ولا يكفي في كسوته ستر العورة فقط إلا أن يكون ببلاد السودان، ولو كان له عبيد استحبت التسوية بينهم إلا في الإناث فيفضل الجميلة على غيرها من الإناث، قال: مؤلفه - رحمه الله تعالى -: إنما فضلت الجميلة على غيرها؛ لأن الاستمتاع بها جائز بخلاف الذكور فلا يفضل الجميل على غيره.

وقد تقدم في باب الأمانة ما أعد الله من العذاب لمن تشبه بقوم لوط ويجب شراء ماء الطهارة له وتسقط النفقة بمضي الزمان فإن امتنع من الإنفاق باع الحاكم ماله بعد الاستدانة واجتماع شيء صالح للبيع، فإن لم يكن للسيد مال أمره ببيعه أو إجارته أو عتقه، فإن امتنع تولى الحاكم ذلك، فإن لم يتيسر أنفق عليه من بيت المال، فإن لم يكن فعلى المسلمين، ويجب علف الدابة أو تخليتها للرعي إن كفاها، فإن امتنع أجبره الحاكم على بيع المأكول أو ذبحه وخيره على بيعه ولا يزيد في حلب الدابة بحيث يضر ولدها ويترك للنحل شيئًا من العسل إن لم يكتف بغيره، ويجب عليه تحصيل ورق التوت لدود الحرير، فإن امتنع باع الحاكم ماله في ذلك ويجوز تجفيف الدود في الشمس بعد حصول الغرض منه، وقال النبي ﷺ: «**من لا يَرْحم لا يُرْحم**» وقال النبي ﷺ: «**رأيت ليلة الإسراء سبعة قصور بين كل قصرين كما بين المشرق والمغرب قلت: لمن هذه؟ قيل: لمن قاد ضريرًا سبع خطوات، قلت: أبشر به أمتي. قيل: نعم وأكثر من هذا من قال: قال من أمتك سبع مرات: لا إله إلا الله يعطى في الجنة بقدر الدنيا عشرين مرة**» وعن أنس عن النبي ﷺ: «**من قاد أعمى أربعين خطوة وجبت له الجنة**» وعن النبي ﷺ: «**من قاد أعمى أربعين ذراعًا أو خمسين ذراعًا كتب الله له عتق رقبة**» وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «**من قاد ضريرًا إلى المسجد أو إلى منزله أو إلى حاجة من حوائجه كتب الله له بكل قدم رفعها أو وضعها عتق رقبة وصلت عليه الملائكة حتى يفارقه، ومن مشي بضرير في حاجة حتى يقضيها أعطاه الله براءة من النار وبراءة من النفاق ولم يزل يخوض في الرحمة حتى**

يرجع» وقال النبي ﷺ : «**يا أبا هريرة إذا قدت أعمى فخذ يده اليسرى بيدك اليمنى فإنها صدقة**» وعن ابن عمر عن النبي ﷺ : «**من قاد أعمى أربعين خطوة غفر له الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر**» وعن أنس عن النبي ﷺ : «**قال تعالى: إذا أخذت كريمتي عبدي لم أرض له ثوابًا دون الجنة، فقيل: يا رسول الله وإن كانت واحدة قال: وإن كانت واحدة**» وعن النبي ﷺ : «**أول من ينظر إلى الله تعالى من كان ضريرًا**».

فوائد: الأولى: عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «**إذا خفت سلطانًا أو غيره فقل: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب السموات السبع رب العرش العظيم، الحمد لله رب العرش العظيم، لا إله إلا أنت عز جاهك وجل ثناؤك**» وقال علي - رضي الله عنه -: قال النبي ﷺ : «**إذا دخلت على ذي سلطان فقل: اللهم إني أعزم باسمك العظيم الأعظم الحي القيوم الأحد الصمد على قلب فلان وسمعه وبصره ويده ولسانه حتى لا يجري على إلا ما هو خير لي في ديني ودنياي وعواقب أمري، اللهم ارزقني خيره واصرف عني شره واكفنيه يا الله يا الله فيقول لك ملك: إنك اليوم لدينا مكين أمين**».

الثانية: عن النبي ﷺ : «**من دخل على ذي سلطان فقال: بسم الله ربي الله لا إله إلا الله وقاه الله شره**».

قال مؤلفه: فإن زاد ما قاله موسى حين توجه إلى فرعون: كنت وتكون وأنت حي لا تموت، تنام العيون وتنكد النجوم وأنت حي قيوم، لا تأخذك سنة ولا نوم فحسن؛ لأنه مما يقال عند الكروب.

الثالثة: رأيت في رسائل الحاجات للإمام الغزالي بجدة قال: بلغني من غير واحد من أصحاب القلوب أن من قرأ في الركعة الأولى من سنة الفجر فاتحة الكتاب وألم نشرح وفي الثانية الفاتحة والفيل قصرت عنه يد كل ظالم وعدو ثم قال الغزالي: وهو صحيح لا شك فيه.

الرابعة: في التوراة: إني أنا الله لا إله إلا أنا، ملك الملوك، قلوب الملوك بيدي، من أطاعني جعلتها عليه رحمة ومن عصاني جعلتها عليه نقمة. وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ يقول الله تعالى: «**إني أنا الله لا إله إلا أنا ملك الملوك ومالك الملوك قلوب الملوك بيدي، وأن العباد إذا أطاعوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة، وأن العباد إذا عصوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب، فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على ملوككم، ولكن اشغلوا أنفسكم بالذكر والتضرع إليّ أكفكم ملوككم**»، قال الرازي: في قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة:٤٩] أي يبغونكم أشد العذاب.

حكاية: قال موسى - عليه السلام -: يا رب أوصني بوصية قال: كن مشفقًا على خلقي قال: نعم، فأراد الله أن يظهر شفقته للملائكة فبعث إليه ميكائيل في صورة طير صغير وجبريل في صورة شاهين، فجاء الطير الصغير إلى موسى وقال: يا نبي الله أجرني من الشاهين ففعل

ثم جاء الشاهين، قال: يا موسى هرب مني طير وأنا جائع فقال: فهل تريد إلا سد الجوع؟ قال: نعم قال: أنا أعطيك لحمًا قال: نعم لكن لا آكل إلا من فخذك قال: نعم قال: لا آكل إلا من عضدك قال: نعم قال: لا آكل إلا من عينيك قال: نعم قال: لله درك يا كليم الله أنا جبريل وهذا الطائر ميكائيل أراد الله تعالى أن يظهر شفقتك للملائكة ليرد عليهم قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة:٣٠] .

حكاية: ذبح بعض الصديقين بقرة وولدها ينظر إليها فأسقطه الله تعالى من مقامه وسلبه عقله فصار هائمًا على وجهه يلعب به الصبيان، فمر على أفراخ طير قد سقطن من وكرهن فرفعهن إليه؛ رحمة لهن فشكر الله له ذلك وجعله نبيًّا من الأنبياء، ورأيت عن عمر بن الخطاب أنه رأى صبيًا يلعب بعصفور فاشتراه منه وأعتقه فلما رآه بعض أصحابه في المنام فسأله عن حاله، فقال: لما وضعت في قبري حصل لي من الملكين خوف فسمعت قائلاً يقول: لا تخوفوا عبدي فإنه رحم عصفورًا في الدنيا فرحمته في الآخرة.

لطيفة: أمر عمر بن الخطاب بكتابة عهد لرجل قد ولاه، فبينما الكاتب يكتب جاء صبي فجلس في حجر عمر فلاطفه بالكلام، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين لي عشرة أولاد مثله ما دنا مني أحد منهم، فقال عمر للكاتب: مزق الكتاب، فإن من لا يرحم أولاده كيف يرحم الرعية؟

موعظة: قال النبي ﷺ لرجل يحد شفرته وقد أضجع شاة: «**أتريد أن تميتها مرتين هلا حددت شفرتك قبل أن تضجعها؟**» رواه الطبراني. وقال رجل: للنبي ﷺ: إني لأرحم الشاة إذا ذبحتها، فقال: «**إن رحمتها رحمك الله**» رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد قال الإمام النووي: يستحب أن يعرض عليها الماء قبل الذبح وأن لا يذبح بعضها بحضرة بعض، وأن لا يحد الشفرة قبالها.

فائدة: قال القرطبي: أوحى الله تعالى إلى موسى: أتدري بما اتخذتك كليمًا؟ قال: لا قال: أتذكر يوم كذا وأنت ترعى غنمًا فهربت منك شاة فتبعتها من واد إلى واد حتى أدركتها ولم تغضب عليها؟ قال: نعم: قال: فبذلك اتخذتك كليمًا.

لطيفة: رأيت في طبقات ابن السبكي: أن الشيخ أحمد الرفاعي لما نام يوم الجمعة جاء الهر فنام على كمّه فاستيقظ وقت الصلاة فقطع كمه ولم يزعجه فلما فرغ من الصلاة وذهب الهر أعاد كمه إلى موضعه، وفي البخاري: فبينما رجل على ركية أي على بئر فرأى كلبًا يأكل الثرى من العطش ويلهث عطشًا فسقاه فغفر له.

حكاية: كان في بني إسرائيل رجل فاسق فلما مات ألقاه بنو إسرائيل في بئر فأمر نبيهم - عليه السلام - بإخراجه وغسله والصلاة عليه ففعل ثم قال: يا رب بما استحق هذه المنزلة، قال: رأى كلبًا أعمى يلهث عطشًا فأخذ عمامته وبلها في بئر فأسقاه، وذكر القرطبي في قوله تعالى: ﴿فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ [المعارج:٢٤] ، قيل: هو الزكاة والسائل الذي يسأل الناس من الفاقة

والمحروم، قيل: هو الذي أصاب ماله عاهة، وقيل: الكلب.

حكاية: قال في الرسالة القشيرية: قال أبو سليمان الخواص: ركبت حمارًا في بعض الأيام فجعل يطأطئ رأسه من الذباب، فضربته على رأسه فرفع رأسه، وقال: هكذا تضرب على رأسك.

حكاية: مر بعض الأنبياء فعارضه سبع فلطمه النبي - عليه السلام - لطمة فلطمه السبع مثلها فقال: يا رب أنا نبيك وهذا كلبك، فأوحى إليه لطمة بلطمة والبادي أظلم، حكاه في شرح أسماء الله الحسنى.

حكاية: قال في حقائق الحقائق: أن السبع أزعج أهل السفينة فدعا عليه نوح - عليه السلام - فابتلاه الله بالحمى، فوقع في زاوية السفينة وله أنين فلطمه نوح - عليه السلام - لطمة شديدة فأوحى الله إليه: أنا الحكم العدل وهذا خلق من خلقي وهو مريض يشكو لي حاله وأنا أحب شكاية المريض فقم وصالحه فقام إليه ووضع يده على رأسه فخفف الله عنه، ولولا وجود الحمى على الأسد لعظم ضراوة في الأرض.

لطيفة: لما افتقد سليمان - عليه سليمان - الهدهد أرسل العقاب في طلبه فارتفع في طلبه في الهواء فرآه مقبلاً من نحو اليمين فانقض عليه، فقال: بحق الذي قواك على أن ترحمني فعفا عنه وأتى به إلى سليمان يجر جناحيه تواضعًا، فقال سليمان: لأعذبنك فقال الهدهد: يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فعفا عنه.

فائدة: إذا ذبح الهدهد وعلق بجملته على باب دار خرج ما فيها من السحر والعين، وأكله مشويًّا بسداب يمنع النسيان.

حكاية: قال الدميري في «**حياة الحيوان**»: جلس موسى - عليه السلام - تحت شجرة فلدغته نملة فأحرق النمل، فأوحى الله إليه فهلا نملة واحدة؟ وكان قبل ذلك، يقول: يا رب كيف تعذب قومًا بذنب رجل واحد؟ فأراه ذلك في النمل ليعلم أن العقوبة قد تعم الطائع والعاصي اهـ باختصار، قال الرافعي: إحراق الحيوان من الكبائر، وإذا سحق الكمون ووضع على النمل أو القطران أو الزعتر أو الزيت ارتحل - بإذن الله تعالى - وتقدم جواز قتل الذر وهو النمل الصغير أي الأحمر، وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾ [النساء :٤٠]، أي لا يظلم بقدر رأس النملة الصغيرة.

فائدة: قال في كتاب العرائس: عن النبي ﷺ: «**عليكم بلباس الصوف فإنكم تعرفون به يوم القيامة، فإن النظر في الصوف يورث في القلب التفكر والتفكر يورث الحكمة**» وتقدم في فضل البسملة: أن من لبس الصوف تواضعًا زاده الله نورًا في بصره ونورًا في قلبه، وفي «**عوارف المعارف**» عن النبي ﷺ: «**نوروا قلوبكم بلباس الصوف فإنه مذلة في الدنيا ونور في الآخرة**»،

وقال الدميري: التصوف مبني على الكرم وهو لإبراهيم - عليه السلام - والرضا وهو لإسحاق - عليه السلام - والصبر وهو لأيوب - عليه السلام - والإشارة وهي لزكريا - عليه السلام - والغربة وهي ليحيى - عليه السلام - ولبس الصوف وهو لعيسى - عليه السلام - والشجاعة وهي لمحمد ﷺ وعليهم أجمعين وقال الشبلي: الصوفي من لبس الصوف على الصفا وسلك طريق المصطفى وكانت الدنيا عنده خلف القفا - وتقدم أن القفا مقصور - وهو مؤخر العنق.

فصل: في إكرام المشايخ

قال ﷺ: «إن من إجلاله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم» وعنه ﷺ: «ما نبي إلا مشي إلي وسلم علي ليلة المعراج إلا نبي واحد، قال لي جبريل: امش إليه وسلم عليه يا محمد، لا لكونه أفضل منك بل لشيخوخته هذا نوح شيخ المرسلين» حكاه النسفي - رحمه الله تعالى.

قال مؤلفه: - رحمه الله تعالى -: أول من شاب إبراهيم - عليه السلام - وسيأتي بيانه، فيكون نوح شيخ المرسلين بكبر سنه لا ببياض شعره، وعن النبي ﷺ: **«الشيب أول منازل الموت»**، وعن النبي ﷺ: **«من شاب شيبة في الإسلام يقول الله تعالى: «مرحبًا بعبدي»** هذه صفة من ابيضت له شعره واحدة، ويقول الله تعالى: **«قد وهبت سواد صحيفتك لبياض شيبتك»** قالت عائشة - رضي الله عنها -: هذا لمن مات وقد شاب فكيف بمن يموت وهو شاب؟ فقال النبي ﷺ: **«أمتي كلهم يقومون من قبورهم وقد شابت شعورهم لهيبة ملك الموت - عليه السلام -»** ويأتي في باب فضل العلم: **«أمتي كلهم علماء»** وقال ﷺ: **«طوبى لمن طال عمره وحسن عمله»** وقال ﷺ: **«ألا أخبركم بخياركم؟ خياركم أطولكم أعمارًا وأحسنكم أعمالاً»** وقالت عائشة - رضي الله عنها -: قال النبي ﷺ: **«من بلغ ثمانين من هذه الأمة لم يعرض ولا يحاسب وقيل له: ادخل الجنة»** وقال عبد الله بن عمر: قال النبي ﷺ: **«السعادة كل السعادة، طول العمر في طاعة الله»** وقال النبي ﷺ: **«إذا بلغ المرء المسلم أربعين سنة صرف الله عنه ثلاثًا الجنون والجذام والبرص، وإذا بلغ الخمسين سنة خفف الله ذنوبه وفي رواية: «هون الله الحساب وإذا بلغ ستين سنة رزقه الله الإنابة، وإذا بلغ سبعين سنة أحبه الله تعالى وأحبه أهل السماء وإذا بلغ ثمانين سنة قبل الله حسناته وتجاوز عن سيئاته، وإذا بلغ تسعين سنة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكان أسير الله في الأرض وشفيعًا لأهل بيته يوم القيامة»** وفي رواية **«وإذا بلغ مائة سنة سمى حبيب الله في الأرض وحق على الله أن لا يعذب حبيبه»** ورأيت في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]، أي ما لكم لا ترجون لله ثوابًا؟ قاله عطاء ابن أبي رباح: وقال ابن عباس: ما لكم لا تخشون لله عقابًا؟ وقيل: ما لكم لا تعرفون لله حقًا؟ وقد خلقكم أطوارًا أي أنواعًا صحيحًا وسقيمًا، وغنيًا وفقيرًا، وقيل: أطوارًا يعني صبيانًا ثم شبانًا ثم شيوخًا، فإذا بلغ الصبي سبع سنين وميّز أي فرق بين الحسن والقبيح، وقيل: يفهم الخطاب ويرد الجواب أمر بالصلاة، وفي العشر يضرب عليها والضرب

والتعليم واجبان على الآباء والأمهات، وفي الخامس عشر يجري عليه القلم، وفي إحدى وعشرين يستيقظ قلبه، وفي الثمانية والعشرين ينتهي عقله، وفي الثلاثين تنتهي قوته وفي الأربعين يأمن من الجذام والجنون والبرص، وفي الخمسين تجب إليه الإنابة وفي الستين تعرفه الملائكة وفي السبعين تغفر له ذنوبه وفي الثمانين تمحى سيئاته، وفي التسعين يعتقه الله من النار، وإذا بلغ المائة شفعه الله في سبعين من أهل بيته.

حكاية: قيل ليحيى بن أكثم - بالثاء بالمثلثة - رضي الله عنه - بعد موته: ما فعل الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه وقال: يا شيخ السوء فعلت وفعلت فقلت: ما بهذا حدثت عنك؟ حدثني معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة عن محمد ﷺ عن جبريل عنك أنك قلت: إني لأستحيي أن أعذب شيبة شابت في الإسلام، فقال تعالى: صدق معمر والزهري وعروة وعائشة ومحمد وجبريل وصدقت أنا، اذهب فقد غفرت لك وقال ﷺ: «**من شاب شيبة في الإسلام كتب الله له بها حسنة وحط عنه بها خطيئة ورفع له بها درجة**» رواه ابن حبان، وأوحى الله تعالى إلى محمد ﷺ «**الشيب على عبدي المؤمن نور من نوري وأنا أكرم من أن أحرق نوري بناري**».

حكاية: قال محمد النيسابوري: رأيت بعضهم في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه وقال: يا شيخ السوء كنت تحمل إلى السلاطين وتنال من دنياهم فقلت: يا رب كانت الدنيا علي مكدرة وأنا صاحب عيال فأمر بي إلى النار فقلت: ما هكذا ظني بك؟ فقال: وما ظنك بي؟ فقلت: حدثني يحيى عن شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك عن محمد ﷺ عن جبريل عنك أنك قلت: أنا عند ظن عبدي فليظن بي ما شاء فقال: صدق يحيى وصدق شعبة وصدق قتادة وصدق أنس وصدق محمد وصدق جبريل أنا قلت ذلك، فطيبني وألبسني سبعين حلة، وجعل على رأسي تاجًا ومشى بين يدي الولدان المخلدون إلى الجنة، وعن النبي ﷺ: «**لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظن بالله تعالى فإن حسن الظن بالله تعالى ثمن الجنة**» وقال ابن مسعود: والله والله الذي لا إله إلا الله لا يحسن أحد الظن بالله إلا أعطاه ظنه حكاه القرطبي في التذكرة، ورأيت في شرح البخاري لابن أبي جمرة: أن بعض الصالحين كان خطيبًا فلما مات قيل له: ما فعل بك الملكان في قبرك؟ قال: لما سألاني ارتج علي الجواب ساعة، وإذا بشاب حسن الوجه قد دخل عليّ وعلمني الجواب فقلت له: من أنت؟ قال: أنا عملك، قلت: ما أبطاك عني؟ قال: كنت تأخذ أجر الخطابة من السلطان فقلت: ما أكلت منها شيئًا بل كنت أفرقها فقال: لو أكلتها ما جئتك. وعن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله حرّم الجنة على جسد غذي بحرام**» وقال ابن عباس: لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه حرام.

فائدة: قال رجل: يا نبي الله أدبرت الدنيا عني وقلت ذات يدي فقال: «**أين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق؟ وبها يرزقون أن تقول ما بين طلوع الفجر إلى أن تصلي الغداة مائة مرة:**

سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله تأتيك الدنيا راغمة ويخلق الله من كل كلمة ملكًا يسبح الله تعالى يوم القيامة لك ثوابه» .

موعظة: قال الحسن البصري: مكتوب على وجه الأرض من أحب الدنيا أبغضه الله ومن أبغضها أحبه الله، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: الدنيا ثلاثة أقسام قسم للمؤمنين يتزودون به إلى الآخرة وقسم يتزين به المنافقون وقسم يتمتع به الكافرون. قال الحناطي: الزهد ثلاثة أحرف الزاي ترك الزينة والهاء ترك الهوى والدال ترك الدنيا.

حكاية: خرج علي بن أبي طالب للصلاة فوجد شيخًا يمشي أمامه فمشى خلفه ولم يتقدم عليه إكرامًا له، فلما ركع النبي ﷺ وضع جبريل - عليه السلام - جناحه على ظهره فكلما أراد أن يرفع منعه جبريل حتى أدركه علي، لكنه حديث موضوع، وعن أنس عن النبي ﷺ قال: **«إن الله ينظر إلى وجه الشيخ صباحًا ومساءً ويقول: كبر سنك ودق عظمك ورق جلدك واقترب أجلك فاستحيي مني فإني أستحيي منك»** وعن النبي ﷺ قال: أول من جزع من الشيب إبراهيم - عليه السلام - فقال: يا رب ما هذه الشوهة التي شوهت بخليلك؟ فأوحى الله إليه: هذا سربال الوقار ونور الإسلام وعزتي وجلالي ما ألبسته أحدًا من خلقي يشهد أن لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي إلا استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانًا أو أنشر له ديوانًا أو أعذبه بالنار، فقال: يا رب زدني وقارًا، فأصبح رأسه ولحيته مثل الثغامة البيضاء، قال الإمام النووي في شرح المذهب: الثغامة - بفتح الثاء المثلثة وتخفيف الغين المعجمة -: نبات له تمر أبيض، قال الحناطي: لما ولدت سارة إسحاق وهي ابنة مائة وعشرين سنة فقال: قومه أما تنظرونه فأين الشيخين قد وجدا غلامًا لقيطًا فاتخذاه ولدًا ألا يولد لمثلهما؟ فألقى الله تعالى شبه إبراهيم على إسحاق - عليهما السلام - ثم ميز الله إبراهيم بالشيب، وذلك كفًّا طلع من السماء وبين أصبعه شعرة بيضاء فجعلت تدنو من إبراهيم حتى ألقاها على رأسه - عليه السلام - وقال ابن عباس: إذا طلبت من أحد حاجة فلا تطلبها ليلاً ولا من ورائه فإن الحيا في العينين، وقال بعض العلماء: يجب أن يكون عند الحاكم شيخ عالم بمصالح الرعية؛ لأن نظر الشيخ أتم من نظر الشاب، قال بعض الفضلاء:

إن الأمور إذا الأحداث دبرها دون الشيوخ ترى في بعضها خللًا

قال النبي ﷺ: «الشيخ في قومه كالنبي في أمته» .

فائدة: قال النسفي - رحمه الله تعالى -: إذا كان يوم القيامة يأمر الله تعالى بشيخ إلى الجنة ويدفع صحيفته إلى ملك، ويقول له: إذا وصل إلى باب الجنة فادفع إليه كتابه، فإذا فعل ذلك يقول الشيخ للملك: قف حتى أقرأه فيقول: ما معي إذن؟ فيفك ختمه ويقرأه فيجد فيه ذنوبًا كثيرة فيخجل ويقول: كيف أدخل الجنة مع هذه الذنوب؟ فيرسل الله ريحًا فيطير الكتاب من يده وتهب ريح الرحمة على قلبه فينزع منه ذكر الذنوب حتى كأنه لم يعلمها.

فصل: في الخضاب والتسريح

عن أنس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «**أول من اختضب بالحناء إبراهيم - عليه السلام -**» وعنه أيضًا عن النبي ﷺ: «**إذا دخل المؤمن قبره وهو مخضب بالحناء أتاه منكر ونكير، فقالا له: من ربك ومن نبيك، فيقول: منكر لنكير: ارفق بالمؤمن أما ترى نور الإيمان**» وعن علي - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**الحناء بعد النورة أمان من الجذام**» وقال أنس - رضي الله عنه - دخل رجل على النبي ﷺ وهو أبيض الرأس واللحية فقال: «**ألست مسلمًا؟**» قال: بلى قال: «**فاختضب**» وعنه أيضًا عن النبي ﷺ: «**اختضبوا بالحناء فإنه يطيب الريح ويسكن الدوخة**»، وقال النبي ﷺ: «**اختضبوا فإن الملائكة يستبشرون بخضاب المؤمن**» قال أبو طيبة - رضي الله عنه -: نفقة درهم في سبيل الله بسبعمائة، ونفقة درهم في خضاب اللحية بسبعة آلاف، وقال غيره: إذا بدأ الجدري بصغير فأخضب أسافل رجليه بالحناء، فإنه أمان لعينيه من الجدري، قال الذهبي في «**الطب النبوي**»: وهو مجرب. شجرة الحناء أحب إلى الله من غيرها ويستحب للنساء، وقد يجب بأن يهيئ الزوج أسبابه للزوجة وقد يحرم في عدة وفاة - بأن مات زوجها - فيما يظهر من بدنها، أما الخضاب بالسواد والتطريف وهو خضاب بعض الأصابع والنقش فحرام إلا بإذن زوجها أو سيدها. ويحرم الخضاب على الرجل في اليدين والرجلين إلا من ضرورة، وقال النبي ﷺ: «**من خضب بالسواد سود الله وجهه يوم القيامة**» قال في شرح المهذب عن الغزالي والبغوي: إن الخضاب بالسواد مكروه، ثم قال: بل الصواب أنه حرام إلا أن يكون في الجهاد.

فائدة: قال أبي بن كعب: قال النبي ﷺ: «**من سرح رأسه ولحيته كل ليلة عوفي من أنواع البلاء وزيد في عمره**» وعنه أيضًا «**من أمر المشط على حاجبه عوفي من الوباء**» وقال علي - رضي الله عنه - قال النبي ﷺ: «**عليكم بالمشط فإنه يذهب بالفقر ومن سرح لحيته حين يصبح كان له أمان حتى يمسي؛ لأن اللحية زينة الرجل وجمال الوجه**» قال في الإحياء: إن لله ملائكة يقولون في حلفهم: والذي زين بني آدم باللحاء، وقال وهب بن منبه: من سرح لحيته بلا ماء زاد همه أو بماء نقص همه ومن سرحها يوم الأحد زاده الله نشاطًا أو الإثنين قضى حاجته أو الثلاثاء زاده الله سرورًا، أو السبت طهر الله قلبه من المنكرات.

لطيفة: الشيب في المنام وقار للكبير، وهم للصغير، وشيب المرأة في المنام دليل على فسق زوجها، وإن كان صالحًا تزوج عليها ونتفه في النوم دليل على أنه لا يكرم المشايخ، وفي اليقظة مكروه قال في شرح المهذب: ولو قيل: يحرم لم يبعد؛ للنهي الصحيح عنه.

مسألة: شيب الرقيق في غير وقته عيب يرد به، والشيخ ليس كفؤًا للشابة، قاله المولى، وهو مردود والله تعالى أعلم.

باب: فضل العقل

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق:٣٧]، أي عقل قاله النبي لابن عباس: وعن النبي ﷺ قال: «**إن الرجل ليكون من أهل الصلاة والصيام والحج فلا يجري إلا على قدر عقله**» وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ «**لكل شيء آلة وآلة المؤمن العقل، ولكل شيء مطية، ومطية المؤمن العقل، ولكل شيء دعامة ودعامة المؤمن العقل، ولكل شيء غاية وغاية المؤمن العقل، ولكل قوم راع وراع العابدين العقل، ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل، ولكل أهل بيت قيم وقيم الصديقين العقل، ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل**».

لطيفة: قال قتادة: الرجال ثلاثة رجل وهو العاقل ونصف رجل وهو من لا عقل له ولكن يشاور العقلاء، ورجل لا شيء وهو من لا عقل له ولا يشاور العقلاء، وقال النووي في بستان العارفين عن بعضهم: خير المواهب العقل وشر المصائب الجهل.

فائدة: قال علي - رضي الله عنه -: خلق الله العقل من نور مكنون فجعل العلم نفسه، والفهم روحه، والزهد رأسه، والحياة عينيه، والحكمة لسانة، والخير سمعه، والرأفة قلبه، والرحمة صدره، والصبر بطنه، ثم قيل له: تكلم فقال: الحمد لله الذي ذل كل شيء لعزته فقال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقًا أعز على منك ولأسكننك في أحب الخلق إليّ. وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - لما خلق الله العقل، قال له: أدبر فأدبر قال له: أقبل فأقبل فقال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقًا أحسن منك لأركبنك في أحب الخلق إليّ فبك آخذ وبك أعطي وبك أعاقب، فترى العاقل محبوبًا إلى الناس، وإن لم يعمل خيرًا معهم ولما خلق الله الجهل قال له: أقبل: فأدبر ثم قال له: أدبر فأقبل فقال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقًا أبغض إليّ منك ولا أركبنك إلا في أبغض الخلق إليّ فترى الجاهل مبغوضًا إلى الناس وإن لم يعمل معهم شرًا، وقالت عائشة - رضي الله عنها -: يا نبي الله بم يتفاضل الناس في الدنيا؟ قال: بالعقل قالت: وفي الآخرة قال: بالعقل.

فائدة: قال الذهبي في الطب النبوي عن النبي ﷺ: عليكم بالقرع فإنه يزيد في العقل وهو أجود للمحمومين وينفع من السعال، وفي الطب النبوي: ما من حامل تأكل الكرفس إلا خرج ولدها ضعيف العقل، وعن النبي ﷺ: «**أطعموا أحبالكم اللبان، فإن يكن في بطنها ذكر يكون زكي القلب، وإن يكن أنثى حسن خلقها**» وقوله ﷺ: «**اللبان**» أي حصى اللبان.

حكاية: قيل لابن المبارك: ما خير ما أعطى الرجل؟ قال: العقل قيل: فإن لم يكن؟ قال: فأدب حسن قيل: فإن لم يكن؟ قال: فصمت طويل، قيل: فإن لم يكن؟ قال: فأخ صالح يستشيره قيل: فإن لم يكن؟ قال: فموت عاجل. وفي الحديث: «**ما خاب من استخار ولا ندم من استشار**» وحديث الاستخارة مشهور.

فائدة: صلاة الاستخارة سنة يقرأ في الأولى بعد الفاتحة ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [الكافرون :١] وفي الثانية الإخلاص. قال: في الروضة كتحية المسجد. وقال القرطبي: اختار بعض المشايخ أن يقرأ في الركعة الأولى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص :٦٨] الآية، وفي الثانية: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [الأحزاب :٣٦] الآية، ثم يدعو بدعائها المشهور بعد السلام.

لطيفة: قدم لقمان - عليه السلام - من سفر فلقيه غلامه فقال: ما فعل أبي؟ قال: مات. قال: ملكت أمري قال: ما فعلت أمي؟ قال: ماتت. قال: ذهب همي. قال: ما فعلت امرأتي؟ قال: ماتت. قال: جدد فراشي. قال: فما فعلت أختي؟ قال: ماتت. قال: سترت عورتي. قال: ما فعل أخي؟ قال: مات. قال: انقطع ظهري. وقال قتادة: أعظم المصائب مصيبة الدين، وموت الأب قصم الظهر، وموت الولد صدع في الفؤاد، وموت الأخ قص الجناح، وموت الزوجة حزن ساعة، قال الدميري: من المروءة أن لا يعزى الرجل في زوجته.

فوائد:

الأولى: دخل عمر وأبو هريرة وأبي بن كعب على النبي ﷺ فقالوا: يا نبي الله من أعبد الناس؟ قال: «**العاقل**»، قالوا: من أعلم الناس؟ قال: «**العاقل**»، قالوا: من أفضل الناس؟ قال: «**العاقل**» قالوا: يا رسول الله أليس العاقل الذي تمت مروءته وظهرت فصاحته وجاد كفه؟ قال: «**وإن كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا، العاقل المتقي الذي يتقي الله ومعاصيه**».

الثانية: العقل مشتق من عقال الناقة، فكما أن العقال يمنع الناقة من الذهاب كذلك العقل يمنع صاحبه من المهالك، وقال في العوارف: العقل له ألف اسم كل اسم أوله ترك الدنيا ولقد أحسن القائل:

إذا أكمل الرحمن للمرء عقله　　فقد كملت أخلاقه ومآربه
وأفضل قسم الله للمرء عقله　　وليس من الأشياء شيء يقاربه

الثالثة: قال بعض العلماء: لما أهبط آدم جاء جبريل بالدين والمروءة والعقل فقال: إن الله يخيرك في واحدة فاختار العقل، فقال جبريل: للدين والمروءة: اصعدا فقالا: إن الله أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان. وسيأتي في باب العلم: أن العقل والعلم رفيقان لا يفترقان.

الرابعة: نقل العلائي في تفسيره في سورة يوسف - عليه السّلام - عن ابن عباس أن الله تعالى خلق العقل على ألف جزء فقسمه بين العباد، تسعمائة وتسعة وتسعون للنبي ﷺ وواحد لجميع الخلق، ثم قسم ذلك الجزء على عشرة أقسام تسعة للأنبياء وواحد لجميع الخلق ثم قسم ذلك الجزء على عشرة أقسام تسعة للرجال وواحد للنساء، ثم نقل عن كعب الأحبار أن الله تعالى خلق العقل من نور ثم قسمه ألف جزء فأعطى آدم وذريته جزءًا واحدًا، وأعطى

محمد تسعمائة وتسعة وتسعين جزءًا فاختار بعقله الزهد في الدنيا.

الخامسة: اختلف العلماء في محله وصفته فقال الشافعي: هو نور في اللب يزيد وينقص، وقال أبو حنيفة وأحمد: وأكثر الأطباء أنه في الدماغ.

باب: فضل العلم وأهله والشام

قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، **وقيل في قوله تعالى**: يميتني أبا الجهل ثم يحييني أي بالعلم وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] وقال سهل بن عبد الله في قوله تعالى: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق الظالم: الجاهل والمقتصد: المتعلم والسابق: العالم. وقال ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**» وعنه ﷺ: «**إن لله مدينة تحت العرش من مسك أذفر على بابها ينادي كل يوم ألا من زار العلماء فقد زار الأنبياء ومن زار الأنبياء فقد زار الرب، ومن زار الرب فله الجنة**»، ذكره في الفردوس، وعنه ﷺ: «**قليل العلم خير من كثير العبادة**» وقال ﷺ: «**تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة؛ لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبيل أهل الجنة وهو الأنيس في الوحشة والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والمعين على الضراء، والسلاح على الأعداء والذين عند الإخلاء يرفع الله به أقوامًا فيجعلهم للخير قادة وأئمة يقتفي آثارهم ويقتدي بأفعالهم وينتهي إلى رأيهم ترغب الملائكة في خلقهم وتمسحهم بأجنحتهم يستغفر لهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه؛ لأن العلم حياة القلوب من الجهل ومصابيح الأبصار من الظلم يبلغ العبد من العلم منازل الأخيار والدرجات العلى في الدنيا والآخرة، والتفكر فيه يعدل الصيام ومدارسته تعدل القيام، به توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال والحرام، وهو إمام العمل وتابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء**»، ورأيت في تفسير الرازي في بعض نسخ الحدائق لابن الملقن أيضًا، وعن النبي ﷺ: «**كن عالمًا أو متعلمًا أو مستمعًا أو محبًا ولا تكن الخامس فتهلك**» وعن النبي ﷺ: «**حضور مجلس علم أفضل من ألف ركعة وعيادة ألف مريض وشهود ألف جنازة**»، قيل: يا رسول الله ومن قرأ القرآن؟ قال: «**وهل تنفع قراءة القرآن إلا بالعلم**» وقال النبي ﷺ: «**من اتكأ على يده عالم كتب الله له بكل خطوة عتق رقبة ومن قبل رأس عالم فله بكل شعرة حسنة**» وعن النبي ﷺ: «**لله كل يوم وليلة ألف رحمة تسعمائة وتسعة وتسعون رحمة للعلماء وطالبي العلم والرحمة الواحدة لسائر الناس**» وقال ﷺ: «**من جاء أجله وهو يطلب العلم لم يكن بينه وبين الأنبياء إلا درجة النبوة**» رواه الطبراني، وفي عيون المجالس سأل النبي ﷺ جبريل عن صاحب العلم فقال: هو سراج أمتك في الدنيا والآخرة، طوبى لمن عرفهم وأحبهم والويل لمن أنكر معرفتهم وأبغضهم، وفي كتاب الذريعة لابن العماد: تكفل الله تعالى برزق طالب العلم والعالم إذا خرج من الدنيا كالقنديل يخرج من بيت الظلم، وقال نجم الدين النسفي في

قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم :١]: أقسم الله بالعالم إذا مات. وقال النبي ﷺ: «**إن الملائكة لتضع أجنحتهم لطالب العلم رضاء بما يصنع**».

لطيفة: قال في عيون المجالس: العلم ثلاثة أحرف عين ولام وميم فالعين من العلوم واللام من اللطافة والميم من الملك، فالعين تجر صاحبها إلى عليين واللام تصيره لطيفًا والميم تصيره ملكًا على العباد ويعطى العالم ببركة العين العز والتمكين وببركة اللام اللطاقة، وببركة الميم المحبة والهداية والمهابة.

فائدة: قال ابن عباس: وخُير سليمان - عليه السلام - بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطاه الله تعالى المال والملك معه. وكان ابن عباس - رضي الله عنهما - يأخذ بركاب زيد بن حارثة، ويقول: هكذا أمرنا أن نعمل بعلمائنا فيأخذ زيد بيده فيقبلها ويقول: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل البيت.

لطيفة: قال عيسى ابن مريم - عليه السلام - مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت سرًا فحملت فظهر حملها فافتضحت، كذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله يوم القيامة.

حكاية: رأيت في روض الأفكار: أن رجلاً سافر سبعمائة فرسخ ليسأل عن سبع كلمات.

الأولى: ما أثقل من في السموات والأرض؟ قال: البهتان على البري.

الثانية: ما أوسع من الأرض؟ قال: الحق.

الثالثة: ما أغنى من البحر؟ قال: القلب الغني بالقناعة.

الرابعة: ما أبرد من الثلج؟ قال: طلب الحاجة من الصديق إذا لم يقضها.

الخامسة: ما أحر من النار؟ قال: الحسد.

السادسة: ما أقسى من البحر؟ قال: قلب الكافر.

السابعة: ما أذل من اليتيم؟ قال: النمام عند المقابلة.

فائدة: عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «**اللهم اغفر للمعلمين وبارك لهم في أبدانهم وأطل في أعمارهم**» وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «**إن الله وملائكته وأهل سماواته وأهل أرضه والحوت في البحر يصلون على الذين يعلمون الناس الخير**» وقال النبي ﷺ: «**أخبرني جبريل أن فضل المتعلم على سائر الناس كفضل أبي بكر وعمر على سائر أمتي، وكفضل جبريل على سائر الملائكة**»، وعن أنس عن النبي ﷺ: «**من أحب أن ينظر إلى عتقاء الله من النار فلينظر إلى متعلمين العلم فوالذي نفس محمد بيده ما من متعلم يختلف إلى باب عالم إلا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة، ويبني له بكل قدم مدينة في الجنة، ويمشي على الأرض والأرض تستغفر له**» وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «**اللهم ارحم خلفائي**»، قال: ومن خلفاؤك؟ قال: «**الذين يأتون من بعدي ويروون أحاديثي يعلمونها الناس**» وعن النبي ﷺ: «**من خاض يوم الجمعة في**

الحديث فكأنما أعتق سبعين ألف رقبة، وكأنما تصدق بألف دينار، وكأنما حج أربعين حجة، وهو في رضوانه وفي مغفرته وعفوه» وسئل رسول الله ﷺ لأي شيء كانت قصة يوسف أحسن القصص؟ قال: **«لأن المتكلم بها الله سبحانه وتعالى أحسن القائلين والمخبر عنه - أي يوسف - أحسن الناس وجهًا»**، قالت عائشة: هو أحسن أم أنت يا رسول الله؟ فقال: **«هو أحسن خَلْقًا وأنا أحسن خُلُقًا»**، فقالت: لم تخبر به الناس؟ فقال: **«أوحى إلي وإنك لعلى خلق عظيم»**.

لطيفة: قال رجل لابن سيرين: رأيت كأن الحمام يأكل الياسمين فقال الحمام: هو الموت، والياسمين هم العلماء، فمات في ذلك اليوم عشرون عالمًا. وقيل: إن شم الياسمين يقوي وينفع من الصداع البارد والنزلات الباردة وإذا دلك به الكلف قلعه. روى ابن ماجه عن النبي ﷺ: **«طلب العلم فريضة على كل مسلم وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب»**، وأرسل أبو حنيفة - رضي الله عنه - يسأل عن رؤيا كأنه يحفر قبر النبي ﷺ فقال ابن سيرين: يكون أعلم الناس في زمانه، وكان أبو حنيفة هو الرائي.

فائدة: قال الإمام الأعظم أبو حنيفة - رحمه الله تعالى -: رأيت رب العزة في المنام تسعًا وتسعين مرة، فقلت: إن رأيته تمام المائة لأسألنه عما ينجو به الخلائق يوم القيامة؟ فرأيته فجلست بين يديه، فقلت: أي رب عز سلطانك وعظم شانك سألتك بك إلا ما علمتني ما ينجو به الخلائق يوم القيامة منك، فقال: يا أبا حنيفة من كان قائلاً حين يأوي إلى فراشه وحين يقوم منه، سبحان الأبدي الأبد، سبحان الواحد الأحد، سبحان الفرد الصمد، سبحان رافع السماء بغير عمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد نجا. وتقدم في كتاب الصلاة على النبي ﷺ **«من قال حين يستيقظ: سبحانك لا إله إلا أنت اغفر لي انسلخ من ذنوبه كما تنسلخ الحية من جلدها»** رواه الإمام أحمد.

الثانية: تناظر ملكان في السماء فقال أحدهما: السماء خير من الأرض؛ لأن العرش فيها، وقال الآخر: الأرض خير منها؛ لأن الكعبة فيها فتحاكما إلى جبريل فقال: إن الله تعالى لم يخلق الكعبة للبقاء ولا العرش للاتكاء فقد كان الله تعالى ولا عرش ولا سماء ولا أرض ولا كعبة فجاء ميكائيل، فقال: أبشروا كتبت أسماءكم في جملة العلماء من أمة محمد ﷺ فسجد الملكان إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة ينادي مناد: ارفعوا رؤوسكما فقد قامت الساعة وقد كتب الله ثواب سجودكما لعلماء أمة محمد ﷺ فتقول الملائكة: ربنا ونحن نجعل ثواب طاعتنا لعلماء أمة محمد ﷺ فيقول الله تعالى: يا رضوان اقسم عبادة الملائكة على علماء أمة محمد ﷺ واقسم الجنة عليهم كذلك فيقول رضوان: يا محمد اجمع العلماء، فيقول: **«أمتي كلهم علماء»**، فيقول الله تعالى: صدق كل من شهد لي بالوحدانية فهو عالم ثم قرأ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨].

الثالثة: قال العلائي: حسد إخوة يوسف - عليه السلام - غلب على علمهم في الحال، ثم

إن العلم دعاهم إلى الصلاح في المآل قال تعالى: ﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ﴾ [يوسف :٩] ، أي تائبين لا تأتون بمعصية أبدًا. قال بعض العلماء: إن الله تعالى علم إبليس عدم السجود لما سبق من شقاوته ولولا ذلك لكان أول من سجد فالعلم نور يقذفه الله في قلب من أراد، فإن قيل: كيف قال إبراهيم لما قال له ربه: أسلم قال: أسلمت لرب العالمين ومحمد ﷺ لما قال له ربه: فاعلم أنه لا إله إلا الله ما قال: علمت؟

فالجواب: أنه أجاب عنه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة :٢٨٥] والإيمان هو العلم، وجواب الحق تعالى عنه أعظم من جواب إبراهيم عن نفسه، قال بعضهم في قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ [الأنعام :٩٩] ، فسالت أودية بقدرها، المراد بالماء: العلم وبالأودية القلوب.

الرابعة: فقهاء المدينة سبعة وهم: عروة بن الزبير والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وسعيد بن المسيب، والمسيَّب بفتح الياء على المشهور وكان ولده سعيد يكره فتحها، وهو صحابي روى سبعة أحاديث وهو من الذين بايعوا تحت الشجرة، وأما السائب بن يزيد فهو صحابي أيضًا روى خمسة أحاديث والرابع عبد الله بن عتبة بن مسعود والخامس: خارجة بن زيد بن ثابت الفرضي الصحابي روى زيد اثنين وسبعين حديثًا، وأما زيد بن حارثة وولده أسامة فتقدما في باب الدعاء، والسادس: سليمان بن يسار والسابع: قيل: سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وقيل: أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام والحارث وسلمة أبناء هشام أخوان وأخوهما عمرو بن هشام هو أبو جهل لعنه الله تعالى.

حكاية: قال عمر بن الخطاب لكعب الأحبار: أخبرنا عن الأخلاق كيف خلقها الله؟ قال: خلقها وقسمها، ثم قال للشقاء: أين تختار؟ قال: البادية. قال الصبر: وأنا معك، ثم قال للفقر: تختار؟ قال: الحجاز، قالت القناعة: وأنا معك، ثم قال للغنى: أين تختار؟ قال: مصر، قال الذل: وأنا معك، ثم قال للبخل: أين تختار؟ قال: المغرب فقال سوء الخلق: وأنا معك، ثم قال للعلم: أين تختار؟ قال: العراق، فقال العقل: وأنا معك، ولما قال للحسد: أين تختار؟ قال: الشام، قال الشر: وأنا معك.

لطيفة: حضر أبو حنيفة درس الإمام مالك ولم يعرفه فألقى الإمام مالك سؤالاً على أصحابه، فأجابه أبو حنيفة فقال: من أين الرجل؟ قال: من أهل العراق قال: من أهل بلد النفاق والشقاق فقال: تأذن لي أن أقول شيئًا من القرآن؟ قال: نعم فقرأ: ﴿وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ [التوبة :١٠١] ، فقال الإمام مالك: ما قال الله هكذا؟ فقال أبو حنيفة كيف قال الله؟ قال: ومن أهل المدينة؟ فقال: الحمد لله حكمت على نفسك ووثب من مجلسه فلما عرفه أكرمه.

قال الإمام الرازي: ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ [التوبة :١٠١] أي ثبتوا أو صبروا عليه ﴿سَنُعَذِّبُهُم

مَّرَّتَيْنِ﴾ [التوبة :١٠١] بالأمراض في الدنيا وبالنار في الآخرة، وقيل: العذاب الأول قوله ﷺ: «**يوم الجمعة على المنبر اخرج يا فلان فإنك منافق والعذاب الثاني عذاب القبر**».

مسألة: إذا أُسر عالم وجاهل ولم نقدر إلا على خلاص واحد خلصنا الجاهل؛ لأنا نخاف عليه الافتتان بخلاف العالم ولو دخل العالم والعاصي الحمام ولم يوجد إلا سترة واحدة فالعالم أحق بها؛ حتى لا ينظر العاصي عورة العالم، والعالم نظره مكفوف بعلمه.

فصل: في سكنى الشام

عن علي - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: «**من مات بالشام أعطي الأمان من ضغطة القبر والجواز على الصراط**» ذكر في تحفة الحبيب فيما زاد على الترغيب والترهيب، وعن عبد الله بن خولة قال: يا رسول الله اختر لي بلدة أكون فيها فلو أعلم أنك تبقى لما اخترت على قريتك شيئًا، قال: «**عليك بالشام**» فلما رأى كراهتي للشام، قال: «**أتدري ما يقول الله في الشام؟ إن الله يقول: يا شام أنت صفوتي من بلادي أدخل فيك خيرتي من عبادي، إن الله تعالى تكفل بالشام وأهله**»، وعن أبي قلابة عن النبي ﷺ: «**رأيت فيما يرى النائم كأن الملائكة حملوا عمود الكتاب فوضعته بالشام فأولته أن الفتن إذا وقعت كان الإيمان بالشام**»، وقال عمر - رضي الله عنه - لكعب الأحبار: ألا تتحول إلى مدينة النبي ﷺ فقال: إني أجد في كتاب الله المنزل الشام كنز الله في الأرض وبها كنزه من عباده، وقال النبي ﷺ: «**رأيت ليلة أسرى بي عمودًا أبيض كأنه لؤلؤة تحمله الملائكة فقلت: ما تحملون؟ قالوا: عمود الكتاب أمرنا أن نضعه بالشام**»، وعن النبي ﷺ «**إذا هلك الشام فلا خير في أمتي**»، وقال كعب الأحبار: تخرب الأرض قبل الشام بأربعين سنة. وفي حديث أبي الدرداء يقول النبي ﷺ: «**فسطاط المسلمين بأرض يقال لها: الغوطة فيها مدينة يقال لها: دمشق خير منازل المسلمين يومئذ**» قال الحاكم: صحيح الإسناد، وقوله: فُسطاط- بضم الفاء - أي مجتمع الناس.

فائدة: قال سفيان الثوري: صلاة في مسجد دمشق بثلاثين ألف صلاة. قال عمر بن مهاجر الأنصاري: صرف الوليد بن عبد الملك في عمارة الجامع أربعمائة صندوق في كل صندوق ثمانية وعشرين ألف دينار وكل مائة صندوق بألفي ألف وثمانمائة ألف دينار. وكان ابتداء عمارته في سنة ست وثمانين ومائة، وكمل في سنة ست وتسعين ومائة. وقال بعضهم: الذي بنى دمشق قيل: إنه نوح - عليه السلام - لما خرج من السفينة، وقيل: لما رجع ذو القرنين من المشرق، وقال وهب بن منبه: أول من عمر دمشق غلام لإبراهيم - عليه السلام - وهبه النمروذ له لما خرج سالمًا من النار.

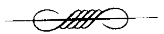
فوائد الأولى: قال الزهري - رضي الله عنه -: من صلى في مقام إبراهيم أربع ركعات خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ولم يسأل الله شيئًا إلا أعطاه.

الثانية: قال مكحول التابعي: سمعت كعب الأحبار يقول: مغارة الدم موضع الحاجات والمواهب من الله تعالى فإنه لا يرد سائلاً في ذلك الموضع، وقال ابن عباس: قال النبي ﷺ: **«يا ليتني بالغوطة بمدينة يقال لها: دمشق حتى آتى موضع الأنبياء حيث قتل أخاه ابن آدم فأسأل الله أن يهلك قومي فإنهم ظالمون»**. فأتاه جبريل وأمره بغار حراء.

الثالثة: قال بعضهم: رأيت في المنام كأني بمغارة الدم، فإذا النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وهابيل بن آدم فقلت: بحق الواحد الصمد وحق أبيك آدم وبحق محمد هذا دمك، فقال: إي وحق الواحد الصمد وحق أبي آدم وحق محمد هذا دمي سألت الله أن يجعله مستغاثًا لكل نبي وصديق مؤمن، فاستجاب الله لي، فقال النبي ﷺ: **«ذلك إكرامًا وإحسانًا وإني آتيه كل خميس وصاحباي وهابيل فنصلي فيه»**.

الرابعة: قال الزهري: لو يعلم الناس ما في مغارة الدم من الفضل لما هنئ لهم طعام ولا شراب إلا فيها.

الخامسة: سأل كعب الأحبار رجل عن بلده، قال: دمشق، فقال: أنت من الذين يعرفون في الجنة بالثياب الخضر. قال مؤلفه: خصوصية لأهل دمشق، بالثياب الخضر لقوله تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ﴾ [الإنسان:٢١]، ثم قال كعب الأحبار لرجل: من أين أنت قال: من الشام قال: لعلك من الذين يشفع شهيدهم في سبعين، قال: من هم؟ قال: أهل حمص، قال: لا، قال: لعلك من الذين يعرفون في الجنة بالثياب الخضر، قال: من هم؟ قال: أهل دمشق، قال: لا، قال: لعلك من الذين في ظل عرش الله يوم القيامة، قال: من هم؟ قال: أهل الأُردن - بضم الهمزة والدال وبنون مشددة - قال: لا قال: لعلك من الذين ينظر إليهم كل يوم مرتين قال: من هم؟ قال: أهل فلسطين قال: نعم.



باب: ذكر مناقب سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين إلى يوم الدين وهو حي سميع بصير في قبره صلوات الله وسلامه عليه

اعلم ملأ الله قلبي وقلبك من حبه وجعلني الله وإياك من خواص حزبه، إن هذا بحر لا ساحل له، وغيث مزن لا حد له، ولكني أذكر شيئًا من أنبائه لعلنا نحشر تحت لوائه ووفاء بالوعد السابق وذخيرة ليوم تأتي فيه كل نفس معها سائق قال في الشفاء، قال: علي - رضي الله عنه - سألت رسول الله ﷺ عن سنته فقال: «**المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنيسي، والثقة كنزي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر ردائي، والرضا غنيمتي، والفقر فخري، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حسبي، والجهاد خلقي، وقرة عيني في الصلاة، وثمرة فؤادي في ذكر ربي، وعملي لأجل أمني، وشوقي إلى ربي، قال الإمام النووي في الروضة: ومنع ابن خيرون الكلام في الخصائص. قال الإمام البلقيني - رضي الله عنه - في التدريب: إنما منع ابن خيرون الكلام فيها بالاجتهاد لا مطلقًا، ثم قال النووي: والصواب الجزم بجوازه بل باستحبابه، ولو قيل بوجوبه لم يكن بعيدًا.** وذكر الحناطي - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ أعطى قوة أربعين نبيًا وأراد علي أن يرفع النبي على ركبته ليعلو على ظهر الكعبة فعجز عن ذلك فرفعه النبي على ذراعه قال علي: لو شئت لعلوت السماء الثانية لقوته ﷺ وقال النسفي: خلق الله رأس محمد ﷺ من البركة وعينيه من الإخلاص وأذنيه من الغيرة ولسانه من الذكر وشفتيه من التسبيح ووجهه من الرضا وصدره من الإخلاص وقلبه من الرحمة وفؤاده من الشفقة - وتقدم الفرق بين الفؤاد والقلب في باب العلم - وكتفه من الكرم وشعره من نبات الجنة، وريقه من عسلها، ولحمه من مسكها، وعظمه من كافورها، وأسنانه من اليمن ورجليه من الأرض، وعضديه من القوة، فلما أكمله الله تعالى بهذه الصفة أرسله الله تعالى إلى هذه الأمة، وقال: هذه هديتي إليكم فاعرفوا قدره وعظموه.

فائدة: أوحى الله تعالى إلى موسى أن فاتحة الزبور محمد رسول الله خير من تظله السماء ونبي الرحمة وقائد الغر المحجلين، وإمام المتقين، ونور العباد، وربيع البلاد، معدن الخير وأنه مبعوث إلى الأمة المرحومة، وشفيع لم يكن له وسيلة، والرحمة تنزل في زمانه ودولته متوسدة عن فراقة من الدنيا وقبره روضة من رياض الجنة.

حكاية: قال ابن عباس: جلس ناس من أصحاب النبي ﷺ يتذاكرون فقال بعضهم: أعجبني أن الله تعالى اتخذ آدم صفيًا، وقال آخر: أعجبني أن الله اتخذ إبراهيم خليلاً، وقال آخر: أعجبني أن عيسى كلمة الله وروحه، فخرج النبي ﷺ فسمع كلامهم، فقال: «**آدم صفي الله وهو كذلك، وإبراهيم خليل الله وهو كذلك، وعيسى روح الله وهو كذلك ألا وأنا**

حبيب الله، ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق باب الجنة ولا فخر، فيفتح الله لي فيدخلها معي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين».

فائدة: رأيت في الإحياء عن النبي ﷺ أنه قال: «**اللهم توفني فقيرًا ولا تتوفني غنيًا واحشرني في زمرة المساكين ولا تحشرني في زمرة الأغنياء**» قال النبي ﷺ: «**يسبق الفقراء إلى الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام**»، وفي وراية «**بأربعين عامًا**»، وقال النبي ﷺ: «**خير هذه الأمة فقراؤها**» ورأيت في كتاب شرف المصطفى أوحى الله تعالى إلى موسى - عليه السلام -: يا موسى احمدني أن مننت عليك بالإيمان بأحمد فوعزتي وجلالي لو لم تقبل الإيمان بأحمد ما جاورتني في داري، ولا تنعمت في جنتي، يا موسى أحب لأحمد ما تحب لنفسك وأحبب لأمته ما تحب لنفسك أجعل لك ولأمتك في شفاعته نصيبًا، وذكر ابن الجوزي - رضي الله عنه - أن الله أوحى إلى محمد ﷺ: يا محمد كل أحد يطلب رضائي وأنا أطلب رضاءك. قال النسفي: قال موسى - عليه السلام -: يا رب أنا كليمك ومحمد حبيبك فما الفرق بين الكليم والحبيب؟ فقال: الكليم يعمل برضاء مولاه، والحبيب يعمل مولاه برضائه والكليم يحب الله والحبيب يحبه الله، والكليم يأتي إلى طور سيناء ثم يناجي والحبيب ينام على فراشه، فيأتي به جبريل إلى مكاني في طرفة عين لم يبلغه أحد من المخلوقين.

مسألة: فإن قيل: هذا فضله وشرفه وهو يقول: أنا أول من تنشق عنه الأرض فكيف يسبقه موسى إلى تحت العرش؟

فالجواب: أن موسى - عليه السلام - لما وعده ربه بالرؤية في الآخرة يقوم مسرعًا لأجل الرؤية، ومحمد ﷺ ما عنده حرقة الرؤية كحرقة موسى - عليه السلام -؛ لأنه رأى ربه عز وجل في الدنيا.

قال مؤلفه - رحمه الله -: وفي النفس من هذا الجواب شيء لشيئين.

الأول: أن منصب النبي ﷺ في المعرفة بالله تعالى أتم من منصب غيره وأكمل وبقدر المعرفة تكون المحبة وبقدر المحبة يعظم طلب اللقاء.

الثاني: من شاهد جمال الألوهية وكمال الربوبية يكون أعظم اشتياقًا ممن لم يره لا محالة. قيل: الشوق يبرد باللقاء والاشتياق يزداد به.

وجواب آخر: أن محمد ﷺ يقوم آمنًا من هول يوم القيامة متأهبًا للشفاعة لأمته، وموسى وغيره يقول: نفسي نفسي فليس التفات إلى غيره. قال القرطبي: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥]، قال ابن عباس: أعطاه الله ألف قصر في الجنة من لؤلؤ أبيض ترابه المسك. وفي صحيح مسلم - رضي الله عنه - أنه ﷺ: قرأ قوله تعالى حكاية

عن إبراهيم - عليه السلام - : ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إبراهيم :٣٦] الآية، وقرأ قوله تعالى حكاية عن عيسى - عليه السلام - : ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة :١١٨] الآية، فرفع يديه وقال : «**اللهم أمتي وبكى**»، فقال الله تعالى : يا جبريل اذهب إلى أحمد وقل له : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسيئك فيهم. قال النسفي : أمر النبي يهوديًّا أن يصنع له خاتمًا ويكتب عليه لا إله إلا الله ففعل. فلما جاء به وجد عليه محمد رسول الله فجاء جبريل وقال : إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك : أنت كتبت أحب الأسماء إليك وأنا كتبت أحب الأسماء إليّ.

حكاية : قال ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رجلاً من اليهود نظر في التوراة فوجد اسم محمد ﷺ في أربعة مواضع فكشط ثم نظر في اليوم الثاني فوجده في ثمانية مواضع فكشطها ثم نظر في اليوم الثالث فوجد اسم محمد في اثني عشر موضعًا، فسار من الشام إلى المدينة فوجد النبي ﷺ قد مات، فقال لعلي - رضي الله عنه - : أرني ثوب محمد ﷺ فأخرجه له فشمه وقام عند القبر الشريف وأسلم وقال : اللهم إن كنت قبلت إسلامي فاقبض روحي سريعًا فوقع ميتًا فغسله علي ودفنه بالبقيع - رحمه الله تعالى - . قال وهب بن منبه : كان في بني إسرائيل رجل عصى ربه مائتي عام فلما مات ألقته بنو إسرائيل على المزبلة فأوحى الله تعالى إلي أن غسله وكفنه وصلي عليه؛ لأنه نظر في التوراة اسم محمد فقبله ووضعه على عينيه وصلى عليه فغفرت له ذنوبه وزوجته سبعين حوراء.

حكاية : رأيت في الشفاء : أخذ ذئب شاة فأخذها الراعي منه، فقال الذئب : ألا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي؟ فقال الراعي : العجب من الذئب يتكلم بكلام الإنس، فقال الذئب : أنت أعجب ترعى غنمك وتركت نبيًّا لم يبعث الله قط أعظم منه عنده قدرًا، وقد فتحت له أبواب الجنان، وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه إلا هذا الشعب فتصير في جنوده، قال : من لي بغنمي يرعاها؟ فقال الذئب : أنا أرعاها حتى ترجع فسلم إليه غنمه ومضى، فلما رأى النبي ﷺ آمن به فقال له : «**عد إلى غنمك**» فرجع وذبح للذئب شاة قيل : إن هذا الراعي كان سلمة بن الأكوع - رضي الله عنه - وكان ذلك سبب إسلامه، وقالت أم سلمة - رضي الله عنها - : كان النبي ﷺ في صحراء فنادته ظبية : يا رسول الله فقال : «**ما حاجتك؟**» فقالت : صادني هذا الأعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع، فقال : «**أوتفعلين؟**»، قالت : نعم فأطلقها فذهبت ورجعت فانتبه الأعرابي، وقال : يا رسول الله ألك حاجة؟ قال : «**تطلق هذه الظبية**» فخرجت تعدو في الصحراء وتقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، ورأيت في غير الشفاء : أخبرت أولادها بخبرها، وأن النبي ﷺ ضمنها قالوا : لبنك علينا حرام حتى ترجعي إلى رسول الله ﷺ، وقال كعب الأحبار : وصف الله محمدًا ﷺ في التوراة فقال : محمد عبدي ورسولي، ليس بفظ ولا غليظ، أهب له كل خلق كريم وأجعل السكينة لباسه، والبر شعاره، والتقوى ضميره، والصدق طبيعته، والعفو

والمعروف خلقه، والعدل سيرته والحق شريعته والإسلام ملته، وأمته خير أمة أخرجت للناس.

حكاية: قال أبو جهل لعنه الله: يا محمد إن أخرجت لنا طاووسًا من صخرة في داري آمنت بك، فدعا ربه فصارت الصخرة تئن أنين المرأة الحامل، ثم انشقت عن طاووس، صدره من ذهب، ورأسه من زبرجد، وجناحه من ياقوت، ورجلاه من جوهر، فلما رآها أبو جهل - لعنه الله - أعرض عن الإيمان، وقال في بعض الأيام: يا محمد السموات أقوى أم الأرض؟ فقال: «**السماء**» فقال: ربك أقوى أم الصخرة؟ فقال: «**قدرة ربي**» قال: قل له: أن يخرج من الصخرة طيرًا في فمه كتاب يشهد لك حتى أصدقك فنزل جبريل وأمره أن يشير إلى الصخرة، فانشقت عن طير في فمه ورقة فيها: لا إله إلا الله محمد رسول الله أمة مذنبة ورب غفور، فقال: أنت أسحر من سحرة فرعون. قال: «**وأنت مقتول أشر من قتل فرعون**» فلما كان يوم بدر قال جبريل: بدر كبحر فرعون ولك أن فرعون وقومه هلكوا بالماء وصار محمد وقومه يمشون على الرمل فتغوص أرجلهم في الرمل فضعفت قوتهم وأصابتهم الجنابة والعطش فأرسل الله عليهم المطر، فاشتد الرمل تحت أقدامهم واغتسلوا من الجنابة وشربوا، ثم انحدر الماء إلى الأرض التي بها أبو جهل وقومه فصارت أرجلهم تغوص في الطين وأهلكهم الله، قال الله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١]، وذكر النيسابوري في سورة «**اقرأ**» لما نزلت سورة «**الرحمن**» قال النبي ﷺ: «**من يقرأها على رؤساء قريش؟**» فقال ابن مسعود: أنا يا رسول الله أقرأها عليهم، فلما قرأها عليهم ابن مسعود صكه أبو جهل - لعنه الله - فشق أذنه فاغتم النبي ﷺ، ثم نظر فوجد جبريل يضحك، فقال: «**ما يضحكك؟**» قال: ستعلم يوم بدر، فلما كان يوم بدر لم يحضر ابن مسعود إلا بعد فراغ القتال فقال: يا رسول الله فاتني فضل الجهاد فقال: التمس من به حياة فاقتله فلك أجر شهيد، فالتمس فوجد أبا جهل، فقال: أخبر صاحبك محمد أنه أبغض الخلق إلي في الحياة وفي الممات، فقطع رأسه ابن مسعود وأراد حمله فلم يستطع فشق أذنه وجره بخيط إلى رسول الله ﷺ وجبريل يضحك، فقال جبريل: يا رسول الله أذن بأذن والرأس زيادة فأخبر النبي بما قاله أبو جهل فقال النبي: «**فرعون أمتي أشد من فرعون موسى**»؛ لأنه قال: عند موته آمنت بما آمنت به بنو إسرائيل وهذا ازداد عتوًا عند موته وإنما لم يقدر ابن مسعود على حمل رأسه؛ لأنه كلب والكلب يقاد ولا يحمل، فإن قيل: كيف أكد الله طغيان أبي جهل لعنه الله بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ [العلق: ٦] أي يتجاوز الحد ويتكبر على ربه وكان إذا زاد ماله زاد في ثيابه وطعامه وما أكد طغيان فرعون بل قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: ٢٤]؟.

فالجواب: أن فرعون كان يؤذي موسى - عليه السلام - بلسانه فقط وأبا جهل - لعنه الله - كان يؤذي محمد ﷺ بلسانه وغيره.

وجواب آخر: أن فرعون صدر منه إلى موسى بعض إحسان حيث رباه صغيرًا وأبا جهل

لعنه الله من صغره إلى كبره في عداوة محمد ﷺ.

وجواب آخر: أن الحبيب كالعين والكليم كاليد والعاقل يخاف على عينيه أكثر من اليد بل يدفع عن عينيه بيده؛ فلهذا كانت المبالغة هنا في طغيان أبي جهل أكثر من طغيان فرعون، قاله النيسابوري في تفسيره.

عجيبة: ولا عجب من أمر الله تعالى رأيت في كتاب شرف المصطفى: أن تبعًا الأول خرج من بلاده لينظر في الدنيا بعسكر كثير ومعه جماعة من الحكماء فلما قدم مكة أعرض عنه أهلها، فغضب عليهم وعزم على هدم الكعبة وقتل الرجال وأخذ الأموال والنساء فخرج من أذنيه وأنفه ماء له ريح كريهة فسأل الحكماء عن ذلك، فقالوا: نحن نعالج أمراض الدنيا لا أمراض السماء، فلما كان الليل قال أحد الحكماء للوزير: إن أخبرني الملك بما نواه عالجته فأخبره بذلك فقال: ارجع عن هذه النية ففعل فانقطع الماء فآمن بالله في الحال وستر الكعبة وهو أول من كساها، ثم خرج يثرب فنزل على عينها فاجتمع رأى الحكماء على الإقامة بها، فبلغ الملك ذلك فسألهم عن هذه البرية فقالوا: سيكون في البقعة خير كثير يسكنها نبي آخر الزمان واسمه محمد مولده بمكة وهجرته إلى هنا فبنى بها أربعمائة دار وكتب كتابًا: يا محمد آمنت بك وبربك وأنا على دينك فإن أدركتك فذلك الذي أريد وإلا فاشفع لي يوم القيامة فإني من أمتك الأولين ودفع الكتاب إلى الحكيم الذي سأله عن نيته ورجع إلى الهند فلم يزل الكتاب إلى الحكيم وأولاده وأولاد أولاده منهم أبو أيوب الأنصاري، فلما هاجر النبي ﷺ ونزل في دار أبي أيوب دفع الكتاب إليه، فقال النبي ﷺ: مرحبًا بالأخ الصالح، ثم نظر في تاريخ الكتاب وقدوم النبي فوجد ألف عام، والله أعلم اهـ.

فائدتان:

الأولى: رفع الله عيسى - عليه السلام - إلى السماء ليلة القدر من بيت المقدس وكساه الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب، فصار إنسيًّا ملكيًّا وسماويًّا أرضيًّا فهو يطير مع الملائكة حول العرش.

الثانية: يكره أن يقال للمدينة: يثرب الآن لقوله ﷺ: **«من قال للمدينة يثرب فليستغفر الله هي طيبة»** رواه ابن عازب - رضي الله عنه -. قال في الوجوه المسفرة عن اتساع المغفرة: قال البرماوي في شرح البخاري: يكره أن يقال للمدينة المشرفة: يثرب؛ لأنه من التعيير والتوبيخ.

حكاية: لما فتح رسول الله ﷺ مكة أسند ظهره إلى جدار امرأة كافرة فسدت الطاقات وغلقت الأبواب حتى لا تسمع كلامه وصوته فنزل جبريل ونهاه عن الاستظلال بجدارها فإنك أبغض الخلق إليها، ثم سرح إلى السماء، ثم رجع، وقال: يا محمد ربك يقرئك السلام، ويقول: إن كانت المرأة كافرة فجاهك كبير؛ فلأجل وقوفك في ظل جدار الدار غفرت لها

الذنوب والأوزار وقد فتحت أبواب السماء وأبواب قلبها فبادرت المرأة في الحال بفتح الدار وقبلت قدم النبي ﷺ قاله في كتاب الحقائق، ورأيت في روض الأفكار، أن المرأة خرجت تسمع كلام النبي ﷺ فقال لها رجل: أتحبينه؟ قالت: نعم، قال: فبحقه ارفعي نقابك حتى أنظر إلى وجهك، ففعلت ثم أخبرت زوجها بذلك فأوقد تنورًا، ثم قال: فبحقه عليك ادخلي التنور فألقت نفسها فيه، ثم ذهب فأخبر النبي ﷺ فقال: ارجع واكشف عنها فرجع فرآها سالمة وقد جللها العرق، ورأيت في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ [المائدة:٥٤]، نزلت في اثني عشر رجلًا من أهل اليمن دخلوا مكة للحج، فدعاهم النبي ﷺ للإسلام، فقالوا: نريد علامة، فأخذ قضيبًا ووضعه على هبل بعد أن جردوه، من الديباج، وقال: «**يا هبل من أنا؟**» فقال بلسان فصيح: أنت رسول الله فسجدوا كلهم جميعًا وأعلنوا الشهادتين.

قال مؤلفه: هبل: صنم وهو الآن عتبة لباب السلام بمكة كنت كثيرًا أخلع نعلي عليه حين أدخل وأضعهما عليه إذا أردت الخروج وأردت لبسهما حين أخرج، ورأيت في قوله تعالى: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [محمد:١٥]، أي غير متغير ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥]، إن نهر الماء لموسى، ونهر اللبن لسليمان ونهر العسل لمحمد ﷺ فكما أن العسل فضل على سائل الحلوى كذلك لمحمد ﷺ الفضل على سائر الأنبياء، ومن معجزاته ﷺ انشقاق القمر فرقتين، فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، حتى رأى أهل مكة جبل حراء يلوح بينهما علمًا بين شعلتين، وقال: «**اشهدوا**» وهم حينئذ بمنى ودعا الله أن يرد الشمس على علي بن أبي طالب في خيبر بعدما غربت، ونبع الماء من بين أصابعه وحن إليه الجذع اليابس فجاء بخرق الأرض فالتزمه النبي ﷺ، ثم أمره فعاد إلى مكانه بعد أن قال له: «**إن شئت أن أردك إلى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمر، وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك**»، ثم أصغى له النبي ﷺ يسمع ما يقول فقال: بل تغرسني في الجنة يأكل منى أولياء الله تعالى وأكون في مكان لا أبلى فسمع من يليه كلامه، فقال النبي ﷺ: «**قد فعلت**»، ثم قال: «**اختار دار البقاء على دار الفناء**»، ومن معجزاته ﷺ أنه جيء له بصبي يوم ولد فقال له: «**من أنا؟**» فقال: أنت رسول الله، قال أنس - رضي الله عنه -: أخذ النبي ﷺ كفًّا من حصا فسبحن في يده وسبح الطعام بين يديه ونطق الجماد برسالته وكذا البهائم، قال جابر بن عبد الله لزوجته: عرفت في وجه النبي ﷺ الجوع فهل عندك من شيء؟ قالت: صاع شعير وعناق فذبحته، وكان لها ولدان فقال أحدهما للآخر: ألا أريك كيف ذبحت أمي الشاة؟ فذبحه وهرب فوقع في النار فاحترق فجعلتهما في بيت واشتغلت بطعامها، فجاء النبي ﷺ وأصحابه، وقال: «**أين أولادك حتى آكل معهم؟**» فذهب إلى زوجته فأخبرته بالخبر ففتح الباب فوجدهما بالحياة. وقال النبي ﷺ: «**أخبرني جبريل بما اتفق من أمرهما**» وقال علي- رضي الله عنه -: خرجنا مع رسول الله ﷺ بأرض مكة فما مر بشجرة

ولا جبل إلا قال: السلام عليك يا رسول الله.

حكاية: قال تميم الداري: جاء بعير حتى وقف على النبي ﷺ قال له: **«اسكت فإن تك صادقًا فعليك صدقك، وإن تك كاذبًا فعليك كذبك، مع أن الله تعالى قد أمن عائذنا»** قلنا: يا نبي الله ما يقول؟ قال: **«هم أهله بنحره فهرب منهم»**، فبينما نحن كذلك إذ أقبل صاحبه أو قال أصحابه، فقال النبي ﷺ: **«ما هذا آخر المملوك الصالح من مولاه»** قالوا: فإنا لا نبيعه ولا ننحره، فقال: **«كذبتم قد استغاث بكم فلم تغيثوه وأنا أولى بالرحمة منكم»**، فاشتراه بمائة درهم، وقال: **«انطلق أيها البعير فأنت حر لوجه الله تعالى»** فرغا الجمل فقال النبي ﷺ: **«آمين»**، ثم رغا فقال: **«آمين»**، ثم رغا فقال: **«آمين»**، ثم رغا فبكى النبي ﷺ، فقلنا: ما قال يا نبي الله؟ فقال: **«قال جزاك الله أيها النبي خيرًا عن الإسلام والقرآن فقلت آمين، ثم قال: حقن الله دماء أمتك كما حقنت دمي فقلت آمين، ثم قال: لا جعل الله بأس أمتك بينها فبكيت، فإن هذه الخصال سألت ربي فأعطانيها ومنعني هذه، وأخبرني جبريل بالسيف»**. جرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، وقال بعضهم في قوله ﷺ عن أحد: **«هذا جبل يحبنا ونحبه»** قال: لما دخل مكة وجد الأصنام على الكعبة فكل صنم نطق له برسالة، ومن معجزاته ﷺ عموم رسالته إلى كل مكلف حتى قيل: إلى الملائكة أيضًا، ونسخ جميع الشرائع بشريعته ونصره الله بالرعب مسيرة شهر. وورد أن أبا جهل اشترى جملاً من رجل وماطله فأخبر قريشًا بذلك فدلوه على محمد استهزاء، فجاءه وأخبره فجاء النبي ﷺ معه فطرق باب أبي جهل فخرج أبو جهل، فقال النبي ﷺ: **«أعط هذا الرجل حقه»**، فبادر وأعطاه فسئل عن ذلك فقال: رأيت على رأسه ثعبانًا لو امتنعت لالتقمني. وأباح الله له الغنائم، وجعل له الأرض مسجدًا وطهورًا وأعطاه المقام المحمود وهو الشفاعة العامة لأهل الموقف، كما سيأتي في فضل أمته ومن أراد الشرب من هذا المنهل العذب فعليه بالشفاء للقاضي عياض والشمائل للترمذي والخصائص لابن الملقن وغيره، وجميع ذلك ما يبلغ أجزاء من عشر ما تضمنه قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾[الضحى :٥] ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم :٤]، ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[الشرح :٤]، ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[النساء :١١٣] وما أحسن ما قاله صاحب البردة.

محمد سيد الكونين والثقلين ... والفريقين من عرب ومن عجم

فاق النبيين في خَلْق وفي خُلُق ... ولم يدانوه في علم ولا كرم

لطيفة: جاء يهودي إلى عمر -رضي الله عنه - وقال: صف لي أخلاق محمد ﷺ، فقال: بلال أعلم مني بذلك، فسأله فقال: فاطمة أعلم مني بذلك، فسألها فقالت: علي أعلم مني بذلك فسأله فقال: صف لي متاع الدنيا وهو قليل فلم يقدر فقال: كيف أصف لك أخلاقه العظيمة ﷺ؟ حكاه النيسابوري في تفسيره.

باب: مولد المصطفى وحبيب الله المجتبى سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين إلى يوم الدين وهو حي سميع بصير في قبره صلوات الله وسلامه عليه

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]، قال الإمام الرازي: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة:١٢٨] أي يشق عليه ما تكرهونه، وقيل: يشق عليه ضلالتكم. قال العلائي: كان عمر - رضي الله عنه - لا يثبت آية في المصحف حتى يشهد عليها رجلان، فجاء خزيمة بن ثابت الأنصاري بهذه الآية، فقال عمر: والله لا أسالك عليها بينة. قال القرطبي: عاش النبي ﷺ بعد هذه الآية خمسة وثلاثين يومًا، قال العلائي - رضي الله عنه -: جاء الشبلي إلى أبي بكر بن مجاهد فقام إليه وقبله بين عينيه فقيل له في ذلك فقال: رأيت النبي ﷺ في النوم فعل به ذلك فقلت: يا رسول الله أتفعل هذا بالشبلي؟ قال: نعم إنه يقول بعد صلاته: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة:١٢٨]، ثم يتبعها بالصلاة علي والحمد للذي دبر وحكم وأظهر الحكم وخط القلم بما جرى على الأمم في لوح علمه قديمًا، صور وخلق ورتق وفتق وأنعم ورزق وقسم رزقه بين خلقه تقسيمًا، كون الأكوان ودبر الزمان وعلم الإنسان ما لم يعلم، تعطف بلطفه عليه تعليم لا يقال: متى كان؟ ولا في أي مكان؟ سبق المكان والزمان وهو الآن على ما عليه قديمًا.

بين بديع عظمته في خلق العبد وتصوير نسمته ما زال في صنعه حكيمًا، حرك بنانه وأطلق لسانه وأسمعه ترجمانه وأنشقه نسيماء، ركبه من ماء وتراب ونار وهواء، فلزم كل ضده كما يلزم الغريم غريمه، ثم أعاده بعد عظيم قدره إلى ظلمات قبره، فصار عظمًا رميمًا، ثم إذا نفخ في الصور خرج من ظلمات القبور من كان فيها مقيمًا فمن كان لربه طائعًا ولأوامره تابعًا قربه وأعطاه نعيمًا ومن كان بالوحدانية كافرًا وعن باب الطاعة نافرًا بعده وأصلاه جحيمًا. فسبحان العظيم الذي لم يزل في ملكه قديمًا وفي سلطانه عظيمًا وبعباده رءوفًا رحيمًا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ضد له ولا ند له ولا شبيه ولا عديل له ولا صاحبة له ولا ولد له، ولا ناصر ولا مساعد ولا معارض له ولا معاند، شهادة أرجو بها نعيمًا مقيمًا وأشهد أن سيدنا ونبينًا محمدًا ﷺ عبده ورسوله وحبيبه وخليله وأمينه ودليله الذي خصه الله بالآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة وشفعه فيمن صلى عليه في الدار الآخرة وقال في حقه إجلالاً له وتكريمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، توجه بتاج الجمال وألبسه لباس الكمال زينه بأشرف الخصال، فإن سألت عن وجهه فكان صبيحًا منيرًا وإن سألت عن فضله فكان غزيرًا، وإن سألت عن شعره فكان ليلاً

بهيمًا وإن سألت عن طرفه فكان أدعج ضخيمًا، وإن سألت عن حاجبه فكان نونًا وإن سألت عن فمه فكان ميمًا، وإن سألت عن وجهه فكان بدر أتمم بالحسن تتميمًا وإن سألت عن صدره فكان سليمًا، وإن سألت عن قلبه فكان رحيمًا، وإن سألت عن خلقه فكان عظيمًا، وإن سألت عن كفه فكم أغنى عديمًا، وإن سألت عن قدمه فكم تقدم للطاعة تقديمًا، وإن سألت عن أصله فكان شريفًا كريمًا، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وسلم تسليمًا.

قال علي - رضي الله عنه -: لما أراد الله تقدير الخليقة وذرى البرية قبل دخول الأرض ورفع السماء وهو في انفراد ملكوته وتوحد جبروته لمع نور من نوره، ثم اجتمع ذلك النور في تلك الصورة الخفيفة، فوافق صورة محمد ﷺ فقال الله تعالى: أنت المختار المنتخب، عندك مستودع نوري وكنوز هدايتي، من أجلك أسطع البطحاء وأرفع السماء وأجعل الثواب والعقاب والجنة والنار، ثم أخفى الخليقة في غيبه وغيبها في مكنون علمه، ثم نصب العوامل، أي السماء والأرض والجبال والمياه والهواء والنار وبسط الزمان وقرن بتوحيده نور محمد ﷺ وعن علي - رضي الله عنه - قلت: يا رسول الله مم خلقت؟ قال: «**لما أوحى إلي ربي ما أوحى قلت: يا رب مم خلقتني؟ قال: يا محمد نظرت إلى صفاء بياض نوري الذي خلقته بقدرتي وأبدعته بحكمتي وأضفته تشريفًا إلى عظمتي فاستخرجت منه جزءًا فقسمته ثلاثة أقسام فخلقتك وأهل بيتك من القسم الأول وخلقت أزواجك وأصحابك من القسم الثاني، وخلقت من أحبك من القسم الثالث، فإذا كان يوم القيامة رددت النور إلى نوري وأدخلتك وأهل بيتك وأزواجك وأصحابك ومن أحبك جنتي برحمتي، فأخبرهم بذلك عني**»، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: لما أراد الله تعالى خلق المخلوقات وخفض الأرض ورفع السموات قبض قبضة من نوره، ثم قال لها: كوني حبيبي محمدًا فطاف نور محمد ﷺ بالعرش قبل آدم بخمسمائة عام وهو يقول: الحمد لله فقال تعالى: من أجل ذلك سميتك محمدًا، ثم خلق نور آدم - عليه السلام - من نور محمد وخلق جسد محمد من طينة آدم، ثم أسكن نور محمد في ظهر آدم - عليه السلام - فصارت الملائكة تقف صفوفًا صفوفًا ينظرون إلى النور، فقال آدم: يا رب ما لهؤلاء الملائكة يقفون خلفي؟ قال: ينظرون إلى نور محمد ﷺ قال: يا رب اجعله في مكان في جبهتي فنقل الله تعالى ذلك النور إلى جبهته فصارت الملائكة تقف أمامه، ثم قال آدم: يا رب اجعله في موضع أراه فجعله في أصبعه المسبحة فرفعها آدم، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله فهذا أصل التشهد لهذا سميت المسبحة؛ لأنه يشار بها إلى وحدانية الله تعالى ولأن عرقها متصل بالقلب، ثم قال آدم: يا رب هل بقى من هذا النور شيء؟ قال: نور أصحابه، قال: يا رب اجعله في بقية أصابعي فجعل الله نور أبي بكر في الوسطى ونور عمر في البنصر ونور عثمان في الخنصر ونور علي في الإبهام فلما هبط آدم - عليه السلام - إلى الأرض انتقلت الأنوار إلى ظهره أي كما كان أولاً في ظهره فلما قدر الله الاجتماع بين آدم وحواء على

عرفات أرسل الله إليه نهرًا من الجنة فاغتسل وغشى حواء فانتقلت الأنوار إليها، ثم لم يزل نور محمد ينتقل من صلب إلى صلب ومن بطن إلى بطن إلى أن انتقل إلى صلب إبراهيم - عليه السلام - فأخرجه الله من أفضل المعادن وأكرم المغارس شجرة مشرقة الضياء أصلها في الأرض نابت وفرعها في السماء ثابت، أصلها أصيل وفرعها طويل وغارسها الرب الجليل وخادمها الأمين جبريل وملقح ثمرها إسماعيل، ثم قصد تحول النعمة إلى شجرة المحبة فاستخرج منها حبة فأول ما غمستها في بحر الرحمة خرجت بمنشور ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء :١٠٧]، ثم غمسها في بحر الرضا فخرجت بخلعة ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى :٥]، ثم غمسها بحر الكرامة فخرجت بمنشور ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء :٨٠]، ثم غمسها في بحر القربة بمنشور ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم :٩]، ثم اختار لتلك الحبة أرضًا مقدسة لا مدنسة فأنبتت ﴿شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النور :٣٥]، أي لا يهودية ولا نصرانية فهي شجرة النور أصلها نور وفرعها نور على نور فكان صلب الخليل ناديها وظهر إسماعيل شاطئ واديها سقى بالخليل عودها واخضر بإسماعيل عمودها وتم بمحمد سؤددها فلما قوى أصلها وشب فرعها وثبت تشعبت شعوبًا وتضربت ضروبًا فالحق زهرتها والصدق ثمارها واليقين أغصانها والهدى قنواتها معلقة بالعرش من تمسك بها سلم، ومن تأخر عنها ندم، ثم انتقل النور من صلب عبد مناف إلى صلب إلى عبد المطلب فرأى في منامه كأن سلسلة خرجت من ظهره حتى لحقت بعنان السماء، ثم رجعت فصارت شجرة خضراء، ورأى شيخًا قد تعلق بها فقال عبد المطلب: من أنت؟ قال: نوح فأراد عبد المطلب أن يتعلق بها أو بغصن منها، فقيل له: ليس لك فيها نصيب فلما تزوج ولد له عبد العزى وهو أبو لهب، ثم أبو طالب واسمه عبد مناف، ثم العباس، ثم عبد الله، ثم حمزة فهو عم النبي ﷺ وأخوه من الرضاعة أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب، فعلمت أحبار الشام بعبد الله؛ لأن في كتبهم إذا قطرت حبة يحيى - عليه السلام - فقد ولد والد النبي ﷺ فلما كبر عبد الله قصدوا قتله فأرسل الله تعالى ملائكة فقتلوهم عن آخرهم، وكان وهب والد آمنة ينظر على رأس جبل إلى هذه الكرامة لعبد الله، فأخبر زوجته برة بنت عبد العزى أم آمنة بذلك وقال: هل لك أن تزوجي عبد الله بآمنة؟ قالت: نعم، فتوجه وهب وبرة إلى عبد المطلب واسمه شيبة الحمد فخطبا منه عبد الله لآمنة لما رأى وهب من كرامة والد النبي ﷺ فزوجه بها في رجب ليلة الجمعة فانتقل النور إليها، لكن قال الشيخ العارف ولي الله تقي الدين الحصيني: كانت آمنة في حجر عمها وهيب فمشى إليه عبد المطلب بابنه عبد الله فزوجه بها، ثم خطب عبد المطلب في المجلس هالة بنت وهيب فزوجه بها فتزوج عبد المطلب وابنه عبد الله في ليلة واحدة. قال في كتاب «**شرف المصطفى**»: هالة هي أم حمزة - رضي الله عنها - قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: لم يبق تلك الليلة دابة لقريش إلا نطقت وقالت: قد حمل بمحمد ورب الكعبة، فهو أمان الدنيا وسراج أهلها، وصاح إبليس - لعنه الله - على

جبل أبي قبيس فاجتمعت عليه الشياطين فقالوا: ما الذي أصابك؟ قال: قد استقر محمد في بطن آمنة يبعثه الله بالسيف القاطع فيغير الأديان ويكسر الصلبان. وقال في روضة الأفكار عن سهل - رضي الله عنه-: أراد الله تعالى خلق محمدﷺ في بطن أمه فأمر رضوان خازن أبواب الجنة أن يفتح تلك الليلة أبواب الفردوس، وأمر مناديًا ينادي في السموات والأرضين: ألا وإن النور المكنون والمخزون في هذه الليلة قد استقر في بطن آمنة، قالت آمنة: ما شعرت أنى حملت بولدي محمد؛ لأني ما وجدت له وحمًا ولا ثقلاً كما تجد الحوامل ولكني أنكرت انقطاع حيضي، ولقد رأيت وأنا حاملة به نورًا أضاء له المشرق والمغرب حتى رأيت قصور كسرى من أرض الشام، وفي الشهر الأول رأيت رجلاً طويلاً فقال: أبشري فقد حملت بسيد المرسلين، فقلت له: من أنت؟ فقال: أبوه آدم: وفي الشهر الثاني أتاني آت وقال: أبشري فقد حملت بسيد الأولين والآخرين، فقلت له: من أنت؟ فقال: شيث. وفي الشهر الثالث أتاني آت، وقال: أبشري فقد حملتي بالنبي الكريم، فقلت له: من أنت؟ قال: نوح، وفي الشهر الرابع أتاني آت وقال أبشري فقد حملت بالسيد الشريف والنبي العفيف، فقلت له من أنت؟ قال: إدريس. وفي الشهر الخامس أتاني آت وقال: أبشري فقد حملت بسيد البشر، فقلت له: من أنت؟ قال: إدريس وفي الشهر السادس أتاني آت وقال: أبشري فقد حملت بالنبي الهاشمي، فقلت له: من أنت؟ قال: إبراهيم، وفي الشهر السابع أتاني آت وقال: أبشري فقد حملت حبيب رب العالمين فقلت له: من أنت؟ قال: إسماعيل. وفيه انشق إيوان كسرى وسقط منه أربع عشرة شرفة، وفي الشهر الثامن أتاني آت وقال: أبشري فقد حملت بخاتم النبيين فقلت له: من أنت؟ فقال: موسى وفيه خمدت نار فارس. وفي الشهر التاسع أتاني آت وقال: أبشري فقد حملت بمحمد، فقلت: من أنت؟ قال: عيسى، وفيه سقط التاج عن رأس كسرى، وقيل: في الشهر الرابع مات أبوه عبد الله ودفن بالمدينة وهو ابن خمسة وعشرين سنة فلما مات عبد الله، قالت الملائكة: ربنا بقي نبيك يتيمًا، فقال الله تعالى: أنا وليه وحافظه.

قالت آمنة: فلما كانت ليلة الولادة أي وهي ليلة الإثنين مع طلوع الفجر، وقيل: ليلة الجمعة رأيت جماعة قد نزلوا من السماء معهم ثلاثة أعلام بيض فركزوا علمًا على ظهر الكعبة وعلمًا على سطح داري وعلمًا على بيت المقدس، ودنت مني النجوم حتى إني أقول: ليقعن علي، وامتلأت الأرض نورًا وفتحت أبواب السماء، ثم عكف على منزلي طيور كثيرة مناقيرها من الزمرد وأجنحتها من الياقوت، ورأيت الديباج قد بسط بين السماء والأرض، ورأيت رجالاً في الهواء بأيديهم أباريق الفضة بسلاسل الذهب وكنت عطشانة فشربت من أحدها، فبينما أنا أفكر في أمري وقد ضاق من الوحدة صدري، إذ دخل على جماعة من النساء لم أر أحسن منهن معهن آسية امرأة فرعون، وكانت هي القابلة لكن في الشفاء عن الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنهما - قالت: لما سقط ﷺ على يدي من بطن أمه واستهل سمعت قائلاً يقول: رحمك الله، وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب، وكلما اشتد بي الطلق رأيت طيرًا

عظيم الخلقة حسن الهيئة فمسح بجناحه على بطني فوضعت ولدي محمدًا مستقيمًا أي خرج بأقدامه الكريمة ولم يخرج منكوسًا إشارة إلى أنه ﷺ لم يزل قائمًا في حدود الله، ثم تكلم بكلام فصيح وقال: الله أكبر الله أكبر الله أكبر الحمد لله رب العالمين، قال عكرمة: قال ابن عباس عن أبيه العباس عن أبيه عبد المطلب: ولد محمد مختونًا مسرورًا، أي مقطوع السرة. وفي رواي: أن عبد المطلب ختنه يوم سابعه.

فائدة: ولد جماعة من الأنبياء مختونين منهم: آدم وشيث وإدريس ونوح ولوط ويوسف وموسى وشعيب وسليمان ويحيي وعيسى ومحمد ﷺ وعليهم أجمعين، وأول من اختتن من الرجال إبراهيم ومن النساء هاجر، كما سيأتي في فضل الأمة المرحومة، وسيأتي في مناقب الحسين حكم الختان والله أعلم. قالت آمنة: فلما وضعته وكأن وجهه القمر غيبه رجل عني الساعة وإذا به قد رده وقال: خذيه فقد طافوا به المشارق المغارب، والساعة كان عند أبيه آدم فقبله بين عينيه فقال: أبشر يا حبيبي، فإنك سيد ولدي من الأولين والآخرين، فمضى الرجل الذي غيبه وهو يقول: يا عز الدنيا ويا شرف الآخرة، من قال مقالتك وشهد بشهادتك يحشر يوم القيامة تحت لوائك، قال ابن عباس: إنه رضوان بواب الجنة وهو الذي ختم بين كتفيه بخاتم النبوة، قال عبد المطلب: كنت تلك الليلة أطوف بالكعبة فتمايلت الكعبة وخرت ساجدة تحوم نحو المقام فتساقطت الأصنام، وقالت: الله أكبر الله أكبر ولد محمد الأزهر الآن طهرني ربي من أنجاس المشركين، وسمعت قائلاً يقول: ألا وإن آمنة قد ولدت محمدًا وانسكبت عليها سحائب الرحمة، فأتيت منزل آمنة فرأيت سحابة قد أظلت حجرتها فجعلت أمسح عيني وأقول: أنا نائم أم يقظان؟ فناديت يا آمنة: افتحي الباب ففتحته فإذا المسك يفوح من حجرتها فقلت لها: ما الخبر؟ فقالت: ولد محمد قال: دعيني أنظر إليه قالت: إنه في البيت، فلما أردت الدخول إليه خرج رجل معه سيف وقال: مهلاً حتى تنقضي عنه زيارة الملائكة.

فصل: في نسبه ﷺ

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: ليس قبيلة من العرب إلا وله ﷺ فيها نسب، وعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**إن الله اختار خلقه فاختار منهم بني آدم فاختار منهم العرب، ثم اختار العرب فاختار منهم بني هاشم فاختارني منهم**» قال ابن عباس: إن قريشًا كانت نورًا بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام. وعن النبي ﷺ قال: «**إن الله تعالى لما خلق بني آدم جعلني في خيرهم بيتًا**»؛ فلذلك قرأ ابن عباس وفاطمة: «**لقد جاءكم رسول من أنفَسكم**» بفتح الفاء أي من أفضلكم وأشرفكم فهو محمد بن عبد الله واسم أم عبد الله فاطمة بنت عبد المطلب واسم أمه سلمى بنت هاشم واسم أمه عاتكة بنت عبد مناف واسم أمه أيضًا عاتكة بنت قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وتقدم في باب الحج أن جماعة سموا أبناءهم

باسمه طمعًا في أن يكون منهم محمد رسول الله، قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات: نقل القاضي أبو بكر بن العربي عن بعض الصوفية أن النبي ﷺ له ألف اسم. قال كعب الأحبار: اسم النبي عند أهل الجنة عبد الكريم وعند أهل النار عبد الجبار وعند حملة العرش عبد المجيد وعند سائر الملائكة عبد الحميد وعند الأنبياء عبد الوهاب وعند الشياطين عبد القهار وعند الجن عبد الرحيم وعبد الجبار وعبد الخالق وفي البر عبد القادر وفي البحر عبد المهيمن وعند الحيات عبد القدوس وعند الهوام عبد الغياث وعند الطيور عبد الغفار، وعند المؤمنين محمد وأحمد، قال في كتاب العقائق: في الليلة التي ولد فيها محمدًا انطفأت النيران إشارة لطفئها عن أمته، وفي الليلة التي ولد فيها عيسى اشتعلت النار إشارة لتوقدها على من اتخذه إلهًا من دون الله، وكان مولد النبي ﷺ بمكة بعد قدوم أصحاب الفيل بخمسين يومًا، قالت عائشة: رأيت قائد الفيل أعمى يسأل الناس.

فصل: في رضاعه ﷺ

قال ابن عباس: نادى منادي الرحمن معاشر الخلائق: هذا محمد بن عبد الله طوبى لثدى أرضعه طوبى لعبد كفله فقالت الطير: إلهنا نحن نحمله إلى أعشاشنا، ونطعمه من طيبات الأرض، وقال السحاب: ربنا نحن نحمله إلى مشارق الأرض ومغاربها ونربيه أحسن تربية، وقالت الملائكة: إلهنا نحن أحق بتربيته، فقال الله تعالى: قد أجريت ذلك على يد حليمة السعدية، قال في كتاب «**شرف المصطفى**»: كانت حليمة في ضيق من العيش وكانت تكثر من الحمد لله، فلما أراد الله لها بالسعادة قحط بلادها فكانت تأكل من نبات الأرض، ثم ولدت غلامًا ومضى عليها سبعة أيام لم تأكل إلا قليلاً فأضرها الجوع فرأت في منامها رجلاً أخذ بيدها إلى نهر أبيض من اللبن وأحلى من العسل، وقال: اشربي يا حليمة فشربت كثيرًا، ثم قال: تعرفيني؟ قالت: لا، قال: أنا الحمد الذي كنت تحمدين الله به في الشدة والرخاء يا حليمة انطلقي إلى مكة فإن لك فيها الرزق الواسع واكتمي شأنك قالت: فاستيقظت وأنا من أجمل النساء ولا أطيق أن أحمل ثدي من اللبن فتعجب النساء مني، ثم خرجنا يومًا نطلب النبات فسمعن قائلاً يقول: ألا وأن الله قد أخرج مولودًا بمكة طوبى لمن أرضعه، فلما سمعت النساء بذلك رجعن وأخبرن أزواجهن إلى مكة وكانوا عشرة وخرجت معهن على أتان ضعيف فبينما أنا في بعض الطريق إذ خرج رجل من شجرة ومعه حربة فوكز الأتان وهي الأنثى من الحمير وقال: أسرعي بمرضعة سيد المرسلين، فسبقنا القوم ودخلنا مكة فرآني عبد المطلب فسألته عن رضيع فقال: عندي غلام يتيم لم تبق امرأة إلا وعرض عليها؛ ولكن لعدم سعدها تأباه إذا قيل لها: توفى الله أباه، فقالت: رضيت بحاله وليس لي رغبة في غير وصاله فقال لها: ما اسمك؟ قالت: حليمة السعدية، فقال حلم وسعد فيهما عن الأبد، فأدخلني إلى منزل آمنة فرأيته نائمًا فوضعت يدي على صدره ففتح عينيه وتبسم فخرج منه نور لحق بعنان السماء

والعنان - بفتح العين - هو السحاب، فناولته ثديي الأيمن فشرب حتى روي، ثم ناولته الأيسر فامتنع وذلك من عدله وإنصافه؛ لأنه علم أنه له في اللبن شريكًا، فلما أخذناه من أمه قالت: أعيذه بالله ذي الجلال من شر ما مر على الجبال حتى أراه حامل الكلال. ويفعل الخير مع الموالي وغيرهم من حِشوة الرجال، حِشوة - بكسر الحاء المهملة - هم أسافل الناس. قالت حليمة: فخرجنا وخرجت أمه تودعه ولسان حالها ينشد ويقول:

كيف السبيل وقد شطت بنا الدار؟ أم كيف أصبر والأحباب قد ساروا؟
ومنزل الأنس أضحى بعد ساكنه مستوحشًا حين غابت عنه أقمار
ما كان أحسننا والدار تجمعنا والشمل متصل والعين مدرار
يا ساكنين بقلب أينما رحلوا وراحلين بقلبي أينما ساروا
غبتم فأظلمت الدنيا لغيبتكم وضاق من بعدكم رحب وأقطار
ليت الغراب الذي نادى بفرقتنا عار من الريش لا تحويه أوكار
بعد النعيم بعدنا عن منازلنا وبعد أحبابنا شطت بنا الدار

قالت حليمة: فلما وضعته بين يدي على الأتان استقبل بوجهه الكعبة وسجد ثلاث مرات، ثم مرت بنا الأتان كالجواد، فقالت النساء: يا حليمة أليس هذه أتانك إن لك لشأنًا عجيبًا؟ فقالت: الأتان أنتن في غفلة عني على ظهري راكب البراق. قالت حليمة: فبينما أنا في أثناء الطريق وإذا أنا بأربعين نصرانيًا يتذكرون محمدًا ومعهم سيوف مسمومة فلما نظر إليه كبيرهم قال: ويحكم دونكم هذا الغلام فاقتلوه فهو المطلوب، فقلت: وامحمداه ففتح عينيه ورمق بطرفه نحو السماء وإذا بنار نزلت من السماء فأحرقتهم عن آخرهم، فقال زوجي: إن لهذا المولود لشأنًا وسوف يعلو أمره فلما دخلنا وجئنا أخصب الوادي على كل حاضر وباد، وأدر الله لنا الضرع وأنبت لنا الزرع، وصار محمد ﷺ يكبر في اليوم كالشهر وفي الشهر كالسنة فلما بلغ عامين، وقيل: أكثر قدمت به حليمة على أمه آمنه زائرة فأخبرتها بما رأت من بركاته الظاهرة، فقالت لها: ارجعي به فإني أخاف عليه من وباء مكة. وفي السنة الثالثة ولد أبو بكر الصديق وفي الرابعة قال: يا أماه لا أرى إخوتي في الحي نهارًا، قلت: إنهم يرعون الأغنام التي رزقنا الله إياها ببركتك فقال: دعيني أخرج معهم إلى المرعى وأقسم علي، فلما كان من الغد تحزم وأخذ عصاه وسار معهم، وقيل في المعنى:

بأغنامه سار الحبيب إلى المرعى فيا حسنه راع فؤادي له ترعى
فما أحسن الأغنام وهو يسوقها لقد آنس الصحرا وقد أوحش الربعا
جميل على معنى محاسن وجهه كأن بدور التم قد طبعت طبعًا
أقول له مُذ سار في البر ماشيًا وأغنامه من حوله تطلب المرعى

عيونك يا راعي الحمى فتكت بنا فقوم بها قتلى وقوم بها صرعى
وحزت جمالًا حَيَّرَ الخلق وصفه وشرًا خفيًا نبت العشب والمرعى
فلولاك يا راعي الحمى ما تشوقت قلوب إلى وادي العقيق ولا الجرعى
حبيبي طبيبي أنت راع قلوبنا فلولاك يا مختار ما ذكر المسعى

قالت حليمة - رضي الله عنها -: وغاب عني رسول الله يومه ذلك فلما قرب المساء خرجنا لملاقاته على الطريق، فإذا به أقبل والأنوار تسبقه والأغنام تلوذ به وكان في الغنم شاة رماها أخوه حمزة فكسر ساقها فجعلت تلوذ به كالشاكية إليه فقبض بيده الكريمة على ساقها فكأن الوجع لم يقع، ثم قالت لولدها حمزة: كيف وجدت أخاك القرشي؟ قال: يا أماه ما مر بحجر ولا شجر ولا سهل ولا جبل ولا وحش ولا طير إلا ويقول: السلام عليك يا رسول الله، ولا يطأ موضعًا إلا ونبت العشب فيه، قال ابن أبي جمرة في شرح البخاري: حتى موضع دابته التي يركبها يخضر في الحال وإذا سقينا من بئر فار الماء إلى أعلاه، ولقد دخلنا إلى واد الوحوش فيه كثيرة، فإذا نحن بسبع عظيم قد جمع نفسه ليثب علينا فلما نظر إلى أخينا محمد ﷺ تقدم وخضع له ورمى نفسه على الأرض وتكلم بكلام فصيح وقال: السلام عليك يا محمد وتقدم إليه وكلمه في أذنه والأسد يعدو، فقالت: يا بني اكتم هذا عن أهلك، ثم عطفت الأغنام عليها تشخب لبنًا وهي العرائس وكان محمد ﷺ يخرج مع إخوته كعادته فما يرجعون إلا وقد رأوا له معجزات وآيات بينات، ثم في بعض الأيام جاء أخوه يشتد عدوًا، وقال: يا أماه قتل أخي القرشي، فخرج القوم وأنا في أولهم فوجدناه على صخرة يتبسم، فقلت: ما شأنك يا بني؟ قال: جاءني ثلاث نفر فشقوا صدري وأخرجوا منه حظ الشيطان وختموا بين كتفي بخاتم النبوة، قال العلائي: مكتوب في باطن الخاتم الله وحده لا شريك له وفي ظاهر توجه حيث شئت فإنك منصور وهو لحم مثل البندقة، وفي صحيح البخاري: كبيضة الحمامة وفي جامع الترمذي كالتفاحة، وقالت عائشة: كالبيضة الصغيرة فلما مات ﷺ التمسته فلم أجده.

فائدة: قال السبكي: خلق الله في قلوب البشر علقة لما يلقيه الشيطان فأزيلت من قلب النبي ﷺ قالت حليمة: فاحتملناه وقدمنا به إلى أمه في السنة الخامسة، فقالت: ما أقدمك به وقد كنت حريصة على مكثه عندك؟ فقالت: أديت خدمته وكتمت قصته فقالت: أتخوفت عليه الشيطان؟ قالت: نعم قالت: كلا، والله ما للشيطان عليه سبيل، دعيه عنك وانطلقي راشدة فخرجت حليمة ولسان حالها، يقول:

دعوني على الأحباب أبكي وأندب ففي القلب من نار الفراق تلهب
ولا تعتبوني إن جرت أدمعي دمًا فليس لصلب فارق الألف معتب
لقد جرح التفريق قلبي بنبله فمن دمها دمعي على الخد يسكب
أأحبابنا ما باختيار فراقكم ولكن قضاء الله ما فيه مهرب

وما كان ظني الدهر يفرق بيننا ... وسرعة هذا البين ما كنت أحسب
أجول بطرفي بعدكم في دياركم ... فأرجع والنيران في القلب تلهب

ثم جاءت حليمة بعد النبوة فأكرمها، ثم جاءت في خلافة أبى بكر وخلافة عمر فأكرماها. قاله في الشفاء، وفى السنة السادسة من عمره ماتت أمه آمنة بين مكة والمدينة ودفنت بمكة، وفى ثمان سنين مات جده عبد المطلب وفى اثنتي عشرة سنة رآه بحيرة الراهب، لما خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام، وفي خمس وعشرين خرج في تجارة خديجة إلى الشام وتزوج بها، وسيأتي في مناقبه، وفي الأربعين أرسله الله للعالمين رحمة وأطلع في أفق السعادة نجمه وشرح بالرسالة صدره ورفع في الشهادتين ذكره ورفعه إلى المحل الأسنى ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم:٩]، وكان ﷺ عظيم الهامة معتدل القامة طيب الريح والشم، نظيف البدن والجسم، أطيب ريحًا من العنبر وأزكى رائحة من المسك الأزفر، يرى الشياطين والملائكة يرى في النور كما يرى في الظلمة الحالكة، جوامع يرى كلمه مأثورة وبدائع حكمه منثورة، عيون معانيه منسجمة ودرر ألفاظه منتظمة، أنزل الله القرآن بلسانه تعظيمًا لأمره وشأنه، يصل من قطعه ويعطي من منعه ويبذل لمن حرمه ويعفو عمن ظلمه، لا ينتقم مع القدرة ويصبر على ما يكره، أوضح الله له الطريق وأظهره على الحقائق وأودعه الأسرار المكتومة، وأطلعه على الغرائب المخزونة وأشهده عجائب سلطانه وملكوته وأفرده بالنظر إلى عظمة كبريائه وجبروته، وشمله بألطافه الخفيفة، وأدناه دنوًّا تنقطع عنه الكيفية، وحديث ناقته العضباء وكلامها له المشهور ومبادرة العشب إليها وتجنب الوحش عنها في الكتب مسطور، على أنها بعد وفاته ماتت ولم تأكل ولم تشرب حتى ماتت وأظلته حمى مكة يوم فتحها وأزلفت إليه البدن في بعض الأعياد لذبحها، وأنبت الله له شجرة ليلة الغار ونسج العنكبوت له سترًا من الكفار، وبرك البعير بين يديه ومن الذبح استجار، استجارت الظبية من صيدها وسألته إطلاقها لتذهب إلى أولادها فضمن إلى الصياد عودها فأطلقها فرضعتهم وأوفت وعدها فلما عادت إلى الصياد أوثقها، ثم من عليها بإذنه فأعتقها وانكسرت يوم الخندق ساق ابن الحكم فتفل عليها فكأنه لم يكن به ألم، واشتكى على فضربه برجله فلم يعد إليه الوجع من أجله، وركب فرسًا لأبي طلحة غير لاحق فصار ببركته لا تلحقه السوابق، وقطع أبو جهل يد بعض أصحابه فبصق عليها وألصقها فشفى مما به، ومن معجزاته ﷺ ما جاء به القرآن المجيد المنزل عليه من حكم حميد الذي عقل تأليفه العقول، وفاق بالتئام كلمه كل معقول، وأخرس بفصاحته بلاغة العرب وبسيفه إعجازه وإيجازه لأعناقهم ضرب، وجمع الله له المعارف الوافرة وأطلعه على مصالح الدنيا والآخرة، فهذه نبذة من معجزاته الواضحة ولمحة من أنواره اللائحة، وقطعة من سحائب كرامته الغادية والرائحة، فعليه من الله أزكى الصلوات وأطيب السلام وأتم التحيات وعلى آله وأصحابه من الأنصار والمهاجرين إلى يوم الورود عليه في الدار الآخرة.

باب: فضل الصلاة والتسليم على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] الآية، قال في شرح المهذب: يستحب عند قراءة الآية أن يقول: ﷺ تسليمًا، قال في الروضة: إذا قال الخطيب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] الآية فللسامعين أن يرفعوا أصواتهم بالصلاة على محمد، قال في روض الأفكار: رأيت رجلاً باليمن أعمى أبرص أخرس مقعدًا فسألت عنه، فقيل: إنه كان حسن الصوت بالقرآن فقرأ يومًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] الآية فأصابه ذلك، قال ابن عباس: لا تجوز الصلاة على غير النبي ﷺ، وقال سفيان الثوري: يكره أن يصلي على غير النبي، وقال مالك: أكره الصلاة على غير الأنبياء، وقال الحسن البصري: من أراد أن يشرب بالكأس الأوفى من حوض المصطفى فليقل: اللهم صل على محمد وآله وأصحابه وأولاده وأزواجه وذريته وأهل بيته وأصهاره وأنصاره وأشياعه ومحبيه وأمته وعلينا معهم أجمعين يا أرحم الراحمين، وقال النبي ﷺ: «**معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط، والولاية لآل محمد أمان من العذاب**».

فائدة: رأيت في الروضة وشرح المهذب أن آله ﷺ بنو هاشم والمطلب، ثم قال في شرح المهذب: وقيل: آله أهل دينه وأتباعه إلى يوم القيامة، قال الأزهري: هذا أقرب إلى الصواب، وقيل: عترته المنسوبون إليه، وقال القرطبي عن ابن عباس: هم أزواجه فقط، وقال في الشفاء: سئل النبي عن آل محمد فقال: «**كل تقي**» اهـ.

مسألتان:

الأولى: فإذا قيل: ربنا أمرنا بالصلاة على محمد ونحن نقول: اللهم صل عليه فما أتيناه بالمأمور به فكيف نقول؟

فالجواب: رأيت في تنبيه الغافلين يقول: اللهم إني أشهدك وأشهد حملة عرشك أني أصلي على محمد، وقال بعضهم: يقول: اللهم صليت على محمد، كما صليت أنت وملائكتك على محمد، ورأيت في عيون المجالس: أنه ﷺ طاهر من الدنس ومولانا طاهر فسألنا الطاهر أن نصلي على الطاهر؛ لأنا ملطخون بنجاسة الذنوب فتكون الصلاة من رب طاهر، قال مؤلفه: وعندي إذا قال العبد: اللهم صل على محمد فقد أتى بالمأمور؛ لأن الصلاة من الآدميين تضرع ودعاء وهو المقصود من الأمر بالصلاة عليه، والصلاة من الله زيادة له ﷺ لا محالة ولكن الزيادة في علو درجاته ﷺ ممكنة والتوجه إلى غفران الذنوب مطلوب بأي وجه، ولا شك أن سؤالنا مولانا علو الدرجات والزيادة فيها لنبينا محمد من أعظم الوجوه المحصلة لمغفرة ذنوبنا إن شاء الله تعالى. وقوله ﷺ لأصحابه: «**قولوا: اللهم صل على محمد**» يقوي ما

تقدم من الإتيان بالمأمور والله أعلم.

الثانية: ما الحكمة في تأكيد السلام عليه بالمصدر في الآية الشريفة دون الصلاة؟ قال الفاكهاني: لأن الصلاة تأكدت من الله وملائكته أولاً، وقال غيره: لما قدمت الصلاة حصل لها بالتقدم مزية فحسن التأكيد للسلام بالمصدر، وإنما أضيفت الصلاة إلى الله تعالى وملائكته دون السلام؛ لأنه من التسليم والانقياد ولا يصح ذلك من الله ولا ملائكته.

فائدة: في القول البديع في الصلاة على الشفيع، قال ابن عباس معنى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب :٥٦] أي يباركون على النبي، وقيل: إن الله يترحم على النبي وملائكته يدعون له، وقيل: الصلاة من الله للنبي تشريف وزيادة كرامة ولغير النبي رحمة.

فائدة: رأيت في القول البديع عن علي عن النبي ﷺ قال: «**من حج حجة الإسلام وغزا بعدها غزوة كتبت غزوته بأربعمائة حجة**» فانكسرت قلوب قوم لا يقدرون على الجهاد، فأوحى الله إليه ما صلى عليك أحد إلا كتبت صلاته بأربعمائة غزوة كل غزوة بأربعمائة حجة، وقال علي: خلق الله الجنة شجرة ثمرها أكبر من التفاح وأصغر من الرمان وألين من الزبد وأحلى من العسل وأطيب من المسك، أغصانها من اللؤلؤ الرطب وجذوعها من الذهب، وورقها من الزبرجد لا يأكل منها إلا من أكثر من الصلاة على محمد ﷺ، ورأيت في تحفة الحبيب فيما زاد على الترغيب والترهيب عن جابر بن عبد الله قال: جاءوا برجل إلى النبي فشهدوا عليه بسرقة جمل فأمر بقطع يده فولى الرجل وهو يقول: اللهم صل على محمد حتى لا يبقى من صلاتك شيء فتكلم جمل وقال: يا محمد إنه بريء من سرقتي فقال النبي: «**من يأتيني بالرجل؟**» فجاءوا به فقال: «**يا هذا ما قلت آنفًا؟**» فأخبره فقال: لذلك نزلت الملائكة يخترقون سكك المدينة حتى كادوا يحولون بيني وبينك، ثم قال: «**لتردن على الصراط ووجهك أضوأ من القمر ليلة البدر**» وعن النبي ﷺ قال: «**إذا طنت أذن أحدكم فليذكرني وليصلي علي**» وفي رواية: «**وليقل: ذكر الله من ذكرني بخير**».

حكاية: في كتاب مفيد العلوم ومبيد الهموم لأبي حامد القزويني: أن رجلاً سافر بولد فمات الأب في الطريق فتحول رأسه رأس خنزير فبكى ولده وتضرع إلى الله فأخذه النوم، فقال له قائل في نومه: كان أبوك يأكل الربا وقد شفع فيه محمد؛ لأنه ما سمع بذكره إلا صلى عليه وقد رددنا صورته الأولى. قال ﷺ: «**العدل ميزان الله في الأرض فمن أخذه ساقه إلى الجنة ومن تركه ساقه إلى النار**».

لطيفة: محمد أربعة أحرف الميم الأولى ميم المنة، كأن الله تعالى يقول: أمن على أمتك بعتقهم من النار، والحاء من المحبة، أجعل محبتي في قلوب أمتك، والميم الثانية ميم المغفرة أغفر لأمتك، والدال دوام لا ينزع منهم دين الإسلام.

فائدة: عن ابن عباس عن النبي ﷺ«**من عطس فقال: الحمد لله على كل حال ما كان على**

حال وصلي الله على سيدنا محمد وعلي أهل بيته أخرج الله من منخره الأيسر طير أكبر من الذباب وأصغر من الجراد يرفرف حول العرش ويقول: اللهم اغفر لقائلي»، وقال النبي ﷺ: «يا عمار إن لله ملكا أعطاه الله أسماع الخلائق كلها وهو قائم على قبري إذا مت إلى يوم القيامة فليس أحد من أمتي يصلي علي صلاة إلا سماه لي باسمه واسم أبيه، وقال: يا محمد صلى عليك فلان ابن فلان كذا فيصلي الرب تبارك وتعالى على ذلك الرجل بكل واحدة عشر» رواه الطبراني في معجمه الكبير، وعن أنس عن النبي ﷺ: «من صلى علي يوم الجمعة صلاة واحدة صلى الله عليه وملائكته ألف ألف صلاة، وكتب له ألف ألف حسنة وحط عنه ألف ألف خطيئة ورفع له ألف ألف درجة» ذكره في روض الأفكار. وعن جماعة من الصحابة، قالوا: بينما النبي ﷺ في المسجد إذ دخل أعرابي فقال: السلام عليك يا أهل العز الشامخ والكرم الباذخ فأجلسه النبي ﷺ بينه وبين أبي بكر الصديق فقال أبو بكر: يا رسول الله تجلسه بيني وبينك ولا أعلم على وجه الأرض أحب إلي منك؟ قال: «أخبرني جبريل أنه يصلي علي صلاة لم يصلها علي أحد قبله»، قال: كيف يقول؟ قال: «يقول: اللهم صل على محمد وعلي آل محمد في الأولين والآخرين وفي الملأ الأعلى إلى يوم الدين» فقال أبو بكر الصديق: أخبرني عن ثواب هذه الصلاة قال: «لو كانت البحار مدادًا والأشجار أقلامًا والملائكة كتابًا لفني المداد وانكسرت الأقلام، ولم تبلغ ثواب هذه الصلاة» وذكره ابن الملقن أيضًا في الحقائق إلى أنه قال: اللهم صل على محمد عدد من يصلي عليه، وصل على محمد عدد من لم يصل عليه، وصل على محمد كما تجب الصلاة عليه وصل على محمد المختار وصل على محمد الذي من نوره الأنوار، أشرق بشعاع وجهه الأقطار، وصل على محمد وعلي أهل بيته الأبرار، وقال النبي ﷺ «من صل علي صلت عليه ملائكة الله ومن صلت عليه الملائكة صلى عليه الله ومن صلى الله عليه لم يبقى شيء في السموات السبع والأرضين السبع والبحار والأشجار والنبات والطيور والسباع والأنعام إلا صلى عليه» وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «ما من عبد صلى على محمد مرة واحدة إلا بعث الله ملكًا يبلغ تلك الصلاة أسرع من طرفة عين، ويقول له: إن فلان ابن فلان صلى على محمد مرة واحدة فيقول الله تعالى: بلغه عني عشرًا وقل له: لو كانت لك واحدة من هذه العشر لدخلت الجنة معي كالسبابة والوسطى، ثم يصعد الملك حتى ينتهي إلى العرش، فيقول: إن فلان ابن فلان صلى على محمد مرة واحدة فيقول: الله تعالى: بلغه عني عشرًا وقل له: لو كانت لك واحدة من هذه العشر لما مستك النار أبدًا، ثم يقول: عظموا صلاة عبد على نبي واجعلوها في عليين، ثم يخلق الله من كل صلاة بكل حرف ملكًا له ثلاثمائة وستون رأسًا في كل رأس ثلاثمائة وستون وجهًا، في كل وجه ثلاثمائة وستون فمًا، في كل فم ثلاثمائة وستون لسانًا يسبح الله تعالى ويكتب ثواب ذلك لمن صلى على محمد ﷺ. وقال النبي ﷺ: «إذا سألتم الله حاجة فابدأوا بالصلاة علي، فإن الله تعالى أكرم من يسأل حاجتين فيقضي إحداهما ويرد الأخرى» وعن البراء بن عازب قال: قال النبي ﷺ: «كل دعاء محجوب عن السماء حتى يصلّ على محمد»

وعن العباس بن عبد المطلب قال: أحدقت النظر بالنبي ﷺ فقال: **«يا عم هل من حاجة؟»** قال: نعم، لما أرضعتك حليمة وأنت ابن أربعين يومًا رأيتك تخاطب القمر ويخاطبك بلغة لم أفهمها، قال: **«يا عم قرصني القماط في جانبي الأيمن فأردت أن أبكي فقال لي القمر: لا تبك فلو قطر من دموعك قطرة على الأرض قلب الله الخضراء على الغبراء»** فصعق العباس، فقال: **«أزيدك يا عم؟»** قال: نعم، قال: **«قرصني القماط في جانبي الأيسر فأردت أن أبكي فقال لي القمر: لا تبك يا حبيب الله فإن وقع من دموعك قطرة على الأرض لم تنشق الأرض عن خضراء إلى يوم القيامة فسكت شفقة على أمتي»** فصعق العباس وقال: أكنت تعلم ذلك وأنت ابن أربعين يومًا؟ فقال: **«يا عم والذي نفسي بيده لقد كنت أسمع صرير القلم على اللوح المحفوظ وأنا في ظلمة الأحشاء أفأزيدك يا عم؟»** قال: نعم، قال: **«والذي نفسي بيده إن الله يبعث مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي ما فيهم نبي علم أنه نبي حتى بلغ رشده وهو أربعين سنة إلا عيسى فإنه لما نزل من جوف أمه قال: إني عبد الله أتاني الكتاب، وابن أخيك، أفأزيدك يا عم؟»** قال: نعم، قال: **«لما ولدت ليلة الإثنين خلق الله سبع جبال في السموات السبع وملأها من الملائكة ما لا يحصيهم إلا الله تعالى يسبحون الله ويقدسونه إلى يوم القيامة، ويجعل ثواب تسبيحهم وتقديسهم لعبد ذكرت بين يديه فصلى علي»** فأزعج أعضاء العباس بالصلاة على النبي ذكره في شوارد الملح وهو موضوع. قال النبي ﷺ: **«من صل صلاة وجهر بها شهد له كل حجر ومدر ورطب ويابس»** وقال النبي ﷺ: **«إن الله وكل بقبري ملكين فلا أذكر عند عبد فلا يصلي علي إلا قال الملكان: لا غفر الله لك ويقول الله وملائكته: آمين، ولا أذكر عند عبد فيصلي علي إلا قال الملكان: غفر الله لك ويقول الله وملائكة: آمين»**.

وعن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: **«ألا أخبركم بأبخل الناس!»** قالوا: بلى يا رسول الله. قال: **«من ذكرت عنده فلم يصل علي فذلك أبخل الناس»** ورأيت في الشفاء عن النبي ﷺ: **«إن البخيل كل البخل من ذكرت عنده فلم يصلي علي»**. وقال النبي ﷺ: **«لا يجلس قوم مجلسًا لا يصلون فيه على محمد إلا كان عليهم حسرة، وإن دخلوا الجنة لم يروا من الثواب كمن صلى عليّ»**. وقال النبي ﷺ: **«من ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ فقد أخطأ طريق الجنة»**. قال في الرسالة القشيرية: أوحى الله تعالى إلى موسى: إني جعلت فيك عشرة آلاف سمع حتى سمعت كلامي وعشرة آلاف لسان حتى أجبتني وأحب ما تكون إليّ إذا أكثرت من الصلاة على محمد ﷺ.

وفي غيرها أوحى الله تعالى إلى موسى: أتريد أن أكون أقرب إليك من كلامك إلى لسانك ومن روحك إلى بدنك ومن نور بصرك إلى عينيك وأن لا ينالك عطش يوم القيامة؟ قال: فأكثر من الصلاة على محمد. ورأيت في الملاذ والاعتصام بالصلاة على محمد والسلام: أن موسى - عليه السلام - ضرب بعصاه البحر عشر مرات فلم ينفلق البحر فأوحى الله: يا موسي صل على محمد فصلى على محمد وضربه فانفلق بإذن الله، ورأيت في تفسير القرطبي في

سورة الأحزاب أن النبي ﷺ قال: **«ما منكم من أحد يسلم علي إذا أنا مت إلا جاءني سلامه مع جبريل فيقول: يا محمد هذا فلان ابن فلان يقرأ عليك السلام، فأقول: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته»** وقال في سورة الرعد قال عثمان: يا رسول الله كم من ملك موكل مع العبد؟ قال: **«ملك عن يمينك وملك بين يديك وملك خلفك وملك على ناصيتك فإذا تواضع رفعه الله، وإذا تكبر وضعه وإذا تجبر على الله قصمه، وملكان على شفتيك لا يحفظان عليك إلا الصلاة على محمد، وملك على فمك لا يدع الحية تدخل في قلبك، وملكان على عينيك فهؤلاء عشرة أملاك مع كل آدمي»** وتقدم في باب الزهد زيادة قال جبريل: **«يا محمد إن الله تعالى لما خلقني مكثت عشرة آلاف سنة لا أدري ما اسمي، ثم ناداني: يا جبريل فعرفت اسمي جبريل، فقلت: لبيك اللهم لبيك فقال: قدسني! فقدسته عشرة آلاف سنة، ثم قال: مجدني فمجدته عشرة آلاف سنة، ثم قال: احمدني فحمدته عشرة آلاف سنة، ثم كشف لي عن ساق العرش فرأيت سطرًا مكتوبًا ففهمني إياه، فإذا هو لا إله إلا الله محمد رسول الله فقلت: يا رب من محمد رسول الله؟ فقال: يا جبريل لولا محمد ما خلقتك بل لولاه ما خلقت جنة ولا نارًا ولا شمسًا ولا قمرًا، يا جبريل صل على محمد فصليت عليك عشرة آلاف سنة»**.

حكاية: قال بعض الصالحين: خرجت أيام الربيع فقلت: اللهم صلّ على محمد عدد أوراق الأشجار وصلّ على محمد عدد الأزهار والثمار وصلّ على محمد عدد قطر البحار وصلّ على محمد عدد رمل القفار، وصلّ على محمد عدد ما في البر والبحار فهتف بي هاتف أتعبت الحفظة في كتابة ثواب ما قلت إلى آخر الدهر والأعمار واستوجبت من الكريم الغفار جنات عدن فنعم عقبى الدار.

فوائد:

الأولى: قال مقاتل: خلق الله تعالى ملكًا تحت العرش على رأسه ذؤابة أحاطت بالعرش، ما من شعرة إلا مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله فإذا صلى العبد على النبي ﷺ لم تبق شعرة إلا استغفرت له.

الثانية: حصل لبعض الصالحين حصر بول فرأى في منامه الشيخ العارف شهاب الدين بن رسلان فشكا إليه ذلك، فقال: أين أنت من الترياق المجرب؟ قلِ: اللهم صل وسلم على روح سيدنا محمد في الأرواح وصلّ وسلم على قلب سيدنا محمد في القلوب وصل وسلم على جسد سيدنا محمد في الأجساد وصل وسلم على قبر سيدنا محمد في القبور، فلما استيقظ أكثر من ذكرها فعافاه الله تعالى، وقد تقدم في باب الدعاء: أن الفجل مع الحليب ينفع من حصر البول، وتقدم في باب الكرم: أن ورقه ينفع من هذه العلة.

الثالثة: قال بعض العارفين: كنت في مركب فعصفت علينا الريح فأشرفنا على الغرق، فرأيت النبي ﷺ في منامي فقال: قل لهم يقولون: اللهم صل على محمد صلاة تنجينا بها من

جميع الأهوال والآفات، وتقضي لنا بها جميع الحاجات وتطهرنا بها من جميع السيئات وترفعنا بها عندك أعلى الدرجات، وتبلغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات في الحياة وبعد الممات فاستيقظت فقلناها جميعًا فسكن الريح بإذن الله تعالى، وقال النبي ﷺ **«أكثروا من الصلاة علي فإنها تحل العقد وتفرج الكرب»** وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: **«إذا كان يوم الخميس يبعث الله ملائكة معهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون يوم الخميس وليلة الجمعة أكثر الناس صلاة علي»** وعن ابن عباس، عن النبي ﷺ **«لا تضربوا أطفالكم عن بكائهم سنة فإن بكائهم أربعة أشهر لا إله إلا الله وأربعة أشهر صلاة على محمد وأربعة أشهر دعاء لوالديهم»**، وقال ﷺ **«أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة، وليلة الجمعة فإن في سائر الأيام تبلغني الملائكة صلاتكم إلا ليلة الجمعة ويوم الجمعة فإني أسمع صلاة من يصلي على بأذني»** ذكره السمرقندي في تنبيه الغافلين، وعنه ﷺ: **«من قال يوم الجمعة بعد صلاة العصر: اللهم صلّ على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة»**، وعن أنس عن النبي ﷺ: **«من قال: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد وكان قاعدًا غفر له قبل أن يقوم، وإن كان قائمًا غفر له قبل أن يقعد»** وعن النبي ﷺ: **«يؤمر بأقوام يوم القيامة إلى الجنة فيخطئون الطريق فقيل: يا رسول الله ولم ذلك؟ فقال: سمعوا باسمي ولم يصلوا»**.

الرابعة: عن النبي ﷺ: **«من شم الورد الأحمر ولم يصل على فقد جفاني»** وعن أنس عن النبي ﷺ: **«خلق الله الورد الأحمر من بهائه وجعله ريحًا؛ لأنبيائه، فمن أراد أن ينظر إلى بهاء الله ويشم رائحة الأنبياء فلينظر إلى الورد الأحمر»**.

الخامسة: قال أصحاب الطب: أن شم الورد نافع لأصحاب الصفر ويقوي الأعضاء الباطنة ويسكن الحمى والصداع الحار، من أخذ أربعين وردة وعجنها في أوقية طحين وبردها في أوقية من رب الخروب أسهلت إسهالاً معتدلاً وشرب ماء الورد يحسن الصوت ويشد القلب ويقوي المعدة، وقرص الورد يقوي الكبد وينفع من الحمى الطويلة.

لطيفة: رأيت في كتاب شرعة الإسلام: يستحب إكثار الصلاة على النبي عند أكل الأرز؛ لأنه كان جوهرًا في الجنة أودع الله فيه نور محمد ﷺ فلما خرج منه النور تفتت فصار حبًّا، وعن علي عن النبي ﷺ: **«كل شيء أخرجته الأرض داء وشفاء إلا الأرز فإنه شفاء لا داء فيه»**، وعن علي في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ [الكهف:١٩]، إنه الأرز وفي كتاب البركة عن النبي ﷺ: **«كلوا الأرز فإنه بركة»**.

حكاية: كان رجل كثير المال في مدينة بلخ وله ابنان فلما مات أخذ كل واحد نصف ماله ووجد في التركة ثلاث شعرات من شعر النبي ﷺ فأخذ كل واحد شعرة وبقيت شعرة واحدة فقال الكبير: نقطعها وقال الصغير: لا نقطعها تعظيمًا للنبي ﷺ فقال الكبير: هل لك أن تأخذ هذه الشعرات بما تستحقه من الميراث؟ قال: نعم فأخذها وأخذ الكبير جميع المال، ثم بعد

مدة ذهب المال كله وصار فقيرًا فرأى النبي في المنام فشكا إليه حاله، فقال: يا محروم زهدت في الشعرات وآثرت عليها الدنيا، وأما أخوك فإنه أخذها فهو يصلي علي إذا رآها فجعله الله سعيدًا في الدنيا والآخرة فاستيقظ وجاء إلى أخيه وصار من جملة عياله، وما كان اسم محمد في بيت إلا جعل الله في هذا البيت بركة ومن كانت زوجته حاملاً ونوى أن يسمي محمدًا رزقه الله ذكرًا. وقالت حليمة بنت عبد الجليل: يا رسول الله إني امرأة لا يعيش لي ولد فقال: **«اجعلي لله عليك أن تسميه محمداً»** ففعلت وعاش ولدها وغنم، وقال ﷺ: **«إذا سميتم محمدًا فأكرموه وأوسعوا له في المجالس ولا تقبحوا له وجهاً»**، وعنه ﷺ: **«ما اجتمع قوم في مشورة وفيهم رجل اسمه: محمد ولم يدخلوه في مشورتهم إلا لم يبارك لهم»**.

حكاية: قال بعض الصالحين: كان لي جار مسرف علي نفسه وكنت آمره بالتوبة فلا يفعل، فلما مات رأيته في الجنة، فقلت له: بم نلت هذه المنزلة؟ قال: حضرت محدثًا فسمعته يقول: من رفع صوته بالصلاة على رسول الله ﷺ وجبت له الجنة فرفعت صوتي بالصلاة عليه ورفع القوم أصواتهم فغفر الله لنا أجمعين، ورأيت في المورد العذب أن النبي ﷺ قال: **«من ضج بالصلاة في الدنيا ضجت الملائكة بالصلاة عليه في السموات العلي»** ورأيت في الأذكار للإمام النووي - رضي الله عنه -: يستحب رفع الصوت بالصلاة علي محمد نص عليه الخطيب البغدادي وغيره، وقال الشبلي: مات رجل من جيراني فرأيته في المنام فسألته عن حاله، فقال: انعقد لساني عند سؤال الملكين فقلت في نفسي: ألست مت مسلماً؛ فبينما أنا كذلك وإذا بشخص قد دخل علي وعلمني الجواب، فقلت له: من أنت؟ قال: أنا ملك خلقت من كثرة صلاتك على محمد ﷺ.

فائدة: قال أبو الدرداء - رضي الله عنه - قال النبي ﷺ: **«من صلي علي حين يصبح عشرًا وحين يمسي عشرًا أدركته شفاعتي يوم القيامة»** رواه الطبراني، وروي أن النبي ﷺ خرج يومًا إلى الصحراء فوجد أعرابيًّا قد صاد ظبية فقالت: يا نبي الله اسأله أن يخلي سبيلي حتى أرضع أولادي وأعود إليه، وإن لم أعد إليه أكن شرًّا ممن ذكرت عنده فلم يصل عليك، فأرسلها الأعرابي فجاءت إلى أولادها وقصت عليهم الخبر، وأن رسول الله ﷺ ضمنها فقالوا: لبنك علينا حرام حتى توفي ضمانة رسول الله فجاءت حتى أدخلت رأسها في السلسلة فأطلقها الصياد وأسلم، قال بعضهم: كنت يومًا عند قبر النبي ﷺ وإذا بظبية قد أقبلت ودخلت حتى صارت أمام القبر وأشارت برأسها كأنها تسلم عليه، ثم رجعت على عجزها ولم تول ظهرها القبر الشريف ولا شك أن هذه الظبية من نسل تلك الظبية، وعن حذيفة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: **«أكثروا من الصلاة علي يوم السبت فإن اليهود تكثر من سبي فيه، فمن صلى علي فيه مائة مرة فقد أعتق نفسه من النار وحلت له الشفاعة فيشفع يوم القيامة فيمن أحب»**، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ **«ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد -**

عليه السلام -» قال الإمام السبكي: معناه أنه لما دفن ﷺ رد الله عليه روحه؛ لأجل رد السلام على من يسلم عليه، وسئل الإمام البلقيني عن سجود النبي ﷺ تحت العرش هل يكون بطهارة؟ فقال: نعم يكون بطهارة، فقال: نعم يكون بطهارة الغسل؛ لأنه حي في قبره لم تبطل طهارته ﷺ وقدر السجود كجمعة من جمع الدنيا، نص عليه الإمام أحمد في مسنده.

فائدة: قال الدميري في شرح المنهاج: إن بعضهم رأي النبي ﷺ في المنام فقال: يا رسول الله علمني أحب الصلاة إليك، قال: «**قل: اللهم صل على محمد الذي ملأت عينيه من جمالك وقلبه من جلالك، ولسانه من لذيذ خطابك فأصبح فرحًا مسرورًا منصورًا**»، وقال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -: الصلاة على رسول الله ﷺ أمحق للذنوب من الماء البارد للنار الحامية، والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب؛ لأن العتق يقابل بالعتق من النار، والصلاة والسلام علي النبي يقابلان بالصلاة والسلام من الله.

باب قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾

تقدم أول الكتاب أن النبي ﷺ سئل عن تفسير: سبحان الله فقال: «**هو تنزيه الله تعالى عن كل سوء**» وأصله التباعد فمعني سبحان الله: بعده عن كل ما لا ينبغي له فهو ذكر لله لا يعلم تأويله إلا رب العالمين. وقال النبي ﷺ: «**ما صبح يصبح فيه العباد إلا وصارخ يصرخ أيها الناس سبحوا الملك القدوس**» وقال ﷺ: «**إن بحرًا من حوله ملائكة من نور علي خيل من نور بأيديهم حراب من نور يسبحون حول البحر ويقولون: سبحان ذي الملك والملكوت سبحان ذي العزة والجبروت سبحان الحي الذي لا يموت، سبوح قدوس رب الملائكة والروح، فمن قالها في يوم مرة أو في شهر مرة أو في سنة مرة أو في عمره مرة غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر أو مثل رمل عالج أو فر من الزحف**».

فائدة: قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات: الأصح ضم السين والباء والقاف من سبوح وقدوس، ومعني سبوح: المبرأ عن كل ما لا يليق بالألوهية، والقدوس المطهر، وقيل: المبارك. وقال الجوهري: سبوح صفة لله. وقال غيره: ويقال فيه: سبوحًا وقدوسًا أي أعبد سبوحًا وأذكر سبوحاً، والله أعلم.

وفي الحديث أن موسى - عليه السلام - عبد الله ليلة حتى أصبح فداخله من ذلك عجب فأحب الله أن يريه ذلك فمر علي شاطئ البحر وإذا بضفدع، يقول: يا موسى أعجبتك عبادتك البارحة وأنا منذ أربعمائة عام أسبح الله وأقدسه فقال: بحق الذي أنطقك ما تسبيحك؟ قالت: أقول: سبحان من يسبح له من في البحار سبحان من يسبح له من في الأرض القفار، سبحان من يسبح له رؤوس الجبال، سبحان من يسبح له بكل شفة ولسان، ثم قال النبي ﷺ: «**من سبح**

به في كل يوم مرة أو في كل شهر مرة أو في كل عام مرة كتب الله له كمن أعتق لله ألف نسمة من ولد إسماعيل أو حج ألف حجة مبرورة» وعن النبي ﷺ «لو يعلم الأمير ما في ذكر الله لترك إمارته، ولو يعلم التاجر ما في ذكر الله لترك تجارته، ولو أن تسبيحة واحدة قسم على أهل الأرض لأصاب كل واحد عشرة أضعاف الدنيا» وعن النبي ﷺ «من سره أن ينسأ له في عمره وينصر على عدوه ويوضع له في رزقه، ويوقى ميتة السوء فليقل حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش والحمد لله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش والله أكبر ملء الميزان ومنتهي العلم ومبلغ الرضي وزنة العرش».

وقال أنس: من قال: سبحان الله وبحمده غرس له ألف شجرة وأنها تدفع البلاء حال الصدقة.

الثاني: تدفع بلاء العقوبة لا بلاء المثوبة.

فائدة: الصدقة أربعة أحرف صاد تصون صاحبها من مكاره الدنيا والآخرة، دال تدله على طريق النجاة، قال بعض الصالحين: رأيت حية فقالت: أجرني أجارك الله، فقال: من أنت؟ فقالت: أنا من أهل التوحيد، ففتح لها فاه فدخلت جوفه فإذا برجل معه سيف فسأله عنها فلم يجدها فرجع الرجل من حيث جاء فقالت الحية: للرجل إن شئت ضربتك في كبدك أو غيره، قال: لم؟ قالت: لأنك عملت المعروف مع غير أهله فقال لها: أمهليني حتى أحفر لى قبرًا فنزل عليه ملك فأطعمه شيئًا فنزلت الحية قطعاً، فقال: من أنت؟ قال: أنا المعروف الذي فعلته مع الحية.

قال عيسى - عليه السلام -: استكثروا من شيء لا تأكله النار، قيل: ما هو؟ قال: المعروف. وفي الحديث: «**أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة وأول من يدخل الجنة أهل المعروف**» رواه الطبراني في الأوسط، قيل: معناه: أنهم يكونون في الآخرة أهلاً لمعروف الله كما كانوا في الدنيا أصحاب المعروف لأجل الله. وقيل: وصفهم بذلك؛ لأنهم تكرموا بأموالهم في الدنيا وفي الآخرة بحسناتهم للمذنبين من هذه الأمة، قال النبي ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة يأتي الله بقوم من أمتي فيدخلهم الجنة بغير حساب، ويأتي الله بقوم فيحاسبهم فيقول الله تعالى: يا عبادي من نبيكم؟ فيقولون: نبينا محمد** ﷺ، فيقول: هل زيد في سيئاتكم شيء؟ فيقولون: لا فيقول: هل نقص من حسناتكم شيء؟ فيقولون: لا فيقول: يا عبادي علي من كان اتكالكم؟ فيقولون: على حسن ظننا بك، فيأمر الله رضوان بإخراج الذين أدخلهم الجنة بغير حساب فيدعوهم فيقول: هؤلاء إخوانكم من أمة محمد ﷺ قد زادت سيئاتهم على حسناتهم فهبوا لهم من حسناتكم فيهبون لهم فيدخلون الجنة» فلذلك قال: أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وفي الحديث: «**إن الأسد يقول: اللهم لا تسلطني علي أحد من أهل المعروف**».

فائدتان:

الأولى: قال ﷺ: «**من استعاذكم بالله فأعيذوه بالله فأعطوه ومن استجاركم بالله فأجيروه ومن أسدى إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه**» رواه أبو داود وفي رواية الطبراني «**حتى تعلموا أن قد شكرتم له، فإن الله تعالى شاكر يحب الشاكرين**»، وقال ﷺ «**من لم يحمد الناس لم يحمد الله**» حكاه الرازي في الباب الخامس من تفسير الفاتحة، وقال النبي ﷺ: «**من لا يشكر الله لا يشكر الناس**» رواه الترمذي. وقال: حديث صحيح. ورأيت في كتاب الذريعة لابن العماد مسألة أخرى، فإن قيل: كيف أضافهم إليه في هبوطه بقوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾[النجم:٢] وأضافه إليه بقوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾[الإسراء:١] ؟ قيل: لأنه كان في عروجه مقصده الحق وفي هبوطه مقصده الخلق، وقيل: حتى لا يتوهم أن بين العبد وبين ربه مناسبة فتهلك أمته كما هلكت أمة عيسى - عليه السلام -.

لطيفة: رأيت في تفسير الرازي في سورة الكهف: سبح الله نفسه عند الإسراء وحمد نفسه عند إنزال الكتاب؛ لأن الإسراء أول درجات كماله ﷺ وإنزال الكتاب آخر درجات كماله فالإسراء به ﷺ يقتضي حصول الكمال وإنزال الكتاب يقتضي كونه مكملًا لغيره من الأرواح البشرية، ولا شك أن هذا الثاني أكمل؛ لأن أعلى مقامات العبد أن يكون عالمًا معلمًا لغيره، فمقام التسبيح بداية ومقام التحميد نهاية أو؛ لأن الإسراء منافعه خاصة به ﷺ ومنافع الكتاب عامة والمنافع العامة أفضل من المنافع الخاصة، وقوله تعالى: ﴿لَيْلًا﴾ مع أن الإسراء لا يكون إلا بالليل للتأكيد وهو منصوب على الظرفية ونكره؛ لأن الإسراء في بعض الليل، وقيل: أسرى به ليلًا دون النهار؛ لأن الإيمان بالغيب أقوى من الإيمان بالشهادة، وقيل: لأن المالك لا يدعو لحضرته ليلًا إلا من هو خاص عنده، وقيل: لأن النبي ﷺ بدر والبدر لا يكون إلا بالليل، وقيل: أسرى به بالليل؛ لأنه انكسر خاطره بقوله تعالى: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾[الإسراء:١٢] ، فجبره الله بعروج محمد ﷺ فيه، وقيل: لأن الليل خلق من الجنة والنهار خلق من النار وذلك لما دخل جبريل الجنة وجد فيها لمعة سوداء فأخرجها بإذن الله تعالى فخلق منها الليل، ثم دخل النار فوجد فيها لمعة بيضاء فأخرجها بإذن الله تعالى فخلق منها النهار، وقيل: لأن النهار افتخر على الليل بثلاث صلوات وبساعة الإجابة يوم الجمعة وتقدم بيانها في بابها وصيام رمضان فقال النهار: أيها الليل لك الغفلة والنوم ولي اليقظة ولك السكون ولي الحركة وكم في الحركة من بركة وفي تطلع الشمس الباهرة فلي عليك المفاخرة، فقال الليل إن افتخرت بشمسك فشمسي في قلوب أهل الحضرة أهل التهجد والفكرة فأين أنت من شراب المحبين وقت الخلوة والصفا؟ أين أنت من معراج المصطفى؟ أين أنت من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً﴾[الإسراء:٧٩] ؟ أين أنت لما خلقني ربي قبلك؟ أين أنت من ليلة القدر التي فيها المواهب؟ أين أنت من قوله تعالى كل ليلة: هل من سائل هل من تائب؟ أين أنت من

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل:١-٢]؟ أين أنت من قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء:١]؟ فإن قيل: لم سماه الله تعالى سراجًا في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦]، وما سماه شمسًا ولا قمراً، قيل: الشمس سماها أيضًا سراجًا، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبأ:١٣]، فسماه باسم عام؛ لأن كل شيء يستضاء به يسمي سراجا، وقيل: لأن الشمس بعيدة وهو ﷺ قريب من كل قاصد، وقيل: لأن الناظر إذا أحدق نظره للشمس ضعف بصره بخلاف السراج فكان النبي ﷺ إذا أحدق به أحد زاد بصره، وقيل: لأن السراج من آلات الفقراء والضعفاء وهو ﷺ لا يتكبر ولا يتجبر ذكر هذه الأجوبة ابن الجوزي.

وقال مؤلفه – رحمه الله –: وأقول: إن الشمس عبدت من دون الله بخلاف السراج، فإنه لم يقل: إن أحدًا سجد له بخصوصه، ولم يقل له أحد: هذا ربي بخلاف الشمس فكما طيب الله ذاته الشريفة كذلك طيب أسماءه الحسنى. وفي كتاب البركة: كان يقول إذا أدخل عليه المصباح: اللهم أتمم لنا نورنا إلى يوم القيامة، وقال ابن العماد: السراج خمسة سراج في القلب وهو المعرفة وسراج في الدنيا وهو النار وسراج في السماء وهو الشمس وسراج في الجنة وهو عمر – رضي الله عنه – كما سيأتي في مناقبه وسراج في الدين وهو محمد ﷺ إنما قال: ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ ولم يقل: سراجًا مضيئاً؛ لأن الضياء تذهبه الظلمة والنور يذهبها، وإن قلنا بالجواب الأول وهو: أن الشمس سراج ومحمد سراج فيكون وجه التشبيه أنه بوجود الشمس يحرم الطعام علي الصائم وبغروبها يحل له ذلك، وبوجود حب النبي ﷺ تحرم النار علي المؤمن وبفقد حبه تحل له النار، وقيل: إنما كان المعراج بالليل؛ لأنه أفضل من النهار لقدمه في الخلق عليه قال ابن عباس وغيره لقوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يس:٣٧]، وقال مجاهد وعكرمة: خلق النهار أولاً؛ لأنه ضياء والنور مقدم علي الظلمة. وتقدم في باب الجمعة عن قتادة وخلافه، وقيل: إنما كان المعراج ليلاً ليرد علي الثنوية قولهم: النهار خلق للخير والليل خلق للشر، فجعل الله كرامة الأحباب ليلاً؛ ليعلم أن الخير والشر بقدرة الله تعالى وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الإسراء:١]، قال أنس: هو الكعبة، وقيل: من بيت فاختة المشهورة بأم هانئ بنت أبي طالب وقوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء:١] يعني بيت المقدس وسمي أقصي لبعده عن مكة وسمي مقدساً؛ لأنه مطهر من الأدناس والأصنام ويتطهر فيه من الذنوب، وفي صحيح البخاري: أي مسجد وضع أولاً؟ قال ﷺ «**المسجد الحرام**» قال أبو ذر – رضي الله عنه –: ثم أي؟ قال: «**المسجد الأقصى**» قلت: كم بينهما؟ قال: «**أربعون سنة**»، فإن قيل: الكعبة أول بيت وضع للناس والأقصى بناه داود – عليه السلام – وبينهما أكثر من أربعين سنة قيل: لعله بني، ثم خرب، ثم جدد عمارته داود – عليه السلام – وبينه وبين إبراهيم أحد عشر جدًا وسبب بنائه لبيت المقدس أن الله تعالى

أوحى إلى داود: إني واعدت إبراهيم لما أمرته بذبح ولده فصبر أن أكثر ذريته حتى تكون كعدد السماء، وقد أقسمت أن أبتليهم ببلية يقل فيها عددهم وهي إما القحط ثلاث سنين أو أسلط عليهم عدوهم ثلاثة أشهر أو الموت ثلاثة أيام فأخبرهم داود - عليه السلام - فقال: أما القحط والعدو فلا طاقة لنا به، وأما الموت فلا بد منه فأمرهم أن يتجهزوا للموت فاغتسلوا وتكفنوا فمات منهم في يوم واحد ألوف كثيرة فلما كان اليوم الثاني تضرع داود - عليه السلام - وقال: يا إلهي الخل الحامض لي وبنو إسرائيل يضرسون يعني الذنب مني والعقاب عليهم وذنبه ﷺ أنه عجب بكثرة قومه حتى كان يحرسه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألفًا، فرفع الله عنهم الطاعون فقال لهم داود: قد رحمكم ربكم فابنوا له مسجدًا فكان ينقل الحجارة والجواهر فكره ما يسمعه من صوت النحت فقال: انحتوا ولا صوت لها إن استطعتم فقالوا: إن عفريتًا له حيلة في نحتها بلا صوت فطلبه فلما جاء، قال: يا نبي الله إني ضحكت في طريقي من أشياء، رأيت رجلًا عند إسكاف يستعمل خفًا، وشارطه أن يبقى أربعين سنة فضحكت من غفلته عن نزول ملك الموت، ورأيت امرأة كاملة تخبر الناس بخبر السماء وتحت فراشها ذهب قد دفنه رجل من مدة فضحكت من جهلها تخبر الناس بخبر السماء ولا تعلم ما تحتها، ورأيت رجلًا أصابته علة فأكل البصل فشفاه الله تعالى فصار طبيبًا يصف لكل عليل أكل البصل، وهو من المضرات حتى إن ضرره يصل الدماغ، ورأيت الثوم يباع كيلًا وهو من أنفع الأدوية ورأيت الفلفل يباع وزنًا وهو من السموم القاتلة وقد تقدمت منافعه في فضل عاشوراء، ورأيت قومًا يذكرون الله تعالى فذهب بعضهم وجاء آخرون فنزلت الرحمة عليهم وأخطأت الذين قبلهم، فقال له سليمان: هل لك علم بنحت هذه الحجارة من غير صوت؟ فقال: أعلم حجرًا يسهل نحته من غير صوت ولكن لا أعلم معدنه غير أن العقاب يعلم معدنه فاجعل فراخه في صندوق من حجارة ففعل فغاب العقاب وجاء بحجر له قطيعة ماضية وضعه علي الصندوق فثقبه، فأرسل سليمان طائفة من الطير إلى معدن ذلك الحجر فصاروا ينحتون الجواهر والحجارة من غير صوت لها، قال الكلبي - رحمه الله تعالى -: لما فرغ سليمان - عليه السلام - من بناء بيت المقدس أنبت الله له شجرتين إحداهما تنبت الذهب والأخرى تنبت الفضة فكان يأخذ من كل واحدة مائتي رطل، كل يوم ففرش المسجد بلاطة من ذهب وبلاطة من فضة.

فائدة:

قال مكحول: من دخل المسجد الأقصى للصلاة فصلى فيه الخمسة المفروضة خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه، ومن زار بيت المقدس شوقًا إليه زاره جميع الأنبياء في الجنة. قال كعب الأحبار: من مات ببيت المقدس جاز علي الصراط كالبرق الخاطف. وقال أيضاً: إن لله بابا مفتوحًا من سماء الدنيا إلى بيت المقدس ينزل منه كل يوم سبعون ألف ملك يستغفرون لمن يأتي بيت المقدس وصلى فيه، وعن النبي ﷺ **«من زار بيت المقدس محتسبًا أعطاه الله ثواب**

ألف شهيد» وقال مقاتل: من قال لأخيه اذهب بنا إلى بيت المقدس غفر الله لهما، وقال كعب الأحبار: اليوم في بيت المقدس كألف يوم، والشهر فيه كألف شهر، والسنة فيه كألف سنة، والحسنة فيه كألف حسنة، والسيئة فيه كألف سيئة، من مات فيه فكأنما مات في السماء، ومن مات حوله فكأنما مات فيه، قال عطاء الخراساني: كان ارتفاع قبة الصخرة أربعين ميلاً. وتقدم أن الميل: أربعة آلاف خطوة، وفوق القبة غزال من ذهب في عينه جوهرة تغزل نساء البلقاء على ضوئها بالليل. قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾[الإسراء:١] ، أي بالأنهار والأشجار، وقيل: سماه مباركاً؛ لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة وقبلة الأنبياء قبل محمد ﷺ إليه يحشر الخلق يوم القيامة وسمي بيت المقدس مقدساً: لأنه يطهر فيه من الذنوب؛ لأن الماء العذب ينبع أصله من تحت صخرة بيت المقدس، قال وهب: أوحى الله إلى صخرة المقدس: عليك أضع عرشي وإليك أحشر خلقي وفيك جنتي وناري، ولأفجرن أنهارك لبنًا وعسلاً وخمرًا طوبى لمن زارك، وقال غيره: إن الله يحول صخرة بيت المقدس مرجانة بيضاء كعرش السماء والأرض، ثم يضع عليها عرشه وميزانه، وعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: **«صخرة بيت المقدس على نخلة من نخيل الجنة والنخلة على نهر من أنهار الجنة وعلى ذلك النهر آسية بنت مزاحم ومريم ابنه عمران ينظمان حلي أهل الجنة إلى يوم القيامة»** ذكره الثعلبي في العرائس، وقال الحسن البصري: من تصدق في بيت المقدس بدرهم كان فداءه من النار ومن تصدق فيه برغيف كان كمن تصدق بجبال الأرض ذهباً.

فائدة: عن جابر - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: **«قال لي جبريل - عليه السلام -: إن الله تعالى يخاطبني يوم القيامة فيقول: يا جبريل ما لي أرى فلانًا في صفوف أهل النار؟ فأقول: يا رب إنا لم نجد له حسنة فيقول الله تعالى: إني سمعته في دار الدنيا يقول: يا حنان يا منان فيسأله فيقول: هل من حنان منان غير الله فيأخذ بيده من صفوف أهل النار فيدخله صفوف أهل الجنة»** قال علي - كرم الله وجهه -: الحنان: هو الذي يقبل على من أعرض عنه، والمنان: هو الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال. وقال النبي ﷺ: **«ما كربني أمر إلا تمثل لي جبريل، وقال: يا محمد قل: توكلت على الحي الذي لا يموت، الحمد الله الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً، فإنه لم يقلها عبد قط إلا أذهب الله عنه هم الدنيا والآخرة»** وكان ﷺ يقول: **«إذا عظمت أمتي الدينار والدرهم نزع الله منها هيبة الإسلام»** وقيل: إنما أسري به ﷺ إلى السماء؛ لأن الأرض افتخرت عليها فقالت: في الأنبياء والأولياء، فقالت السماء: في الجنة والحور والولدان فقالت الأرض: علي محمد وهو أفضل الورى فأراد الله تعالى أن يسري به حتى لا يبقى تفاخر بين السماء والأرض، كما روي أن الجنة تفاخر حللها على جسد المؤمن فيقول الأعلى: أنا أنظر إلى وجهه، ويقول الأسفل: أنا أرى جسده، فتنقلب الحلل - بإذن الله تعالى - فيصير الأسفل أعلى والأعلى أسفل حتى لا يبقى بينهم تفاخر. قوله تعالى:

﴿لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١] ، أي عجائب قدرتنا. قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: رأي النبي ﷺ ليلة المعراج في ملكوت الله تعالى رجالاً علي خيل بلق شاكين السلاح طول الرجل ألف عام وطول الفرس ألف عام يتبع بعضهم بعضًا لا يرى أولهم من آخرهم ولا آخرهم من أولهم، فقال: **«يا جبريل من هؤلاء؟»** قال: ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١] ؟ فأنا أهبط وأصعد أراهم هكذا يمرون لا أدري من أين يجيئون ولا أين يذهبون، قال عبد الله بن سلام: يا رسول الله هل وراء جبل قاف شيء؟ قال: **«سبعون أرضًا من كافور ووراءها سبعون أرضًا من عنبر ووراءها ألف عالم في كل عالم ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، لا يعرف آدم - عليه السلام - ولا إبليس عبادتهم لا إله إلا الله محمد رسول الله»**.

فائدة: جاء في الحديث أن النبي ﷺ رأي ليلة المعراج لوحًا تحت العرش من درة ولوحًا من ياقوت، في أحدهما فاتحة الكتاب والآخر فيه جميع القرآن فقلت: **«ما ثواب من قرأ فاتحة الكتاب؟ قال: تغلق دونه أبواب جهنم السبعة قلت: ما جزاء من قرأ القرآن كله؟ قال: له بكل حرف شجرة في الجنة، ثم رأيت ثلاثة أنوار فقلت: ما هذا؟ قال: آية الكرسي ويس و** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] فقلت: ما ثواب من قرأ آية الكرسي؟ قال: هي صفتي من قرأها ينظرني يوم القيامة من غير حجاب، فقلت: ما ثواب من قرأ يس؟ قال: ثمانون آية من قرأها كل يوم فله ثمانون رحمة عشرون في حياته وعشرون عند وفاته وعشرون في قبره وعشرون يوم القيامة، قلت: ما ثواب من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]؟ قال: يشرب من الأنهار الأربعة المذكورة في القرآن نهر من ماء ونهر من عسل ونهر من خمر».

حكاية: قال وهب: أوحى الله تعالى إلى إبراهيم - عليه السلام -: سر في بلادي حتى تري عجائبي، فسار إلى شاطئ بحر فوجد رجلاً يمشي على وجهه الماء فتعجب منه وسأل به أن يمشي معه إلى جزيرة من درة بيضاء فيها محراب من زبرجد أخضر، فقام الرجل في المحراب وصلى فسقط من السماء كبش ونار فذبحه وأكل هو وإبراهيم لحمه، ثم قال: قم بإذن الله، فقام الكبش كما كان فتعجب إبراهيم، وسار معه إلى صخرة فضربها فخر الماء، ثم توضأ، وقال لإبراهيم: أيها الرجل قم حتى تعبد الذي أرانا قدرته، فإني عبد صائم آكل في كل سنة مرة واحدة فاعبد ربك منفردًا فإنه من استأنس بالخالق استوحش من المخلوقين، فقال إبراهيم: كم لك تعبد ربك؟ قال: أربعمائة عام. وقد بلغني أن لله خليلاً اسمه: إبراهيم فها أنا أدعو الله أن يجمع بيني وبينه حتى أموت بين يديه، فقال له: أنا إبراهيم، فمات في الحال، وعبد إبراهيم ربه بالمكان زمنا طويلاً حتى ظن أنه عبد الله حق عبادته فأوحى الله تعالى إليه: لأرينك من هو أعبد منك فسار غير بعيد، فإذا هو بصوت يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن إبراهيم خليل الله، فدنا منه وسلم عليه فقال: وعليك السلام يا خليل الرحمن فقال: من أين عرفتني؟ قال: أوحى إلي ربي أن لا يمر بك في هذا المكان إلا إبراهيم، فقال: كم تعبد ربك

في هذا المكان؟ قال: خمسمائة عام، قال: فأنت العابد الذي بشرني به ربي، قال: لا ولكن تقدم أمامك فتقدم، فإذا هو بضفدع تسبح الله تعالى فسلم عليها، فقالت: وعليك السلام يا إبراهيم، فقال: من أين علمت أني إبراهيم؟ قالت: أوحى إلي ربي أنه لا يمر بك في هذا المكان إلا إبراهيم قال: كم لك في هذا المكان؟ قالت: منذ ألفي عام، قال: فأنت العابد الذي بشرني ربي به؟ قالت: لا ولكن تقدم أمامك فتقدمت فإذا بشخص عظيم الخلقة فقلت: السلام عليك فقال: وعليك السلام يا إبراهيم، فقال: من أين عرفت أني إبراهيم؟ فقال: أوحى إلي ربي لا يمر بك في هذا المكان إلا إبراهيم فقال: من الجن أنت أم من الإنس؟ فقال: ملك من الملائكة الموكلين بالحجب سبقتني الملائكة بتسبيحة واحدة فغضب علي ربي وسلبني ريشي وأهبطني إلى الأرض فأنا أعبده في هذا المكان ألف عام ولكن ادع الله أن يعيدني مع الملائكة فدعا له فرفعه الله تعالى وقال: يا إبراهيم قد استجاب الله دعاءك وأمرني أن أجعل ثواب تسبيحي لك إلى يوم القيامة وأوحى الله تعالى إلى إبراهيم: أن ارجع من حيث جئت.

لطيفة: رأيت في كتاب العقائق: لما طلع إبراهيم علي الملكوت قصده أربع من ذوي الحاجات الحية والهواء والماء والشمس، فقالت الشمس: أنا أسير ليلاً ونهارًا وقال الهواء: أنا في الجو لا أهدأ وقال الماء: أنا لا أستقر في مكان فاسأل لنا ربك بالسكون وطلبت الحية جناحًا تطير به فوعدهم بالسؤال لربه في ذلك فجاءه الخفاش وقال: لا تعترض على الله فإن من مصلحة العالم في حركاتهم، فلو سكنت الشمس لم يعرف الليل من النهار ولولا هبوب الريح لم تنبت الأرض ولولا جريان الماء من مكان إلى مكان لهلك المكان الذي لا ماء فيه، ولو استقرت الحية بمكان لخرب ولو كان لها جناح لأذت العالم، فعلموا بكلام الخفاش فقالت الشمس: أنا أحرقه بحري، وقالت الريح: لأطيرنه في الأفق وقال الماء: إذا وردني غرقته، وقالت الحية: لأقتلنه بسمي، فاستغلب الخفاش إلى ربه فقال الله تعالى: أما الشمس فقد أعطيتك الطيران بعد غروبها وأما الريح فيؤذيك لو كان لك ريش وأنا جعلت لك جناحين من لحم كلما هب عليك الريح زادك قوة، أما الماء فلا تحتاج إليه فإني أجعل لك ثديين أحدهما للغذاء والآخر لشرب الماء، وأما الحية فإني أجعل بولك سمًا يقتلها فتهرب من أرض أنت فيها.

فائدة: رأيت في نزهة النفوس والأفكار: إذا علق الخفاش علي شجرة في قرية لم يقربها الجراد. ورأيت في النصيحة للإمام الغزالي: من كتب ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ١] وسقاها زرعه لم يصبه نار ولا آفة، ومن كتبها وسقاها محمومًا أبرأه الله تعالى ومن قرأها على رأس زوجته أو ولده نال خيراً، وذكر أيضًا أن الجراد وقع على زرع رابعة العدوية فقالت: إلهي قد تكفلت بزرعي، فإن شئت فأطعم زرعي لأعدائك، وإن شئت فأطعمه لأوليائك فطار الجراد بإذن الله تعالي.

ورأيت في زار المسافر – وهو كتاب نافع في الطب –: أن الاكتحال بدم الخفاش الحار يذهب البياض من العينين. وتقدم في باب الكرم في هذا زيادة.

ورأيت في عجائب المخلوقات للقزويني: إن الوطواط إذا طبخ دماغه بدهن الورد ودهن به عرق النساء سكن وجعه بإذن الله تعالى.

فصل: في المعراج

قال النووي – رضي الله عنه – في الروضة: كان المعراج بمكة ليلة السابع والعشرين من رجب بعد النبوة بعشر سنين وثلاثة أشهر، وجزم في فتاويه بأنه في ربيع الآخر وفي شرح مسلم أنه في ربيع الأول والصواب الأول، قال نجم الدين النسفي: كانت ليلة الإثنين، وقيل: ليلة السبت.

فائدة: تقدم في فضل رجب أن من قال هذا الدعاء ليلة السابع والعشرين من رجب قبل الله دعاءه ورفع قدره وأحيا قلبه يوم تموت القلوب وهو: اللهم إني أسألك بمشاهدة أسرار المحبين وبالخلوة التي خصصت بها سيد المرسلين، أسريت به ليلة السابع والعشرين، أن ترحم قلبي الحزين وتجيب دعوتي يا أكرم الأكرمين ويصلي قبل ذلك ركعتين يقرأ فيهما فاتحة الكتاب مرة و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١] إحدى عشرة مرة، ويصلى على النبى ﷺ بعد ذلك عشر مرات. وذكر الحناطي أن من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١] كل يوم من رجب مرة واحدة فكأنما أوقر عشرة آلاف من النجائب قراطيس واجتمع سكان السموات والأرض بأيديهم أقلام من ذهب يكتبون ثواب ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١] في تلك القراطيس، قال العلائي وغيره: كان للنبي ﷺ خمس مراكب.

شعر في مدح سيد الكونين:

محمد أشرف الأعراب والعجم ... محمد خير من يمشي على قدم
محمد تاج رسل الله قاطبة ... محمد صادق الأفعال والكلم
محمد باسط المعروف جامعه ... محمد صاحب الإحسان والكرم
محمد ثابت الميثاق حافظه ... محمد طيب الأخلاق والشيم
محمد جبلت بالنور طينته ... محمد لم يزل نورًا من القدم
محمد خير خلق الله من مضر ... محمد خير رسل الله كلهم
محمد ذكره روح؛ لأنفسنا ... محمد شكره فضل على الأمم
محمد زينة الدنيا وبهجتها ... محمد كاشف الغمات والظلم
محمد سيد طابت مناقبه ... محمد صاغه الرحمن من كرم
محمد شرف الباري مراتبه ... محمد خصه الرحمن بالنعم

محمد صفوة الباري وخيرته / محمد طاهر من سائر التهم
محمد طابت الدنيا بمبعثه / محمد جاء بالآيات والحكم
محمد يوم بعث الناس شافعنا / محمد نوره الهادي من الظلم
محمد قائم لله ذو همم / محمد خاتم للرسل كلهم

المركب الأول: البراق من مكة إلى بيت المقدس، وذلك أن الله تعالى خلق جبريل - عليه السلام - ليس بالطويل العالي ولا بالقصير المتداني عليه ثياب بيض مكفوفة باللؤلؤ والياقوت الأحمر، لونه كالثلج، براق الثنايا، عليه وشاحان من الدر، له ألف وستمائة جناح من الياقوت الأحمر، بين كل جناحين خمسمائة عام طويل العنق أحمر القدمين أصفر الساقين ريشه كالزعفران من رأسه إلى قدميه سبعون ألف ريشة من زعفران على كل ريشة قمر وكواكب، وبين عينيه شمس خلقه الله بعد أن خلق ميكائيل بخمسمائة عام ويغتسل كل يوم في نهر من الجنة فينتفض فتقطر منه سبعون ألف قطرة فيخلق الله من كل قطرة ملكًا فيطوفون بالبيت المعمور، ثم لا يعودون إلى يوم القيامة، وقال ابن عباس: يغتسل كل يوم وقت السحر في نهر من نور عين العرش، فيزداد نورًا على نوره وجمالاً علي جماله وعظمته، ثم ينتفض فيخرج الله من كل ريشة سبعين ألف قطرة ومن كل قطرة سبعين ألف ملك يدخل منهم إلى البيت المعمور سبعون ألفًا كل يوم، وإلى الكعبة سبعون ألفاً، ثم لا يعودون إلى يوم القيامة، حكاه القرطبي في سورة النحل في قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٨]، وقال وهب: إنه واقف بين يدي الله تعالى ترعد فرائصه أي رجلاه وركبتاه، فيخلق الله من كل رعدة مائة ألف ملك لا يتكلمون إلا بإذن الله، فإذا أذن لهم قالوا: لا إله إلا الله ويستغفرون لقائلها فلما أراد الله إكرام محمد ﷺ بكرامة لم يبلغها الأولون والآخرون أوحى الله تعالى إلى جبريل: قف على قدم العبودية واعترف بعز الربوبية وامرح في ميدان شكري واعلم عظم قدري، فقد مننت عليك فاستمع لما يوحى إليك، فقال: يا رب أنت اللطيف وأنا العبد الضعيف، فقال: خذ علم الهداية وبراق العناية وخلعة القبول وطيلسان الرسالة ومنطقة الجلالة وانزل مع سبعين ألف ملك إلى محمد ﷺ فقم ببابه ولُذْ بجنابه فأنت الليلة صاحب ركابه، ويا ميكائيل خذ علم السؤال وانزل مع سبعين ألف ملك إلى باب حجرة الرسول ﷺ ويا إسرافيل ويا عزرائيل افعلا كما فعل جبريل وميكائيل، ويا جبريل زد من نور الشمس علي نور القمر، أي ضوء القمر ومن القمر علي نور الكواكب فقال: يا رب أقرب قيام الساعة؟ قال: لا ولكن لنا الليلة مع تميم أبي طالب سر نريد أن نظهره إليه ونطلعه عليه، قال: يا رب ما هذا السر؟ فقال: يا جبريل أسرار الملوك لا يقف عليها مملوك، فنزل جبريل وتقدم وشد وسطه بمنطقة الخدمة وسلم، وقال: قم يا سيد وتأهب البراق فاركب فإن المملكة قد تزينت لأجلك والموجودات قد شهدت بفضلك فلما ركب واستوى وطار في الهواء وسارت الملائكة بين يديه وأكثرت من الصلاة

عليه، ونادوا: يا سيد التفت إلينا وأقبل بوجهك علينا، فقال: من بلغ هذا المقام الأعلى لم يلتفت إلى غير المولى، فلما صحت عزائم إرادته ولم يلتفت إلى شيء من مخلوقاته أذعن لسان شكره وأثنى فكان قاب قوسين أو أدنى، ثم نودي: يا محمد أنت الليلة ضيفنا، فماذا تريد؟ قال: «**كل ما جدت به على الأنبياء قبلي فخلع مستعملة لا أريدها**» قيل له: فبماذا تقتنع وما الذي فيه تطمع؟ قال: «**أنت أعلم بالمقصود**» فإذا صاحب الكرم والجود قال: إن كنت تريد خلعة لم تسم إليها همة طامع ولا طرق ذكرها أذن سامع فادخل في خزائن كرمنا وتحكم في ملابس فضلنا ونعمنا فكانت خلعة ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٧-١٨] ونقش طرازها ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١]، ثم قال: يا محمد أتعرفني قال: «**سبحانك ما عرفناك حق معرفتك**» قال: يا محمد أتدري أين أنت؟ قال: «**أنت أعلم أعلم**» قال: ما وراءك المخلوق مقام ننقلك من عالم إلى عالم ومن معراج إلى معراج حتى لم يبق في ملكوت الأرض عجيبة إلا وأطلعتك عليها ولولاك ما خلقت الأملاك ولا أدرت الأفلاك، قال في العقائق، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: كنت تلك الليلة نائمًا فاستيقظت فرأيت الدنيا بيضاء مثل النهار فأردت أن أصرخ بالناس: قامت القيامة فهتف بي هاتف أمسك يا ابن عباس فقد رقى بالمحبوب إلى الحبيب، والهجر قد هجر والوصل قد حصل والأنوار قد حقت والعوازل قد كفت وجيوش البصر قد صفت، فجاء جبريل بأمر الجليل وبالبراق فأدبر البراق نافرًا وتقاعس متأخر أو قرعه جبريل بصوت التأديب وصاح عليه جهارًا فلما ركب تشبث جبريل بركابه وأخذ ميكائيل بزمام براقه فلم يزل يخترق الملكوت إلى أن وصل إلى سرادقات الجبروت، فاخترق حجب النور وجاوز الستور وصار العرش عن يمينه والكرسي عن شماله واللوح والقلم خلفه ووصل إلى مقام لم يصل إليه أحد سواه وأقرب إلى محل لم يقربه عبد إلا إياه، فقيل له: تقدم يا خاتم النبيين فقال: تقدمت يا رب العالمين فقال: وعزتي وجلالي؛ لأنشرن ذكرك ولأشرحن صدرك ولأرفعن قدرك ولأشفعنك في العصاة والمذنبين، ولأصلين على من صلى عليك من المؤمنين، قال البغوي: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]، أي ألم نفتح ونوسع ونلين قلبك للإيمان والنبوة والحكمة والعلم ﷺ ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح: ٢] أي وزر أمتك؛ لاشتغال قلبه بذنوب أمته جزاه الله أفضل ما جازى نبيًّا عن أمته ﷺ.

هذا هو المختار والبدر الذي ... كل البدور خضعن تحت هلاله
أنى له في العالمين مماثل ... كلا ولا في الكون من أشكاله
أسري به في ليلة سعدية ... وطئ السموات العلى بنعاله
فالملك والملكوت طوع يمينه ... والكون والأكوان تحت شماله
حتى دنا من قاب قوسين العلا ... وسعى له المعشوق في إقباله
ورأى وشاهد ذا الجلال بعينه ... ما زاغ منه الطرف عند مآله

كلا ولا كذب الفؤاد وكيف لا | وهو الحبيب دعي لأجل وصاله
هذا الذي قد خط في العرش اسمه | بصفاته ونعوته وجلاله
هذا الذي رام الكليم مقامه | فاندك منه الطور عند مقاله
هذا الذي جاء المسيح مبشرًا | بقدومه متمسكًا بحباله
هذا الذي سفر اللثام فأطرقت | مقل القلوب مهابة لجماله
هذا الذي في الحشر يعقد فوقه | ذاك اللوا والرسل تحت ظلاله
يا حضرة القدس التي هاموا بها | والعارفون تمسكوا بحباله
صلى عليك الله ما ظهر الدجا | وضحى وهل مهلل بهلاله

وقال النسفي في كتاب زهر الرياض: لما أمر الله تعالى جبريل - عليه السلام - أن يأخذ البراق ذهب إلى الجنة فوجد فيها أربعين ألف براق علي جباههم لا إله إلا الله محمد رسول الله، ورأي فيهم براقًا باكيًا اعتزل وحده، ترك الأكل والشرب فسأله عن ذلك، فقال: سمعت باسم محمد أربعين ألف سنة فمنعني الشوق إليه الأكل والشرب فأخذه جبريل وهو فوق الحمار ودون البغل، ووجهه كوجه الآدمي ضخم العينين لسواد، رقيق الأذنين لونه كالطاووس وجبينه كالزهرة وبدنه من الياقوت الأحمر وأظلافه كأظلاف البقرة، من زمرد أخضر مرصع بالياقوت والمرجان ورأسه من المسك الأزفر، وهو الذي لا خلط فيه وعنقه من العنبر الأشهب، وناصيته من اللؤلؤ الأبيض، مزمزم بسلسلة من ذهب مكللة باللؤلؤ والجواهر عليه راحلة الديباج خطوه مد البصر فأسرجه جبريل بسرج من ياقوت أحمر وألجمه بلجام من زبرجد.

قال في روض الأفكار: لما نزل جبريل قرع حلقة الباب وقال: قم يا نائم، فقد هيئت لك الغنائم، قم يا يتيم أبي طالب فقد هيئت لك المطالب، قم يا محمد الليلة ليلتك والدولة دولتك، أنت شمس المعارف أنت بدر اللطائف أنت في القيامة ملجأ لكل خائف ما مهدت الدار إلا لأجلك ولا روق كأس الحب إلا لوصلك، قم فإن الموائد لك ممدودة والأيام للقائك معدودة، فسمعه النبي ﷺفقال: «**يا جبريل جئتني بآية رحمة أم عذاب؟**» فقال: إن الله تعالى يقرؤك السلام ويدعوك لحضرته لسر بينك وبينه، فقال: «**يا جبريل، فالكريم يدعوني إليه فما الذي يصنع؟**» قال: ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال: «**هذا لي فما لعيالي؟**» قال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى :٥]قال: «**مهلاً حتى أتوضأ**» قال: قد جئتك بماء من السلسبيل في كوز من الجوهر وطست من ياقوت أحمر وحلة من سندس أخضر وعمامة من نور مكتوب عليها أربعة أسطر.

الأول: محمد رسول الله.

الثاني: محمد نبي الله.

الثالث: محمد حبيب الله.

الرابع: محمد خليل الله، قد نزل به رضوان ومعه أربعون ألف ملك، وكانوا قبل ذلك يصلون على صاحب العمامة قبل السموات والأرض، فلما كانت تلك الليلة أخذ رضوان العمامة من الجنة فقالت الملائكة: ربنا أنت أمرتنا بالصلاة على صاحب العمامة فشرفنا الليلة بالنظر إليه وائذن لنا في المسير بين يديه فلما توضأ النبي ﷺ أمر الله جبريل أن يدفع ماء وضوئه إلى ميكائيل فدفعه إليه، ثم أمر ميكائيل أن يدفعه إلى عزرائيل، ثم إلى إسرافيل، ثم إلى رضوان، ثم جنة الفردوس، فأمر الله الحور العين أن يمسحن به وجوههن ففعلن فازددن نورًا وحسناً، ثم قدم جبريل البراق فنفر؛ لأن النبي ﷺ لمس الصفا بيده، وقال: «**إن من يعبد هذا لشقي**»، والصفا كان صنمًا على صورة رجل والمروة كانت صنمًا على صورة امرأة فقال له جبريل: يا براق أما تستحي من محمد فوالذي نفسي بيده ما ركب علي ظهرك أفضل منه، فقال البراق: هذا النبي العربي؟ قال: نعم قال: هذا الشفيع في القيامة؟ قال: نعم فعند ذلك خضع له وقال: اركب يا سيد المرسلين ولكن لي إليك حاجة أن لا تنساني من شفاعتك يوم القيامة فلما أراد الركوب بكى فسأله جبريل عن ذلك فقال: «**تذكرت أمتي هل يركبون يوم القيامة؟**» قال: نعم ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم :٨٥] يعني ركبانًا فعند ذلك اندفع الكرب عن محمد ﷺ فقال: حيوان ضعيف يحمل أثقال محبته وأسرار أمانته التي عجز عن حملها السموات والأرض والجبال، يا جبريل المركوب يقطع به المسافات والدليل يستدل به على الجهات والجهات إنما هي محل الحادثات وأنا حبيبي تقدس عن الجهات ولا يوصل إليه بالحركات فمن علم المعاني وعرف ما أعاني عرف أن قربي منه، قاب قوسين كقربي منه وأنا في بيت أم هانئ، وقال جبريل: إنما جيء بي إليك لأكون خادمًا لدولتك وجئتك بالمركوب على عادة الملوك وآداب أهل السلوك؛ لإظهار كرامتك فلما ركب أخذ جبريل بزمام براقه وميكائيل بركابه وإسرافيل يسوي أطراف ثيابه وعلا به البراق على جبل مكة، ثم قال: يا محمد انزل فصل ففعل ذلك فقال: أتدري أين صليت؟ قال: «**لا**» قال: بطيبة وإليها تهاجر - إن شاء الله - ثم سار وفي رواية فسرنا، ثم قال: انزل فصل فصليت، فقال: أتدري أين صليت؟ قلت: «**لا**» قال: صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى، ثم سرنا فقال: انزل فصل «**فصليت**» فقال: أتدري أين صليت؟ قلت: «**لا**» قال: صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى، «**فبينما أنا أسير إذ سمعت نداء عن يميني**»: على رسلك يا محمد حتى أسألك فلم أعرج عليه، «**ثم سمعت نداء عن يساري**»: علي رسلك يا محمد حتى أسألك فلم أعرج عليه، «**ثم استقبلتني امرأة عليها من كل زينة**»، فقالت: علي رسلك يا محمد حتى أسألك فلم أعرج عليها فسألت جبريل عن ذلك فقال: الداعي الأول داعي اليهود ولو أجبته لتهودت أمتك، والثاني: داعي النصارى ولو أجبته لتنصرت أمتك، والمرأة هي الدنيا ولو أجبتها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة.

موعظة: كان بعض العارفين يعظ الناس ويزهدهم في الدنيا، فقيل له: إن ثيابك ومركوبك يساوي خمسمائة دينار فقال: اجعل الدنيا على ظهرك لا في بطنك فلو ملكتها وأنت غير محب لها بقلبك فأنت زاهد، ولو لم تملك منها شيئًا وأنت محب لها بقلبك فأنت راغب فيها مذموم، ومن علامة كون الدنيا في القلب البخل بها؛ لأن إخراج المحبوب من القلب عسر ومن علامة كونها في اليد فقط بذلها والجود بها، فإن قيل: محمد ﷺ أشرف الخلق، فكيف قال: «**حبب إلي من الدنيا ثلاث: الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة**» فالجواب: أن هذه الثلاثة وإن كانت في الدنيا صورة فليست منها حقيقة؛ لأن المذموم من الدنيا هو الزائد علي قدر الكفاية، وأما ما لا بد منه من مسكن وخادم وزوجة وقوت فليس من الدنيا المذمومة، وجواب آخر: أنه ﷺ كان مشرعًا فحبب الله إليه هذه الثلاثة لتكون شريعته متبعة يوم القيامة؛ لأن حب الطيب يزيد في العقل وبقدر العقل يقوم الدين، والنساء سبب العفة وكثرة النسل وبكثرة العباد تكثر العبادة وما ذكر الله سبحانه وتعالي نبيًا إلا تزوج حتى يحيى - عليه السلام - تزوج أيضًا ولم يأتها؛ لأنه أخبر عنه أنه حصور، وأما عيسى - عليه السلام - فإنه يتزوج بعد نزوله، وقال الخواص: الزهد ثلاثة أحرف الزاي ترك الزينة والهاء ترك الهوي والدال ترك الدنيا، قال النبي ﷺ: «**رأيت شابًا حسن الثياب طيب الرائحة فقبلني بين عيني، ثم غاب عني فسألت جبريل فقال: هذا الدين أبشر فإن أمتك يعيشون مؤمنين ويموتون مؤمنين ويدخلون الجنة آمنين، ثم أوتيت بثلاثة أقداح قدح من لبن وقدح من ماء وقدح من خمر فاخترت اللبن فقال جبريل: أصبت الفطرة ولو شربت الماء غرقت أمتك أو الخمر سفهت أمتك فشربت بعض اللبن، فقال جبريل: لو شربت اللبن كله، لم يدخل أحد من أمتك النار فقلت أشربه كله، فقال: هيهات جرى القلم بما حكم، ثم أوتيت بثياب بيض وخضر وصفر وسود فقال جبريل: الثياب البيض ثياب أهل الإسلام، والخضر ثياب أهل الجنة وجبت لأمتك الجنة والثياب الصفر ثياب أهل الكتاب نجت أمتك من اليهودية والنصرانية والسود ثياب أهل النار نجت أمتك من النار**»، وفي المصابيح عن النبي ﷺ: «**البسوا الثياب البيض فإنها أطيب وأطهر**»، وقال العلائي في تفسير سورة الإسراء: قال النبي ﷺ: «**لما أتيت بيت المقدس ليلة أسري بي وقفت على باب المسجد فتلقاني ثلاثة بيد كل واحد إناء فيه لبن وإناء فيه خمر وإناء فيه ماء، وقيل لي: اشرب فسمعت قائلًا، يقول: إن شرب محمد الماء غرق وغرقت أمته وإن شرب الخمر غوي وغويت أمته وإن شرب اللبن هدي وهديت أمته، فأخذت اللبن فشربته**» وقال في العقائق: أن النبي ﷺ جيء له بشيخ وكهل وشاب فقيل له: اختر لك واحدًا فاختار الشاب، فقال جبريل: اخترت العافية والشيخ هو الدولة والكهل هو البخت وهما يتغيران، وقال سعيد بن المسيب - رضي الله عنه -: من قرأ قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الزمر: ٤٦]، الآية لم يسأل الله شيئًا إلا أعطاه الله، وقال النبي ﷺ: «**أمان كل خائف: حسبنا الله ونعم الوكيل**» ذكره الغزالي في النصيحة، قال العلائي: قال النبي ﷺ: «**ثم مررنا علي قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم، فقلت: يا جبريل**

من هؤلاء؟ قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنات إلى سبعمائة ضعف، ثم مررنا علي قوم ترضخ رؤوسهم بالحجارة كلما رضخت عادت كما كانت، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين تثاقلت رؤوسهم عن الصلاة، ثم مررنا على قوم على أدبارهم رقاع وعلى أقبالهم رقاع يسرحون إلى الزقوم كما تسرح البهائم إلى الضريع، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال هؤلاء الذين لا يؤدون الزكاة» قال مجاهد وقتادة: الضريع في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية:٦]، هو نبات لاصق بالأرض له شوك، فإذا كان رطبًا ترعاه الإبل وإذا يبس لا يأكله شيء، اسمه: في أيام الربيع الشبرق وفي أيام الصيف الضريع، **«ثم مررنا علي قوم بين أيديهم لحم طيب ولحم خبيث يأكلون الخبيث ويتركون الطيب، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الزناة»**. وقال أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه -: الزنا مع المحصنة أعظم عند الله سبعين ذنبًا من الكبائر، ومن زنى بمحصنة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين إلى يوم الدين، **«ثم مررنا على قوم تقرض شفاههم وألسنتهم بمقاريض الحديد كلما قرضت عادت كما كانت فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الخطباء الذين يقولون ولا يفعلون، ثم مررنا بحجر صغير يخرج منه ثور كبير فجعل الثور يريد أن يدخل من حيث خرج فلا يستطيع، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا رجل يتكلم بالكلمة العظيمة، ثم يندم عليها فيريد أن يردها فلا يستطيع، ثم رأيت نساء معلقات من أشفار عيونهن فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء اللاتي يمنعن أولادهن ضرعهن ويرضعهن أولاد غيرهن»**، قال العلائي: قال رجل: يا رسول الله: من أبر قال: **«بر والديك»** قال: ما لي والدان، قال: **«بر ولدك كما أن لوالديك عليك حقًا كذلك لولدك عليك حق»** وعن النبي ﷺ قال: **«ريح الوالد من ريح الجنة»** وتقدم في باب الوالدين، وعن النبي ﷺ **«رضا الله من رضا الوالدين وسخط الله من سخط الوالدين»** وفي المورد العذب عن النبي ﷺ: **«بين البار لوالديه وبين الأنبياء في الجنة درجة واحدة وبين العاق لوالديه وبين إبليس في النار درجة واحدة»** وعن النبي ﷺ: **«بر الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد»** أي أفضل من نفل الصلاة وغيرها، وقال رجل: يا رسول الله جئت أستشيرك في الجهاد قال: **«هل لك من أم؟»** قال: نعم قال: **«فالزمها فإن الجنة تحت رجليها»**، وفي حديث آخر: **«هل لك والدان؟»** قال: نعم قال: **«الزمهما فإن الجنة تحت أرجلهما»** وجاء رجل يشكو أباه بأخذ ماله إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنه كان ضعيفًا وأنا قوي وهو فقير وأنا غني وكنت لا أمنعه شيئًا من مالي، واليوم أنا ضعيف وهو قوي وأنا فقير وهو غني ويبخل علي بماله فبكى النبي ﷺ وقال: **«ما من حجر ولا مدر يسمع بهذا إلا بكى»**، ثم قال للولد: **«أنت ومالك لأبيك»**.

فصل

يحرم على الوالد أن يأكل مال ولده بغير طريق شرعي، فإذا أكله بغير طريق شرعي لا يحبس الولد الوالد، وعن الحنابلة لا تسمع الدعوى عليه، لحق الأبوة والله أعلم، قال في «تهذيب

الأسماء واللغات»: شيوخ العلم آباء في الدين وصلة بينه وبين رب العالمين وهو مأمور بالدعاء لهم والثناء عليهم. ورأيت في «تحفة الحبيب فيما زاد على الترغيب والترهيب» عن النبي ﷺ: «من قال: الحمد لله رب العالمين رب السموات ورب الأرضين ورب العالمين وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم الحمد لله الملك رب السموات والأرض رب العالمين، وله العظمة في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم مرة واحدة، ثم قال: اللهم اجعل ثوابها لوالدي لم يبق لوالديه عليه حق إلا زداه»، وقال علي - رضي الله عنه -: دخلت على النبي ﷺ وهو يبكي فسألته عن ذلك فقال: «رأيت ليلة أسري بي نساء من أمتي في عذاب شديد ورأيت امرأة معلقة بثدييها والقطران يصب في حلقها وهي التي ترضع أولاد الناس بغير رضا زوجها ورأيت امرأة معلقة بثدييها والنار توقد تحتها تأكل لحم جسدها وهى التي تتزين لغير زوجها» وفي حديث آخر «إذا اكتحلت المرأة في غير وجه زوجها سود الله وجهها وجعل قبرها حفرة من حفر النار»، قال العلائي: قال النبي ﷺ: «ثم مررنا على واد فوجدنا ريحًا طيبة مع صوت حسن فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذه الجنة تقول: يا رب ائتني بما وعدتني، فقد كثرت غرفي وحريري وذهبي وفضتي ولؤلؤي ومرجاني وأكوابي وفواكهي وعسلي ولبني ومائي وخمري فائتني بما وعدتني فقال: لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن لا يشرك بالله شيئًا إني أنا الله لا إله إلا أنا لا أخلف الميعاد، فقالت: رضيت، ثم مررنا على واد فسمعنا صوتًا منكرًا فقلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا صوت جهنم تقول: يا رب ائتني بما وعدتني فقد كثرت سلاسلي وأغلالي وسعيري واشتد حري، فقال: لك كل مشرك ومشركة ومن لا يؤمن بيوم الحساب، فقالت: رضيت، ثم مررنا على رجل قد حزم حزمة عظيمة من الحطب لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها ويريد حملها فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا مثل رجل من أمتك عليه أمانات للناس لا يقدر على أدائها وهو يزيد عليها، ثم مررنا على خشبة في الطريق لا يمر عليها ثوب إلا شقته ولا شيء إلا خرقته، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: قوم من أمتك يقطعون الطريق، فلما وصلنا بيت المقدس ربط جبريل البراق ودخلت المسجد الأقصى فوجدت نصفه قد امتلأ من الملائكة ورأيت النبيين صفوفاً، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء إخوانك الأنبياء زعمت قريش أن لله شريكًا من اليهود والنصارى وأن لله ولدًا سل هؤلاء المرسلين، هل كان له شريك أو ولد؟» فذلك قوله تعالى: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥] فأقروا كلهم بالوحدانية لله تعالى، ثم قام جبريل عليه الصلاة والسلام وقال: تقدم يا أكرم الخلق على الله.

وسئل الإمام النووي - رضي الله عنه - في الفتاوى عن صلاة النبي ﷺ بالأنبياء ليلة المعراج هل هي هذه الصلاة المعهودة أم الدعاء؟ فأجاب أنها الصلاة المعهودة فلما فرغ النبي ﷺ من الصلاة أثنى كل واحد من الأنبياء على ربه فقال آدم: الحمد لله الذي خلقني بيده وأسجد لي ملائكته وجعل الأنبياء من ذريتي، وقال نوح: الحمد لله الذي أجاب دعوتي

ونجاني من الغرق بالسفينة وفضلني بالنبوة، وقال إبراهيم: الحمد لله الذي اتخذني خليلاً وأعطاني ملكًا عظيمًا واصطفاني بالرسالة وأنقذني من النار وجعلها علي بردًا وسلاماً، وقال موسى: الحمد لله الذي كلمني تكليمًا واصطفاني علي الناس برسالته وأنزل علي التوراة وألقى علي محبة منه، وقال داود: الحمد لله الذي أنزل علي الزبور وألان لي الحديد، وقال سليمان: الحمد لله الذي سخر لي الرياح والجن والإنس وعلمني منطق الطير وأعطاني ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي.

وقال عيسى: الحمد لله الذي علمني التوراة والإنجيل وجعلني أبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذنه. وقال محمد ﷺ: **«كلكم أثنى على ربه وأنا مثن على ربي الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وأنزل عليَ القرآن وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعل أمتي خير أمة أخرجت للناس وسماني رءوفًا رحيمًا، قال إبراهيم: بهذا فضلكم محمد ﷺ.**

فائدة: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **«أكثروا من الحمد لله فإن لها عينين وجناحين تطير بهما وتستغفر لقائلها إلى يوم القيامة».**

شعر:

يا نفس نلت المنى فاستبشري رسلي ... هذا الحبيب وهذا سيد الرسل
هذا الذي ملأت قلبي محبته ... هذا الذي سهرت من أجله مقلي
هذا الذي كنت أهواه وفزت به ... يا فرحتي انفصلي يا فرحتي اتصلي
هذا الذي الخلق من أشواقه هجروا ... الأهل والصحب والأبناء والطلل
هذا الذي للهدي والدين أرشدنا ... لملة شرعها يسمو على الملل
هذا الذي انشق إكرامًا له قمر ... لما أشار له في محفل حفل
هذا الذي رد عينًا بعدما قلعت ... وريقه قد شفى الإمام علي
هذا الذي إن مشي في الرمل لا أثر ... يرى له ويرى في الصخر والجبل
هذا الذي حن جذع عند فرقته ... له أنين شبيه الوالد الثكل
هذا الذي جاء بئرًا وهي مالحة ... ومج فيها فعاد الماء كالعسل
هذا الذي فار ماء من أصابعه ... مثل الزلال حكى الأنهار في السبل
هذا الذي إن دعا جاءت له شجر ... تجر أصلًا لها سعيًا على عجل
هذا الذي سبح الحصى براحته ... والضب كله جهرًا مع الجمل
هذا الذي شد من جوع به حجراً ... أكرم بمولى غدًا بالزهد مشتم
هذا الذي راودته الشم من ذهب ... فردها وإلي الدنيا فلم يمل
هذا الذي في مقام العرض شافعنا ... إذا استغثنا به من شدة الوجل

هذا الذي روضه ما بين منبره وقبره من رياض الخلد لم تزل
يا سيد الخلق يا من حاز مرتبة عليا وقد جل عن شبه وعن مثل
يا درة الأنبيا يا روضة العلما يا ملجأ الغربا يا سيد الرسل
العبد عبد لرحمن جليل أتى إليك وهو من الأوزار في خجل
يرجو بمدحته غفران زلته مع الرضا وحلول الخلد والخلل
صلى عليك إله العرش خالقنا في الليل والصبح والأبكار والأصل
واخصص أبا بكر، ثم ألحق به عمرا كذاك عثمان ذا النورين، ثم علي
والآل والصحب والأتباع أجمعهم أولي النهى والفخار السادة النجل
والسابقين إلى الإسلام قاطبة والتابعين بإحسان وكل ولي

المركب الثاني في المعراج من بيت المقدس إلى السماء: قال الأستاذ شرف الدين عيسى السهروردي رحمه الله تعالى: لما علت بهم الأنبياء المراتب وتفاوت تنازلهم في المناصب تقدم ذكر آدم باصطفائه وإدريس بعليائه ونوح بقبول دعائه وإبراهيم بخلته ووفائه وموسى بخطابه وندائه وعيسى بإنعاشه للميت وإحيائه، خرج شاويش الدولة المحمدية ناطقًا بكريم أوصافه وحسن رعايته وإسعافه وجليل أسمائه وقدره وقد عقدت صناجق عزه بتاج نصر، فلم يكن لأحد منهم فضيلة إلا وأعطي محمد مثلها، ولم نذكر مدحة إلا كان محمد أحق بها وأهلها، ثم قال: يا جبريل ائت إلينا بصاحب المحل الأسنى المنعوت بالحسنى حتى يفضل على أهل الكونين بمقام قاب قوسين أو أدنى، وتلطف في يقظته من المنام فهو نائم في المسجد الحرام، ادعه لمناجاتي بألطف كلام، فإن سألك أين المقام؟ فقل له: إلى مقام لا تصله الأوهام ولا تجاوز إليه الأفهام، فجاء جبريل وجلس عند رأس المصطفى حتى أفاق فدعاه للصعود إلى أعلى مراتب السعود فسار المخصوص بالتوفيق وجبريل له خير رفيق، حتى وصل إلى المسجد الأقصى، وقد عاين في طريقه من العجائب ما لا يحصى، جمع الله النبيين الكرام فصلى بهم إمامًا عليه - أفضل الصلاة والسلام - ثم صعد على المعراج العلا كلما مر على ملأ من الملائكة رحب به ذلك الملأ، وصف في السماء الأولى بأجمل صفاته وخلعت عليه خلعة تصلح لكريم ذاته مرقوم على أكمامها ما يشهد برفع درجاته، ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ [الجمعة:٢] الآية، وخلع عليه في السماء الثانية خلعة تشرف بها على المرسلين مرقوم عليها ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، وخلعت عليه في السماء الثالثة خلعة نال بها فخرًا كثيرًا مرقوم عليها ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٥]، وخلعت عليه في السماء الرابعة خلعة دار بها في الملكوت مبتهجًا مرقوم عليها ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجًا﴾ [الكهف:١]، وخلعت عليه في السماء الخامسة خلعة دار بها علي النبيين تعظيمًا مرقوم عليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى

ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب :٥٦] ، وخلعت عليه في السماء السادسة خلعة التكريم مرقوم عليها ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة :١٢٨] ، وخلعت عليه في السماء السابعة خلعة جر بها على أهل السماء ذيلاً مرقوم عليها ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾ ، دلي له رفوف النور الأزهر فتقدم وجبريل عنه تأخر ، ثم زج في الأنوار ورفعت له الأستار حتى سمع كلام الجبار فقربه وناجاه وآنسه وناداه السلام عليك أيها النبي ورحمة الله .

وقال ابن الجوزي : - رحمه الله - في كتاب الماجريات في الأسئلة والجوابات : لما اجتهد من حاز السيادة في أبلغ العبادة واستعظم من في الملأ الأعلى عقله وعرف من في الوجود فضله زاده الكريم تكريمًا وتفضيلاً ، وأنزل عليه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [المزمل :١-٢] ، وعزتك لا زلت في خدمتك حتى تلفت فيها مهجتي وتغفر لأمتي فقيل : ألست قمت لنا في الظلام على أقدام مجاهدتك؟ ففيه ندعوك إلى دار كرامتك سترًا على حالك وغيرة على جلال جمالك لتكون خلوة بخلوة وجلوة بجلوة ، نودي بين حجب الجبروت وفي فضاء الملكوت : يا جنة عدن تزيني ، ويا دار النعيم تكوني ويا حلل الإنعام تلوني ، ويا حور تبخري ويا سموات افتخري ، فقالت : إلهنا ما الخبر؟ فقال : الليلة سيقدم لزيارتنا سيد البشر ، فلما شق جيب الغيب نشر أعلام نصر من الله وفتح قريب على أبواب الدولة المحمدية والرسالة الأحمدية فلما انحاز زخرف النهار وغشي الظلام نور الأبصار جاء جبريل وتقدم ودنا منه وسلم بحياء وكرم واحترام ، وقال : أيها السيد قم على أقدام المسرة فقد دعيت إلى الحضرة فركب في حشمة رسالته ودارت به مواكب كرامته ، فلما وصل إلى مقام الإجلال كقاب قوسين لدنو الجمال ، قال : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ ، قيل : لمن هذا الاستغفار؟ قال : لأمتي ، قال : تطلب كل الأمة أو بعضها قال : كلهم في وصف كرمك قيل : انظر عن يمينك فنظر فرأى واديًا مملوءًا دخاناً ، فقال : يا إلهي ما هذا الدخان؟ قال : سوء أفعالهم وقبيح أعمالهم . قال ﷺ : تريد أن توحش قلبي منهم وتنفر فؤادي عنهم ووعدك الحق في تحقيق كرامتي؟ فقيل : قد وهبتك ثلثهم فقال : وعزتك لا أرضى لهم قال : فالنصف قال : لا أرضى بدون الكل يا إلهي لما أنزلت علي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝﴾ [المزمل :١-٣] والنصف إذا أنقص منه قليل صار الثلث فعبدك ما رضي في خدمتك بالثلث أو النصف بل قمت الليل كله فلا أرضى إلا بالأمة كلها ، فقيل له : قد مننا عليك بأمتك وغفرنا لهم بخدمتك ولأرفعن قدر من صلى عليك ببركتك ، قال في عاتق العقائق : لما وصل النبي ﷺ إلى بيت المقدس صلى بالأنبياء ركعتين على ملة إبراهيم - عليه السلام - قرأ في الأولى : ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون :١] ، وفي الثانية الإخلاص . وتقدم عن قتادة في الموكب الأول أنها الصلاة المعهودة ، ثم أخذ جبريل بيده إلى ناحية الصحراء ونادى : يا إسماعيل دل المعراج ، فجاء به

من الفردوس أحد شقيه من ياقوتة حمراء والآخر من زبرجدة خضراء وهو منضود باللؤلؤ من أحسن شيء خلقه الله تعالى، وما من مؤمن إلا ويراه عند موته ألا ترون له يشخص ببصره إلى السماء؟ أصله على الصخرة ورأسه ملتصق بسماء الدنيا مائة درجة من الذهب والفضة والزبرجد والياقوت والمسك والعنبر، فلما صعدت على الدرجة الأولى رأيت ملائكة ألوانهم حمر وثيابهم حمر، ثم صعدت الثانية فرأيت ملائكة صفر وثيابهم صفر، ثم صعدت الثالثة فرأيت ملائكة ألوانهم خضر وثيابهم خضر، ثم صعدت الرابعة ورسول يأتي بعد رسول يقول: يا جبريل عجل بمحمد فرأيت ملائكة تبرق أجسادهم ووجوههم كما تبرق المرآة، ثم صعدت الخامسة، فإذا عليها ملائكة أكثر من الجن والإنس وكلامهم لا إله إلا الله، ثم صعدت السادسة فإذا عليها ملك عظيم على كرسي من ذهب، معه ملائكة شاخصون بأبصارهم هيبة لله تعالى كلامهم ما شاء الله كان، ثم صعدت السابعة فرأيت عليهما ملائكة كاد نور بصري يذهب من نورهم فاستقبلوني بالتعظيم، ورأيت على الثامنة ملائكة ساجدين لله تعالى ورأيت على التاسعة ملائكة قصر فهمي عن صفتهم، ورأيت على العاشرة ملائكة يسبحون الله تعالى بأنواع اللغات ورأيت على الحادية عشرة ملائكة لا يحصون لكثرتهم ورأيت على الثانية عشرة ملائكة وجوههم كالأقمار، ورأيت على الثالثة عشرة ملائكة لهم زجل بالتسبيح والتقديس، ويكاد يذهب بالأسماع، ورأيت على الرابعة عشرة إسماعيل ومعه سبعون ألف ملك، زاد العلائي: مع كل ملك منهم ألف، وظاهر كلامه أنه الذي جاء بالمعراج ورأيت على الخامسة عشرة رقيائيل ومعه ألف ألف ملك حتى بلغت الرابعة والعشرين، فإذا عليها ملك اسمه: قلائيل يده اليمنى تحت السماء والأخرى فوقها بين كل أصبعين سبعة آلاف ملك إذا سبحوا الله تعالى تناثر اللؤلؤ من أفواههم طول اللؤلؤة الواحدة ثمانين ميلاً لها موكلون بها يلتقطونها إلى شاطئ النهر الشرقي، ورأيت ملائكة تسبيحهم سبحان الله الأعلى، ورأيت سريرًا من ذهب قوائمه من الياقوت له أجنحة من الزبرجد على سعة الدنيا على خمس قوائم مع كل قائمة خمسون ألف ملك كل قائمة تقول: شرفني بقدومك يا محمد، فجمع الله الكل تحت قدمي، ثم طار في الهواء، ورأيت ملكًا دموعه لؤلؤ وهو ينادي: يا غفار الذنوب اغفر لأمة محمد ﷺ قال النبي ﷺ: ثم لم أزل أصعد درجة بعد درجة وجبريل تحت البراق ورسول يأتي من بعد رسول يقول: يا جبريل عجل بمحمد ﷺ حتى كنت في أعلى درجة فسمعت الملائكة يهللون ويسبحون ويقدسون الله تعالى فقرع جبريل بابًا من أبواب السماء وهو الباب الخاص بمحمد ﷺ وهكذا في كل سماء فلذلك استأذن فأقبل إسماعيل على فرس من نور عليه رداء من نور بيده حربة من نور، عمل العباد بالنهار بيده اليمنى وعملهم بالليل بيده اليسرى، ومعه ألف موكب من الملائكة فقال: من هذا؟ قال جبريل قال: من معك؟ قال: محمد ﷺ قال: قد بعث إليه؟ وفي رواية: أرسل إليه؟» قال العلائي: ليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة وإرساله فإن ذلك لا يخفى في هذه المدة وإنما المراد أرسله إليه إلى السماء تفتح له، فصعد إلى سماء الدنيا

وهي من موج مكفوف حبسه الله تعالى في الهواء، ثم قال: كوني زمردة خضراء فكانت، وتسبيح أهلها سبحان ذي الملك والملكوت من قالها: كان له مثل ثوابهم. قال النيسابوري: فهم سجود إلى يوم القيامة. قال العلائي رحمه الله تعالى: وجد في سماء الدنيا ملكًا على كرسي، فسلم عليه ﷺ فأجابه ولم يقم له فأوحى الله إليه: أيها الملك يسلم عليك حبيبي محمد ﷺ فترد عليه وأنت جالس وعزتي وجلالي لتقومن إليه على قدم واحدة لتسلمن عليه، ثم لا تجلس إلى يوم القيامة، قال العلائي - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: وإذا برجل كهيئته يوم خلقه الله تعالى وهو تعرض عليه أرواح ذريته فإذا كانت روح مؤمن قال: روح طيبة اجعلوا كتابه في عليين. قال ابن عباس رضي الله عنهما - أي في الجنة، وقيل: عليين أي في السماء السابعة، وإذا كانت روح كافر قال: روح خبيثة اجعلوا كتابه في سجين. قال مجاهد: سجين: صخرة تحت الأرض السابعة، وفي الحديث: «**إن أرواح الكفار في بئر برهوت بأرض اليمن وأرواح المؤمنين ببئر ذروان بطيبة ومياه بابل بأرض العراق وبئر زمزم بمكة**»، قال أبو الفتوح العجلي الوسيط: الأولى أن لا يتطهر بماء زمزم. وقال الماوردي: لا يجوز استعماله في نجاسة. قال في الروضة: هو كغيره أي فيجوز استعماله مطلقًا. قال النبي ﷺ: «**يا جبريل من هذا؟ قال: هذا أبوك آدم فسلمت عليه فرد علي السلام وقال: مرحبًا بالابن الصالح، والنبي الصالح وإذا عن يمينه باب إذا نظر إليه ضحك وعن يساره باب إذا نظر إليه بكي، فقلت: يا جبريل ما هذان البابان؟ قال: الذي عن يمينه باب الجنة وإذا نظر إليه ضحك سرورًا بمن يدخله من ذريته والذي عن يساره باب جهنم إذا نظر إليه بكى شفقة على من يدخله من ذريته**»، قال العلائي - رضي الله عنه -: فإن قيل: أرواح المؤمنين في السماء وأرواح الكفار تحت الأرض فكيف تكون في السماء؟ قلنا: يحتمل أن تكون أرواح الكفار تعرض على آدم - عليه السلام - في السماء فوافق عرضها على آدم - عليه السلام - مرور النبي ﷺ.

المركب الثالث: أجنحة الملائكة من السماء الدنيا إلى السماء السابعة، شعر:

غرامي بمن لم يخلق الله مثله ... وليس حبيب منه أتقى ولا أنقى
هو السؤل طه الهاشمي محمد ... وأحمد من محمود أسمائه اشتقا
له صفة ما حدها قط واصف ... ويكفيك أن البدر من أجله انشقا
ويكفيك أن الله كمل حسنه ... كذلك منه كمل الخلق والخلق
ويكفيك أن الله كمل نوره ... وسماه طه قبل أن يخلق الخلقا
ويكفيك أن الشمس ردت لأجله ... ومن نوره الفياض قد نور الأفقا
ويكفيك أن الجذع حن بأمره ... من النخلة العليا ورد لها العذقا
ويكفيك أن السحب ماجت ... وأمطرت بدعوته لما أشار إذا استسقى
ويكفيك أن الصخر لان لنعله ... وليس على ترب ترى أثره يبقى

ويكفيك أن العين سالت فردها فكان الشفا للداء من فمه الريقا
ويكفيك أن الله رقاه للعلا فأكرم به مولى له الله قد رقى
ويكفيك لولاه لما كانت السما ولا الأرض بل لولاه ما كانتا رتقا
ويكفيك من صلى عليه مرة عليه يصلى عشرة، ثم لا يشقى

قال النبي ﷺ، ثم حثثنا المسير خمسمائة عام في الهواء وإذا ليس في الهواء موضع شبر إلا وفيه جبهة ملك يسبح الله تعالى حتى انتهينا إلى السماء الثانية، وهي من حديد فقرع جبريل بابًا من أبوابها فأقبل مرجائيل، وقيل: رقيائيل في ألف موكب من الملائكة ولهم ضجة أشد من ضجة أهل سماء الدنيا، فقال: من هذا؟ قال: جبريل، قال: من معك؟ قال: محمد نبي الرحمة، ففتح الباب فرأيت ملائكة وجوههم كوجوه البقر على خيل مسومة متقلدين بالسيوف وبأيديهم الحراب، فقلت: **«يا جبريل من هؤلاء؟»** قال: هؤلاء هم ملائكة خلقهم الله لنصرتك على خيل بلق بعمائم صفر، قال النبي ﷺ: **«ثم نظرت إلى شابين حسنين جالسين على سريرين من ياقوتة حمراء فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: ابنا الخالة يحيى وعيسى - عليهما السلام - فدنوت منهما وسلمت عليهما وعيسي - عليه السلام - أحمر اللون»**، قال النبي ﷺ: **«ثم أتت الملائكة أفواجًا يسلمون علي فصليت بهم ركعتين، ثم سار بي جبريل في الهواء خمسمائة عام حتى دنا من السماء الثالثة، فسمعنا أصواتًا أشد من الصواعق بالتسبيح والتهليل فقرع جبريل الباب وهو من نحاس»**، وقيل: من فضة، **«ففتح لنا ورأيت ملكًا معه سبعون ألف ملك قد خرقت أقدامه الأرض السابعة وتسبيحهم: سبحان الحي الذي لا يموت من قالها كان له مثل ثوابهم، ورأيت فيها شابًا كالقمر فقلت: من هذا؟ قال: يوسف فدنوت منه وسلمت عليه فرد علي أحسن تحية»**، قال عكرمة: فضل يوسف في الحسن على الناس كفضل القمر ليلة البدر على النجوم، قال ابن إسحاق: ذهب يوسف وأمه بثلث الحسن قيل: إنه ورث ذلك من جدته سارة، **«ثم صليت بالأنبياء عليهم السّلام ركعتين، ثم سرنا في الهواء خمسمائة عام حتى انتهينا إلى السماء الرابعة وهي من ذهب وتسبيح أهلها: سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح من قالها كان له مثل ثوابهم ورأيت فيها ملكًا، البحار العذبة في نقرة إبهامه اليمنى والبحار المالحة في نقرة إبهامه اليسرى، ورأيت فيها ملكا صورة الطائر فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا ملك قائم على شفير هذا النهر، فإذا قال العبد: لا إله إلا الله نشر جناحه فإذا قال: الحمد لله دخل النهر فإذا قال: سبحان الله انغمس في النهر فإذا قال: الله أكبر خرج من النهر، فإذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله انتفض فسقط من كل ريشة سبعون ألف قطرة فيخلق الله من كل قطرة ملكًا يستغفر لقائلها إلى يوم القيامة»** قال النبي ﷺ: «ثم رأيت رجلًا مسندًا ظهره إلى دواوين الخلق التي فيها أمورهم، فقلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا إدريس فدنوت منه وسلمت عليه فقال: مرحبًا بالأخ الصالح، ثم قلت: يا أخي إن الله قد رفعك مكانًا عليًّا ودخلت الجنة قبلي ورأيت نعيمها

فقال: يا حبيب الله ما دخلت الجنة ولا رأيت نعيمها وإنما دخلت بستانًا خارج الجنة ورأيت على بابها مكتوبًا: هذا الباب لا يدخله أحد قبل محمد وأمته، ورأيت فيها مريم بنت عمران لها سبعون قصرًا من لؤلؤ ولأم موسى سبعون قصرًا من الياقوت ولآسية بنت مزاحم سبعون قصرًا من مرجانة حمراء، ولفاطمة بنت النبي ﷺ سبعون قصرًا من زمرد أخضر، ثم سرنا حتى علونا السماء الخامسة وهي من ياقوت وتسبيح أهلها: سبحان من جمع بين الثلج والنار، من قالها كان له مثل ثوابهم، ورأيت فيها رجلاً كهلاً فقلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هارون فسلم علي ورحب بي ودعا لي بخير، ثم علونا إلى السماء السادسة وهي من جوهر وتسبيح أهلها: سبحان القدوس رب كل شيء وخالق كل شيء من قالها كان له مثل ثوابهم إذ فيها خلق كثير رافعون أصواتهم بالبكاء من خشية الله، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الكروبيون». قال النسفي: خلق ميكائيل بعد إسرافيل بخمسمائة عام من رأسه إلى قدميه وجوه وأجنحة من زعفران في كل ريشة ألف عين تبكي على المذنبين من أمة محمد فيقطر من كل عين سبعون قطرة فيخلق الله من كل قطرة ملكًا فهم الكروبيون، فأقبلت عليهم بالسلام فجعلوا يردون علي إيماء برؤوسهم لا يتكلمون ولا ينظرون إلى من الخشوع، فقال جبريل: هذا محمد نبي الرحمة الذي أرسله الله من العرب وهو خاتم النبيين أفلا تنظرون إليه؟ فأقبلوا علي بالتحية وإذا برجل آدم يعني أسمر اللون كثير الشعر لو كان عليه قميصان لخرج الشعر منهما، فقال: يزعم بنو إسرائيل أني أكرم الخلق على الله وهذا أكرم على الله مني فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: موسى بن عمران، فسلمت عليه فقال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح فما جاوزته حتى بكى فقيل: ما يبكيك؟ فقال: غلام يبعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي قال الخطابي: لم يبك موسى حسدًا للنبي على ما أعطاه الله تعالى من الكرامة بل على نقص حظ أمته ونقصان عددهم عن عدد أمة محمد ﷺ وسماه غلامًا لما أعطاه الله من عظيم الكرامة من غير عمر طويل أفناه في طاعة الله عز وجل، شعر:

هذا مقام الذي لاذت به الأمم ... وأذعنت لعلاه العرب والعجم
هذا مقام رسول الله أكرم من ... جاءته من ربه الأحكام والحكم
هذا محمد الهادي الذي محيت ... عنا بنور هداه الظلم والظلم
هذا الذي قد سما فوق السماء إلى ... مقام عز فتاهت دونه الأمم
هذا الذي كشف الله الحجاب له ... لو رام ذا غيره زلت به القدم
هذا الذي ربنا الرحمن خاطبه ... فقدمت منه أذن قد وعت لهم
هذا نبي الهدى المختار من مضر ... هذا به أنبياء الله قد ختموا
هذا الذي نبع الماء الطهور له ... من كفه فسقاه الخلق حين ظموا
هذا الذي انفلق البدر المنير له ... والكل يشهده إلا الذين عموا

هذا الذي أشرقت أنوار غرته   بنورها قد أضاء الحل والحرم
هذا المراد من الدنيا وساكنها   لولاه لم تخلق الأشباح والنسم

قال العلائي: قال النبي ﷺ: **ثم علونا إلى السماء السابعة وهي نور وتسبيح أهلها: سبحان خالق النور، من قالها كان له مثل ثوابهم، ورأيت فيها خلقًا لم يؤذن لي أن أحدثكم عنهم ولولا أن الله قوى بصري لم أستطع النظر إليهم فسلمت عليهم، فقالوا: حياك الله من أخ وخليفة ونعم المجيء جئت ورأيت فيها شيخًا يشبه صاحبكم يعني نفسه الشريفة ﷺ وهو على سرير من زبرجد أخضر قد أسند ظهره إلى البيت المعمور قلت: من هذا؟ قال: هذا أبوك إبراهيم فسلمت عليه فقال: مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح، أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان غرسها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.**

قال البرماوي: القيعان هو الواسع المستوي من الأرض. وقيل: الملساء. قال أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ إذا قال العبد: سبحان الله قال الله تعالى: اكتبوا لعبدي رحمتي كثيرة، وقال النبي ﷺ: «**من قال: سبحان الله إلخ خمس مرات أعطاه الله تعالى خمس مسائل: اللهم اغفر لي وارحمني وارزقني وأرشدني وعافني**»، قال النبي ﷺ: «**يقول الله تعالى قل لأمتك: تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله عشرًا عند الصباح وعشرًا عند المساء وعشرًا عند النوم أدفع عنهم عند النوم بلوى الدنيا وعند المساء مكايدة الشيطان وعند الصباح غضبي**»، وقال النبي ﷺ: «**أكثروا من لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة ومن أكثر منها نظر الله إليه ومن نظر الله إليه فقد أصاب خير الدنيا والآخرة**» وتقدم في الأذكار وباب الدعاء على هذا زيادة، والله أعلم.

المركب الرابع: جناح جبريل - عليه السلام - من السماء السابعة إلى سدرة المنتهى: قال العلائي: قال النبي ﷺ: «**ثم رأيت ذهبًا صامتا على كواكب اللؤلؤ تحت كل لؤلؤة خمسون ملكًا كل ملك ينادي: مرحبًا بك يا محمد وأهلًا لا إله إلا الله محمد رسول الله، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء عباد من السماء السابعة ورأيت ملائكة على رأس كل ملك تاج تسعون ذراعًا بذراع جبريل في كل تاج أربعمائة لؤلؤة الواحدة تسع الدنيا والياقوتة تدخل فيها أهل الدنيا، ورأيت ملكًا عن يمينه ألف ألف ملك، وعن يساره ألف ألف ملك على رؤوسهم تيجان من نور وهم يقرءون آية الكرسي قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء خلقوا من قطرة من نور العرش، فقلت: يا جبريل ما أكثر عجائب ربي!! فقال: ما رأيت من عجائب ربك إلا ساعة من الليل**».

فائدة: قال ابن عباس - رضي الله عنهما - سأل النبي ﷺ جبريل - عليه السلام - عن ثواب آية الكرسي فقال: لما خلق الله الأرض تحركت فأرسل إليها سبعين ألف ملك ليمسكوها فلم يستطيعوا فأرسل إليها سبعين ألفًا أيضًا فلم يستطيعوا فأرسل سبعين ألفًا أيضًا،

فلم يستطيعوا، فخلق الله جبل قاف وأحاطه بالدنيا وخلق الله حوله أربعمائة وأربعين جبلاً فلم تستقر فكتب عليها آية الكرسي فاستقرت فمن قرأ آية الكرسي فله من الثواب وزن جبل قاف، ووزن تلك الجبال وله مثل تسبيح أولئك الملائكة ولما خلق الله الشمس والقمر أمر سبعين ألف ملك أن يجروهما فعجزوا، ثم أرسل سبعين ألفًا أيضًا فعجزوا، ثم أرسل سبعين ألفًا أيضًا فعجزوا فكتب عليهما آية الكرسي فتحركا ودارا بقدرة الله تعالى فمن قرأ آية الكرسي من أمتك فله من الثواب بعدد أولئك الملائكة، وبعدد كل شيء طلعت عليه الشمس والقمر.

قال في العرائس: جعل الله آية الكرسي أمانًا لأهل الإيمان من شر الشيطان.

قال النبي ﷺ: ثم سرنا وجبريل على أثري حتى وصلنا إلى سدرة المنتهى، فإذا هي شجرة عظيمة ثابتة على تل مسك لها ألف غصن يسير الراكب في ظل الغصن مائة عام كل غصن له ألف ورقة كل ورقة لو استظل بها الإنس والجن لأظلتهم، على كل ورقة ملك على لون القمر على رأسه تاج من نور بيده قضيب من نور مكتوب على جبهته نحن سكان سدرة المنتهى سبحان من ليس له انتهاء يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن، أي غير متغير وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفي قال البغوي: قال مقاتل: وتحمل الحلي والحل والثمار من جميع. الألوان قال في العرائس: إنها في السماء السابعة مما يلي الجنة أصلها في الجنة وفروعها تحت كرسي وأغصانها تحت العرش مقام جبريل في وسطها، يغشاها ملائكة كأنهم فرش من ذهب، ورأيت في تفسير القشيري في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم:١٦]، أي أعطى الله نبيه محمدًا ﷺ خواتيم سورة البقرة وغفر لأمته. وقال نجم الدين النسفي: غشيتها ملائكة من ذهب على صور الجراد مع كل ملك طبق عليه من اللطائف ما لا يحصى، فنثروه بين يدي النبي ﷺ. وقال النيسابوري: قال المحققون: غشيها نور الله تجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت أقوى من الجبل ومحمد ﷺ أقوى من موسى - عليه السلام -؛ لأنه لم يصعق والسدرة لم تضطرب. قال العلائي: في أصلها محراب جبريل - عليه السلام - فأذن جبريل فلما قال: الله أكبر الله أكبر. قال الله تعالى: صدقت يا عبدي أنا أكبر من كل شيء فلما قال: أشهد أن لا إله إلا الله قال الله تعالى: صدقت يا عبدي لا إله إلا أنا فلما قال: أشهد أن محمدًا رسول الله قال: صدقت يا عبدي محمد عبدي ورسولي مرحبًا به، فلما قال: حي على الصلاة قال: أفلح من جاء بها فلما قال: حي على الفلاح قال: أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون، فلما فرغ الأذان أقيمت الصلاة واصطفت الملائكة صفوفًا كل صف كما بين المشرق والمغرب فصلى بهم ركعتين، ثم أقبلت الملائكة زمرًا زمرًا يسلمون علي، ثم خرج ملك من الحجاب الذي يلي الرحمن، أي يلي عرشه بدليل رواية السمرقندي: فانطلق جبريل إلى الحجاب الأكبر عند سدرة المنتهى فقال النبي ﷺ: من هذا؟ قال: والذي بعثك بالحق ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فأذن الملك

لكن لم يخرج له جواب عن قوله: حي على الصلاة حي على الفلاح، ورأيت في بعض المعاريج عنه ﷺ قال: رأيت طيورًا خضرًا على الشجرة وفيهم المحزون والمسرور عندهم شيخ عجوز فقلت: يا جبريل من هذا! الشيخ العجوز وهذه العجوز؟ قال: إبراهيم وسارة والطيور أرواح أطفال المؤمنين والمحزون من فارق أهله عن قريب والمسرور من فارق أهله من بعيد وسميت سدرة المنتهى؛ لأن علم الخلائق مما تحتها لا يتجاوزها وعلم من فوقهم لايتجاوزها أي من تحتها لا يعلم من فوقها ومن فوقها لا يعلم من تحتها، وقال علي - رضي الله عنه -: سميت سدرة المنتهى؛ لأنه ينتهي إليها من كان على سنة محمد ﷺ وقيل: سميت بذلك؛ لأنه من انتهى إليها فقد انتهى في الكرامة، قال الحسن: غشيتها نور من رب العالمين.

موعظة: عن النبي ﷺ: «**من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار**» قال بعضهم: يعني من قطعها في فلاة يستظل بها المسافر وغيره من غير ضرورة.

فائدة: نزل جماعة من أصحابه - رضي الله عنهم - واديًا فأعجبهم ما فيه من شجر السدر، فقالوا: يا ليت لنا مثلها فأنزل الله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ [الواقعة:٢٨]، أي جعل الله مكان كل شوكة ثمرة فيها اثنان وسبعون لونًا من الطعام، وقيل: المخضود الكثير الحملان، والطلح المنضود: شجر الموز، والمنضود: المتراكم بعضه فوق بعض. وسيأتي في مناقب الجنة منافع الموز. قال البغوي: في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم:١٦]، قال: غشيها فراش من ذهب وقال غيره: غشيها أنوار الجلال وأرخيت عليها ستور من اللؤلؤ وياقوت وزبرجد، وخصت بهذه الخصال الفضائل لتفردها بثلاثة أشياء: ظل ممدود وطعم لذيذ ورائحة طيبة فشابهت الإيمان الذي يجمع ثلاثة أشياء: القول والنية والعمل، فظلها من الإيمان بمنزلة العمل؛ لأنه يتجاوز العامل كتجاوز الظل وطعمها بمنزلة النية، لخفائه ورائحتها بمنزلة القول لظهوره، فلما وصل إليها النبي ﷺ عرفت الملائكة ذلك بهبوط الأنوار عليها كقطر الغمام فأسرعوا للسلام كالجراد المنتشر عندها جنة المأوى، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: يأوي إليها جبريل - عليه السلام - قال مقاتل والكلبي: يأوي إليها أرواح الشهداء ينتهي إليها ما يعرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها. قال النبي ﷺ: «**رأيت ديكًا له زغب أخضر وريش أبيض أشد بياضا ورجلاه من ذهب أحمر في السماء السابعة وذنبه من لؤلؤ ورأسه من درة تحت العرش وعيناه من ياقوتة وعرفه من عقيق أحمر له جناحان أخضران إذا نشرهما جاوز بهما المشرق والمغرب فإذا مضى ثلث الليل نشر جناحه وخفق بهما، وقال: سبحان الملك القدوس سبحان الله الكريم فتجاوز به ديوك الأرض، ثم إذا كان نصف الليل نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح لله تعالى، ويقول: سبحان ربي العظيم سبحان ربي العزيز القهار سبحان رب العرش الرفيع فإذا فعل ذلك سبحت ديوك الأرض**»، قال النبي ﷺ: «**فلم أزل**

مشتاقًا إلى رؤية ذلك الديك مرة ثانية»، وقال العلائي: إنه رآه في سماء الدنيا وفي الخبر: ديك العرش له أجنحة بعدد خلق الله تعالى يقول: اللهم اغفر للمذنبين من أمة محمد ﷺ. قال النبي ﷺ: **«يجيء يوم القيامة على راحلة رجلها من ذهب وزمامها من در وياقوت يتبعه المؤذنون ليدخلهم الجنة حتى إنه ليدخل الجنة من أذن أربعين صباحًا يريد به وجه الله تعالى»**.

وفي العرائس: إن الله تعالى أنزل ديكًا إلى آدم فكان إذا سمع الديك تسبيح الملائكة يسبح فيسبح آدم. وتقدم في باب الكرم زيادة على هذا وسيأتي في مناقب على أن لحم الديك العتيق ينفع للقولنج، قال في المدخل: حصل لبعضهم قولنج فشكا ذلك للنبي ﷺ في النوم فأمره أن يأخذ ثلاثة دراهم من عسل النحل ودرهمًا ونصفًا من الزيت المرقى وإحدى وعشرين درهمًا من الشونيز وهي حبة البركة. وسيأتي بيان الزيت المرقى ويخلط الجميع ويفطر عليه، وعند النوم، وحصل لبعضهم دوخة في رأسه فرأى النبي ﷺ في المنام فشكا إليه فقال: خذ من القرفة والزنجبيل والقرنفل والسنبل والجوز الطيب من كل واحد وزن درهم ونصف، ومن الشونيز وزن درهمين يدق الجميع ويطبخ ويعقد بعسل النحل فإذا قرب استواؤه عصر عليه قليلاً من الليمون ففعل الرجل ذلك فعافاه الله تعالى. وحصل لبعضهم مرض الحصبة فشكا ذلك للنبي ﷺ في النوم فأمره أن يأخذ شيئًا من خل العنب وشيئًا من عسل النحل وشيئًا من الزيت المرقى، ثم يخلط الجميع ويدهن به ففعل فبرأ بإذن الله تعالى، ثم قال في المدخل: والزيت المرقي أن يكون زيتًا طيبًا ويدهن في إناء نظيف، ثم يحركه بشيء ويقول: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة:١٢٨]، إلى آخر السورة ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ [الحشر:٢١]، إلى آخر السورة وسورة الإخلاص والمعوذتين. وذكر أن الزيت المرقى ينفع من جميع الأمراض دهنًا، فإن كان الوجع شديدًا جلس في الشمس قليلاً، ثم يدهن به الوجع ويضع عليه المصطكى وشيئًا من حبة البركة مدقوقًا، وحصل لبعضهم وجع في عينه فشكا ذلك إلى النبي ﷺ في النوم، فأمره أن يأخذ حجر الإثمد ويحميه في النار فإذا حمى أخرجه وأطفأه في الزيت المرقى، ثم يسحقه ويكتحل ثلاثة أيام ففعل فبرأ - بإذن الله تعالى -. وتقدم في باب الأمانة منافع طيبة لا بأس بمراجعتها، قال النبي ﷺ: ثم رأيت ملكًا نصفه من ثلج ونصفه من نار وهو ينادي: اللهم يا من ألف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك المؤمنين، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا ملك يقال له: حبيب وكله الله بأكناف السموات وأطراف الأرضين، وهو من أنصح الملائكة لأهل الأرض من المؤمنين يدعو لهم بما نسمع إلى يوم القيامة ثم رأيت ملكًا على كرسيه والدنيا بين ركبتيه وبيده لوح ينظر فيه لا يلتفت يمينا ولا شمالاً، قال العلائي: في مكان آخر إنه رآه في السماء الرابعة، فوقف جبريل على رأسه وقال: يا ملك الموت ألا تسلم على محمد نبي الرحمة حبيب رب العالمين؛ فالتفت إلي وقال: السلام عليك يا محمد أبشر فما رأيت الخير كله إلا فيك وفي أمتك فقر عينًا وطب نفسًا فقلت

له: أخبرني كيف تقبض روح المؤمن؟ فقال: إذا كان آخر ساعة من الدنيا وأولها من الآخرة بعثت إليه أعواني ومعهم رياحين من الجنة وغصن من أغصانها فيجعلونه بين عينيه ويعالجون روحه بالرفق حتى إذا بلغت نفسه الحلقوم هبطت إليه فأسلم عليه، ثم أقبض روحه وأعرج بها إلى السماء فلا تمر بملأ من الملائكة إلا رحب بها وحياها حتى ينتهي بها إلى الله تعالى، فيقول الله: مرحبًا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ألا فاكتبوا لعبدي كتابًا في عليين وينطلق بروحه إلى الجنة فينظر إلى ما أعد الله له فيها، فلما ترد روحه إلى جسده فيرى مغسله ومحنطه وأحبهم إليه الذي يقول: أسرعوا به وأبغضهم إليه الذي يقول: انتظروا به فإذا دخل قبره قالت الأرض: مرحبًا بك وأهلاً قد كنت أحبك وأنت على ظهري فكيف اليوم وقد صرت في بطني فترى؟ ما أصنع فيتسع قبره مد البصر، ثم إذا انصرف عنه أهله أتاه منكر ونكير فسألاه عن ربه وعن نبيه فيقول: الله ربي والإسلام ديني ومحمد نبيي والقرآن إمامي فينتهرانه انتهارًا شديدًا ويرددان عليه السؤال، فيقول: أتريدان أن تفتناني في ديني؟ ما أعرف إلا هذا فيقولان له: صدقت، عليه حييت وعليه مت وعليه تبعث، ثم يفتحان له بابا إلى النار فإذا نظر إليه بكى فيقولان له: لا تحزن فإنها ليست بدارك انظر ماذا صرف الله عنك بعملك الصالح، ثم يغلق عنه ذلك الباب ويفتح الباب إلى الجنة أما الكافر فإذا كان آخر ساعته من الدنيا وأولها من الآخرة بعثت إليه أعواني ومعهم شعر من النار وكلاليب من نار وغصن من أغصان شجرة زقوم وهي الشجرة الملعونة في القرآن فيعالجون روحه بالغيظ والشدة حتى إذا بلغت روحه الحلقوم وعرجوا عنه فأهبط إليه وأبشره بسخط الله، ثم أعرج بروحه إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونه، ولا يراه ملك إلا لعنه فيأتي النداء من قبل الله تعالى: لا مرحبًا بالنفس الخبيثة التي كانت في الجسد الخبيث، ثم يكتب له كتابًا في سجين. وتقدم في الموكب الثاني: أن صخرة سينا تحت الأرض السابعة، ثم ينطلق بها إلي فيرى ما أعد الله له فيها من العذاب، ثم ترد روحه إلى جسده فيرى من يغسله ويحنطه فأحبهم إليه من يقول: انتظروا به وأبغضهم إليه من يقول: أسرعوا به فإذا مضوا به نحو قبره نادى ثلاثة أصوات فيسمعها جميع الخلائق سوى الإنس والجن: يا أصحاباه ويا جيراناه و ياحملة نعشاه لا تغرنكم الدنيا كما غرتني ولا يلعب بكم الزمان كما لعب بي فإنه يساق إلى عذاب الله، فإذا وضع في قبره قالت له الأرض: لا مرحبًا بك ولا أهلاً وعزة ربي لقد كنت أبغضك وأنت على ظهري فكيف وقد صرت في بطني؟ فسترى ما أصنع بك فيضيق عليه قبره، فإذا انصرف عنه أهله أتاه منكر ونكير فيسألانه من ربك ومن نبيك وما دينك؟ فيقول: ما أدري فيقولان: لا دريت ولا تليت، ثم يفتحان له بابًا إلى الجنة فإذا نظر إليه فرح فيقولان له: لا تفرح ليست بدارك، انظر إلى ما حرمك الله بكفرك وله رواية ثانية خلاف هذا في محل آخر، وقال النبي ﷺ: ما من يوم إلا وملك الموت يقف على باب أحدكم خمس مرات، وقال أيضًا: «**أكثروا ذكر الموت فما من عبد أكثر من ذكر الموت إلا أصلح الله قلبه وهون عليه الموت**»، وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالا: قال النبي ﷺ:

«**من قال عند الموت: لا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله لم تطعمه النار أبداً**».

المركب الخامس: الرفرف إلى قاب قوسين: قال سعيد بن جبير: أي قدر ذراعين قال مجاهد: قدر ما بين القوسين والوتر وسيأتي زيادة، قال العلائي: قال النبي ﷺ: ثم سرت ساعة فإذا بيني وبين جبريل أمد بعيد فقلت: يا جبريل أين تركتني وتخلفت عني؟ فقال: يا محمد أنت في مقام لا يتجاوزه أحد من خلق الله ولو تجاوزته لاحترقت بالنور، ثم قال: يا محمد جُزْ أنت فإن ربك سيهديك ففارقته وسرت إلى ما شاء الله فإذا أنا بإسرافيل له أربعة أجنحة جناح قد اتزر به وجناح قد ارتدى به وجناح استتر به من النور وجناح قد التقم به الصور، فقلت: هذا مقامك قال: نعم لو جاوزته لاحترقت من النور ولكن جز فهذا الروح أمامك، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: سأل إسرافيل ربه أن يعطيه قوة السموات والأرض والجبال والرياح وقوة الثقلين فأعطاه من رأسه إلى أقدامه شعورًا ووجوهًا وألسنة مغطاة بأجنحة لا يعلم عددها إلا الله تعالى يسبح كل لسان بألف ألف لغة، ويخلق الله تعالى من كل تسبيحة ملكا على صورة إسرافيل وهم المقربون ولو صب ماء البحار وماء الأنهار على رأس إسرافيل ما سقط منها قطرة وهو ينظر كل يوم في جهنم ثلاث مرات فيذوب حتى يصبح كوتر القوس ولو جمع الله دموعه من بكائه على أهل الأرض لصار كطوفان نوح. قال النبي ﷺ: فسرت ما شاء الله فرفع لي سبعون ألف حجاب من نور وسبعون ألف حجاب من ضياء فلما قطعتها فإذا أنا بالروح الذي ذكره الله في القرآن بقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ :٣٨] له ألف رأس في كل رأس مائة ألف وجه في كل وجه مائة ألف فم في كل فم مائة مائة ألف لسان كل لسان يسبح الله تعالى بثمانين ألف لغة لا يشبه بعضها بعضًا يخلق الله من ذلك التسبيح ملائكة يكتبون ثواب تسبيحهم لأمتي إلى يوم القيامة، فقلت: يا أيتها الروح هذا مقامك قال: نعم ولو جاوزته لاحترقت بالنور. وفي رواية قال أنس - رضي الله عنه -: قال النبي ﷺ لجبريل - عليه السلام - هل ترى ربك؟ قال: بيني وبينه سبعون حجابًا من نور، قيل: خلق الله تعالى بين جبريل وميكائيل، سبعين حجاباً، غلظ كل حجاب خمسمائة عام ولولا ذلك لاحترق جبريل من نور ميكائيل، وخلق الله بين ميكائيل وإسرافيل سبعين حجابًا ولولا ذلك لاحترق ميكائيل من نور إسرافيل. وعن النبي ﷺ: «**احتجب الله عن أهل السماء كما احتجب عن أهل الأرض واحتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وأنه تعالى ما حل في شيء ولا غاب عن شيء، وإن الملأ الأعلى يطلبون الله كما تطلبونه أنتم**»، قال علي - رضي الله عنه -: سلوني قبل أن تفقدوني وعن علم لا يعلمه جبريل ولا ميكائيل، قال: إن الله علم نبيه محمدًا ليلة المعراج علومًا شتى فمنها علم أمره الله بكتمانه، وعلم أمره بتبليغه، وعلم خيره الله فيه، فكان مما أسر إلي أنه قال: كنت نورًا في وجه إبراهيم ودرة في ظهره، فلما عارضه جبريل وهو في كفة المنجنيق، وقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟

قال: أما إليك فلا، فعاد إليه وقال: ألك إلى ربك حاجة؟ قال: يا جبريل من شأن الخليل أن لا يفارق خليله، قال ﷺ: فأنطقني الله أنت قلت: إن بعثني الله واصطفاني بالرسالة لأكافئن جبريل، فلما كان ليلة المعراج أتاني جبريل وكان هو السفير بي إلى أن انتهى معي إلى مقام، ثم وقف فقلت: يا جبريل في مثل هذا المقام يفارق الخليل خليله؟ فقال: نعم إن جاوزته احترقت بالنور فقلت له: هل لك إلى الله من حاجة؟ قال: نعم اسأل ربك أن يجعلني أبسط جناحي لأمتك على الصراط يوم القيامة حتى يجوزوا عليه فقلت: بارك الله فيك يا جبريل، وإذا بالنداء: يا جبريل زج محمدًا في النور زجة فزجني فخرقت سبعين ألف حجاب، غلظ كل حجاب خمسمائة عام حتى انتهيت إلى فراش من ذهب، فتقدم بي الملك الموكل بالفراش الذهب إلى حجاب اللؤلؤ فحركه، فقال الملك: من وراء الحجاب من هذا؟ قال: فلان صاحب فراش الذهب وهذا محمد ﷺ معي رسول رب العزة فقال الملك: الله أكبر فأخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني ووضعني بين يديه فلم أزل كذلك من حجاب حتى جاوزت سبعين ألف حجاب غلظ كل حجاب خمسمائة عام، ثم انتهيت إلى بحر من نور أبيض فإذا أنا بملك على ساحل البحر، لو أن الطير طار مائة عام من منكبه ما بلغ منكبه الآخر، ثم زجني حتى انتهيت إلى بحر من نور أحمر فإذا أنا بملك ساحل البحر لو أذن الله له أن يبتلع السموات والأرض لفعل، ثم سار بي إلى الرفرف حتى انتهيت إلى بحر من نور أصفر فإذا أنا بملك على ساحل البحر لو أذن الله أن يبتلع السموات والأرض لفعل، ثم سار بي الرفرف إلى بحر من ماء أبيض فجزعت عند ذلك وناديت: يا غياث المستغيثين سكن روعي، قال العلائي: قال النبي ﷺ: «**ثم سرنا حتى انتهينا إلى بحر من نور يتلألأ كلما نظر إليه حار طرفي حتى ظننت أن كل شيء خلفه قد التهب التهابًا وإذا أنا بجبال من برد ورأيت سبعين ألف صف من الملائكة لا ينظر بعضهم إلى بعض من اشتغالهم بالتسبيح والتهليل، ما رأيت مثل خلقهم ولا مثل شدة أصواتهم ولا مثل ضياء نورهم وهم حافون بالعرش فخالطني عند ذلك الخوف، فقال: يا محمد ما هذا الخوف كله؟ إنما أنت في كرامة ربك، ثم سار بي الرفرف، فإذا أنا بملك عظيم يكيل الماء بالكيل ويفرقه على السحاب، ثم سار بي الرفرف حتى قطعت سبعين ألف صف من الملائكة وهم قيام لا يجلسون إلى يوم القيامة حتى انتهيت إلى إسرافيل قد سد بجناحيه الخافقين ورجلاه تخرم الأرض السابعة قد التقم الصور**»، وقال الغزالي: دائرته أي الصور كعرض السماء والأرض وبعض الأوقات يتصاغر إسرافيل من عظمة الله حتى يصير كالعصفور، والله أعلم، قال ﷺ: «**ولم يزل الرفرف يخترق بي الحجب حتى بلغت ألف حجاب حتى وصلت إلى حجاب الوحدانية ورأيتني كالقنديل المعلق في الهواء، ثم دلي رفرف أخضر يغلب ضوؤه ضوء الشمس فالتمع بصري ووضعت على الرفرف، ثم احتملني حتى وصلت إلى العرش فأبصرت أمرًا عظيمًا لا تناله الألسن، فسألت إلهي أن يمن علي بالثبات فمن الله علي وقواني ونزلت قطرة من العرش على لساني أبرد من الثلج وأحلى من العسل فما ذاق الذائقون شيئا قط أحلى منها، فأنبأني الله بها علم الأولين والآخرين**، وقيل: لما

بلغ قاب قوسين أجلس على كرسي ورفعه ذلك الكرسي إلى عليين فقطر عليه ثلاث قطرات قطرة على كتفه فأورثته الهيبة وقطرة على قلبه فأورثته المحبة وقطرة على لسانه فأورثته الفصاحة» وفي رواية: «**لما رأى العرش استصغر كل شيء رآه**».

قال النسفي: خلق الله العرش على ثمانية وستين قائمة من دور الدنيا ما بين القائمة والقائمة كخفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام، وخلق الله له ألف ألف وستمائة ألف رأس في كل رأس ألف ألف وستمائة ألف وجه، زاد العلائي في تفسير سورة براءة: في كل وجه قدر طباق الدنيا ألف ألف وستمائة ألف مرة في كل وجه ألف ألف وستمائة ألف فم في كل فم ألف ألف وستمائة ألف لسان كل لسان يسبح الله تعالى بألف ألف وستمائة ألف لغة ويكسى العرش كل يوم ألف ألف لون، وقال علي - رضي الله عنه -: سبعون ألف لون واعلم أن السبعين ألفًا مذكورة مواضع منها عن النبي ﷺ: «**من قرأ ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]** الآية، خلق الله سبعين ألفًا من الملائكة يستغفرون له إلى يوم القيامة» ومنها ما تقدم: «**من عاد مريضًا غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، ومن عاد مريضًا عشية خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يصبح**»، قال ابن عباس: تسبيح ألسنة العرش: سبحان القائم الدائم سبحان الدائم سبحان الملك الأعظم سبحان من لا يعلم ما هو إلا هو.

قال في العقائق: علق فيه مائة ألف قنديل كل قنديل، يسع السموات والأرض، فلما خلق الله العرش من جوهرة خضراء على هذه الصفة وداخله العجب طوقه الله تعالى بحية رأسها من لؤلؤة بيضاء وعيناها من ياقوتة صفراء وأسنانها من زمردة خضراء وبدنها من ذهب أحمر طولها سبعمائة ألف عالم ولها سبعون ألف جناح في كل جناح سبعون ألف ريشة، في كل ريشة سبعون ألف وجه في كل وجه سبعون ألف فم في كل فم سبعون ألف لسان، يخرج من أفواهها من التسبيح بعدد قطرات الأمطار وبعدد ورق الأشجار وبعدد أيام الدنيا فلما رآها العرش قال: يا رب لم خلقت هذه؟ قال: حتى تنسى عظمتك وتنظر إلى عظمتي، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: حملة العرش أربعة طول كل ملك سبعون ألف عام وطول قدمه ثمانية عشر ألف عام.

الأول: على صورة بني آدم يقول: اللهم ارحم بني آدم لا تعذبهم وادفع عنهم برد الشتاء وحر الصيف وأدخلني في شفاعة محمد ﷺ.

الثاني: على صورة النسر يقول: اللهم ارحم الطيور ولا تعذبهم وادفع عنهم برد الشتاء وحر الصيف وأدخلني في شفاعة محمد ﷺ.

الثالث: على صورة الأسد يقول: اللهم ارحم السباع لا تعذبهم وادفع عنهم برد الشتاء وحر الصيف وأدخلني في شفاعة محمد ﷺ.

والرابع: على صورة الثور يقول: اللهم ارحم البهائم ولا تعذبهم وادفع عنهم برد الشتاء

وحر الصيف وأدخلني في شفاعة محمدﷺ . وقال ابن عباس رضي الله عنهما - إن الأرض الثانية فيها الريح العقيم قد زمت بسبعين ألف زمام كل زمام بيده سبعون ألف ملك بها أهلك الله تعالى قوم عاد فنسفت جبالهم ومساكنهم وبها تخرب الأرض قال الله تعالى: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾[طه:١٠٥] ، وقال في حادي القلوب الطاهرة: أول جبل وضع على الأرض جبل أبي قبيس بمكة المشرفة وكان أول من بنى به رجلاً يقال له: أبو قبيس فسمي بذلك وكان اسمه: في الجاهلية الأمين؛ لأن الحجر الأسود كان مستودعًا فيه من زمن الطوفان.

وجواب آخر: أراد الله أن يطلع محمدًاﷺ على عجائب ملكوته العلي التي منها أربعة أنهار حول العرش منها نهر من نور يتلألأ ونهر أشد بياضا من اللبن في أسلفه اللؤلؤ والياقوت والزمرد ومنه أخذ أنهار الجنة ونهر من ثلج تلتمع منه الأبصار ونهر من ماء والملائكة في تلك الأنهار يسبحون الله تعالى. ومنها: سبعون ألف ملك يدورون حول العرش يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء ومن ورائهم سبعون ألف صف فإذا سمعوا تهليل هؤلاء وتكبير هؤلاء رفعوا أصواتهم، وقالوا: سبحانك اللهم وبحمدك أنت الأكبر ومنها أن الله تعالى جعل بين هؤلاء وبين العرش سبعين حجابًا من نور وسبعين حجابًا من ظلمة وسبعين حجابًا من ياقوت وسبعين حجابًا من زبرجد وسبعين حجابًا من ثلج وسبعين حجابًا من ماء وسبعين حجابًا من برد فنودي: يا محمد ضع قدمك اليمنى على العرش والأخرى على الكرسي وبينهما ألف عام وفي المقام المحمود أقوال:

أحدها: الشفاعة العامة.

الثانية: إن لواء الحمد بين يديه.

الثالث: إخراج طائفة من النار بشفاعتهﷺ قال جابر بن عبد الله: هذا هو المقام المحمود.

وذكرنا في صلاح الأرواح: أنه لهﷺ تسع شفاعات:

الأولي: الشفاعة العامة في الفصل بين أهل الموقف.

الثانية: شفاعته في نجاة قوم من الدخول إلى النار.

الثالثة: في إخراج قوم من النار.

الرابعة: في قوم يدخلون الجنة بغير حساب.

الخامسة: في زيادة درجات قوم في الجنة.

السادسة: في التخفيف عن عمه أبي طالب.

السابعة: فيمن زار قبرهﷺ .

الثامنة : فيمن صلى عليه .

التاسعة : في أطفال المسلمين ، اللهم أدخلنا في شفاعته في عافية بلا محنة . قال العلائي : قال النبي ﷺ : «**رأيت عجائب عظيمة وظننت أن كل من في السموات والأرض قد مات ؛ لأني لم أسمع هناك يعني عند العرش شيئًا من أصوات الملائكة وانقطع عني حس كل شيء فلحقني عند ذلك استيحاش فناداني جبريل من خلفي : يا محمد إن الله تعالى يثني عليك فاسمع وأطع ولا يهولنك كلامه سبحانه وتعالى فبدأت بالثناء على الله تعالى وقلت : التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله فقال : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فقلت : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فقال جبريل : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله**» قال في شرح المهذب : التحيات لله أي العظمة لله ، وقيل : الملك لله ، وقيل : البقاء الدائم لله ، وقيل : السلامة من الآفات لله إنما قال : التحيات بأجمع ؛ لأن لكل واحد من الملكوت تحية فقيل لنا : قولوا : التحيات لله أي الألفاظ التي تدل على الملك لله وحده وقوله : المباركات الصلوات الطيبات ، قيل : الصلوات هي الصلوات الخمس والطيبات هي الأعمال الصالحة ، وقيل : الطيبات الكلام الحسن وقوله : السّلام عليك أيها النبي ، قيل : معناه اسم الله عليك ، وقيل سلم الله عليك ومن سلم الله عليه سلم من الآفات ، السلام علينا ، قال الثوري - رحمه الله تعالى - : لم أر لأحدكم كلامًا من الضمير فالمراد الحاضرون من الإمام والمأمومين ، ثم قال - رحمه الله تعالى - في المنهاج : وأقله أي أقل التشهد : التحيات لله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله اللهم صل على محمد فهذا هو الواجب والزيادة على ذلك سنة ، وقال ﷺ : «**من أحيى سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة**» .

قال في عيون المجالس : إذا قال العبد : التحيات لله حياه الله وأهل السموات والأرض ، وإذا قال : الصلوات تقبل الله صلاته وإذا قال : الطيبات كان بريئًا من الشرك والشك وإذا قال : السّلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته كتب الله له عشر حسنات ، وإذا قال : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين كتب الله بكل مؤمن ومؤمنة حسنة وإذا أتى بالشهادتين كتب الله له براءة من النار .

قال العلائي : قال النبي ﷺ ، ثم زجى بي في النور زجة خرقت سبعين ألف حجاب ليس فيها ما يشبه الآخر ، ونادى مناد بلغة أبي بكر : قف فإن ربك يصلي عليك فتعجبت من لغة أبي بكر وقلت : هل سبقني صاحبي أبو بكر وتعجبت من صلاة ربي ، فإذا النداء من العلي الأعلى : ادن يا خير البرية ادن يا محمد ادن يا أحمد فعلمت أن ربي ناداني فكتب كما قال تعالى : ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم :٨-٩] ، قيل : كقرب ما بين الحاجبين ، وقيل : كقدر ذراعين .

وسئل: الجنيد - رضي الله عنه - عن هذا الدنو فقال: دنو القلوب من المحبوب ذهب البين وتلاشى الأين، وقيل: دنا محمد من ربه بالسؤال فتدلى ربه إليه بالعطاء والنوال.

وقال في عيون المجالس: قال بعضهم: طلبت معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم:٨] ثلاثين سنة من العلماء العارفين حتى رأيت تأويلاً صحيحًا وهو أنه ﷺ نظر عن يمينه فرأى ربه ونظر عن يساره فرأى ربه ونظر أمامه فرأى ربه ونظر فوقه فرأي ربه ونظر خلفه فرأى ربه فكره الانصراف من هذا المقام الشريف فعلم الله ذلك منه، فقال: يا محمد أنت رسولي إلى عبادي ولو دمت على المقام ما بلغت رسالتي، فانزل إلى الأرض وبلغ رسالتي لعبادي، وحيث ما قمت إلى الصلاة أعطيتك هذه الرتبة؛ فلذلك قال: وقرة عيني في الصلاة قال: فكان قاب قوسين بروحه أو أدنى بسره يعني ترك النفس في السماء وروحه عند سدرة المنتهى وقلبه بقاب قوسين فبقي سره وربه، فقالت النفس: أين القلب؟ وقال القلب: أين الروح؟ وقالت الروح: أين السر؟ وقال السر: أين الحبيب؟ فقال الله تعالى: يا نفس لك النعمة والمغفرة يا روح لك الرحمة والكرامة ويا قلب لك المحبة والمودة ويا سر أنا لك. وقال القرطبي في تفسيره: كيف صلاة الله على عباده؟ قال: سبوح قدوس، قيل: إن سبوح قدوس من كلام الله وهي صلاته على عباده، وقيل: من كلام النبي ﷺ حتى لا يتوهم السائل في صلاة الله على عباده وجهًا لا يليق بالله تعالى وأما أمر صاحبك قال موسى: كان أنسه بالعصا فلما أردنا كلامه قلنا له: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه:١٧-١٨]، فاشتغل بذكر العصا على الهيبة وكذلك أنت يا محمد لما كان أنسك بصاحبك أبي بكر فإنك خلقت وإياه من طينة واحدة فهو أنيسك في الدنيا والآخرة يا محمد ما أعظم شأني وأعز سلطاني يا محمد انظر في أي مكان رفعتك وفي أي مكان كلمتك يا محمد أين حاجة جبريل؟ فقلت: اللهم أنت أعلم بما أسألك يريد أن يمد جناحه على الصراط يوم القيامة لتمر أمتي فقل: قد أجبته فيما سأل ولكن في طائفة من أمتك فقلت: اللهم لمن أحبك، وفي رواية لمن أكثر الصلاة والسلام عليك.

قال العلائي: - رضي الله عنه - قال النبي ﷺ: «**فرأيت ربي بقلبي**» والصحيح أنه رآه بعين رأسه. قال القرطبي في سورة الأنعام: اجتمع ابن عباس وأبي بن كعب فقال ابن عباس: أما نحن بنو هاشم فنقول: إن محمدًا رأى ربه مرتين، ثم قال: أتعجبون أن الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤيا لمحمد ﷺ؟ فكبر أبي بن كعب تكبيرة حتى جاوبته الجبال، وقال الإمام أحمد بن محمد بن حنبل: أنا أقول بما قاله ابن عباس: رآه بعينه رآه بعينه حتى انقطع نفس الإمام أحمد، ثم قال النبي ﷺ: «**وكلمني ربي بما شاء وافترض علي خمسين صلاة، كل يوم وليلة فنزلت إلى موسى فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك فرجعت إلى ربي**» قال النووي: إلى الموضع

الذي ناجاه فيه أولاً فقلت: يا رب خفف عن أمتي فحط عنا خمساً. وفي رواية: عشرًا وفي رواية: فوضع شطرها، فقال العلائي: ولا منافاة بين الروايات فإن المراد بالشطر الجزء وهو الخمس وليس المراد بالشطر التنصيف، وأما رواية العشر فهي رواية شريك وتقدم أنه زاد ونقص، ثم رجعت إلى موسى فقلت: حط عني خمسًا فقال: أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال: فما زلت أرجع بين موسى وبين ربى حتى قال: يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشرة فتلك خمسون صلاة وفي رواية: أمضيت فريضتي على عبادي ما يبدل القول لدي وفي رواية: سألت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم، فإن قيل: هي في الأول خمس فما الحكمة في كونها خمسين تلك الليلة؟.

فالجواب: ليظهر كرم المصطفى بقبول شفاعته في التخفيف عن أمته، فإن قيل: ما الحكمة في أن موسى هو الذي أشار على محمد ﷺ أن يراجع ربه دون إبراهيم وهو أعلى مقامًا منه؟ قيل: لأن إبراهيم مقامه مقام التفويض والتسليم ألا نراه لما قال له جبريل: ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا قال: مقام إبراهيم في السماء السابعة وموسى في السادسة.

فالجواب: مقام إبراهيم في السماء السابعة لكنه نزل لملاقاة النبي إلى السادسة وموسى في السادسة لكنه مشى في خدمته إلى السابعة.

قال العلائي وغيره: قال الله تعالى بعد أن خفف الصلوات ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥]، فقلت: بل آمنت بك والمؤمنون ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ﴾ [البقرة:٢٨٥] قال حمزة: «لا يفرق بين أحد من رسله» المثناة من تحتها بالبناء للمفعول قراءة شاذة ﴿بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥] كما فرقت اليهود والنصارى بين موسى وعيسى، ﴿وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ﴾ [البقرة:٢٨٥] أي نطلب غفرانك ﴿رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥] أي رجوعنا إليك فقال: غفرت لك ولأمتك، ثم قال: سل تعط فقلت: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾، فقال الله تعالى: لك ذلك، ثم سل تعط فقلت: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ﴾ [البقرة:٢٨٦]، أي لا تجعل توبة أمتي بالقتل كغيرهم وهم قوم موسى الذين عبدوا العجل فلما أمرهم موسى بقتل أنفسهم اعتزلوا فجاءهم هارون باثني عشر ألفًا ما عبدوا العجل، بأيديهم السيوف، ثم قال: اصبروا لعن الله رجلًا قام في موضعه فضربوا فيهم بالسيف إلى السماء، وكان قد أرسل الله عليهم سحابة حتى لا يعرف الوالد ولده فقال موسى وهارون: يا ربنا هلكت بنو إسرائيل البقية فكشف الله السحابة وسقطت السيوف من أيديهم فانكشف الحال عن سبعين ألف قتيل فقال الله: غفرت للقاتل وتبت على المقتول فعلى هذا يكون قوله تعالى لقوم موسى: ﴿فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [البقرة:٥٤]، أي استسلموا للقتل، وقال الله تعالى لمحمد: اجعل توبة أمتك الندامة سل تعط فقلت: ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ﴾ [البقرة:٢٨٦]، قال لك ذلك ﴿إِن يَكُن مِّنكُمۡ

عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ﴾ [الأنفال :٦٥] هذا متعلق بالنصر على الكافرين وإنما دعا بثلاث دعوات؛ لأن الله تعالى عذب ثلاث أمم واحدة بالخسف وهو قارون وقومه وواحدة بالمسخ وهم قوم داود وواحدة أمطر عليهم الحجارة وهم قوم لوط فالعفو عن الخسف، قال الله تعالى: لا أخسف بأبدان أمتك بل أخسف ذنوبكم حتى لا تراها الملائكة والرحمة عن الحجارة قال الله تعالى: مطري عليهم الرحمة بفضلي دون الحجارة، والمغفرة عن المسخ. قال الله تعالى: أمسخ ذنوبهم فأجعل السيئة لأبدانهم.

قالت عائشة:- رضي الله عنها - يا نبي الله كم جرى بينك وبين الله كلمة؟ قال: اثنا عشر ألف كلمة كلها في شأن أمتي فأجابني إلى ما سألت: قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم :١٠]، قال: يا محمد عبدتنا في الخلوة فاشفع لأمتك في الجلوة، وقيل: أوحي إليه أنهم يطيعونني ويعصونني فطاعتهم برضائي ومعصيتهم بقضائي فما كان برضائي أقبله وما كان بقضائي أغفره قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «**اللهم اغفر لي ولمن شهد لي بالبلاغ والرسالة وارحمني وارحم من شهد لي بالبلاغ ولك بالتوحيد**» ورأيت في كتاب النصيحة للغزالي - رضي الله عنه -، قال موسى - عليه السلام -: يا رب أرني وليًّا من أوليائك، قال: بينك وبينه أمد بعيد قال: يا رب لا أبالي إذا كنت لي وكل بعيد عليك قريب فخطى موسى ثلاث خطوات فقال الله تعالى: يا موسى هذه مائة عام قال: يا رب وأين ذلك الولي؟ قال: في وسط البحر الأسود أي بحر الظلمات فسار إليه، فإذا هو برجل نائم في الماء والموج يخرج من بين رجليه وهو يقول: يا حنان يا منان أقل عثرتي وارحم غربتي، فقال موسى: السلام عليك يا ولي الله فلم يرد عليه فأوحى الله إليه: يا موسى قلبه عندي فسلم عليه مرة أخرى، فقال: السلام عليك يا ولي الله فقال: وعليك السلام يا كليم الله قال: من أخبرك بأني كليم الله؟ قال: الذي أخبرك أني ولي الله، قال: كم لك ههنا؟ قال: لي ههنا أناديه ثمانين عامًا: يا حنان يا منان فما رأيت منه جوابًا قال: أتريد أن أكون سفيرًا بينك وبينه؟ قال: نعم، قال موسى: يا رب ماذا أرد على عبدك من الجواب؟ قال: يا موسى قل له: ويل لك ولجميع الخلق إن لم أتغمدهم برحمتي، وقال النبي ﷺ: «**أكثروا من قول: لا إله إلا الله والاستغفار، فإنهما أمان في الدنيا من الذل وفي الآخرة ستر من النار**» وعن النبي ﷺ: «**شعار أمتي على الصراط لا إله إلا الله**».

وفي الخبر يقول الله تعالى لإسرافيل - عليه السلام -: إذا سمعت أحدًا يقول: لا إله إلا الله فأخر النفخة إكرامًا لقائلها أربعين سنة. وقال ابن عباس: سألت النبي ﷺ متى ينفخ في الصور؟ فقال: «**سألت جبريل متى ينفخ في الصور؟ فقال: إن الله تعالى خلق ملكًا يوم خلق السموات والأرض وأمره أن يقول: لا إله إلا الله فهو يقولها مادًا بها صوته لا يقطعها ولا يتنفس فيها ولا يتمها، فإذا أمر إسرافيل أن ينفخ في الصور وقامت القيامة**» وتقدم فضل مد الصوت بها

في أول الكتاب، وقال ابن عباس: إذا قال العبد: لا إله إلا الله خرجت الحجب حتى تقف بين يدي الله وتطلب لقائلها المغفرة، فيقول الله تعالى: إني لم أجرك على لسانه إلا من بعد أن سبقت إرادتي له بالمغفرة.

وقال العلائي-رحمه الله- تعالى: قال النبي ﷺ: «**قال لي ربي: ارجع إلى قومك فبلغهم عني إذ حال بيني وبينه حجاب من نار يلتهب التهابًا لا يعلم كثافته إلا الله تعالى ودلاني الرفرف الأخضر الذي كنت عليه وجعل يخفضني ويرفعني فأهوى بي إلى جبريل وارتفع الرفرف الأخضر الذي كنت عليه حتى غاب عني، قال جبريل: يا محمد أبشر فأنت خيرة الله من خلقه وصفوته من البشر ولقد قربك الرحمن من عرشه مكانًا لم يصل إليه أحد من أهل السموات والأرضين فهناك الله بكرامته فحمدت الله على ما أكرمني الله به، ثم قال: انطلق يا محمد إلى الجنة حتى أريك مآلك فيه فتعرف مآلك وإلى ما يكون معادك بعد الموت فتزداد بذلك في الدنيا زهدًا إلى زهدك ورغبة في الآخرة إلى رغبتك فسرت معه فسار بي أسرع من السهم حتى وصلنا إلى الجنة بإذن الله تعالى فأقبل رضوان خازن الجنان وخلفه رقيائيل مع كل واحد ألف ألف ملك رافعي أجنحتهم ورؤوسهم يشيرون إلي بالأصابع يقولون: لقد أكرم الله هذا النبي الأمي مرحبًا بك يا جبريل وبمن معك**» وفي رواية: أقبل رضوان ومعه ملائكة الحجب وجوههم كالقمر ليلة البدر يفوح ريح المسك من ثيابهم مكللون بتيجان من نور، فقلت: ما أحسن هؤلاء فقال: والذي بعثك بالحق إن أمتك إذا اتقوا وسلموا من الدنيا كانوا في الجنة أحسن منهم فلما دخلتها هدأت نفسي وذهب روعي فما تركت فيها مكانًا إلا رأيته فرأيت قصورًا من الدر والياقوت والأشجار من ذهب وقضبانها من اللؤلؤ وعروقها من فضة راسخة في المسك، ورأيت شجرة ساقها في كثافة لا يعلمها إلا الله تعالى وأغصانها أكثر من نبات الأرض والورقة الواحدة تغطي الدنيا، وعليها من أصناف الخير ضروب شتى، فقلت: يا جبريل ما هذه الشجرة؟ قال: لك ولأزواجك وأولادك وكثير من أمتك وتحت هذه الشجرة ملك كبير وعيش عظيم، ثم رأيت نهرًا يخرج من أصلها أشد بياضًا من الثلج وأحلى من العسل على رضراض در وياقوت ومسك أبيض، فقال جبريل: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك وهو التسنيم، يخرج من تحت العرش إلى دورهم وقصورهم، ثم سار بي إلى شجرة أخرى، فإذا أوراقها حلل ظرائف من ثياب الجنة وأبيض وأحمر وأخضر وأصفر وثمارها أمثال القلال في ألوان شتى فقلت: يا جبريل ما هذه الشجرة؟ فقال: هذه التي ذكرها الله تعالى في القرآن بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾، وهي لك ولكثير من أمتك ولك فيها حسن مقيل ونعيم طويل، ثم طاف بي في الجنة فإذا بقصر من ياقوتة حمراء في جوفه سبعون ألف قصر في كل قصر سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألف بيت في كل بيت سبعون ألف خيمة من درة بيضاء لها أربعة آلاف باب يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها في جوفها سرر من ذهب لذلك شعاع كشعاع الشمس، وهي

مكللة بالدر والجوهر وعليها فرش من سندس فوق تلك العرش حلي كثيرًا لا أطيق وصفه في كل قصر ودار ونبت فيها شجر كثير مكللة سوقهن بالذهب وأغصانها بالجوهر وثمرها مثل القلال في كل خيمة منها الأزواج من الحور العين لو دلت واحدة منهن كفها من السماء لأذهب ضوء كفها ضوء الشمس فكيف بوجهها؟ ولكل واحدة منهن سبعون ألف غلام وهم خدمها سوى خدم زوجها كل ذلك مفرغ منه ينتظر صاحبته، ثم خرجت من الجنة فمررنا في السموات منحدرين من سماء إلى سماء فرأيت آدم ونوحًا وإبراهيم وعيسى فسلمت عليهم فتلقوني بالتحية، وقالوا: ما صنعت يا نبي الرحمة؟ فأخبرتهم ففرحوا بذلك وحمدوا الله تعالى وسألوه لي المزيد، ثم خرجت مع جبريل لا يفوتني ولا أفوته حتى دلاني في مكاني من الأرض الذي حملني منه وأراني من ذلك عجائب الأرض وما خلق الله فيها وكل ذلك في ليلة واحدة فأنا سيد ولد آدم ولا فخر فقال الزركشي: معناه ولا فخر أتم من هذا الفخر فأخبرت بذلك قومي فكذبوني غير أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-.

قال في مجمع الأحباب: الذي رآه النبي ﷺ بعين رأسه رآه أبو بكر -رضي الله عنه- بعين قلبه فكان أول من صدق. قال شرف الدين عيسى السهروردي -رحمه الله- لما ركب النبي ﷺ الرفرف من النور الأزهر، تقدم هو وجبريل تأخر فزج في الأنوار فرفعت له الأستار وسمع كلام الجبار: يا عروس المملكة يا تاج منصة الوجود يا شمس الهداية والسعود أنت أكرم الناس علينا سل ما تريد فمنك السؤال ومنا العطاء وما على عطائنا مزيد فقال النبي ﷺ ما الذي أسأل وقد أسجدت لآدم الملائكة واصطفيته وزوجته حواء وفي الجنة أسكنته؟ فجاء الخطاب: يا محمد لولا ما أشرق عليه نورك الذي تقادم ما قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم قال: إلهي ما الذي أطلب وقد جعلت إدريس نبيًا ورفعته مكانًا عليًا؟ فجاءه الخطاب بالجواب إنما رفع إدريس إلى السماء لينظر إليك ويسير في هذه الليلة بين يديك، قال: إلهي ما الذي أطلب وقد استجبت دعوة نوح على أهل الطغيان ونجيته في السفينة من الطوفان؟ فقال: لولا أنه أقسم علينا بجاهك ما نجا هو ومن معه من المهالك سل تعط، قال إلهي: ما الذي أطلب وقد اصطفيت إبراهيم خليلاً وجعلت النار عليه بردًا وسلامًا وفديت ابنه بذبح عظيم؟ فجاء النداء: يا أعز المخلوقات ويا أشرف الموجودات لولا ما أشرق عليهم من نور وجهك الكريم ما نجا إبراهيم من نار النمروذ ولا فدى ابنه بذبح عظيم ادع تجب، قال: يا سيدي وما الذي أدعو وقد جعلت موسى كليمًا وكرمته تكريمًا؟ فجاء النداء: يا أكرم من تمنى، يا صاحب قاب قوسين أو أدنى، موسى هدي في السير بالنار وخوطب على جبل ذي أحجار وأنت خوطبت على بساط الأنوار في حضرة الملك الغفار، قل نسمع، قال: إلهي ما الذي أقول وقد ألنت الحديد لداود وسيرت معه الجبال وأعطيت سليمان ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده؟ فجاءه النداء: يا أعلى موجود سأسير معك جبال النصر والرعب في الوجود وألين لك قلوبًا كالجلمود وأخصك يوم

القيامة بالمقام المحمود سل تعط فقال: إلهي ما الذي أسألك وقد أيدت عيسى بروح القدس وأظهرت له المعجزات يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذنك؟ فجاءه النداء: أنت أي طبيب بك تداوى أمراض الذنوب وتحيى بك أموات القلوب، وقال: يا رب فاقبل شفاعتي في عصاة أمتي فجاءه الخطاب يا أعز الأحباب وعزتي وجلالي إن عصوني سترتهم، وإن استغفروني غفرت لهم وإن استنصروني نصرتهم وإن دعوني أجبتهم، ولأسامحنهم بما مضى ولأجودن عليهم بالرضا.

قال العلائي: قال النبي ﷺ: «**سألت ربي ليلة المعراج مسألة وددت أني لم أسأله عنها قلت: يا رب أعطيت آدم الجنة، قال: أعطيته الجنة، ثم عزلته عنها وأعطيت أمتك الجنة ولا أعزلكم عنها، قلت: أعطيت لنوح السفينة قال: جعلت لك ولأمتك الأرض مسجدًا وطهورًا قلت: سيرت النار بردًا وسلامًا على إبراهيم قال: كذلك أجعلها على أمتك قلت: أعطيت إسماعيل زمزم قال: أعطيتك الكوثر قلت: جعلت له الفداء قال: جعلت فداء أمتك من النار اليهود والنصارى، قلت: كلمت موسى على جبل الطور قال: كلمتك على بساط النور قلت: أعطيت المائدة لعيسى قال: جعلت لك مائدة الكرامة يوم القيامة قلت: أعطيت داود الزبور قال: أعطيتك سورة الأنعام، قلت: نجيت يونس من ظلمات ثلاث قال: كذلك أنجي أمتك من ظلمة القبر وظلمة القيامة وظلمة الصراط**».

فائدة: متَّى اسم أبي يونس - عليه السلام - وفي جامع الأصول: متى اسم أمه أرسله الله إلى أهل الموصل، قيل: كانت نبوته بعد خروجه من بطن الحوت، حكاه البرماوي في شرح البخاري.

قال في العرائس: لم ينسب نبي إلى أمه غير عيسى ويونس عليهما الصلاة السلام وفي الصحيح: «**لا ينبغي لعبد أن يقول: أنه خير من يونس بن متى**». وفي حديث آخر: «**لا تفضلوني على يونس ابن متى**» قيل: قاله قبل أن يعلم أنه أفضل منه، فقد قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة بيدي لواء الحمد**» وفي رواية: «**لواء الكرم وما من نبي يومئذ آدم فمن دونه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيدخلها معي فقراء المهاجرين وأنا أكرم الأولين والآخرين**» وقال أنس - رضي الله عنه-: ما بعث الله نبيًّا إلا حسن الوجه وحسن الصوت وكان نبيكم ﷺ أحسنهم وجهًا وأحسنهم صوتًا، وقيل: قاله تواضعًا فقد كان ﷺ يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخدم أهله ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقيم البيت ويعقل البعير ويعلفه ويأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق. وتقدم في باب الأمانة أنه ﷺ قال: «**صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله**»، وقيل: إنما قاله زجرًا عن توهم حط رتبة يونس لما في القرآن ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم:٤٨] فهذا هو السبب في ذكره دون غيره من الأنبياء.

قال مؤلفه -رحمه الله- في الشفاء: لا تخيروني على موسى فدعوى الاقتصار على ذكر يونس مردود، وقيل للشيخ عبد القادر الجيلاني: إن فلانًا يزعم أنه وصل إلى ما وصل إليه يونس بن متى، فضرب وسادته بالأرض وقال: أصبت قلبه فذهبوا إليه فإذا هو قد مات. قال النبي ﷺ: **«قلت: يا رب جعلت للخضر عين الحياة»** وسيأتي بيانها في مناقب الخضر - عليه السلام - في باب فضل الأمة المرحومة قال: **«قد جعلت لك سلسبيلاً قلت أعطيت موسى التوراة قال: قد أعطيتك آية الكرسي من كنز عرشي»** قال محمد ابن الحنيفة واسم أمه خولة وأبوه علي بن أبي طالب - رضي الله عنه-: لما نزلت آية الكرسي خر كل صنم على وجهه وسقطت التيجان عن رؤوسها وهربت الشياطين فاجتمعوا إلى إبليس وأخبروه بذلك وقالوا: قد حدث أمر فأمرهم أن يبحثوا عن ذلك فأتوا المدينة فبلغهم أن آية الكرسي نزلت. وتقدم في فضائلها زيادة قال النبي ﷺ: **«قلت: يا رب أعطيت عيسى الإنجيل، قال: قد جعلت لك سورة الإخلاص»**.

فائدة: عن النبي ﷺ قال: **«خلق الله نورًا قبل السموات والأرض بألف عام خلق الله من النور مسكًا فكتب به سورة يونس وخلق لها خمسين ألف جناح فلم تمر في السماء إلا خضعت لها سكانها وسجدوا لها فمن تعلم سورة يونس وعرف حقها كان في الدرجة العليا»**، وقوله ﷺ: **«خلق لها أي خلق لثوابها»**، وعن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- يس تدعى في التوراة المعمة قيل وما المعمة؟ قال: تعم صاحبها بخير الدنيا والآخرة من قرأها عدلت له عشرين حجة ومن سمعها عدلت له ألف دينار في سبيل الله ومن كتبها وشربها دخل جوفه ألف دواء. ذكره في تحفة الحبيب وفي تفسير القرطبي: من قرأها نهارًا كفي همه ومن قرأها ليلاً غفر ذنبه ومن قرأها نهارًا لم يزل في فرح حتى يمسي، ومن قرأها ليلاً لم يزل في فرح حتى يصبح، وعن النبي ﷺ: **«يرفع القرآن عن أهل الجنة فلا يقرؤون شيئًا إلا طه ويس»** نعم في الحديث يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: **«اقرأ واصعد درجة فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه»**.

وفي كتاب البركة: من قرأ يس أربع مرات متتاليات من غير أن يتكلم بشيء، ثم يقول: سبحان المنفس على كل مديون سبحان المفرج على كل محزون سبحان من أمره بين الكاف والنون سبحان من إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن فيكون يا مفرج الهموم يا حي يا قيوم صل وسلم على سيدنا محمد وآله واقض حاجتي ويسميها فإنها تقضى - بإذن الله تعالى - وهو مجرب، ثم قال ﷺ: **«وخلق الله بعد ذلك درة بيضاء وخلق منها عنبرًا أشهب، ثم كتب له آية الكرسي، فمن تعلمها وعرف حقها دخل من أي أبواب الجنة وله بكل حرف مدينة في الجنة وكتب له بكل حرف حجة، وعمرة وخلق بعد لؤلؤة خضراء منها كافورًا أبيض، ثم كتب به قل هو الله أحد وقال: هذا اسمي فلم تمر في سماء إلا خضعت سكانها فمن تعلمها وعرف حقها كان يوم القيامة في عداد الأنبياء والشهداء، وله بكل حرف أربعون مدينة في الجنة وله بكل حرف ألف نور»**

وعن النبي ﷺ: «**من قرأ قل هو الله أحد حين يأوي إلى فراشه ثلاث مرات وكل الله به سبعين ألف ملك يحفظونه إلى الصباح**» رواه الطبراني.

قال النيسابوري: قدم قوم من نجران (بالجيم) على النبي ﷺ قالوا: أيا محمد صف لنا ربك هل هو من زبرجد أو ياقوت؟ فقال: إن ربي ليس من شيء؛ لأنه خلق الأشياء فنزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص:١] ، فقالوا: هو واحد وأنت واحد فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى:١١] ، قالوا: زدنا قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[الإخلاص:٢] ، قالوا: وما الصمد؟ قال: الذي تصمد إليه الخلق في طلب حوائجهم قالوا: زدنا قال: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾[الإخلاص:٣] كما ولدت مريم ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾[الإخلاص:٣] كما ولد عيسى - عليه السلام -.

وفي كتاب البركة: عن النبي ﷺ: «**من ولد له مولود فسماه محمدًا حبًا لي وتبركًا باسمي كان هو ومولوده في الجنة، وما قعد قوم على طعام حلال فيه رجل اسمه: اسمي إلا تضاعفت فيه البركة**»، وعن أبي بن كعب -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ جميع ما أنزل الله على محمد**ﷺ» وعن ابن مسعود عن النبي ﷺ: «**استكثروا من المعوذتين ينفعكم الله بهما في الآخرة، المعوذتان ينوران القبر ويطردان الشيطان ويزيدان في الحسنات ويثقلان الميزان ويدلان صاحبهما إلى الجنة**».

قال في العقائق: كانت المسافة من مكة إلى المقام الذي أمر النبي ﷺ فيه بالصلوات الخمس ويوحي الله تعالى إليه فيه ما أوحى ثلثمائة ألف سنة، وقيل: خمسين ألف سنة، وقيل: بل في ليلة واحدة كهذه الليالي وقيل: أقل منها والله تعالى على ما يشاء قدير فلما رجع النبي ﷺ وجد فراشه لم يبرد من أثر النوم، وقيل: إن غصن شجرة أصابه بعمامته في ذهابه فلما رجع وجده بعد يتحرك ورأى ركبًا من قريش في طريقه فلما أخبره قومه بالمعراج سألوه عن الركب فقال: مررت على عير بني فلان وقد ضل لهم بعير وهم يطلبونه فدللتهم عليه وفي رحلهم قدح فيه ماء فأخذته وشربته، ثم وضعته مكانه فسألوهم هل وجدوا الماء؟ ثم قالوا: أخبرنا عن عيرنا متى تجيء؟ قال: تطلع عليكم عند غروب الشمس فخرجوا ينتظرونها فلما كادت الشمس تغرب حبسها الله تعالى فغربت الشمس مع العير فقال رجل: هذه العير، وقال آخر: هذه الشمس، ثم سألوه عن بيت المقدس فجلاه الله تعالى له حتى صار ينظر إليه فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به فارتد كثير من الناس فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾[الإسراء:٦٠] ، ثم ذهب جماعة إلى أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- فقالوا له: إن صاحبك يزعم أنه جاء في هذه الليلة من مكة إلى بيت المقدس، فقال: إنكم تكذبون عليه فقالوا: إنه في المسجد يحدث الناس فقال: والله لئن قال ذلك لقد صدق فوالله إنه ليخبرني بالخبر يأتي إليه من السماء في ساعة واحدة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أبعد مما تعجبون به، فجاء أبو بكر -رضي الله عنه- فقال: يا رسول الله قال هؤلاء إنك جئت من بيت

المقدس هذه الليلة قال: نعم قال: فصفه لي فإني رأيته فوصفه فقال أبو بكر: صدقت أشهد أنك رسول الله وسيأتي أن الذي رآه النبي ﷺ بعين رأسه رآه أبو بكر بعين قلبه فإن قيل: موسى ﷺ تبرقع عند عوده من المناجاة ومحمد ﷺ ما فعل ذلك لما رجع من المعراج فما الحكمة في ذلك؟

فالجواب من وجوه:

الأول: أن موسى رجع عليه أثر الرد بقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف :١٤٣] قال بعضهم: لما قال موسى ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف :١٤٣] وجد مكتوبًا على صخرة ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام :١٥٢] والإشارة في ذلك: الرؤية حق ليتيم أبي طالب وخجل الرد يعمي ومحمد ﷺ رجع وعليه أثر القبول وهو يقوي البصر.

الثاني: كما منعه الله تعالى من النظر إليه كذلك منع قومه من النظر إليه.

الثالث: أن موسى غشى وجهه نور لم يغشه قبل ذلك محمد ﷺ منور في كل الأحوال. قال أبو هريرة -رضي الله عنه-: كانت الشمس في إحدى وجنتيه والقمر في الأخرى.

الرابع: نور موسى – عليه السلام – كان على وجه فكل من رآه عمي ونور محمد ﷺ في قلبه فكل من رآه بنور قلبه اهتدى.

الخامس: أراد الله تعالى أن يعنف أمة موسى لما قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء :١٥٣] فكأنه قال تعالى: هذا موسى رأى بعض آياتنا فلم تستطيعوا أنتم النظر إليه فكيف تريدون أنتم النظر إلى الخالق؟ وقيل: لما رجع موسى من المناجاة رجع والبرقع على وجهه فقالت له زوجته: اكشف عن وجهك فكشف لها عن وجهه فعميت، فدعى لها فرد الله بصرها، ثم قالت له: اكشف عن وجهك فكشف لها عنه فعميت، فدعى لها فرد الله عليها بصرها وهكذا سبع مرات وما قالت: تبت عن قولي لك اكشف عن وجهك فلما كان بعد السابعة وهبها قوة في بصرها فثبت على رؤية نور موسى – عليه السلام – فلما طلب الرؤيا من الله تعالى وخر صاعقًا قال: تبت، قيل له: ارجع وتعلم صدق الطلب من زوجتك حيث اختارت العمى سبع مرات وهي ترجع وأنت من مرة واحدة تقول: تبت إليك.

السادسة: أن الله تعالى تجلى لموسى بالجلال وهو يدهش وتجلى لمحمد ﷺ بالجمال وهو ينعش قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في القواعد: إن المحبة الناشئة عن معرفة الجمال أفضل من المحبة الناشئة عن الإنعام وعن الإفضال؛ لأن محبة الجمال نشأت عن جمال الله تعالى ومحبة الإنعام والإفضال نشأت عما صدر من فضله ونعمه والتعظيم والإجلال أفضل من الكل، وقال البلقيني في الفوائد على القواعد: وهذا يقتضي أن مقام الجلال أفضل من مقام الجمال والذي اختاره شيخنا أن مقام الجمال أفضل؛ لأنه مقام النبي ليلة المعراج ومقام الجلال مقام

موسى لما تجلى ربه للجبل ومقام نبينا أفضل، والله أعلم، وقد أجاد القائل:

محمد العربي الهاشمي رسو ... ل الله خير البرايا شافع الأمم
الزاهد العابد القَوَّام في الظلم ... حتى اشتكت قدماه الضر من ورم
هذا الذي أشرقت أنوار غرته ... كأنها في الدجى من أوفر القسم
بالروح والجسم أسري في الظلام به ... وليس ينكر سير البدر في الظلم
على البراق إلى السبع الطبقات رقى ... وقد رأى الله رؤيا غير متهم
من ذا الذي قد دنا من نحو خالقه ... كقاب قوسين أو أدنى ولم يضم
سوى الحبيب الشفيع السيد الس ... ند البر الرءوف الحليم العالم العلم
خير الملائكة الأشراف بين يدي ... خير البرية يمشي وهو محتشم
الله أرسله للعالمين هدى ... ورحمة وكذا في يوم حشرهم
في يوم لا والد يغني ولا ولد ... وكلهم خائف من زلة القدم
هناك غير رسول الله أحمد في ... مقامه ذلك المحمود لم يقم
يقال يسمع فقل واطلب مناك تنل ... واشفع تشفع وقل ما شئت واحتكم
لولاك ما كان لا عرش ولا فلك ... يا من غدا رحمة للناس كلهم
هذا المقام الذي ما ناله أحد ... سوى محمد المبعوث بالحكم
يا سيد الرسل يا كنز العفاف ويا ... ذخر العصاة غدًا يا عالي الهمم
كن منقذي ومغيثي أنت معتمدي ... وغير بابك للحاجات لم يرم
صلى عليك إله العرش ما طلعت ... شمس النهار ولاحت أنجم الظلم

فنسألك اللهم بجاه هذا النبي الكريم وبما كان بينك وبينه ليلة الخلوة والجلوة والتقريب والتعظيم، أن تغفر لنا كل ذنب عظيم وتنظر إلينا بعين رحمتك يا رحيم، وارزقنا شفاعته بأدبك وعلمك ورضاك يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

باب: وفاة النبي ﷺ

الحمد لله ذي العزة والإجلال، والعظمة والبهاء والجمال والهيبة والسلطان والكمال الأزلي، القديم بلا زوال الأبدي الباقي بلا انتقال المقدس عن النظير والشبيه والمثال المنزه عن الفوق والتحت واليمين والشمال، الغالب في حكمه بلا نزاع ولا جدال القدير الذي قدَّر الأرزاق والآجال العادل في حكمه بالموت بين الدون والعالي والصغير والكبير والسادة والموالي ولو فدى منه أحد لفدي محمد العالي سوى بين الغني والفقير والشريف والحقير، على التفصيل والإجمال فالفوز لمن رضى بحكمه وسلم له الفعال، والزلفى لمن شكره في

سائر الأحوال؛ لأن الموت رحلة من دار الهون والأهوال إلى دار السلامة والكرامة والنوال، دار عيشها هنيء وطعامها مريء طيبة الظلال، دار صفوها بلا كدر ولا نوم فيها ولا ضجر غرفها عوال، دار ترابها الزعفران وحصباؤها اللؤلؤ والمرجان، لا قيل فيها ولا قال، دار لا تعب فيها ولا نصب ولا هم ولا غم ولا وصب، وبنيانها من فضة وذهب وحورها يرفلن في حجال أنهارها جارية وثمارها دانية وقصورها عالية، ونعيمها لم يخطر على بال أهلها من مروج الصندل يضحكون وفي رياض العنبر يتبخترون إخوانًا على أرائك الياقوت، وأفضل ذا وذا كشف الحجاب عن وجه ذي الجلال، أخي فلا من الموت تجزع ولا في البقاء تطمع فلنا أسوة بمن مضى ومثال فما، ثم إلا التفويض والتضرع والابتهال أحمده على بره المتوالي وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنجينا جميعًا من الأضلال والأهوال ونستعين بها جميعًا تحت التراب في الجواب عند السؤال وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله أرسله بالهدى ومحو الضلال ﷺبالغدو والآصال، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران :١٤٤]الآية، قال القشيرى في تفسيره والسلمى في حقائقه: سقمت البصائر عند وفاة محمد ﷺإلا رجل واحد وهو أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- فإن الله تعالى أيده بقوة السكينة، فقال: من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، فصار الكل مقهورين تحت سلطان ملته لما بسط الله عليه من نور جلالته، كالشمس بطلوعها يندرج فيها شعاع أنوار الكواكب، قال القشيرى: وإنما قال: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ [آل عمران :١٤٤]؛ لأنه مات وقتل أيضًا بالسم الذي أكله يوم خيبر من الشاة المسمومة.

قال الرازي: بين الله تعالى آيات كثيرة أن محمدًا ﷺ لا يقتل قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ [الزمر :٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة :٦٧]، والمقصود من الآية أن أتباع الرسل المتقدمين ما تغيروا عن دينهم بعد موت أنبيائهم فكذلك كونوا أنتم مثلهم قال الله تعالى ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران :١٤٦] أي قتل معه جماعات كثيرة ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [آل عمران :١٤٦] أي ما خافوا ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾ [آل عمران :١٤٦] أي ما ضعفت قلوبهم ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ [آل عمران :١٤٦] أي ما أظهروا البدع والآية نزلت في غزوة أحد.

قال القرطبي: عرف الناس موت محمد لما قرأ أبو بكر: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران :١٤٤] الآية، ودلت على شجاعته -رضي الله عنه- ولما مات ﷺ أظلم من المدينة كل شيء، ولما دخل على المدينة أضاء منها كل شيء.

قال البغوي في تفسيره عن الحسن: علم النبي ﷺ اقتراب أجله بقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر :١]، قال قتادة: عاش بعدها عامين. قال في روض الأفكار: ما ضحك فيهما وهذه السورة تسمى سورة التوديع. قال ابن عباس -رضي الله عنهما- ولما كان قبل موته ﷺ بشهر نعى إلينا نفسه الكريمة، ثم جمعنا في بيت عائشة -رضي الله عنها- فبكى،

وقال: «**مرحبًا بكم أراكم الله هداكم الله أوصيكم بتقوى الله وأوصي الله بكم وأستخلفه عليكم، إني لكم منه نذير مبين فقد دنا الأجل والمنقلب إلى الله تعالى وإلى سدرة المنتهى وإلي جنة المأوى**»، وكان مرضه ﷺ اثني عشر يومًا أولها يوم الخميس وآخرها يوم الإثنين.

قال القرطبي: في آل عمران مات يوم الإثنين بلا خلاف في الساعة التي دخل فيها المدينة حين اشتد الضحى من يوم الإثنين أيضًا وهو يوم الولادة والرسالة أيضًا لكن الرسالة كانت في رمضان والولادة والوفاة في ربيع الأول، ثم خرج إلى أصحابه وقد عصب رأسه وصعد المنبر، ثم قال: «**من كنت جلدت له ظهرًا أو شتمت له عرضًا فهذا ظهري وعرضي فليقتص منهما ومن أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه أو يحاللنى فلقيت الله وأنا طيب النفس**» وأما قيام عكاشة -رضي الله عنه- وطلبه القصاص من رسول الله ﷺ بالقضيب المشقوق فصرح ابن الجوزى وغيره بأنه كذب وإنما الذي طلب القصاص يوم بدر سواد بن غزية -رضي الله عنه- كما تقدم في باب فضل العدل وكان أول مرضه صداعًا في رأسه وفي أيام صحته. قال أعرابي: يا نبي الله أخبرني عن الصداع، فقال: «**عروق تضرب الإنسان في رأسه**» فقال الرجل: ما وجدت هذا فلما انصرف الرجل، قال النبي ﷺ: «**من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا**» رواه الإمام أحمد.

ورأيت في كتاب البركة: عن كعب الأحبار -رضي الله عنه- قال: شكا نبي من الأنبياء الصداع إلى ربه عزّ وجل فأمره أن يأكل الدباء باللبن، وإذا أخذ من المسك وزن نصف عدسة من مثله من الزعفران وتسعط من صداع بارد نفعه وشم المسك يقطع الرياح من سائر الجسد وتقدم أول الكتاب زيادة في باب الدعاء.

لطائف: كان عنده ﷺ في مرضه سبعة دنانير فأمرهم بالتصدق بها، فاشتغلوا بوجعه فدعا بها وتصدق بها، ثم قال: «**ما ظن محمد بربه لو لقى الله وعنده هذا؟**» قال ابن رجب: فكيف حال من يلقى الله بدماء المسلمين وأموالهم بغير حق؟. ورأيت في الدر الثمين في خصائص الصادق الأمين: أن الله تعالى كلم موسى - عليه السلام - مائة ألف كلمة وأربعة عشر ألف كلمة، يقول كل كلمة: وقتلت نفسًا بغير حق مع أنه كان كافرًا يخبز عجين فرعون.

قال وهب: أوحى الله إليه: يا موسى النفس التي قتلتها لو أقرت لي طرفة عين أني خالق ورازق لأذقتك طعم العذاب، وسبب قتله أنه اشترى حطبًا وأمر رجلاً من شيعة موسى أن يحمله إلى مطبخ فرعون فامتنع من ذلك واستغاث بموسى، فوكزه وكزة كان فيها أجله، ثم قال ابن رجب: أرسلت عائشة -رضي الله عنها- بالمصباح ليلة الإثنين إلى امرأة من الأنصار، فقالت: قطرى لنا فيه عكة السمن، فإن رسول الله ﷺ أمسى في شدة الموت، وكان ﷺ يضع يده الكريمة في الماء ويمسح وجهه، ويقول: «**لا إله إلا الله إن للموت سكرات، اللهم هون على محمد سكرات الموت**» فقالت فاطمة -رضي الله عنها-: واكرباه لكربك يا رسول الله،

فقال: (لا كرب على أبيك بعد اليوم» قالت عائشة -رضي الله عنها-: فدعوت له بالشفاعة لما أغمي عليه، فلما أفاق قال: «**لا بل اسألي الله الرفيق الأعلى مع جبريل وميكائيل وإسرافيل**»، ثم قال: «**إنه ليهون على الموت أني رأيت بياض كف عائشة في الجنة**». قال في روض الأفكار: هبط جبريل وملك الموت وملك يقال له: إسماعيل معه سبعون ألف ملك، وذكر غيره أن عزرائيل وقف على الباب، وقال: السّلام عليكم يا أهل بيت النبوة أأدخل ولابد من الدخول؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هذا مفرق الجماعات هذا ملك الموت**»، ثم أذن له في الدخول فقال: «**أين تركت أخي جبريل؟**» قال: تركته في سماء الدنيا والملائكة يعزونه فيك، وإذا بجبريل قد دخل وسلم وقال: هذا ملك الموت يستأذن عليك ولم يستأذن على أحد قبلك، ثم قال جبريل: السلام عليك يا رسول الله هذا آخر موطئي من الدنيا وإنما كنت حاجتي من الدنيا، نعم جبريل لا ينزل بالوحى إلى الدنيا بعده، وأما بغيره فينزل إلى الدنيا كليلة القدر فقال: «**جبريل بشرني**» قال: أبواب الجنة قد تفتحت بقدرة روحك قال: «**ليس عن هذا أسأل بشرني يا جبريل**» قال: قد اصطفت الملائكة لملاقاة روحك، قال: «**ليس عن هذا أسأل بشرني من لقراء القرآن بعدى؟ من لصوام رمضان بعدى؟**»، قال: أبشر فإن الجنة حرمت على جميع الأمم حتى تدخلها أنت وأمتك، فقال: «**الآن قد طاب الموت، ادن منى يا ملك الموت**» فعالج روحه الطيبة فولي جبريل بوجهه فقال: «**يا جبريل ولم تول وجهك عنى؟**»، فقال: ومن يستطيع النظر إليك وأنت تعالج سكرات الموت. قالت عائشة -رضي الله عنها-: لما خرجت روحه الطيبة ما شممت ريحًا أطيب منها، ثم وقعت الظلمة في المدينة حتى لا يرى بعضهم بعضًا واختلف حال الصحابة في هذه المصيبة فمنهم من أقعد ومنهم من أخرس لسانه إلى فراغ العزاء حتى تكلم، ومنهم من أضنى كالمريض حتى مات، وثبت أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- كما تقدم، ثم بايعه الناس بالخلافة وذلك بتوفيق الله وأول من بايعه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-. وذكر القرطبي في تفسير آل عمران أن الرافضة انقسمت اثنتي عشرة فرقة، كل فرقة في السعير فمن أراد أن يرى قبائح هذه الفرق فلينظر في تفسير القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾، ثم بايع الناس أبا بكر -رضي الله عنه- وأخذوا في تجهيز النبي ﷺ إلى قبره الشريف الذي هو أفضل من العرش والكرسي فغسله على بالماء البارد في ثوبه ومعه العباس ومعه ولده الفضل، وأسامة بن زيد يصب الماء، ثم كفنوه في ثلاثة أثواب بيض، تحت السقف وحول ستر ولم يخرج منه شيء كالأموات فقال على -رضي الله عنه-: ما أطيبك حيًّا وميتًا يا رسول الله، ثم دخل الناس وصلوا عليه فرادى بغير إمام بعدهم النساء، ثم الصبيان، وقيل: أول من صلى عليه ربه، ثم الملائكة، ثم الأنبياء، ثم ألحده أبو طلحة في ليلة الأربعاء في الموضع الذي مات فيه وقيل: ليلة الثلاثاء وعمره ثلاث وستون سنة، قال سفيان الثوري -رضي الله عنه- من بلغ ثلاثًا وستين سنة فليستعد للكفن، فلما دفن ﷺ قال أبو بكر -رضي الله عنه- الأبيات وحكاها القرطبي عن صفية عمة النبي ﷺ:

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا ... وكنت بنا برًا ولم تك جافيًا
وكنت بنا برًا رحيمًا وهاديًا ... ليبك عليك اليوم من كان باكيًا
لعمرك ما أبكي لخل فقدته ... ولكن لهرج بعده كان آتيا
أفاطم صلى الله رب محمد ... على جسد أمسى بيثرب ثاويا
فدى لرسول الله أمي وإخوتي ... وعمي وآبائي ونفسي وخاليا
فلو أن رب الناس أبقى نبينا ... سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية ... وأدخلت جنات من العدن راضيا

قال القرطبي في روض الأفكار: وقال عمر بن الخطاب يرثي النبي ﷺ بعد وفاته:

مازلت مذ وضع الفراش لجنبه ... وسوى عليه خائفًا أتوقع
شفقًا عليه أن يزول مكانه ... عنا فنبقى بعده نتفجع
ليت السماء تفطرت أكنافها ... وتناثرت منها النجوم اللمع
لما رأيت الناس هد جميعهم ... موت ينادى بالنعىَ فيسمع
والناس حول نبيهم يدعونه ... يبكون أعينهم بماء تدمع
وسمعت صوتًا قبل ذلك هدني ... عباس ينعاه بصوت يقطع
يبكيه أهل للمدينة كلهم ... والمسلمون بكل خطب يجزع

قال القرطبي في آل عمران: فإن قيل: فلم أخر دفن النبي ﷺ وهو قد أمر بتعجيل تجهيز الميت.

فالجواب: من وجوه:

الأول: أنهم اختلفوا في موته ﷺ فمنهم من أنكره، حتى قال عمر -رضي الله عنه-: من قال إن محمدًا قد مات ضربت عنقه.

الثاني: أنهم اختلفوا في دفنه فمنهم من قال: يدفن في البقيع، ومنهم من قال: يحبس حتى يحمل إلى أبيه إبراهيم ومنهم من قال: يدفن في المسجد فقال الصديق -رضي الله عنه- سمعته ﷺ يقول: «**ما دفن نبي إلا حيث يموت**».

الثالث: أن الأنصار والمهاجرين اختلفوا في الخلافة فلما وفق الفريقين لتولية أبي بكر -رضي الله عنه- وبايعوه، قاموا إلى تجهيزه ﷺ كما تقدم، ثم بايع الناس أبا بكر -رضي الله عنه- بيعة أخرى من الغد وكشف الله به الكربة من أهل الردة وأقام به الدين والحمد لله رب العالمين، والبيعتان قبل دفنه ﷺ فنسأل الله العظيم بجاهه على ربه أن يجمع بيننا وبينه في الدار الآخرة في عافية بلا محنة.

ورأيت في السبعيات للهمداني: قال أنس -رضي الله عنه-: مررت بباب عائشة -رضي الله عنها- فسمعتها تقول في بكائها: يا من لم يلبس الحرير، ويا من لم ينم على فراش وثير، ويا من لم يشبع من خبز الشعير، يا من اختار الحصير على السرير، يا من لم ينم الليل خوف السعير، ثم حكى عن معاذ -رضي الله عنه- أنه قال: كنت ليلة نائمًا باليمن لما وجهنى رسول الله ﷺأعلم أهله الإسلام فرأيت قائلاً يقول: يا معاذ أتنام ورسول الله ﷺبين أطباق التراب؟ فاستيقظت مرعوبًا، ثم نمت فرأيت كذلك في آخر الليل كذلك فأخذت المصحف نهارًا فأول سطر قرأته ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، فبكى معاذ ورحل من اليمن إلى المدينة وهو يقول: وامحمداه. أين أنت أفوق الأرض أم تحتها؟ فلما قربت من المدينة سمعت هاتفًا من بعض الأودية يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، فدنا منه معاذ فإذا هو رجل من الأنصار، فقال: يا معاذ إن رسول الله ﷺفارق الدنيا فوقع معاذ مغشيًا عليه، فلما أفاق رفع له كتاب أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- وعليه ختم بخاتم رسول الله ﷺفقبله وبكى فلما دخل المدينة جاء إلى عائشة -رضي الله عنها- وفاطمة -رضي الله عنها- وقال: السلام عليكم يا أهل البيت فقالت فاطمة: إن رسول الله ﷺقال: يا فاطمة أقرئى معاذ منى السلام وأخبريه أنه يأتى يوم القيامة أمام العلماء، ثم زار قبر النبي ﷺفقالت فاطمة -رضي الله عنها- شعرًا:

ماذا على من شم تربة أحمد ... أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصائب لو أنها ... صبت على الأيام صرن لياليا

فائدة: رأيت في لقط المنافع لابن الجوزى في الباب الثالث عشر في ذكر الطيب: أن الغالية من مسك وعنبر وكافور يخلط الجميع بدهن البان واللينوفر، وشمها يسكن الصداع البارد، وهى نافعة للدماغ البارد وشم المسك والعنبر تقدم أول الكتاب وشم الصندل ينفع من الصداع الحار ويقوى الكبد والمعدة الحارين إذا طلي عليهما من الخارج، وتقدم أن دهن الحواجب قبل الرأس بأي دهن كان ومرور المشط عليها قبل الرأس واللحية أمان من الصداع ويبدأ من اليمين. قال في لقط المنافع في الباب الثاني عشر: من ذكر الباب ولبس خفه باليمين ونزعه باليسرى أمن وجع الطحال، والله أعلم.

باب: مناقب أمهات المؤمنين رضي الله عنهن

الأولي: خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها- كانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة، وكانت أكثر قريش مالاً وأعظمهم شرفًا، وكانت تتاجر الرجالة في مالها وتضاربهم بشيء معلوم. قال في المنهاج: القراض والمضاربة: أن يدفع إليه دراهم أو دنانير ليتجر والربح مشترك فلما بلغ خديجة -رضي الله عنها- حديث رسول الله ﷺوصدقه وأمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه أن يخرج بمالها إلى الشام وتعطيه أفضل ما تعطى غيره مع غلام لها يقال له: ميسرة، فقبل منها، وخرج في مالها إلى الشام حتى قدم مدينة بصرة من أرض حوران، وكان قد خرج مع عمه أبي

طالب إلى بصرى أيضًا وله اثنتا عشرة سنة في رحلة الصيف، وكانت قريش يتاجرون في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام، فكان ذلك لا يشق عليهم ويشق على أنفسهم عبادة رب البيت فلذلك أتى بلام التعجب فقال تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش :١] ، أي اعجبوا ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ [قريش :١-٢] ، وتركهم العبادة، ثم إن الله تعالى يسر لهم الأرزاق في البر على الإبل وغيرها وفي البحر المراكب وأمرهم بالعبادة، فلما دخل رسول الله ﷺ بصرى مع غلام خديجة رآه بحيرة الراهب، وقيل: غيره، وإنما رآه بحيرة في الكرة الأولى فقال الراهب: من هذا؟ قال: غلام من قريش، قال: ما ينزل تحت هذه الشجرة إلا نبي، فلما رجع ﷺ إلى مكة فباعت خديجة -رضي الله عنها- ما جاء به رسول الله ﷺ من التجار بربح كثير وحدثها ميسرة بقول الراهب، وقال ميسرة: كان إذا اشتدت الحرارة نزل عليه ملكان يظللان عليه من الشمس، وهو على بعيره، فأرسلت إليه وعرضت نفسها عليه، ثم أرسلت إليه شيئًا ليرسله إلى أبيها حتى يرغب فيزوجه بها، فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأعمامه فخرج حمزة وأبو طالب، ورؤساء الحرم إلى خويلد بن أسد فخطب أبو طالب وقال: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وجعل بيتنا محجوبًا وحرمًا آمنًا وجعلنا سواس حرمه والحكام على الناس، ثم إن ابن أخي محمد لا يوزن برجل إلا رجح به، فإن كان المال قل فإن المال ظل زائل وأمر حائل، وقد خطب خديجة ولها من الصداق ما عاجله وآجله كذا وهو والله بعد هذا له نبأ، فزوجه أبوها خويلد وهي بنت أربعين سنة وهو ابن خمس وعشرين، وأصدقها عشرين بكرة ونحر في وليمتها جزورين.

ورأيت في كتاب شرف المصطفى: أن أبا طالب قال: يا محمد أنت يتيم فقير وهذه خديجة تستأجر الأجراء فهل لك أن أذهب بك لعلها تستأجرك فتنال منها خيرًا، قال: نعم فأقبل به إليها، فقالت: نعم أجعل لكل أجير ناقة وأجعل لمحمد ناقتين فخرج مع غلامها ميسرة، وقالت: لا تعص لمحمد أمرًا فلما نزلوا بقرب بحيرة قال: من أنت؟ قال: أنا غلام خديجة فدنا من محمد ﷺ وقبل رأسه وقال: آمنت بك، ثم قال: يا محمد رأيت منك العلامات كلها إلا واحدة فاكشف لي عن كتفك فكشف له فنظر إلى خاتم النبوة، وتقدم ببابه في المولد فقبله، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله مرتين، ثم قال: يا غلام احتفظ عليه من اليهود فإنهم أعداؤه.

ورأيت في الدر الثمين: أن الراهب اسمه: نسطورًا ولم يذكر أنه أسلم وذكر أن بحيرة الراهب كان رآه في السفرة الأولى مع عمه أبي طالب فربح ميسرة ربحًا لم يربح مثله، قال: يا محمد عجل إلى خديجة وبشرها بالربح الكثير، وكانت خديجة -رضي الله عنها- يحملها خدمها إلى سطح دارها فرأت محمدًا ﷺ على بعير وعن يمينه ملك شاهر سيفه وعن شماله كذلك والعمامة على رأسه، فلما نزل على بابها وثبت إليه فإذا هي بمحمد ﷺ فأخبرها بالربح،

فقالت له: ارجع إلى ميسرة، وقل له: عجل وإنما أرادت تأكيد محمد فلما تحققته امتلأ قلبها فرحًا فلما قدم ميسرة، سألته عن رسول الله ﷺ، فقال: أخبرني بحيرة الراهب أن محمدًا نبي هذه الأمة فقالت: يا محمد اذهب إلى عمك أبي طالب وقل له: عجل علينا فظن أبو طالب أنها ترد محمدًا فشق ذلك عليه، فلما دخل عليها قالت: اذهب إلى عمي وقل له: يزوجني بمحمد ﷺ فقام أبو طالب إليه فوجده سكران فزوجها إياه. وتقدم أن السكران إذا شرب الخمر مختارًا عالمًا بالتحريم أن طلاقه وتزويجه وبيعه وسائر تصرفاته القولية والفعلية عليه نافذة صحيحة، ورأيت في عقائق الحقائق أن النبي ﷺ لما تزوج خديجة كثر كلام الحساد فيها فقالوا: إن محمدًا ﷺ فقير وتزوج بأغنى النساء فكيف رضيت خديجة بفقره، فلما بلغها ذلك أخذتها الغيرة على محمد ﷺ أن يعير بالفقر، فدعت رؤوساء الحرم وأشهدتهم أن جميع ما تملكه لمحمد ﷺ فإن رضى بفقرى فذلك من كرم أصله، فتعجب الناس منها وانقلب القول، فقالوا: إن محمدًا أمسى من أغنى أهل مكة وخديجة أمست من أفقر أهل مكة فأعجبها ذلك، فقال النبي ﷺ: «**بم أكافئ خديجة؟ فجاءه جبريل - عليه السلام - وقال: إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك: مكافأتها علينا فانتظر النبي ﷺ المكافأة فلما كان المعراج ودخل الجنة وجد فيها قصرًا مد البصر فيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فقال جبريل: لمن هذا؟ قال: لخديجة فقال: هنيئًا لها فقد أحسن الله مكافأتها**».

مسألة: تمليك المجهول باطل قال المحب الطبري: قال الزهرى وقتادة: أول من آمن من النساء خديجة -رضي الله عنها-، بعث النبي ﷺ يوم الإثنين من شهر رمضان فآمنت به خديجة في ذلك اليوم، وكان النبي ﷺ يتعبد في غار حراء في شهر رمضان، فإذا مضى رمضان رجع إلى أهله إلى مكة فطاف بالكعبة سبعًا قبل أن يدخل على خديجة، فلما كانت السنة التي أرسله الله فيها وهو في غار حراء نزل عليه جبريل من عند رب العالمين، ورأيت في الدر الثمين في خصائص الصادق الأمين: نزل عليه إسرافيل ثلاث سنين بكلمة الوحي، ثم وكل به جبريل بالوحي إليه والوحي على أقسام سبعة:

قسم في النوم، وقسم في اليقظة كما في ليلة الإسراء، وقسم ينزل به إسرافيل، وقسم ينزل به جبريل، وقسم يأتيه مثل صلصلة الجرس، وقسم ينفث في روعه الكلام نَفْثًا، وقسم يكلمه الله من وراء حجاب، ورأيت في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى:٥١]، وهو داود - عليه السلام - أو من وراء حجاب وهو موسى أو يرسل رسولاً وهو جبريل إلى محمد ﷺ، فلما جاء جبريل قالت الأحجار: السلام عليك يا رسول الله، وفي رواية: «**فخرجت حتى إذا كنت في وسط الجبل سمعت صوتًا من السماء، يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فرفعت رأسي فإذا جبريل في صورة رجل في أفق السماء فلا أنظر إلى ناحية منها إلا رأيته فلا زلت واقفًا لا أتقدم ولا أتأخر حتى بعثت خديجة رسولاً في طلبي، ثم انصرف عني**

وانصرفت عنه إلى أهلي، فقالت خديجة: يا أبا القاسم أين كنت فوالله لقد بعثت رسولي في طلبك؟ فحدثتها بالذي رأيت فقالت: أبشر واثبت فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة وفي رواية: أنها قالت: ألا تستطيع أن تخبرني بصاحبك إذا جاء؟ قال: «نعم» فجاءه جبريل فقال: «**يا خديجة هذا جبريل**» قالت: فاجلس على فخذي الأيسر ففعل، فقالت: هل تراه؟ قال: «**نعم**» فحولته إلى الأيمن، ثم قالت: هل تراه؟ قال: «**نعم**» فأجلسته في حجرها وقالت: هل تراه؟ قال: نعم فكشفت عن وجهها فقالت: هل تراه؟ قال: «**لا**»، فقالت: أبشر فوالله إنه ملك ما هو شيطان، ثم لبست ثيابها ودخلت على ورقة بن نوفل وهو ابن عمها فأخبرته بذلك، فقال: قدوس قدوس والذي نفسي بيده لئن صدقت يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، ثم قام ورقة إلى النبي ﷺ وقبل رأسه قال محمد بن إسحاق: كان النبي ﷺ لا يسمع شيئًا يكرهه من الرد عليه والتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بخديجة إذا رجع إليها فتثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس.

ومن كرامتها أيضًا: أن النبي ﷺ قال: «**يا خديجة هذا جبريل يقرئك السلام**» فقالت: الله السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام. وفي رواية قال جبريل: يا محمد ما نزلت من عند سدرة المنتهى إلا ويقول الله تعالى: يا جبريل سلم على خديجة، وفي رواية قال جبريل: يا محمد هذه خديجة قد أتتك بالماء فيه طعام أو شراب فإذا أتتك فاقرأ عليها السلام من الله ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب. والحكمة في كونه من قصب وهو اللؤلؤ المجوف؛ لأنها حازت قصب السبق إلى الإسلام، والصخب: رَفْعُ الصياح والنصب: التعب. وقالت فاطمة -رضي الله عنها-: أي بعد موت أمها والله يا نبي الله لا ينفعنى طعام ولا شراب حتى تسأل جبريل عن أمي، فسأله، فقال: هي بين سارة ومريم في الجنة. وقال معاذ -رضي الله عنه- قال النبي ﷺ لخديجة -رضي الله عنها- وهي في سكرات الموت: «**أتكرهين ما قد نزل بك؟ والله لقد جعل الله لك به في السكرة خيرًا، فإذا قدمت على ضراتك فأقرئيهن منى السلام مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وكلثوم أخت موسى - عليه السلام -**» فقالت: على الوفاء يا رسول الله ذكره القرطبي في تفسير سورة التحريم، وفي العرائس: أخت موسى اسمها مريم وأمها اسمها يوحاند بنت يصهر بن لاوى بن يعقوب، وتقدم اسم أبي موسى في الوفاء، قالت عائشة - رضي الله عنها- كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة لم يكد يسأم من الثناء عليها والاستغفار لها فذكرها ذات يوم فقلت: قد عوضك الله خيرًا من كبيرة السن، فرأيته غضب غضبًا شديدًا فندمت، وقلت: اللهم إن أذهبت غيظ رسولك لم أعد إلى ذكرها بسوء أبدًا، ثم قال: «**كيف قلت؟ والله لقد آمنت بي إذ كفر بي الناس وآوتني إذ رفضني الناس وصدقتني إذ كذبني الناس**»، وفي رواية فذكرها يومًا فقلت: هل كانت إلا عجوزًا قد أخلفك الله خيرًا منها؟ فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب، ثم قال: «**لا والله ما أخلف الله لي خيرًا منها**» فقلت في نفسي: لا أذكرها بسوء

أبدًا؛ فلذلك رجح جماعة منهم اليمني في مختصر الروضة تفضيلها على عائشة، ولم يرجح النووي في الروضة شيئًا، قال النبي ﷺ: «**أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون**» ماتت خديجة قبل الهجرة بثلاث سنين وهى بنت خمس وستين سنة ودفنت بالحجون، نزل النبي ﷺ في قبرها ولم تكن يومئذ الجنازة فرضًا. وقيل: ماتت بعد موت أبي طالب بثلاثة أيام فطمعت قريش بعد ذلك في النبي ﷺ وبالغوا في أذاه. قال الطبري: كل أولاده ﷺ منها إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية كما سيأتى في مناقب فاطمة -رضي الله عنها-، وتزوجت خديجة قبل النبي ﷺ برجلين أولهما: عتيق بن عابد بن عبد الله، ثم تزوجها بعده أبو هالة، قال الطبري: كان اسمه: أبو زرارة فولدت منه ولدًا فعاش وأدرك الإسلام وكان يقول: أنا أكرم الناس أبًا وأمًا وأخًا وأختًا أبي رسول الله ﷺ، وأمي خديجة وأخي القاسم وأختي فاطمة فلما مات بالبصرة ازدحم الناس على جنازته، وقالوا: ربيب رسول الله ﷺ قيل: قتل مع على -رضي الله عنه- في موقعة الجمل، والله تعالى أعلم.

الثانية عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها-: تُكَنَّى بأم عبد الله؛ لأنها قالت: يا رسول الله كنيت نساءك فكنني؟ قال: «**تكنى بابن أختك أم عبد الله**» وهى أول امرأة عقد عليها بعد خديجة وأصدقها أربعمائة درهم، وأول من خيرها من نسائه لما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾[الأحزاب :٢٨] الآية، قال القرطبي عن العلماء: إنما أمر النبي ﷺ عائشة -رضي الله عنها- أن تشاور أبويها؛ لأنه كان يحبها فخاف أن يحملها فرط الشباب على أن تختار فراقه وكان النبي يعلم من أبويها أنهما لا يأمرانها بفراقه فلما اختارت عائشة -رضي الله عنها- رسوله قالت: لا تخبر نساءك بما قلت فقال: لا تسألنى امرأة منهن إلا خيرتها أن الله بعثنى معلمًا ميسرًا فلما قلن له ما قالت عائشة، أنزل الله تعالى مكافأة لهن ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ﴾[الأحزاب :٥٢] كما كان في الجاهلية يقول الرجل: يا فلان: انزل لي عن زوجتك وأنزل لك عن زوجتى قال الحسن: بهذه الآية حرم عليه أن يتزوج عليهن، وقال عكرمة بالجواز، حكاه القرطبي في تفسير سورة الأحزاب.

قال في الروضة: وله الزيادة على الأصح والتحريم منسوخ بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ﴾[الأحزاب :٥٠] الآية، ليكون له المنة عليهن بترك التزوج، قال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة -رضي الله عنها- أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس، وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ: «**أتاني جبريل، فقال: إن الله قد زوجك بابنة أبي بكر ومعه صورة عائشة**»، قالت عائشة: لا أبالي منذ علمت أنك زوجى في الجنة.

قال في الزهر الفاتح: لما ماتت خديجة اغتم النبي ﷺ فجاءه جبريل بورقة منقوش عليها صورة عائشة، وقال: يا محمد إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول: إني زوجتك البكر التي تشبه هذه الصورة في السماء، فتزوجها أنت في الأرض فدعا النبي ﷺ الدلالة يعنى الخطابة،

وقال: هل تعرفين في مكة بكرًا تشبه هذه الصورة؟ قالت: نعم بنت أبي بكر تشبهها، فدعا النبي ﷺأبا بكر، وقال: «**إن لك بنتًا تشبه هذه الصورة زوجني الله بها وأمرك أن تزوجني بها في الأرض**» قال: إنها صغيرة قال: «**لو لم تكن صالحة لما زوجني الله بها**» فعقد النكاح، ورجع أبو بكر إلى منزله وأرسل مع عائشة طبقًا من تمر وقال: قولي له: هذا الذي سأل عنه رسول الله فلا أدرى أيصلح أم لا؟ فأتت النبي ﷺوأخبرته بذلك فقال: «**يا عائشة قبلنا، ثم قبلنا**».

قال المحب الطبري: عقد عليها في شوال بالمدينة وهي بنت ست، ودخل بها وهي بنت تسع وأقام عندها تسعًا. وتقدم في باب حفظ الأمانة إذا قصد نكاحها فالسنة أن ينظر إليها قبل الخطبة، وإن لم تأذن له وله تكرر نظره فإن لم يتيسر بعث امرأة تصفها له.

قال في الروضة: لو خطب البكر رجل فامتنع أبوها فزوجته نفسها وزوجها الأب غيره فالأول هو الصحيح إن وطئها، وإلا فالثاني إن لم يحكم بالأول حنفي والله أعلم، قالت عائشة: قلت: يا رسول الله ادع الله يغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر فرفع يديه حتى رأيت منه إبطيه، ثم قال: اللهم اغفر لعائشة بنت أبي بكر مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ولا تكسب بعدها خطيئة ولا إثمًا قال: «**أفرحت يا عائشة؟**» قلت: أي والذي بعثك بالحق قال: «**والذي بعثني بالحق ما خصصتك بها من بين أمتي وإنها لصلاة أمتي في الليل فيمن مضى منهم ومن يبقى إلى يوم القيامة فأنا أدعو لهم**» والملائكة يؤمنون على دعائه ﷺ. فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام، قال النعمان بن بشير: جاء أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- يستأذن على النبي ﷺفأذن له، فوجد عائشة رافعة صوتها على رسول الله ﷺفقال: يا بنت أم رومان ترفعين صوتك على رسول الله وتناولها بالكف فحال بينه وبينها فلما خرج أبو بكر ثانيًا جعل النبي ﷺيترضاها، ويقول: «**ألا ترين قد أحلت بينك وبين الرجل؟**» ثم جاء أبوها ثانيًا فوجد النبي ﷺيضاحكها فقال: يا رسول الله أشركاني في سلمكما كما أشركتماني في حربكما وقالت عائشة -رضي الله عنها-: كان بيني وبين النبي ﷺكلام فقال: «**أترضين بأبيك؟**» قالت: نعم فبعث النبي ﷺإليه فقال: (إن هذه كان أمرها كذا وكذا» فقالت: اتق الله ولا تقل إلا حقًا، فضربها أبو بكر ففار الدم من رأسها، ثم قام إلى جريدة فجعل يضربها ففرت هاربة فلصقت بظهر النبي ﷺفقال له: «**لم ندعك لهذا أقسمت عليك لما خرجت عنا**» فلما خرج أبو بكر تنحت عن النبي ﷺفقال لها: ادن منى فأبت فتبسم النبي ﷺوقال النسفي: قالت عائشة للنبي: ما في بيتك ما يؤكل فغضب، ﷺوخرج من البيت فأرادت مصالحته فسبقها فوضعت خدها على الأرض وتضرعت إلى الله تعالى بالبكاء فلما وضع النبي ﷺرجله على باب المسجد وأراد الدخول جاءه جبريل، وقال: إن الله تعالى يقول لك: ارجع وصالح عائشة فرجع وصالحها فقالت: يا رسول الله اعف عنى فنزل جبريل بطبق من الحلوى وقال: إن الله تعالى يقول لك: كان الصلح منا وطعام الصلح علينا.

قال في كتاب العقائق: عن النبي ﷺ زوجني عائشة ربي في السماء وأشهد عقدها الملائكة وأغلقت أبواب النيران وفتحت أبواب الجنة أربعين صباحًا مسها مس الحرير وريحها ريح المسك. وفي كتاب البر عن النبي ﷺ: غسل القدمين بعد الخروج من الحمام أمان من القرب، وكان بعضهم إذا أصابه قرب من الحمام يقول: يا رحيم من علينا من عذاب السموم والنوم بعد الحمام في الصيف كالدواء وإذا دخله فليقل: اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار ولا يشرب الماء البارد بعده ويكره شرب الماء إلا لضرورة فإن شربه بالعسل فإنه ينفع من القولنج، وأخف المياه ماء السماء وأنفعه ما نزل ليلًا إذا أراد الله بقوم خيرًا أمطرهم ليلاً. وقال غيره: الحجامة في الحمام شفاء من سبعين علة ويقرأ عند الفصادة الفاتحة وعند الحجامة آية الكرسي، وسيأتي في مناقب على زيادة في ذكر الحمام: لما تزوج سليمان بلقيس أحبها حبًّا شديدًا وكان سريرها وهو عرشها مقدمه من ذهب فيه فصوص من الياقوت والزبرجد، ومؤخره من فضة بألوان الجوهر، وله أربع قوائم من ياقوت وذهب ودر وزبرجد وألواحه من ذهب فلما علم سليمان به قال: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل :٣٨] قال الأكثرون: أراد أن يأخذه حلاًّ قبل إسلامها؛ لأن أخذ مال المسلم حرام فلما تزوجها أقرها على ملكها فكرهت الجن تزويجها وكانوا قبل ذلك وصفوا رجليها برجل حمار فبنى قصرًا من قوارير، أي من زجاج وأجرى تحته الماء وجعل فيه السمك ووضع سريره في صدره فلما جاءته بلقيس حسبته لجة وكشفت عن ساقيها فنظر سليمان، فإذا هي من أحسن النساء ساقًا، ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ [النمل :٤٤] أي أملس ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾ [النمل :٤٤] أي من زجاج، فلما دعا آصف بن برخيا باسم الله الأعظم وهو: يا حي يا قيوم قال مجاهد: إنه قال: يا إلهنا وإله كل شيء يا ذا الجلال والإكرام بعث الله ملائكة فحملته حتى وضعوه بين يدي سليمان وكانت بلقيس قد جعلته في بيت له سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها فقال: ﴿نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ [النمل :٤١] فجعلوا أعلاه أسفله وأسفله أعلاه أراد بذلك التوصل إلى معرفة عقلها؛ لأن الجن قد وصفوها بضعف العقل حتى لا يتزوجها، فلما رأته قالت: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ [النمل :٤٢] قال الحسن: شبهوا عليها فشبهت عليهم فأجابتهم على حسب سؤالهم، فعلم سليمان بذلك كمال عقلها.

لطيفة: قالت عائشة -رضي الله عنها- قال النبي ﷺ: «يا عائشة أنت أحب إلي من تمر بزبد»، فقلت: يا نبي الله وأنت أحب إلي من زبد بعسل. ذكره ابن طرخان في الطب النبوى. قال المحب الطبري عن الإمام بن حنبل: أن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: صنع رجل طعامًا، ثم قال للنبي ﷺ: قد صنعت طعامًا فدعاه إليه فقال: «وهذه؟» يعنى عائشة فقال الرجل: لا، فقال النبي ﷺ: «لا»، ثم دعاه ثانيًا فقال: «وهذه؟» يعنى عائشة فقال الرجل: لا، فقال النبي ﷺ: «لا»، ثم دعاه ثالثًا، فقال النبي ﷺ: «وهذه؟» يعني عائشة فقال الرجل: نعم، فقام النبي ﷺ وعائشة إلى منزل الرجل.

قال مؤلفه- رحمه الله-: والعجب من المحب الطبري كيف رواه عن الإمام أحمد وهو في صحيح مسلم، قالت عائشة -رضي الله عنها-: سابقني رسول الله ﷺ فسبقته فلما حملت اللحم أي كثر لحمها سابقني فسبقني وقال: «**هذه بتلك**».

فائدة: عن أنس: دخل النبي ﷺ على عائشة وهي توعك فقال: «**مالي أراك هكذا**»، قالت: من الحمى وسبتها فقال: «**لا تسبيها فإنها مأمورة وإن شئت علمتك كلمات إذا قلتهن أذهبها الله عنك**» قالت: بلي يا رسول الله قال: «**قولي: اللهم ارحم جلدي الرقيق وعظمي الدقيق من شدة الحريق، يا أم ملدم إن كنت آمنت بالله العظيم، فلا تصدعي الرأس ولا تغيري الفهم ولا تأكلي اللحم ولا تشربي الدم وتحولي عنى إلى من اتخذ مع الله إلهًا آخر**»، قالت: فقلتها فذهبت عنى.

ورأيت في لقط المنافع: لابن الجوزى، عن عثمان بن أبي العاص قال: أتاني رسول الله ﷺ وبي وجع كاد يهلكنى، فقال لي: «**امسح بيمينك سبع مرات وقل: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد**» ففعلت ذلك فأذهب الله عنى ما كان بي فلم أزل آمر به أهلي وغيرهم. وقدمنا في باب فضل الرضا زيادات حسنة، وقالت عائشة: أعطيت خصالاً لم تعطهن امرأة غيري: صورت لرسول الله قبل أن أصور في بطن أمي وكنت أحب الناس إليه وأنزل الله تعالى براءتي من السماء، ولما قال أهل الإفك فيها ما قالوا قال عمر: أنا قاطع بكذب المنافقين؛ لأن الله تعالى عصمك عن وقع الذباب على جلدك؛ لأنه يقع على النجاسة فكيف لا يعصمك عن صحبة من هو ملطخ بمثل هذه الفاحشة؟.

قال في تفسير الثعلبي في سورة الأحزاب: إن زينب وعائشة تفاخرتا، فقالت زينب: أنا التي نزل تزويجي من السماء، وقالت عائشة: أنا الذي نزل عذري من السماء حين أركبني صفوان بن المعطل على الراحلة، فقالت زينب: وما قلت حين ركبتها؟ قالت: قلت حسبي الله ونعم الوكيل، قالت: كلمة المؤمن، وتقدم أول الكتاب أن قول العبد: حسبي الله ونعم الوكيل أحسن من قوله: حسبنا الله، ثم قال الثعلبي في سورة النور: قالت عائشة: لما ركبت وأخذ صفوان الزمام مررنا على المنافقين فقال عبد الله بن أبي بن سلول لعنه الله: من هذه؟ قالوا: عائشة قال: والله ما سلمت منه ولا سلم منها، فشاع الكلام بين الناس، فقالت امرأة أبي أيوب الأنصارى: ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ فقال: لو كنت مكانها أكنت فاعلة ذلك قالت: لا والله، فقال: والله إن عائشة خير منك. سبحانك هذا بهتان عظيم.

قال في الزهر الفاتح: قال بعضهم: سمعت رجلاً يذكر عائشة بسوء فلم أنكر عليه فرأيت النبي ﷺ في المنام فقال: «**لا تنكر على من سب زوجتي؟**» فقلت: يا رسول الله ما قدرت فقال: «**فكذبت وأومأ إلى عينى بالسبابة والوسطى**» فاستيقظ وهو أعمى. قال القاضى أبو بكر: تعلقت الرافضة - لعنهم الله - على عائشة بقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[الأحزاب: ٣٣] بخروجها في أيام الجمل تقاتل عليًا في العراق وهو مخالف لأمر الله تعالى، وقال علماؤنا

استدلت عائشة لجواز الخروج بقوله تعالى : ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات :٩] ، فهذا أمر عام للذكر والأنثى فهى محقة في الخروج وهم مبطلون في الإنكار عليها، فإن قيل : كيف رفع الله الحجاب بين إبراهيم وبين سارة وهى أخت لوط وهو ابن عم إبراهيم -عليهما السلام- لما أخذها الجبار حين علم أنه لم يصل إليها وصارت الحيطان كالزجاج حتى اطمأن قلب إبراهيم ومحمد ﷺ لم يرفع الحجاب له لأجل عائشة حين تخلفت عن الرفقة حتى قال المنافقون : ما قالوا؟

فالجواب : لو رفع الله الحجاب لقالوا : إن محمدًا لا يهتك ستر زوجته وبقى الشك فيهم فأزال الله تعالى ذلك بقوله : ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور :١٦] أولئك مبرؤون مما يقولون وهذا أبلغ من رفع الحجاب حتى اطمأن قلبه ﷺ إلى عصمتها وعائشة ما استولى عليها ظالم ولا مد إليها يده، فلا معنى لرفع الحجاب والله تعالى أعلم .

فإن قيل : كيف كانت براءة يوسف - عليه السلام - على لسان صبي؟ وهو نبي كريم وعائشة براءتها من الله وليست نبيه .

فالجواب : أن يوسف لم يكن عنده في مصر نبي تأتي براءته من الله تعالى على لسانه ولا يليق به أن يبرئ نفسه بنفسه، فكانت براءته على لسان صبي قبل أوان كلامه، وأما عائشة فكانت براءتها على لسان محمد ﷺ .

وجواب آخر : أن باب الوحي كان منسدًّا في أيام يوسف؛ لأنه لم يكن مرسلًا في ذلك الوقت، كما كان منسدًّا في أيام مريم، فبرأها الله على لسان ابنها وهو صبي وأما في أيام عائشة فكان باب الوحى مفتوحًا لمحمد ﷺ . وتقدم في باب فضل الصدقة أن عائشة تصدقت برغيف لا تملك غيره وكانت صائمة .

وقال في عيون المجالس : إن عائشة كانت إذا تصدقت بدرهم طيبته فسألها النبي ﷺ عن ذلك فقالت : يا نبي الله أحببت أن يكون درهمى مطيبًا؛ لأنه يقع في يد الله قبل أن يقع في يد السائل، فقال : «**لقد وفقك الله يا عائشة**» .

لطائف:

الأولي : ذكر الرازي في تفسيره : أن النبي ﷺ قال : «**يا رب اجعل حساب أمتي إلي**»، ثم جيء إليه بميت عليه دين دريهمات فامتنع من الصلاة عليه ولما قال أهل الإفك وهو الكذب في عائشة ما قالوا، أخرجها من بيته أي أذن لها في الخروج إلى بيت أبويها، فكان الله تعالى يقول : يا محمد لك رحمة واحدة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء :١٠٧] والرحمة الواحدة لا تسع جميع الخلق فدعني وعبادي فرحمتي لا نهاية لها .

الثانية : قال القشيرى في تفسيره في سورة النور : فإن قيل : قال النبي ﷺ : «**اتقوا فراسة**

المؤمن فإنه ينظر بنور الله» وهو أولى بالفراسة في حق عائشة -رضي الله عنها-:

فالجواب: أن الله تعالى سد على أوليائه عيون الفراسة كمالاً للبلاء.

قال في نور الملح: ستر الله عنهم العلم بحالها وهو أكرم الخلق ليبطل قول المنجم والكاهن.

الثالثة: رأيت في بعض المجاميع أن محمدًا ﷺ قال: «**يا جبريل هل تعلم براءة عائشة قال: نعم قال: فكيف لم تخبرني؟ فقال: أردت ذلك فقال الله تعالى: يا جبريل لا تفعل فإن الشدة مني والفرج مني**».

فائدة: ولدت عائشة بعد النبوة بأربع سنين وماتت في خلافة معاوية سنة ثمان وخمسين، وهي بنت ست وستين سنة، ودفنت بالبقيع وصلى عليها إمامًا أبو هريرة -رضي الله عنه-، قال النووي: روت ألف حديث ومائتي حديث وعشرة أحاديث -رضي الله عنها-.

الثالثة: أم المؤمنين حفصة بنت عمر -رضي الله عنها- تزوجها النبي ﷺ سنة ثلاث من الهجرة، وأصدقها أربعمائة درهم. قال المحب الطبري: خطبها عثمان فرده فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال يا عمر: «**ألا أدلك على ختن هو خير لك من عثمان وأدل عثمان على ختن خير له منك؟**»، قال: نعم يا نبي الله قال: «**تزوجني ابنتك وأزوج عثمان ابنتي**»، ثم قال: ويمكن أن عمر عرضها على عثمان قبل ذلك فلم يجبه؛ لأنه سمع النبي ﷺ يذكرها، ثم فهم منه تركها فخطبها عثمان بعد ذلك فرده فبلغ النبي ﷺ وجاء عمر ذاكرًا له الحال الأول لشدة تألمه، فقال له النبي ﷺ هذا المقال جبرًا له، والختن والصهر بمعنى واحد.

وفي البخاري: أن عمر عرض حفصة على عثمان فرده، ثم على أبي بكر فسكت، ثم خطبها النبي ﷺ فاعتذر أبو بكر عن سكوته لعمر بأن النبي ذكرها ولم أكن أفشي سر النبي ﷺ.

قال عمار بن ياسر: أراد النبي أن يطلق حفصة فقال جبريل: لا تطلقها فإنها صوامة قوامة وهي زوجتك في الجنة، وقال عقبة بن عامر: طلق النبي ﷺ حفصة فحثى عمر على رأسه التراب وقال: ما يعبأ الله بعمر وابنته بعد اليوم فنزل جبريل من الغد على النبي ﷺ وقال: الله تعالى يأمرك أن تراجع حفصة بنت عمر رحمة له.

قال الإمام النووي: ولدت حفصة وقريش تبني في البيت الشريف قبل بعث النبي بخمس سنين وروت عن رسول الله ستين حديثًا.

قال المحب الطبري: ماتت حفصة سنة إحدى وأربعين وفي مجمع الأحباب، وصفوة الصفوة سنة خمس وأربعين، والله أعلم.

الرابعة: أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها-: واسمها هند بنت أبي أمية واسمه سهل بن المغيرة، قالت أم سلمة -رضي الله عنها-: لما أراد أبو سلمة أن يهاجر إلى المدينة

بعد رجوعنا من الحبشة حملني على بعيره، ومعي ولدي سلمة، فلما رأته رجال بني المغيرة، أي رجال أبيها قاموا عليها وقالوا: أما صاحبتنا هذه فلا ندعها تخرج معك فنزعوا خطام بعيري من يدي فقال قوم أبي سلمة: والله لا نترك بنتنا ففرقوا بيني وبين زوجي وولدي فكنت أخرج كل يوم إلى الأبطح أبكى إلى الليل فمر بي رجل من بني عامر فرأى ما بي، فقال: فرقتم بين هذه المسكينة وزوجها وولدها فقالوا: الحقي بزوجك فرد قوم أبي سلمة على ولدي فوضعته في حجري، ثم خرجت وما معي أحد إلا الله تعالى فلقيني عثمان بن طلحة عند التنعيم ويعرف الآن بمساجد عائشة، فقال: إلى أين يا بنت أبي أمية؟ فقلت: إلى زوجي بالمدينة فأخذ بخطام بعيري نحوه قالت: والله ما رأيت رجلاً أكرم منه كان إذا دخل إلى منزلي أناخ بي، ثم يستأخر، وإذا نزلت عن البعير أخذه واستأخر وإذا أردت الركوب أناخه واستأخر فلما وصلنا إلى المدينة، قال: ادخليها على بركة الله تعالى، ثم رجع إلى مكة قال أبو سلمة: سمعت النبيﷺ يقول: «**لا يصاب أحد بمصيبة فيسترجع عند ذلك ويقول: اللهم عندك أحتسب مصيبتي هذه اللهم اخلفني فيها خيرًا منها إلا أعطاه الله تعالى**» فلما مات أبو سلمة من جرح أصابه يوم أحد نقض عليه بعد شهر سنة أربع في جمادى الآخر قلت ما قاله رسول اللهﷺ فلما انقضت عدتي في شوال خطبني أبو بكر وعمر فأبيت، ثم خطبني رسول اللهﷺ فقلت: مرحبًا برسول الله، ثم شكوت إليه الغيرة فدعا لي فذهبت عني فكنت في نسائه كالأجنبية وفي رواية خطبني بنفسه، فقلت: يا نبي الله إني شديدة الغيرة ولي عيال وقد كبر سني فقال: «**وأنا كبر سني وعيالك عيال الله، وأما الغيرة فسوف يذهبها الله عنك**» قالت: وأخذ النبي الحسن والحسين وفاطمة وقال: رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد فبكيت، فقال: «**ما يبكيك؟**» فقلت: خصصتهم وتركتني فقال: إنك وبنيك من أهل البيت، أي لأنها بنت عمته عاتكة وتقدم أن أبا سلمة ابن عمته أيضًا وأمه برة بنت عبد المطلب، وتقدم في باب الصدقة أن أبا سلمة اسمه: عبد الله وهو وأخوه الرجلان المذكوران في الكهف والصافات، وبيانه في باب الصدقة مذكور. ماتت أم سلمة سنة ستين في خلافة يزيد بن معاوية، قال في الدر الثمين في خصائص الصادق الأمين: أن أم سلمة بنت عاتكة بنت عامر بن ربيعة وهذا مخالف للأول، والله تعالى أعلم.

الخامسة: أم المؤمنين أم حبيبة -رضي الله عنها-: اسمها رملة أخت معاوية وأبوها أبو سفيان واسمه صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وهي عمة عثمان بن عفان - رضي الله عنهما - قال في الدر الثمين: قال مؤلفه -رحمه الله تعالى-: غير مستقيم فإن عفان بن أبي العاص بن أمية فكيف تكون عمته؟ وكانت قبل النبيﷺ عند عبيد بن جحش، فلما أسلم هاجر إلى الحبشة قالت أم حبيبة: فرأيت في المنام كأن زوجي في أقبح صورة فلما أصبح، قال: يا أم حبيبة إني نظرت في الدين فلم أرى دينًا خيرًا من دين النصرانية،

وكنت قد دنت لها، ثم دخلت في دين محمد، ثم رجعت إلى النصرانية فقلت: والله ما هي خيرًا، وأخبرته بالرؤيا فركب على الخمر ومات كافرًا، ثم رأيت في المنام قائلًا يقول: يا أم المؤمنين فأولتها برسول الله ﷺ فلما انقضت العدة جاءنى رسول النجاشي وهى جارية يقال لها: أبرهة فقال: إن الملك يقول: إن النبي ﷺ كتب إلي أن أزوجك به فقلت لها: بشرك الله بكل خير، ثم قالت: ويقول لك الملك: وكلي من يزوجك فأعطيتها خلخالي وسواري ووكلت خالد بن سعيد، فلما قدم الليل أرسل النجاشى إلى من عنده من المسلمين، فحضروا فخطب وقال الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

أما بعد: فقد أجبت إلى ما دعا إليه ﷺ وزوَّجته أم حبيبة.

وفي كتاب شرف المصطفى: أن وكيله ﷺ عمر بن أمية. وفي الدر الثمين: إنما هو رسوله إلى النجاشي والوكيل الأول، وقيل: عثمان بن عفان، وكان أبوها كافرًا، وتقدم ذكره في باب الدعاء. قالت أم حبيبة: فلما وصل الصداق إلى أرسلت إلى الجارية التي بشرتنى خمسين مثقالاً فردت الجميع وقالت: قد اتبعت دين محمد ﷺ فأقرئيه منى السلام وقولي له: إني على دينه، ثم أمر النجاشى -رضي الله عنه- نساءه أن يبعثن إلى بكل عطر، ثم تجهزنا للخروج إلى المدينة فقالت الجارية: لا تنسي حاجتى من السلام على رسول الله ﷺ فلما قدمت المدينة أخبرت النبي ﷺ بأمر الجارية فتبسم، وقال: «**عليها السلام ورحمة الله وبركاته**».

قال الزهرى: قدم أبو سفيان المدينة قبل إسلامه فلما دخل على بنته أم حبيبة وأراد الجلوس على فراش النبي ﷺ منعته من ذلك وطوته دونه فسألها عن ذلك فقالت له: لأنك نجس.

ماتت -رضي الله عنها- سنة أربع وأربعين وقيل: أربعين في خلافة أخيها معاوية -رضي الله عنها- والله أعلم.

السادسة: أم المؤمنين سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس -رضي الله عنها-: تزوجها ابن عمها السكران بن عمر بن شمس، ثم مات مسلمًا فتزوجها النبي ﷺ بعد موت خديجة وأصدقها أربعمائة درهم ودخل عليها، لكنه عقد على عائشة قبلها فلما كبر سنها أراد أن يطلقها، فقالت: يا رسول الله لا تطلقني وأنت في حل من شأني فإني أريد أن أحشر في أزواجك، وقد وهبت يومي لعائشة قالت عائشة: اجتمع أزواج النبي ذات يوم عنده فقلن: يا نبي الله أيتنا أسرع لحوقًا بك؟ قال: «**أطولكن يدًا**» فأخذن قصبة فذرعنها فكانت سودة أطولهن يدًا، قالت: فتوفي النبي ﷺ فكانت سودة أسرع لحوقًا به، وكانت امرأة صالحة وكانت تحب الصدقة.

قال المحب الطبري قال المحققون: هذا الحديث غلط من بعض الرواة بلا شك والعجب من البخاري كيف لم ينبه عليه؟ وإنما هي زينب فإنها كانت أطول يدًا بالعطاء والصدقة توفيت

سودة في خلافة عمر، وقيل: سنة أربع وخمسين في خلافة معاوية -رضي الله عنهم- والمشهور الأول.

السابعة: أم المؤمنين زينب بنت جحش -رضي الله عنها-: وهى بنت عمة النبي ﷺ أمها أميمة بنت عبد المطلب وتقدم أنه لم يسلم من عماته غير صفية. قالت زينب: خطبنى عدة من قريش، فأرسلت أختي حمنة تستشير النبي ﷺ فقال: **«أين هي ممن يعلمها كتاب ربها وسنة نبيها؟»** قالت: ومن هو؟ قال: **«زيد بن حارثة»** فغضبت حمنة، وقالت: تزوج بنت عمتك بعبدك؛ لأن خديجة اشترته له، ثم تبناه أي اتخذه ابنًا فأخبرت زينب بذلك فغضبت كثيرًا فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦]، فقالت زينب: أستغفر الله وأطيع الله ورسوله أفعل يا رسول الله ما رأيت، فزوجها بزيد، فلما دخل الجنة ليلة المعراج رأي صور نسائه ورأى صورة زينب معهن فلما رجع رآها مع زيد وهى على تلك الصورة فاختلج في سره كيف تكون من نسائى وهى عند غيرى؟ ثم قال: **«يا مثبت القلوب ثبت قلبي»** قال ذلك من طريق الغيرة، فلما جاء زيد أخبرته بذلك، فقال: والله إن رسول الله ﷺ أحب إلي منك وأحب إليك مني ما نجتمع بعد أبدًا قومي حتى أطلقك عنده فلما جاء إليه قال النبي ﷺ: **«أمسك عليك زوجك»** فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب:٣٧]، فقرأها النبي ﷺ والعرق يتقاطر منه فأسلم في ذلك اليوم خلق كثير من المنافقين، وقالوا: لو كان هذا القرآن من عند محمد لأخفى هذه الآية؟ هكذا رأيته في عقائق الحقائق، فإن قيل: المعراج قبل الهجرة وتزوجها من زيد بعدها فكيف يصح القول بأن النبي لما رجع من المعراج رآها في الجنة؟ قال المحب الطبري: كانت بيضاء جميلة سمينة فأبصرها النبي بعد حين عند زيد فأعجبته، فقال: **«سبحان الله مقلب القلوب»** وكان من خصائصه ﷺ إذا رأى امرأة وأعجبته حرمت على زوجها وحرم على زوجها إمساكها، قال القرطبي: كانت نائمة فسمعت التسبيح فأخبرت زوجها زيدًا بذلك، فقال: يا رسول الله ائذن لي في طلاقها فقال: **«أمسك عليك زوجك واتق الله»** فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٣٧]، بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٣٧]، بالعتق ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب:٣٧]الآية، ومعنى قوله: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ [الأحزاب:٣٧]، هو أن يقولوا: تزوج امرأة ابنه فأنزل الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب:٤٠]، قال النووي -رضي الله عنه- في الروضة: كان النبي أبا الرجال والنساء وقيل: لا يجوز أن يقال: هو أبو المؤمنين أي في الحرمة، ثم أنزل الله تعالى ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب:٥] أي أعدل عند الله فدعى زيد بن حارثة من يومئذ بعد أن كان يدعى زيد بن محمد.

قال القرطبي: قدم عم زيد مكة فلما رآه سأله عن اسمه: فقال: زيد فسأل عن اسم أبيه فقال: حارثة فسأله عن اسم أمه، فقال: سعدى، فأرسل عمه إلى أبيه وأهله فلما دخلوا مكة

قالوا: يا محمد هذا ولدنا، فقال: «**إن اختاركم فخذوه**» فخيروه فاختار محمدًا ﷺ. قال النبي ﷺ لما انقضت عدتها لزيد: «**اذهب فاذكرني لها**» فجاء إليها وجعل ظهره إليها، وقال: يا زينب قد خطبك رسول الله ﷺ فقالت: حتى أستأذن ربي فأحرمت بالصلاة فأنزل الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، فدخل عليها النبي ﷺ وهى مكشوفة الرأس فقالت: يا رسول الله بلا خطبة وبلا شهود فقال: «**الله المزوج وجبريل الشاهد**».

قال في الروضة: والأصح أن ينعقد نكاحه ﷺ بلا ولي ولا شهود، وقال في البخاري: كانت زينب تفتخر على نساء النبي وتقول: زوجكن أهاليكن وأنا زوجنى ربي من فوق سبع سموات. قال في الدر الثمين في خصائص الصادق الأمين: قال النبي ﷺ: «**ما تزوجت شيئًا من نساء ولا زوجت شيئًا من بناتي إلا بوحي جاءني به جبريل عن ربي عز وجل**»، ثم جعل لزينب من الصداق أربعمائة درهم.

قالت عائشة: ما رأيت امرأة أكثر خيرًا وصدقة من زينب، كانت تعمل بيدها، وصفها النبي ﷺ بالأواه، قيل: يا رسول الله: وما الأواه؟ قال «**الخاشع المتضرع**» وهى أول من ماتت بعد النبي ﷺ من أزواجه في خلافة عمر -رضوان الله عليهم أجمعين-.

الثامنة: أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث -رضي الله عنها-: كان اسمها برة فسماها النبي ﷺ ميمونة، وكانت قبله تحت أبي رهم بن عبد العزيز فتزوجها النبي ﷺ بعد خيبر لما توجه إلى مكة معتمرًا سنة سبع.

قال المحب الطبري: لما خطبها النبي ﷺ جعلت أمرها إلى العباس زوج أختها لبابة الكبرى أم الفضل وأصدقها أربعمائة درهم كالتي قبلها زينب أم المساكين، فزوجه إياها وهو محرم، فلما رجع دخل عليها قبل وصوله إلى المدينة، وفي صحيح مسلم أنه تزوجها وهو حلال، قال المحب الطبري: فيحتمل قوله: وهو محرم أي داخل الحرم.

قال مؤلفه: وهذا عجيب من الطبري فإن نكاحه - عليه الصلاة والسلام- ينعقد في الإحرام.

قال في الروضة: وهى آخر امرأة تزوجها، قال السهيلي: لما جاءها الخاطب وهى على بعير ألقت نفسها عنه، وقالت: البعير وما عليه لرسول الله ﷺ، وكان لها أخوات من أمها وأبيها، لبابة الكبرى أم الفضل ولبابة الصغرى أم خالد بن الوليد وعصماء ولها أخوات من أمها زينب بنت خزيمة زوج النبي ﷺ وأسماء تزوجها جعفر بن أبي طالب، ثم بعده أبو بكر -رضي الله عنه-، ثم بعده علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وسلمى تزوجها حمزة.

قال المحب الطبري: كان يقال: أكرم عجوز في الأرض أم هند بنت عوف أصهارها النبي ﷺ أبو بكر والعباس وحمزة وجعفر وعلي بن أبي طالب، ماتت ميمونة بسرف -اسم

موضع بين مكة والمدينة، وهو الموضع الذي دخل عليها النبي ﷺ - سنة ست وستين وصلى عليها ابن العباس ودخل قبرها هو وعبد الله بن شداد وكل منهما ابن أختها- رضي الله عنهم أجمعين .

التاسعة: أم المؤمنين جويرية بنت الحارث -رضي الله عنها- : كانت من بنى المصطلق، فلما غزاهم النبي ﷺ وأخذ سبيهم ووقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبها على نفسها بتسع أواق من الذهب وتقدم بيان الكتابة في فضل الجوع، كانت امرأة جميلة لا يراها أحد إلا أخذت بقلبه .

قالت عائشة -رضي الله عنها-: لما دخلت جويرية على النبي ﷺ تستعينه في كتابتها كرهت دخولها خوفًا أن يتزوجها، فلما رآها النبي ﷺ قال: «**أنا أؤدي عنك كتابتك وأتزوج بك**» قالت: نعم يا رسول الله فتسامع الناس بذلك فأعتقوا ما في أيديهم من بنى المصطلق؛ لأنهم صاروا أصهار رسول الله ﷺ فما رأينا امرأة أعظم بركة على قومها من جويرية، وقيل: لما غزا النبي ﷺ بنى المصطلق وأخذ جويرية قال لرجل: احتفظ عليها، فلما قدم النبي المدينة جاء أبوها الحارث ومعه إبل يفدي بها ابنته فرغب في بعيرين من الإبل فغيبهما في شعب من شعاب وادى العقيق، فلما قدم قال: يا محمد أخذتم ابنتى وهذا فداؤها، فقال: أين البعيران اللذان غيبتهما في وادى العقيق في شعب كذا؟ فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك محمد رسول الله، فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله تعالى وأسلم معه ابنان وناس من قومه وأرسل إلى البعيرين فجاء بهما فدفع الإبل إلى النبى ﷺ ودفعت إليه ابنته فخطبها النبى ﷺ من أبيها فزوجه إياها وأصدقها أربعمائة درهم وهى بنت عشرين سنة وذلك سنة خمس، ماتت -رضي الله عنها- سنة خمسين، والله أعلم .

العاشرة: أم المؤمنين صفية بنت حيى بن أخطب -رضي الله عنها- : وعن خالها رفاعة القرظى لا رفاعة بن سموأل-بفتح السين المهملة، وبعدها ميم مفتوحة- أخى أمها، واسم أمها برة بنت سموأل، قتل زوج صفية يوم خيبر فتزوجها النبي ﷺ سنة سبع، قال أنس -رضي الله عنه- : لما فتح خيبر وجمع السبي جاءه دحية الكلبي -رضي الله عنه- فقال: يا رسول الله أعطنى جارية من السبي، قال: اذهب فخذ جارية فأخذ صفية فقال رجل: يا رسول الله أعطيت دحية صفية وهى سيدة قريظة والنظيرة لا تصلح إلا لك فقال: ادعوه بها فقال: خذ جارية غيرها فأعتقها النبي وتزوجها ولم تبلغ سبع عشرة سنة فلما كان بالطريق جهزتها أم سليم خالة النبي ﷺ من الرضاعة واسمها سهلة وهى أم أنس بن مالك . قال جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- : جيء يوم خيبر بصفية للنبي ﷺ فقال لبلال: خذ بيد صفية فأخذ بيدها ومر بها بين المقتولين، وقد قتل أبوها وأخوها وزوجها فكره النبي ﷺ ذلك وخيرها بين أن يعتقها فترجع إلى من بقى من قومها وبين أن تسلم فيتخذها لنفسه فقالت: أختار الله ورسوله، فلما كان عند الروحة خرجت تمشي فثنى لها النبي ﷺ ركبته الشريفة لتطأ على فخذه فتركب فعظمت النبي ﷺ أن تضع قدمها على

فخذه فوضعت ركبتها على فخذه فركبت وركب النبي ﷺ وألقى عليها كساه فقال المسلمون: حجبها النبي ﷺ فهى من أمهات المؤمنين فلما كان على ستة أميال أراد النبي أن يعرس بها فامتنعت فغضب النبي ﷺ فلما كان بالصهباء - اسم موضع - أراد أن يعرس بها، فرضيت فسألها عن امتناعها أولاً فقالت: خوفًا عليك من اليهود، قال أنس -رضي الله عنه-: قال النبي ﷺ لصفية لما أخذها: «**هل لك أي رغبة في؟**» قالت: يا نبي الله كنت أتمنى ذلك في الشرك فكيف إذا مكننى الله منك في الإسلام؟ قال ابن عمر -رضي الله عنه- رأى النبي ﷺ خضرة بعين صفية فقال: «**ما هذا؟**» قالت: كان رأسي في حجر ابن أبي الحقيق وأنا نائمة فرأيت قمرًا وقع في حجري فأخبرته بذلك فلطم وجهي وقال: تتمنين ملك يثرب.

قالت صفية: بلغني عن عائشة وحفصة كلام فدخل النبي ﷺ وأنا أبكي فقلت: يا رسول الله إنهم قالوا صفية بنت يهودي فقال: «**هلّا قلت: كيف تكونان خيرًا مني وزوجي محمد رسول الله وأبي هارون وعمي موسى؟**»، وكان بينها وبين هارون عشرون جَدًّا، على هارون وعلى أخيه موسى وعلى سائر الأنبياء- الصلاة والسلام.

وحج هارون: فلما مرض بالمدينة المشرفة بعد رجوعه من مكة أوصى أن يدفن بجبل أحد، فدفنوه هناك، ماتت صفية في رمضان سنة خمسين وملكت مائة ألف فأوصت بثلثها لابن أختها اليهودي وصرح في المنهاج بصحة الوصية الذي قال المحب الطبري. فهؤلاء المشهورات من أزواجه ﷺ المتفق عليهن بلا خلاف، ستة من قريش خديجة وعائشة وحفصة وأم سلمة وسودة وأربع عربيات زينب بنت جحش وزينب بنت خزيمة وميمونة بنت الحارث وجويرية وواحدة من بني إسرائيل وهي صفية وسماها القرطبي الهارونية، وله زوجات أخر. قال القرطبي: جملتهن اثنتا عشرة امرأة.

الأولى: الواهبة نفسها، قيل: اسمها أم شريك الدوسيه، وقال القرطبي: الأزدية. قال الأكثرون: لم يدخل بها وما تزوجت بعده.

الثانية: خولة بنت الهزيل ماتت في الطريق قبل أن تصل إليه.

الثالثة: عمرة طلقها لما تعوذت منه.

الرابعة: اسمها بنت النعمان طلقها لما تعوذت منه، وقيل: لامتناعها عن التمكين.

الخامسة: مليكة طلقها لما تعوذت منه.

السادسة: فاطمة بنت الضحاك خيرها لما نزلت آية التخيير فاختارت الدنيا فطلقها.

السابعة: عالية طلقها بعد الدخول، وقال القرطبي: لم يدخل بواحدة من هؤلاء.

الثامنة: قبيلة مات ﷺ قبل وصولها إليه من حضرموت، وقال القرطبي: زوجه بها الأشعث بن قيس فبلغه موت النبي ﷺ فردها إلى حضرموت فرجعت عن الإسلام فتزوجها

عكرمة بن أبي جهل فشق ذلك على أبي بكر فقال عمر -رضي الله عنه- والله ما هي من أزواجه فقد برأها الله منه برجوعها عن الإسلام.

التاسعة: سبأ السلمية مات ﷺ قبل أن يدخل بها.

العاشرة: شراف أخت دحية الكلبي ماتت قبل أن تصل إليه.

الحادية عشرة: ليلى بنت حكيم الأنصارية كانت غيورة فاستقالته فأقالها فأكلها ذئب.

الثانية عشرة: امرأة من غفار رأى بها بياضًا ففارقها، وخطب نساء ﷺ لم يدخل بهن ولا عقد عليهن، فمنهن فاختة بنت أبي طالب، وكان ﷺ له سراری: مارية أم إبراهيم أهداها له صاحب مصر، وريحانة بنت شمعون ووقعت في سبي بنى قريظة فخيرها بين الإسلام وبين دينها فاختارت الإسلام فأعتقها وتزوجها فأخذتها الغيرة فطلقها، ثم راجعها، وقيل: كانت موطوءة بملك اليمين، قال في الدر الثمين: الأول أرجح عند الواقدى وريحانة أخرى وهبتها له زينب بنت جحش، قال النووى في تهذيب الأسماء واللغات: وله ﷺ سريتان: مارية وكانت بيضاء جميلة وريحانة لم يذكر غير ذلك، ثم قال: وزوجاته خمس عشرة فدخل بثلاث عشرة وجمع بين إحدى عشرة ومات عن تسع.

مسألة: قال في الروضة: كل امرأة فارقها ﷺ في حياتها تحرم على غيره ولو قبل الدخول، وفي أمة فارقها بالموت أو غيره بعد الوطء وجهان جزم صاحب الأنوار اليمنى بالتحريم، كما اقتضاه الحاوي وصرح به صاحب التعليقة والبازى والله أعلم، فإن قيل: قال الله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وقال تعالى لأزواج النبي ﷺ: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٣١]، فكيف نقص ثوابهن وزاد في عقابهن، بقوله تعالى: ﴿يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٣٠].

فالجواب: زيادة العقوبة على قدر الفضيلة كما أن حد الحر أكثر من حد الرقيق وقوله تعالى: ﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٣١]، لا نقص فيه؛ لأن حسنة غيرهن بعشرة، وحسنتهن بحسنتين كل حسنة بعشرة، والله أعلم.

فضائل الصحابة -رضي الله عنهم- أجمعين إجمالاً وتفصيلاً

قال الله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓ﴾ [النمل :٥٩] ، قال ابن عباس : هم أصحاب محمد ﷺ وعن النبي : «**لأن يلقى عبد بذنوب العباد خير له من أن يبغض رجلاً من أصحابي فإنه ذنب لا يغفر له يوم القيامة**»، وقال ﷺ: «**إن الله اختار لي أصحابًا فجعل لي منهم وزراء وأصهارًا، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**» وفي الشفاء عنه ﷺ: «**الله الله في أصحابي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه**» قال عبد الرحيم بن زيد : أدركت أربعين شيخًا من التابعين كلهم حدثوني عن أصحاب رسول الله أنه قال ﷺ: «**من أحب جميع أصحابي وتولاهم واستغفر لهم جعله الله معي يوم القيامة في الجنة**» وأفضل التابعين عند أهل المدينة سعيد بن المسيب، وعند أهل الكوفة : أويس وعند أهل البصرة الحسن وقيس بن أبي حازم، سمع العشرة ولم يشاركه أحد في ذلك -رضي الله عنهم- قال ابن عباس : قال النبي ﷺ: «**من أحب أصحابي وأزواجي وأهل بيتي ولم يطعن في أحد منهن وخرج من الدنيا على محبتهم كان معي في درجتي يوم القيامة**».

فائدة : يطعن بالرمح والأصبع يكون بضم العين وفي العرض بفتحها، قاله البرماوى في شرح البخاري وقال ﷺ: «**من مات من أصحابي بأرض قوم كان نورهم وقائدهم يوم القيامة**» والصحابي : كل مسلم رأى النبي ﷺ وإن ساعة لم يجالسه هذا مذهب البخاري والمحدثين ولا تنقطع الصحبة بالردة، وقال ابن الصلاح : مات النبي عن مائة ألف صحابي وأربعة عشر ألف صحابي كلهم سمعوا منه ورووا عنه -رضي الله عنهم أجمعين .

مناقب أفضل خلق الله على التحقيق أبي بكر الصديق -رضي الله عنه

قال الله تعالى : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ [النساء :٦٩] ، قال الإمام الرازي : اشتهرت الرواية عن النبي ﷺ أنه قال : «**ما عرضت الإسلام على أحد إلا وتلعثم فيه، غير أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- فإنه قبله ولم يتوقف فيه**» فدل الحديث على أن أبا بكر كان أسبق الناس إسلامًا فكان أولى الناس باسم الصديق، قال علي : أبو بكر سماه الله صديقًا على لسان جبريل ولسان محمد ﷺ بل وكان خليفته على الصلاة رضيه لديننا فرضيناه لدنيانا، قال الإمام النووى : أسلم أبو بكر -رضي الله عنه- وهو ابن عشرين سنة وقيل : خمس عشرة سنة وروى مائة حديث واثنين وأربعين حديثًا، قال ابن مسعود -رضي الله عنه- : أول من أظهر الإسلام بسيفه محمد ﷺ وأبو بكر، قال الزبير بن العوام : قال النبي : «**أبا بكر إن الله أعطاك الرضوان الأكبر**»، قال : وما الرضوان الأكبر؟ قال : «**يتجلى لعباده يوم القيامة عامة ولك خاصة**».

قال الرازي: في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤]، نزلت في أبي بكر؛ لأنه قاتل المرتدين وقهر مسيلمة الكذاب بعد النبي ﷺ، وكان قد كتب من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض نصفان نصفها لك ونصفها لي، فكتب إليه النبي «**من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، أما بعد: فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده**»، فحاربه أبو بكر بعد ذلك وقتله وحشي قاتل حمزة -رضي الله عنه- وقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٥٤]، قال الرازي: كان أبو بكر موصوفًا بالرحمة والشفقة على المؤمنين، وبالشدة على الكافرين.

قال في الرياض النضرة: كان إسلامه شبيهًا بالوحي؛ لأنه كان تاجرًا بالشام فرأى رؤيا فقصها على بحيرى الراهب، فقال له بحيرى: ممن أنت؟ فقال: من مكة، قال: من أيها؟ قال: من قريش، قال: إن صدق الله رؤياك فإنه يبعث الله نبيًّا من قومك تكون وزيرًا له في حياته وخليفة بعد وفاته، فأسرها أبو بكر في نفسه، فلما بعث النبي ﷺ جاءه أبو بكر -رضي الله عنه- فقال: يا محمد ما الدليل على ما تدعى؟ قال: الرؤيا التي رأيت بالشام فقبله بين عينيه وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك محمد رسول الله، وكان إسلامه قبل أن يولد علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وبعضهم قال: أول من أسلم علي وهو ابن عشر سنين، وقال بعضهم: أول من أسلم من النساء خديجة وأول من أسلم من الصبيان على وأول من أسلم من البالغين أبو بكر وأول من أسلم من العبيد زيد بن حارثة، قال الطبري: وهذا لا خلاف فيه، وعن النبي ﷺ: «**ما صب الله في صدري شيئًا إلا صببته في صدر أبي بكر**» ولقد سمع الوحي يومًا نزل على النبي ﷺ وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦]، فوقع أبو بكر مغشيًّا عليه - حكاه الثعلبي - قال علي: قال النبي ﷺ: «**أعز الناس علي وأكرمهم عندي وأحبهم إلي وأكرمهم عندي حالاً أصحابي الذين آمنوا بي وصدقوني، وأعز أصحابي إلي وخيرهم عندي وأكرمهم علي وأفضلهم في الدنيا والآخرة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- فإن الناس كذبوني وصدقني وكفروا بي وآمن بي، وأوحشوني وآنسني، وتركوني وصحبني، وأنفوا مني وزوجني، وزهدوا في ورغب وآثرني على نفسه وأهله وماله، فالله تعالى يجازيه عني يوم القيامة فمن أحبني فليحبه ومن أراد كرامتي فليكرمه ومن أراد القرب من الله تعالى فليسمع وليطع فهو الخليفة بعدي على أمتي**» حكاه في روض الأفكار.

قال في فردوس العارفين: قال على لأبي بكر: بم بلغت هذه المنزلة حتى سبقتنا؟ قال: بخمسة أشياء:

أولها: وجدت الناس صنفين طالب الدنيا وطالب للآخرة فكنت أنا طالب للمولى.

الثاني: ما شبعت من طعام الدنيا منذ دخلت في الإسلام؛ لأن لذة المعرفة شغلتنى عن لذة طعام الدنيا.

الثالث: ما رويت من شراب الدنيا منذ دخلت في الإسلام؛ لأن محبة الله شغلتني عن لذيذ شراب الدنيا.

الرابع: كلما استقبلني عملان عمل للدنيا وعمل للآخرة اخترت عمل الآخرة.

الخامس: صحبت النبي فأحسنت صحبته، قال القرطبي: صحبه وهو ابن ثمان عشرة سنة وعن أنس -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**حب أبي بكر واجب على أمتي**» وعن عمر -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**لما كانت الليلة التي ولد فيها أبو بكر تجلى ربكم على جنات عدن، فقال: وعزتي وجلالي لا أدخلت فيك إلا من أحب هذا المولود**» قال جابر بن عبد الله: كنا عند النبي ﷺ فقال: «**طلع عليكم رجل لم يخلق الله بعدي أحدًا خيرًا منه ولا أفضل وله شفاعة كشفاعة النبيين فطلع أبو بكر فقام إليه النبي فقبله**» وقال علي: قال النبي ﷺ: «**ينادي مناد أين السابقون الأولون؟ فيقال: من؟ فيقال: أبو بكر فيتجلى الله له خاصة وللناس عامة**» وقال بعضهم في قوله ﷺ: «**ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام وصلاة ولكن بشيء وقر في صدره هو حب الله والنصيحة لخلقه**»، حكاه ابن رجب في شرح الأربعين، وقال ابن أبي جمرة في شرح البخاري: هو اليقين، قال أنس -رضي الله عنه-: اجتمع النبي ﷺ بجبريل في الملأ الأعلى فقال: «**يا جبريل هل على أمتي حساب؟**»، قال: نعم، ما خلا أبا بكر يقال له: يا أبا بكر ادخل الجنة، فيقول: لا أدخلها حتى يدخل معي من أحبني في دار الدنيا، وقال عمر: وددت أني شعرة في صدر أبي بكر وقال: وددت عملي كله من عمل أبي بكر يومًا واحدًا، وقال: وددت أني أنظر إلى منازل أبي بكر في الجنة، وعن حذيفة - رضي الله عنه- قال: صلى النبي ﷺ صلاة الغداة فلما انصرف قال: «**أين أبو بكر؟**» قال: لبيك يا رسول الله، قال: «**ألحقت معي الركعة الأولى؟**» قال: كنت معك في الصف الأول فوسوس لي بشيء في الطهارة فخرجت إلى باب المسجد فهتف بي هاتف يا أبا بكر فإذا بقدس من ذهب فيه ماء أبيض من الثلج وأطيب من الشهد وعليه منديل مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق فتوضأت، ثم وضعت المنديل مكانه فقال: «**يا أبا بكر لما فرغت من القراءة أخذت ركبتي، فلم أقدر على الركوع حتى جئت وأن الذي وضأك جبريل والذي مندلك ميكائيل والذي أخذ بركبتي إسرافيل**»، قال الجوهري: القدس بفتح القاف هو السطل بلغة الحجاز، ورأيت في الحديث أن الملائكة اجتمعت تحت شجرة طوبى فقال ملك: وددت أن الله تعالى أعطاني قوة ألف ملك وكساني ريش ألف طير فأطير حول الجنة حتى أبلغ طرفها، فأعطاه الله ذلك فطار ألف سنة حتى ذهبت قوته وسقط ريشه، ثم أعطاه الله قوة وأجنحة فطار ألف سنة ثانية حتى ذهبت قوته وسقط ريشه، ثم أعطاه الله قوة وأجنحة فطار ألف سنة ثالثة حتى ذهبت قوته وسقط ريشه فوقع على باب قصر باكيًا فأشرفت حوراء، فقالت: أيها الملك ما لي أراك باكيًا وليست هذه بدار بكاء وحزن وإنما هي دار سرور وفرح؟ فقال: لأني عارضت الله في قدرته، ثم أعلمها بحديثه،

فقالت له: لقد خاطرت بنفسك أتدري كم طرت في هذه الثلاثة آلاف سنة، قال: لا، قالت: وعزة ربي ما طرت أكثر من جزء واحد من عشرة آلاف جزء مما أعده الله تعالى لأبي بكر الصديق -رضي الله عنه-.

وقال النبي ﷺ: «**عرض علي كل شيء ليلة المعراج حتى الشمس فإني سلمت عليها وسألتها عن كسوفها فأنطقها الله تعالى وقالت: لقد جعلني الله تعالى على عجلة تجرني حيث يريد فأنظر إلى نفسي بعين العجب فتنزل بي العجلة فأقع في البحر فأرى شخصين أحدهما يقول: أحد أحد، والآخر يقول: صدق صدق فأتوسل بهما إلى الله تعالى فينقذني من الكسوف فأقول: يا رب من هما؟ فيقول: الذي يقول: أحد أحد هو حبيبي محمد، والذي يقول: صدق صدق هو أبو بكر الصديق -رضي الله عنه-**» وفي عيون المجالس عن النبي ﷺ: «**يا عائشة ألا أمنحك ألا أحبوك؟**» قالت: بلى يا نبي الله، قال: «**إن اسم أبيك مكتوب على قلب الشمس وإن الشمس لتقابل الكعبة كل يوم فيمتنع من العبور عليها فيزجرها الملك الموكل ويقول: بحق ما فك من الاسم إلا عبرت فتعبر**» وقال ﷺ: «**رأيت ليلة الإسراء في كل سماء ملكًا في صورة أبي بكر فقلت: يا رب أعرج بأبي بكر قبلي؟ قال: لا ولكن من محبتي فيه خلقت في كل سماء ملكًا على صورته**» وفي الرياض النضرة في مناقب العشرة: إن أبا بكر نظر في وجهه علي بن أبي طالب، ثم تبسم، فقال: مم تتبسم؟ قال: سمعت رسول الله يقول: «**لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي بن أبي طالب الجواز**»، فقال علي: وأنا سمعته يقول: «**ولا يكتب إلا لمن يحب أبا بكر**».

ورأيت: في قوله تعالى: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾ [طه:١٢] أن ذلك التراب خلق منه جسد أبي بكر -رضي الله عنه- قال القرطبي: المقدس المطهر والتقديس التطهير، قال أنس بن مالك خادم النبي ﷺ وابن خالته من الرضاعة وهى أم سليم واسمها سهلة: جاءت امرأة من الأنصار، فقالت: يا رسول الله رأيت في المنام كأن النخلة التي في داري قد وقعت وزوجي في السفر، فقال: يجب عليك الصبر فلن تجتمعي به إلا يوم القيامة، فخرجت المرأة باكية فرأت أبا بكر فأخبرته بمنامها ولم تذكر له قول النبي، فقال لها: اذهبي فإنك تجتمعين به في هذه الليلة فدخلت إلى منزلها وهى متفكرة في قول النبي وقول أبي بكر فلما كان الليل، وإذا بزوجها قد أتى فذهبت إلى النبي وأخبرته بزوجها فنظر إليها طويلاً ثم جاءه جبريل، وقال: يا محمد الذي قلته هو الحق ولكن لما قال الصديق: إنك تجتمعين به في هذه الليلة استحيي الله منه أن يجري على لسانه الكذب؛ لأنه صديق فأحياه كرامة له.

ورأيت في مجموع: أن هذه الحكاية جرت بين علي وأبي بكر فسألها أبو بكر عن عشائها فقالت: أكلت زيتًا ونمت على طهارة، فقال: أكلت طيبًا ونمت طيبًا وأرجو له من الله السلامة.

وفي الرياض النضرة: عن النبي عليه الصلاة والسلام: «**أن الله يكره في السماء أن يخطئ أبو بكر**» وذكر النسفي أن رجلاً مات بالمدينة فأراد النبي أن يصلي عليه فنزل جبريل وقال: يا

محمد لا تصل عليه فامتنع فجاء أبو بكر فقال: يا نبي الله صل عليه فما علمت منه إلا خيرًا، فنزل جبريل وقال: يا محمد صل عليه فإن شهادة أبي بكر مقدمة على شهادتي.

وقال جابر بن عبد الله: قال النبي ﷺ: «**تلتقي الملائكة بأبي بكر الصديق فتزفه إلى الجنة**» وقال عمر: قال النبي ﷺ: «**إن في الجنة حور خلقهن الله من الورد يقال لهن: الورديات، لا يتزوج منهن إلا نبي أو صديق أو شهيد وإن لأبي بكر منهن أربعمائة**» وكان أبو بكر الصديق يقول: اللهم اجعل خير عمرى آخره وخير عملي خواتيمه وخير أيامي يوم لقائك، ورأيت في تفسير الرازى: أن النبي ﷺ دفع خاتمه إلى أبي بكر وقال: «**اكتب عليه لا إله إلا الله**» فدفعه أبو بكر إلى النقاش وقال: اكتب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فكتب عليه، فلما جاء به أبو بكر إلى النبي ﷺ وجد عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق فقال: «**ما هذه الزيادة يا أبا بكر**» فقال: ما رضيت أن أفرق اسمك عن اسم الله وأما الباقي فما قلته، فنزل جبريل، وقال: إن الله سبحانه وتعالى يقول: إني كتبت اسم أبي بكر؛ لأنه ما رضي أن يفرق اسمك عن اسمي، وأنا ما رضيت أن أفرق اسمه: عن اسمك.

فائدة: يستحب التختم للرجال والنساء لكن تكره الزيادة على خاتمين في كل يد للرجال، ولا يكره اتخاذه من حديد وغيره، ويحرم من ذهب لذكر بالغ أو خنثى، وقال ﷺ: «**تختموا بالعقيق فإنه ينفي الفقر واليمين أحق بالزينة**» قال الشيخ عبد القادر الجيلاني -رضي الله عنه-: والاختيار أن التختم في خنصر اليسار أفضل واستشهد بحديث رواه أبو داود وحكاه النووى في شرح المهذب عن صاحب التتمة وغيره، ثم قال: والصحيح أنه في اليمين أفضل وقال ﷺ: «**تختموا بالعقيق فإنه لا يصيبكم غم ما دام عليكم**» وفي رواية: «**فإنه مبارك**» وفي رواية: «**من تختم بالعقيق لم يزل في بركة وسرور**» وعنه ﷺ: «**من تختم بالعقيق ونقش فصه وما توفيقى إلا بالله وفقه الله لكل خير وأحبه الملكان الموكلان به**» قال ابن طرخان في الطب النبوى: من تختم بالعقيق ذهبت عنه حدة الغضب، وهو يقوى القلب وينفع من الوسواس والخفقان وشربه يقطع نزيف الدم، وسيأتي في مناقب علي حديث آخر، وقال أبو هريرة -رضي الله عنه-: قال النبى ﷺ: «**إن لله علمًا من نور مكتوب عليه: لا إله إلا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق**» وقال النبي أيضًا: «**يا رب إنك جعلت أبا بكر رفيقي في الغار فاجعله رفيقي في الجنة**»، قال في روض الأفكار: صلى أبو بكر الصديق بالناس في مرض النبي ﷺ الذي مات فيه تسعة أيام، وقال النسائى والطبراني: إن آخر صلاة صلاها النبي خلف أبي بكر وكان -رضي الله عنه- أبيض نحيفًا خفيف العارضين، قال حذيفة -رضي الله عنه-: صنع النبي ﷺ طعامًا ودعا أصحابه فأطعمهم بيده لقمة لقمة، وقال: «**سيد القوم خادمهم**» وأطعم أبا بكر ثلاث لقم، فسأله العباس عن ذلك، فقال: «**لما أطعمته أول لقمة، قال جبريل: هنيئًا لك يا عتيق، فلما ألقمته الثانية قال له ميكائيل: هنيئًا لك يا رفيق، فلما ألقمته الثالثة قال له رب العزة: هنيئًا لك يا صديق**»،

فإن قيل: كيف زاده عند قول جبريل وميكائيل ولما قال له الحق قطع عنه الزيادة؟

فالجواب: أغناه قول الحق عن الزيادة.

قال مؤلفه -رحمه الله-: هذا ما يسره الله تعالى من مناقب معدن الفخار وكنز الوقار أنيس نبيه في الغار شيخ المهاجرين والأنصار السابق للإجابة الموصوف بالإنابة الصاحب الصديق والمؤيد بالتحقيق الخليفة الشفيق المستخرج من أطيب أصل وعريق الملقب بعتيق المكنى بأبي بكر الصديق -رضى الله تعالى عنه- وأرضاه وجعل الجنة مثواه.

مناقب سراج أهل الجنة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه

قال علي -رضي الله عنه-: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة**»، فبلغه ذلك فقال: أنت سمعت هذا من رسول الله قال: نعم، قال: اكتب لي خطك فكتب بعد البسملة هذا ما ضمن علي بن أبي طالب لعمر بن الخطاب عن النبي ﷺ عن ربه عز وجل أن عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة فأخذها عمر وقال: اجعلوها في كفني حتى ألقى بها ربي ففعلوا، قال الطبراني: معناه أن قريشًا كانت في ظلمة الشرك، فلما أسلم عمر أنقذهم الله من ظلمة الشرك إلى نور الإسلام، فإن قيل: فائدة السراج ضوؤه في الظلمة والجنة لا ظلمة فيها، فالجواب: أنه يزهو ويضيء لأهلها كما يضيء السراج لأهل الدنيا، وينتفعون بهديه كما ينتفعون بالسراج في الدنيا. قال ﷺ: «**دخلت الجنة فأتيت على قصر من ذهب فقلت: لمن هذا القصر؟، قالوا: لرجل من العرب**» وفي رواية: «**لرجل عربي**»، قلت: «**أنا عربي لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من قريش، قلت: أنا من قريش لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من أمة محمد، قلت: أنا محمد لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب**»، وكان عمر بن الخطاب طويلًا خفيف العارضين شديد حمرة العينين، وكان عند الكوفيين أسمر اللون وعند أهل الحجاز أبيض أمهق أي لونه كلون الجص الأدم له ظاهر، وقال ابن عباس: نظر النبي ﷺ إلى عمر ذات يوم فتبسم وقال: «**يا ابن الخطاب أتدرى لم تبسمت في وجهك؟**» قال: الله ورسوله أعلم قال: «**إن الله نظر إليك بالشفقة والرحمة ليلة عرفة وجعلك مفتاح الإسلام**»، وقال أبي بن كعب: كان النبي ﷺ يقول: «**أول من يسلم عليه الحق عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وأول من يؤخذ بيده فينطلق به إلى باب الجنة عمر بن الخطاب**»، وعن ابن عباس عن النبي ﷺ: «**ينادي مناد يوم القيامة أين الفاروق؟ فيؤتى بعمر إلى الله تعالى فيقال: مرحبًا بك يا أبا حفص هذا كتابك إن شئت فاقرأه وإن شئت فلا فقد غفرت لك، فيقول الإسلام: يا رب هذا عمر أعزني في دار الدنيا فأعزه في عرصات القيامة فعند ذلك يحمل على ناقة من نور، ثم يكسى حلتين لو نشرت إحداهما: لغطت الخلائق، ثم يسير بين يديه سبعون ألف ملك، ثم ينادي مناد أهل الموقف هذا عمر بن الخطاب فاعرفوه**»، وعن أنس عن النبي ﷺ قال: «**من أحب عمر عمّر قلبه بالإيمان**»، وقال علي: قال النبي ﷺ: «**اتقوا غضب عمر فإن الله تعالى يغضب إذا غضب عمر**» وقال ﷺ: «من

أحب عمر فقد أحبني ومن أبغض عمر فقد أبغضني» وقال ابن عباس: لما أسلم عمر قال المشركون: انتصف القوم منا، وجاء جبريل وقال: يا محمد لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر، وقالت عائشة: نظرت إلى السماء والنجوم مشتبكة، فقلت: يا رسول الله أيكون في الدنيا أحد له حسنات بعدد نجوم السماء؟، فقال: «**نعم**»، قلت: من هو؟ قال: «**عمر بن الخطاب**»، فقالت: كنت أشتهيها لأبي بكر، فقال: «**إن عمر حسنة من حسنات أبي بكر**»، قال بعضهم: دعا النبي ﷺ لعمر وأمن أبو بكر فاستجاب الله ذلك فهو حسنة من حسنات أبي بكر وحسنات النبي ﷺ وقال علي -رضي الله عنه-: رأيت في المنام كأني أصلي خلف النبي ﷺ فجاءته جارية برطب فأخذ رطبة فجعلت في فمي، ثم أخذ أخرى كذلك فاستيقظت وفي قلبي الشوق إلى رسول الله ﷺ وحلاوة الرطب في فمي فذهبت إلى المسجد فصليت الصبح خلف عمر، فأردت أن أتكلم بالرؤيا وإذا بجارية على باب المسجد ومعها رطب فوضع بين يدي عمر فأخذ رطبة فجعلها في فمي، ثم أخذ أخرى كذلك، ثم فرق على أصحابه وكنت أشتهي منه، يعني الزيادة فقال: لو زادك رسول الله ﷺ البارحة لزدتك فتعجبت من ذلك فقال: يا علي المؤمن ينظر بنور الله، فقال: صدقت يا أمير المؤمنين هكذا رأيت وهكذا وجدت طعمه ولذته من يدك كما وجدته من يد رسول الله ﷺ.

حكاية: قال عمر -رضي الله عنه-: خرجت أتعرض للنبي ﷺ فوجدته قد سبقني إلى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة وهي القيامة فتعجبت من تأليف القرآن فقلت: هذا شعر، فقرأ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠] إلى قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة: ٤١] فقلت: هذا كاهن فقرأ: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٢-٤٥]، أي لأخذنا منه بالقوة والقدر، ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٦] وهو عرق معلق به القلب ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧] فوقع الإسلام في قلبي، وقال أنس -رضي الله عنه-: خرج عمر يريد قتل النبي ﷺ فلقيه رجل فأخبره، فقال: كيف تأمن من بني هاشم؟، ثم قال: يا عمر إن أختك وزوجها يعني سعيد بن زيد أحد العشرة قد أسلما، فلما دخل عليهما قال: ما هذا الصوت الذي أسمع منكما؟ وكان عندهما رجل يعلمهما سورة طه، قال القرطبي: هو حبيب بن الحارث من المهاجرين فاستخفى حبيب من عمر، فقال سعيد: يا عمر أرأيت إن كنا على الحق؟ فضربه ضربًا شديدًا، فقامت أخته فاطمة ودفعته عن زوجها فضربها فأدمى وجهها، ثم قال عمر: أعطيني هذه الصحيفة، فقالت: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]، فقام فتوضأ فأخذها فوجد فيها طه إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: ١٤]، فقال: دلوني على محمد فلما سمع الصحابي الذي يعلمهم اطمأن وخرج فقال: أبشر يا عمر فإني سمعت النبي ﷺ يقول: «**اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام**» يعني أبا جهل، فانطلق عمر إلى دار النبي ﷺ فوجد على

الباب حمزة وجماعة فلما رأى حمزة عمر وجل القوم من عمر لما رأوه، فقال حمزة: إن يرد الله بعمر خيرًا هداه إلى الإسلام، وإن يرد به غير ذلك فقتله علينا هين، فخرج النبي ﷺ فأخذ بمجامع ثوبه وقال: «**أما أنت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك ما أنزل بالوليد بن المغيرة من الخزى؟ اللهم اهد عمر اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب**»، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فكبر المسلمون تكبيرة سمعها أهل مكة، قال: فتذاكرت أهل مكة؛ لأنهم أشد عداوة للنبي حين أخبروا بإسلامي، فقلت: خالي أبو جهل فانتبه فقال: مرحبًا بك يا ابن أختي ما حاجتك؟ قلت: جئتك أخبرك أني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فضرب الباب في وجهي وقال: قبحك وقبح ما جئت به، قالت عائشة: كانت الدعوة من النبي يوم الأربعاء فأسلم عمر يوم الخميس، ثم قال: يا نبي الله لا نخفي ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل، فقال: إنا قليل، فقال: والذي بعثك بالحق نبيًّا لا يبقى مجلس جلست فيه للكفر إلا جلست فيه للإيمان، ثم خرج وطاف بالبيت وهو يظهر بالشهادتين فوثب إليه المشركون فوثب عمر على واحد منهم وجلس على صدره وأدخل أصبعيه في عينيه فصاح الرجل فَفَرَّ الناس من عمر، ثم جاء إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله لم يبق مجلس إلا وأظهرت فيه الإسلام فخرج من الدار وعمر أمامه وحمزة من خلفه حتى طاف بالبيت وصلى الظهر جهرة، قال العلائي في سورة براءة: كان إسلام عمر بعد إسلام حمزة بيوم وقيل: بثلاثة، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: جاء جبريل وقال: يا محمد أقرئ عمر مني السلام وأخبره رضاه عز وغضبه حلم وليبكين الإسلام بعد موتك على موت عمر، قال: «**يا جبريل أخبرني عن فضائل عمر وما له عند الله تعالى**» فقال: يا محمد لو جلست معك قدر ما لبث نوح في قومه لم أستطع أن أخبرك بفضائل عمر وما له عند الله تعالى، وفي ربيع الأبرار عن ابن عباس: أن الملائكة تفرح بذهاب الشتاء رحمة للفقراء. وفي الإحياء أحيى الله داود - عليه السلام -: تهيأ لملاقاة عدو، قال: يا رب ما هو؟ قال: البرد. وفي ربيع الأبرار وضوء المؤمن في الشتاء يعدل عبادة الرهبان كلها وقال محمد بن عبد العزيز: البرد عدو الدين، قال علي: توقوا البرد في أوله وتلقوه في آخره فإنه يفعل بالبدن كما يفعل بالشجرة، في أوله يحرق وفي آخره يورق، وقال أنس: استعينوا على برد الشتاء بأكل التمر والزبيب، واستعينوا على الصيف بالحجامة.

حكاية: أرسل عمر بن الخطاب جيشًا إلى مدائن كسرى فلما بلغوا شط الدجلة لم يجد سفينة، فقال سعد بن أبي وقاص وهو أمير السرية وخالد بن الوليد -رضي الله عنهما-: يا بحر إنك تجري بأمر الله فبحرمة محمد ﷺ وعدل عمر إلا ما خليتنا والعبور فعبروا بخيلهم ورجالهم فلم تبتل حوافرها، ذكره الحسني في قمع النفوس.

قال مؤلفه: هذا ما يسر الله به من مناقب من شيد من الدين أركانه وزحزح من الكفر بنيانه وأعلى من الحق مناره وأخمد من الكفر ناره حتى استعز به الإسلام وأغيظت به عبدة الأصنام

المتسربل برداء الحياء والغيرة الذي ما سلك فجًّا إلا سلك الشيطان غيره، الذي أزاح عن الحق دين الباطل ولفظه وحل حبله ونقضه وسل صارم عزمه على جيش الجهالة فأنقضه ورمى الطاعون بسهام الإسلام فأرفضه وزوج نبيه بالطاهرة ابنته حفصة ونعته النبي ﷺ بالفاروق وخصه القصير الأمل الكثير العمل الذي لا يتدخل فعله زيغ ولا روع، ولا زلل، الناطق بالصواب المنصور يوم الأحزاب الملهم فصل الخطاب، السابق يوم القيامة بيمينه لأخذ الكتاب أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب وأحاديثه خمسمائة وستة وعشرون في الصحيحين وفي البخاري وحده أربعة وثلاثون وفي مسلم أحد وعشرون، والله أعلم.

مناقب أبي بكر وعمر جميعًا -رضي الله عنهما-

قال الحسن بن علي -رضي الله عنهما- نظر النبي ﷺ إلى أبي بكر وعمر، فقال: «**إني أحبكما ومن أحببته أحبه الله والله أشد حبًا لكما مني وإن الملائكة لتحبكما بحب الله إياكما أحب الله من أحبكما وأبغض من أبغضكما ووصل من وصلكما وقطع من قطعكما**»، وقال علي: رأيت النبي ﷺ بعيني هاتين وإلا فعميتا وسمعته أذناي وإلا فصمتا يقول: «**ما ولد في الإسلام مولود أزكى وأطهر من أبي بكر وعمر**»، وقال أنس: دخلت على النبي ﷺ وأبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره فوضع يمينه على كتف أبي بكر ويساره على كتف عمر وقال: «**أنتما وزرائي في الدنيا وأنتما وزرائي في الآخرة وهكذا تنشق الأرض عنى وعنكما، وهكذا أزور أنا وأنتما رب العالمين**»، وقال النبي ﷺ: «**أبو بكر وعمر خير أهل السماء وخير أهل الأرض وخير من مضى وخير من بقي إلى يوم القيامة إلا النبيين والمرسلين**»، وقال ﷺ: «**خير أمتي من بعدي أبو بكر وعمر زينهما الله بزينة الملائكة وجعل أسماءهما مع أنبيائه ورسله في ديوان السماء**»، وقال النبي ﷺ: «**تفاخرت الجنة والنار فقالت النار للجنة: أنا أعظم منك قدرًا؛ لأن في الفراعنة والجبابرة فأوحى الله إلى الجنة أن قولي: بل لي الفضل إذ زينني بأبي بكر وعمر**»، وعن رسول الله ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ألا لا يرفعن أحد كتابه قبل أبي بكر وعمر**»، وقال أبو هريرة -رضي الله عنه-: كنا مع النبي ﷺ في المسجد فدخل أبو بكر وعمر فقام لهما النبي ﷺ فقيل: يا رسول الله قد نهيتنا عن القيام بعضنا لبعض إلا لثلاثة للأبوين ولعالم يعمل بعلمه ولسلطان عادل فقال: «**كان عندي جبريل فلما دخلا قام جبريل فقمت أنا مع جبريل**»، وعن سفينة قال: لما بنى النبي ﷺ المسجد وضع حجرًا، ثم قال: «**ليضع أبو بكر حجرًا إلى جنب حجري**»، ثم قال: «**ليضع عمر حجر إلى جنب حجر أبي بكر**»، ثم قال: «**ليضع عثمان حجر إلى جنب حجر عمر**» قال: قال ﷺ: «**هؤلاء الخلفاء بعدى**»، ذكره في الرياض النضرة. وقال علي - رضي الله عنه -: يا رسول الله من يؤمروا بعدك؟ قال: «**لأن تؤمروا أبا بكر تجدوه أمينًا زاهدًا في الدنيا راغبًا في الآخرة، وإن تؤمروا عمر تجدوه أمينًا قويًا لا يخاف في الله لومة لائم، وإن تؤمروا عليًا ولا أراكم فاعلين تجدوه هاديًا مهديًا يأخذ بكم الطريق المستقيم**»، وعن أبي هريرة

قال: قال النبي ﷺ: «ليلة أسري بي رأيت الشمس تقاد من المشرق إلى المغرب وعلى جبهتها سطران مكتوبان فسألت جبريل عنهما فقال: أول سطر لا إله إلا الله محمد رسول الله أبو بكر الشفيق والثاني: لا إله إلا الله محمد رسول الله عمر الفاروق». ذكره في الرياض النضرة وقال في عيون المجالس: عن النبي ﷺ: «دخلت الجنة ليلة أسرى بي فأعطيت سفرجلة فانفلقت عن حوراء، فقلت: لمن أنت؟ فقالت: إن على هذا النهر سبعين ألف شجرة، لكل شجرة سبعين ألف غصن في كل غصن سبعون ألف ورقة على كل ورقة حوراء مثلي خلقهن الله لمحبي أبي بكر»، وعن أنس عن النبي ﷺ: «لما عرج بي رأيت في السماء خيلاً موقوفة مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول، رءوسها من الياقوت الأحمر وحوافرها من الزبرجد الأخضر وأبدانها من العقبان الأصفر ذوات أجنحة فقلت يا جبريل لمن هذه؟ قال: لمحبي أبي بكر وعمر: يزورون الله عليها يوم القيامة»، وقال النبي ﷺ: «إن الله تعالى أيدني من أهل السماء بجبريل وميكائيل ومن أهل الأرض بأبي بكر وعمر»، وعن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «أبو بكر وعمر في أمتي كمثل الشمس والقمر في الكواكب»، وعن أنس عن النبي ﷺ «بكل شيء شفاء وشفاء القلوب ذكر الله وشفاء ذكر الله حب أبي بكر وعمر» وعن النبي ﷺ: «إني لأرجو لأمتي بحب أبي بكر وعمر كما أرجو بقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله» وقال رجل لعلي بن أبي طالب: من أول الناس دخولاً الجنة بعد النبي ﷺ؟ قال: أبو بكر وعمر، فقال: قبلك يا أمير المؤمنين فقال: أي والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنهما ليأكلان من ثمارها ويتكآن على فرشها.

فائدة: في الترغيب والترهيب، عن النبي ﷺ: «من حفر قبرًا بنى الله له بيتًا في الجنة ومن غسَّل ميتًا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، ومن كفن ميتًا كساه الله من الجنة ومن عزى حزينًا ألبسه الله لباس التقوى وصلى الله على روحه في الأرواح ومن اتبع جنازة حتى يقضي دفنها كتب الله له ثلاثة قراريط، كل قيراط منها أعظم من جبل أحد» وقال ﷺ: «من غسل ميتًا وكفنه وحنطه وحمله وصلى عليه ولم يفش عنه ما رأى خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه».

وفي الرياض النضرة: عن النبي ﷺ: «دخلت ليلة أسري بي فاستقبلني حمزة بن عبد المطلب، فسألته أي الأعمال أفضل وأحب إلى الله وأثقل في الميزان؟، فقال: الصلاة عليك والترحم على أبي بكر وعمر»، وفي ربيع الأبرار عن النبي ﷺ: «يموت عيسى ابن مريم بمدينتي فيدفن إلى جانب قبر عمر فطوبى لأبي بكر وعمر فإنهما يحشران بين نبيين»، وعن النبي ﷺ: «ينادي مناد من تحت العرش: من له على الله حق فليقم»، قال: يا رسول الله ومن له على الله حق؟ قال: «من أحب أبا بكر وعمر».

حكاية: قال محمد بن السماك: كان لي جار يسب أبا بكر وعمر فوقع بيني وبينه كلام حتى تناولني وتناولته فانصرفت إلى منزلي مهمومًا، فرأيت النبي ﷺ في المنام فذكرت له ذلك فقال النبي ﷺ: «خذ هذه السكين واذبحه بها» فذبحته فاستيقظت وأنا أسمع الصراخ في داره فلما

أصبحت نظرت إليه على المغتسل فرأيت أثر السكين في عنقه، قال النبي ﷺ: «**في سماء الدنيا ثمانون ألف ملك يستغفرون لمن يحب أبا بكر وعمر، وفي السماء الثانية ثمانون ألفًا يلعنون باغضي أبي بكر وعمر**».

حكاية: قال بعضهم: كنت مسافرًا مع جماعة فتكلموا في أبي بكر وعمر فزجرتهم عن ذلك، ثم خرج علينا سبع فحملنى من بينهم، فقلت في نفسى: لقد شمت هؤلاء الروافض، ثم طرحنى بين أولاده فدنوا منى، ثم هربوا وقالوا بلسان فصيح: يا أبانا نجوعن ثلاثة أيام، ثم تأتينا بمن يحب أبا بكر وعمر، قال ابن المسيب: لما مات النبي ﷺ ارتجت مكة فقال عثمان أبو قحافة وهو والد أبي بكر: ما هذا؟ قالوا: مات النبي ﷺ فقال: من تولى على الناس بعده؟ قالوا: ابنك أبو بكر قال: أرضيت بذلك بنو عبد مناف وبنو المغيرة؟ قالوا: نعم، قال: لا مانع لما أعطى الله ولا معطى لما منع الله. وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر واثنى عشر ليلة، وقيل: عشرين يومًا وقيل: عشرة أيام، ومات ليلة الثلاثاء لثمان ليال بقين من جماد الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة. كان آخر كلامه: رب توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين، قال العلائى: لما مات أبو بكر قال: احملونى إلى قبر النبي وقولوا: السلام عليك يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذنك أتأذن له في الدخول؟ فلما فعلوا ذلك سمعوا هاتفًا يقول: أدخلوا الحبيب على الحبيب، فدفنوه إلى جانب قبر رسول الله ﷺ وألصقوا لحده بلحده، قال الطبري: لما مات أبو بكر أدخلوا عليه علي فقال: رحمك الله كنت الف رسول الله وأنيسه موضع سره، وكنت أول القوم إسلامًا وأشهدهم يقينًا وأرفعهم درجة، وكنت من رسول الله بمنزلة السمع والبصر فجزاك الله عن الإسلام خيرًا.

لطيفة: قال علي: أصدق الناس فراسة أربعة:

امرأتان: الأولي: بنت شعيب واسمها صفوريا، قالت: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ﴾ الآية.

الثانية: خديجة تفرست في النبي، وقيل: آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، حيث قالت عن موسى: ﴿قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ﴾ [القصص: ٩].

ورجلان: الأول: عزيز مصر تفرس في يوسف، قال: ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ [يوسف: ٢١] أي أكرمي نزله ومقامه، قال الرازي: اشتراه العزيز وعمره سبع عشرة سنة، وأقام عنده ثلاث عشرة سنة وأعطاه الريان ملك مصر الوزارة وهو ابن ثلاثين سنة وأعطاه الله الملك والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وتولى ملك مصر وهو ابن مائة وعشرين سنة، ومات الريان في حياة يوسف بعد أن آمن به.

الرجل الثاني: أبو بكر -رضي الله عنه- تفرس في عمر فجعله الخليفة بعده.

لطيفة: قال عمر -رضي الله عنه- على المنبر: رأيت في المنام كأن ديكًا نقرنى ثلاث

نقرات، وإني لأراه حضور أجلي، فلما طعنه فيروز - غلام المغيرة - في المحراب قبل دخوله في الصلاة يوم الأربعاء سادس ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، ودفن يوم الأحد عند صاحبيه، أظلمت الأرض فجعل الصبي يقول: يا أماه قامت القيامة؟ تقول: لا بني ولكن قتل عمر بن الخطاب. وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وعشر ليال، وقال أبو بكر الصديق: الظلمات خمس ولكن لكل واحدة سراج: في الذنوب ظلمة وسراجها التوبة، والقبر ظلمة وسراجه الصلاة، والميزان ظلمة وسراجه لا إله إلا الله، والصراط ظلمة وسراجه اليقين، والآخرة ظلمة وسراجها العمل الصالح، قالت عائشة: رأيت في المنام كأن ثلاثة أقمار سقطن في بيتي فأخبرت بذلك أبا بكر فقال: يدفن في بيتك خيار أهل الأرض فلما مات النبي ﷺ قال: يا عائشة هذا خير أقمارك، ثم دفن أبو بكر، ثم عمر -رضوان الله عليهم أجمعين-.

باب: مناقب عثمان بن عفان -رضي الله عنه

وهو أقرب العشرة إلى النبي ﷺ نسبًا بعد علي بن أبي طالب، وقد تسمى جماعة من الصحابة بعثمان منهم: عثمان بن حنيف صحابي، وعثمان بن طلحة صحابي، وهو الذي قتل أباه طلحة يوم أحد كافرًا، وعثمان بن أبي العاص صحابي وعثمان بن عامر ولد أبي بكر صحابي وعثمان بن مظعون صحابي -رضي الله عنهم أجمعين- قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩]، قال ابن عمر: هو عثمان بن عفان، وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة، قال أسامة -رضي الله عنه-: بعثني رسول الله ﷺ إلى عثمان بقصعة فيها لحم فدخلت عليه وهو جالس مع رقية ما رأيت زوجين أحسن منهما فجعلت أنظر إلى عثمان مرة وإلى رقية مرة، فلما رجعت إلى النبي ﷺ قال: «**هل دخلت عليهما؟**» قلت: نعم، قال: «**هل رأيت زوجين أحسن منهما؟**» قلت: لا. لم يزل اسمه: في الجاهلية والإسلام عثمان ويكنى بأبي عمرو ويلقب بذي النورين؛ لأن الله تعالى يعطيه يوم القيامة نورين ويعطي كل واحد نورًا، وقيل: لأنه كريم في الجاهلية والإسلام، وقيل: لأنه تزوج بنتي رسول الله ﷺ ولم يتفق ذلك لغيره من قبله، قال معاذ بن جبل -رضي الله عنه-: قال النبي ﷺ: «**عثمان بن عفان أشبه الناس بي خلقًا وهو ذو النورين، زوجته ابنتي وهو معي في الجنة كهاتين، وحرك السبابة والوسطى**»، وقال أبو هريرة -رضي الله عنه- قال النبي ﷺ: «**يا عثمان هذا جبريل يخبرني عن الله عزّ وجلّ أنك نور أهل السماء ومصباح أهل الأرض وأهل الجنة**»، قالت أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنها-: لما هاجر عثمان وزوجته رقية بنت النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده إنه أول من هاجر بعد إبراهيم ولوط -عليهما السلام-**» **قال في العرائس**: سمى لوط بهذا الاسم؛ لأن حبه لاط بقلب إبراهيم أي التصق به وبهاجر وسارة، ولوط كان مهاجرًا من العراق إلى الشام.

قال في مجمع الأحباب: تزوج عثمان برقية قبل النبوة وماتت عنده بالمدينة في اليوم الذي

جاء البشير بنصرة المؤمنين يوم بدر، ثم تزوج أختها أم كلثوم، وقال على -رضي الله عنه-: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لو كان عندي أربعون بنتًا**» وفي رواية غيره: «**مائة بنت لزوجت عثمان واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهن واحدة**»، وقال نجم الدين النسفي: أولاد أبي لهب خمسة عتبة وعتيبة وعتاب ومعتب ومعيتب، قال النيسابورى: قال أبو لهب: يا محمد إن أسلمت فما لي؟ قال: «**ما للمسلمين**»، قال: أفلا أفضل عليهم؟ فقال: «**فبماذا تفضل عليهم**» فقال: تبًّا لدين أنا وغيري فيه سواء، فجاء النبي ﷺ ليلاً وقال: «**إن كان يمنعك العار فأجبني في هذا الوقت**» فقال: حتى يؤمن بك هذا الجدي فقال النبي: «**يا جدي من أنا؟**» قال: أنت رسول الله وأثنى عليه، فقال أبو لهب: تبًّا لك أثر فيك سحر محمد، قال الجدي: تبًّا لك أنت فمزق أبو لهب جلده بالسكين، قال علي -رضي الله عنه- على المنبر: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها؟، قالوا: بلى قال: أبو بكر الصديق، ثم قال: ألا أخبركم بالثاني؟ قالوا: بلى، قال: عمر، ثم قال: ألا أخبركم بالثالث؟ قالوا: بلى فنزل علي وهو يقول عثمان عثمان.

حكاية: قالت عائشة: -رضي الله عنها- مكثنا أربعة أيام ما طعمنا شيئًا فدخل علينا رسول الله ﷺ فقال: «**يا عائشة هل أصبتم شيئًا بعدى؟**» قلت: لا، فتوضأ وخرج يصلي ههنا مرة وههنا مرة يدعو، فجاء عثمان آخر النهار فأخبرته الخبر فبكى، ثم قال: أين رسول الله؟ فأخبرته بما قال لي فخرج عثمان وبعث لنا دقيقًا وتمرًا وغيره، ثم قال: هذا يبطئ عليكم فأرسل خبزًا ولحمًا مشويًّا، ثم جاء النبي ﷺ فقال: «**هل أصبتم شيئًا؟**» فأخبرته بما فعل عثمان، فلم يجلس حتى خرج إلى المسجد ورفع يده وقال: «**اللهم إني رضيت عن عثمان فارض عنه، اللهم إني رضيت عن عثمان فارض عنه، اللهم إني رضيت عن عثمان فارض عنه**»، وقال أبو سعيد الخدرى -رضي الله عنه-: رأيت النبي ﷺ من أول الليل إلى أن طلع الفجر يدعو لعثمان، وقال علي -رضي الله عنه- في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، هو عثمان بن عفان، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ: «**ليشفعن عثمان في سبعين ألفًا ممن قد استوجب النار حتى يدخلهم الجنة**»، قال أنس -رضي الله عنه- عطس عثمان عند النبي ﷺ ثلاث عطسات متواليات فقال ﷺ: «**يا عثمان ألا أبشرك؟**» قال: بلى يا رسول الله، قال: «**هذا جبريل يخبرني عن الله تعالى أن من عطس ثلاث عطسات متواليات كان الإيمان ثابتًا في قلبه**».

فائدة: تشميت العاطس سنة على الكفاية عند الشافعي، ويصح نذره وفرض كفاية عند الإمام مالك، إذا قال: الحمد لله فلو قال: الله أكبر مثلاً لم يستحق التشميت، قال العبادى في طبقات الفقهاء: إذا عطس وحده يقول: الحمد لله يرحمنى الله، ويستحب للعاطس أن يقول لمن يشمته: يهديكم الله أو يغفر الله لكم، قاله في الروضة، وزاد البرماوي في شرح البخاري: يصلح بالكم أي شأنكم، وعن سعيد بن جبير -رضي الله عنه- من عطس عند أخيه

فلم يشمته كانت له عليه دين فيطالبه بها يوم القيامة، وقد تقدم في فضل رمضان عن النبي ﷺ: «**من عطس وقرأ الفاتحة كانت له شفاء السنة**» وعنه ﷺ: «**من سبق العاطس بالحمد لله أمن من الشوص واللوص والعلوص**» رواه ابن ماجه، أي من وجع الأذن والضرس والبطن.

لطيفة: عطس النبي ﷺ بحضرة يهودى فقال: يا محمد يرحمك الله فقال: «**يهديك الله**» فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، وعن أبي هريرة وابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال لعثمان: «**أنت ذو النورين**» قال: يا رسول الله ولما سميتني بذي النورين قال: «**لأنك تقتل وأنت تقرأ سورة النور**»، وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال النبي ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة يؤتى بعثمان أوداجه تشخب دمًا، اللون لون الدم والريح ريح المسك ويكسى حلتين من نور وينصب له منبر على الصراط فيجوز المؤمنون بنوره، وليس لمبغضه من نصيب**»، قال ابن سعد -رضي الله عنه-: وصف لنا رسول الله ﷺ ذات يوم الجنة فقيل: يا رسول الله في الجنة برق قال: «**نعم والذي نفسي بيده إن عثمان بن عفان ليتحول من منزل إلى منزل فتفرق له الجنة**»، قال في صفوة الصفوة: كان عثمان بن عفان يصوم الدهر ويقوم الليل إلا هجعة من أوله قالت امرأته: كان يحيي الليل كله في ركعة يجمع فيها القرآن، وكان يطعم الناس طعام الإمارة ويأكل الخل والزيت، قالت عائشة -رضي الله عنها-: قال النبي ﷺ في مرضه: «**وددت أن عندي بعض أصحابي**»، فقلت: أبا بكر، قال: «**لا**»، قلت: عمر، قال: «**لا**»، قلت: عثمان، قال: «**نعم**»، فلما جاء عثمان أشار إليه بيده فتنحيت وهو يساره ووجه عثمان يتغير، فلما حضروا قالوا: ألم نقاتل معك؟ قال: النبي ﷺ عهد إلى عهد فأنا صابر، ثم قتل -رضي الله عنه- ظلمًا يوم الجمعة عام خمس وثلاثين وهو ابن تسعين وقيل: ثمانين، قال عمر -رضي الله عنه-: قال النبي ﷺ: «**يوم يموت عثمان تصلي عليه ملائكة السماء**»، قلت: يا رسول الله عثمان خاصة أم الناس عامة؟ قال: «**عثمان خاصة**».

وسئل علي -رضي الله عنه- عن عثمان، فقال: ذلك يدعى في الملأ الأعلى ذا النورين، قال في ربيع الأبرار: النوران نور نفسه ونور زوجته، ويقال لقتادة بن النعمان الأنصاري: ذو العين؛ لأن عينه قلعت يوم أحد فردها النبي ﷺ فكانت لا تمرض والأخرى تمرض، فقال النبي ﷺ: «**عثمان أحيى أمتي وأكرمها**» وقال: «**أشد أمتي حياء عثمان**» وقال عثمان -رضي الله عنه-: ما لمست فرجي بيميني؛ لأني لمست بها يد رسول الله ﷺ وكانت ولايته إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهر وأربعة عشر يومًا، وشبهه ﷺ بإبراهيم وفي رواية بهارون، فيجمع بين الروايتين بأنه يشبه إبراهيم في استحياء الملائكة منه، أو في بعض صفاته وهارون في بعض، وروى مائة حديث وستة وأربعين حديثًا منها ثلاثة عشر في البخاري ومسلم وانفرد البخاري بثمانية ومسلم بخمسة.

قال مؤلفه -رحمه الله تعالى-: فهذا ما يسر الله من مناقب ثالث الخلفاء ذي الصدق

والوفاء من أعلى الله في الفردوس أرائكه واستحيت من جلالته الملائكة، سمير الحق وأليفه، مزهق الباطل وممزقه، مشيد أركان الإيمان ومرتل القرآن، أمير المؤمنين عثمان بن عفان -رضي الله عنه وعن بقية الصحابة أجمعين.

باب: مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-

كان مربوع القامة أدعج العينين عظيمهما حسن الوجه، كأن وجهه قمر ليلة البدر عظيم البطن أعلاه علم وأسفله طعام وكان كثير شعر اللحية، قليل شعر الرأس عنقه إبريق فضة -رضي الله عنه- وعن أمه وأخويه جعفر وعقيل وعميه حمزة والعباس، أسلم وهو ابن ثمان سنين، وقيل سبع، وضمه رسول الله ﷺ إليه، وسبب ذلك أن قريشًا أصابهم قحط وكان أبو طالب كثير العيال فقال النبي ﷺ لعمه العباس: قم بنا حتى نخفف عن أبي طالب من عياله، قال: نعم، فأخذ العباس جعفرًا، وأخذ النبي ﷺ عليًا، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: أول من أسلم بعد خديجة علي وقال علي -رضي الله عنه-: عبدت الله خمس سنين قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة.

ورأيت في الفصول المهمة في معرفة الأئمة بمكة المشرفة شرفها الله تعالى لأبي الحسن المالكي: أن عليًا ولدته أمه بجوف الكعبة شرفها الله تعالى وهي فضيلة خصه الله تعالى بها، ذلك أن فاطمة بنت أسد -رضي الله عنها- أصابها شدة الطلق فأدخلها أبو طالب إلى الكعبة فطلقت طلقة واحدة ووضعته يوم الجمعة في رجب سنة ثلاثين من عام الفيل بعد أن تزوج النبي ﷺ خديجة بثلاث سنين، وأما عمرو بن حزم فولدته أمه في الكعبة اتفاقًا لا قصدًا وأم علي أول هاشمية ولدت هاشميًا، أسلمت وهاجرت وماتت في حياة النبي ﷺ، ونزل في قبرها، قال المحب الطبري: بعث النبي ﷺ يوم الإثنين فأسلم علي يوم الثلاثاء، وكان أبوه يقول: يا بني اتبع ابن عمك فإنه لا يأمر إلا بالخير وأما أنا فلا أفارق دين آبائي، قال النبي ﷺ: **«لقد صلت الملائكة عليَّ وعليٍّ؛ لأنا كنا نصلي وليس معنا أحد»**، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: **«ما مررت بسماء إلا وأهلها مشتاقون إلى علي بن أبي طالب»**، وعن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: قال النبي ﷺ: **«لما أسري بي مررت بملك جالس على سرير من نور، إحدى رجليه بالمشرق والأخرى بالمغرب، والدنيا كلها بين عينيه وبين يديه لوح فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: عزرائيل، تقدم فسلم عليه، فسلمت عليه، فقال: وعليك السلام يا أحمد ما فعل ابن عمك علي؟ فقلت: هل تعرف ابن عمي عليًا؟ قال: وكيف لا أعرفه وقد وكلني ربي بقبض أرواح الخلائق ما خلا روحك وروح ابن عمك؟»** وعنه أيضًا قال: سمعت النبي ﷺ يقول لعلي: **«أنت الصديق الأكبر وأنت الفاروق الذي تفرق بين الحق والباطل»**، وقال علي -رضي الله عنه- قال لي النبي ﷺ: **«يا علي إنك أول من يقرع باب الجنة بعدي فتدخلها بغير حساب»**، وقال أيضًا -رضي الله عنه- قال لي النبي ﷺ: **«من مات على حبك بعد موتك ختم الله له بالأمن والإيمان»**.

وقال في الزهر الفاتح: كان النبي ﷺ في أصحابه فجاء علي فتزحزح له أبو بكر عن مكانه، وقال: ههنا يا أبا الحسن، ففرح النبي ﷺ بذلك، وقال: «**أهل الفضل أولى بالفضل، ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل**»، ودخل رجل فتزحزح له النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن في المكان سعة، فقال النبي ﷺ: «**إن حق المسلم على المسلم إذا رآه يريد الجلوس إليه أن يتزحزح له**»، وعن النبي ﷺ: «**رحم الله رجلًا تفسح لأخيه**»، ذكرهما نجم الدين النسفي.

حكاية: عن أنس -رضي الله عنه- قال: خرجت مع بلال وعلي بن أبي طالب -رضي الله عنهما- إلى السوق فاشترى بطيخًا وانطلقنا إلى منزله فكسر واحدة فوجدها مرة فأمر بلالاً برد البطيخ إلى صاحبه، ثم قال: ألا أحدثكم حديثًا حدثنيه رسول الله ﷺ؟ قال: «**يا أبا الحسن إن الله تعالى أخذ حبك على البشر والشجر فما أجاب على حبك عذُب وطاب ومن لم يجب إلى حبك خبث ومرّ**»، وأظن أن هذا البطيخ ممن لا يحبني.

مسألة: لو اشترى بطيخًا فوجده مدودًا أو حامضًا يرده ولا أرش، فإن وجده تالفًا لا قيمة لفاسده فأكله بجميع الثمن ولو باعه بشرط براءته من كل عيب فوجد به عيبًا باطنًا صح وله رده، هذا في البطيخ وغيره مما لا روح فيه، أما الحيوان إذا باعه وشرط براءته من كل عيب فإن لم يبرأ من عيب ظاهر كرفس الدابة يصح البيع وله الخيار في الرد ويبرأ البائع من عيب باطن بالحيوان كوجع ونحوه مما لا يرى كالبرص بين الإليتين، فإن علم البائع الباطن لم يبرأ؛ لأنه يجب عليه أن يبينه فالبيع صحيح والخيار في الرد ثابت للمشترى، والخيار على ثلاثة أقسام: خيار المجلس وهو خيار التروى يكون في البيع والسلم والصرف وهو بيع الذهب بذهب أو فضة أو بيع فضة بفضة ولا يكون في النكاح، وخيار الشرط يكون في البيع والنكاح كشرط البكارة في تزوج الجارية أو بيعها، وخيار النقيصة بأن ظهر به عيب يكون في البيع والنكاح.

فائدة: في كتاب شرعة الإسلام: أكل البطيخ يقتل الديدان ويحد البصر ويطيب النكهة ويسكن الصداع ويسبح في البطن، وهو طعام وشراب وريحان وأشنان فمن أراد شراءه، فليقل عند تقليبها: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:٧٠]وإن أراد قطعها فليقل ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة:٧١]، فإن الله تعالى يطيبها.

ورأيت في نزهة النفوس والأفكار في خواص الحيوان والنبات والأشجار: أن البطيخ الأصفر يصفي اللون وأن الأخضر أفضل منه، وأكله قبل الطعام يغسل البطن غسلاً ويذهب بالداء أصلاً وينفع من الأمراض الحارة والإكثار منه يضر بالمشايخ وأصحاب الأمزجة الباردة، إلا إذا كان بعده سكرًا أو عسلاً.

حكاية: كان رجل يحطب ويطعم أهله، فخرج في يوم بارد فوجد شجرة بطيخ وعليها ثلاث بطيخات، فأخذ واحدة وجاء إلى أهله فقالوا: لا حاجة لنا بها، فخرج إلى السوق ليبيعها فوجد رسول الخليفة يطلب بطيخة وقد أصابه علة فاشتراها، ثم في اليوم الثاني كذلك، ثم في

اليوم الثالث، كذلك فحصل الشفاء للخليفة فطلبه وقال: ادخل خزانتي وخذ ما شئت، فوجد قارورة فيها ماء ورد فأخذها فقيل له: هذا يساوي مالاً قليلاً خذ غيرها، قال: إني أريد أن أسقي شجرة البطيخ حيث عرفتني بالخليفة فأحسن عطاءه وأكرمه.

لطيفة: قال النسفي: إن شجرة البطيخ شكت ثقل حملها إلى ربها فقال: من أعانك على ذلك، قالت: الأرض، قال: ألق حملك عليها والإشارة فيه أن العبد أوقعه في المعصية طمعه في رحمة الله تعالى فيقال: وألق المعصية على من أوقعك فيها.

قال في ربيع الأبرار: دخل داود - عليه السلام - غارًا فوجد رجلاً ميتًا وعند رأسه لوح مكتوب فيه: أنا فلان ابن فلان ملكت الدنيا ألف عام وبنيت ألف مدينة وتزوجت ألف امرأة وهزمت ألف جيش، ثم صار من أمري أني بعثت قفيزًا من الدراهم في طلب رغيف واحد فلم يوجد، ثم بعثت قفيزًا من الذهب، فلم يوجد فسحقت الجواهر واستففتها فمت مكاني فمن أصبح له رغيف وهو يحسب أن أحدًا على الأرض أغنى منه أماتة الله موتًا وقوله: قفيز بالزاي المعجمة.

وفي ربيع الأبرار: عن النبي ﷺ: «**من صبر على القوت صبرًا جميلاً أسكنه الله تعالى من الفردوس حيث يشاء**»، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**المؤمن القوى أحب إلى الله من المؤمن الضعيف**»، أراد القوي على الطاعة والضعف عنها والطمع في عفو الله من غير تعب في طاعته محال، وقال النبي ﷺ: «**إن الأرض لتخبر يوم القيامة بكل عمل عمل عليها**»، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة :٤-٥]، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: أوحى الله تعالى لها أي أذن لها أن تخبر بما عمل عليها وقوله: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة :٢]، أي أخرجت ما فيها من الكنوز والأموات والله أعلم، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا﴾ [الزلزلة :٣]، أي يقول الكافر: ما للأرض زلزلت؟ أي تحركت حركة شديدة وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ [الزلزلة :٦]، أي يرجع الناس من موقف الحساب متفرقين، أهل الإيمان على حدة وغيرهم على حدة، نظيره ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم :١٤]، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم :٤٣]، قاله الواحدي: في البسيط.

فائدة: عن النبي ﷺ: «**من أحب عليًا بقلبه فله ثواب ثلث هذه الأمة، ومن أحبه بقلبه ولسانه فله ثواب ثلثي هذه الأمة، ومن أحبه بقلبه ولسانه ويده فله ثواب هذه الأمة ألا وإن جبريل - عليه السلام - أخبرني أن السعيد كل السعد من أحب عليًا في حياته وبعد مماته ألا وإن الشقى كل الشقى من أبغض عليًا في حياته وبعد مماته**»، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: حب علي بن أبي طالب يأكل الذنوب كما تأكل النار الحطب ولو اجتمع الناس على حبه لما خلق الله جهنم، وعن النبي ﷺ: من أراد أن يتمسك بقضيب الياقوت الأحمر الذي غرسه الله في جنات عدن فليتمسك بحب علي -رضي الله عنه- وقال النبي ﷺ: «**من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى**

نوح في فهمه وإلى إبراهيم في حلمه وإلى موسى في زهده وإلى محمد في بهائه فلينظر إلى علي بن أبي طالب» ذكره ابن الجوزي وعنهﷺ : **«مكتوب على باب الجنة: محمد رسول الله قبل أن يخلق السموات بألفي عام»**، وقال ابن عباس -رضي الله عنه-: كنا عند رسول اللهﷺ وإذا بطائر في فمه لوزة خضراء فألقاها فأخذها النبيﷺ فوجد فيها درة خضراء مكتوب عليها بالأصفر: لا إله إلا الله محمد رسول الله نصرته بعلي، فقال النبي لعلي: **«إنك سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين»** وعن أنس -رضي الله عنه- عن النبيﷺ : **«ادع لي سيد العرب»** يعني عليًّا فلما جاء أرسل إلى الأنصار، فقال: **«يا معشر الأنصار ألا أدلكم على من إذا تمسكتم به لن تضلوا بعده؟»**، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **«هذا علي فأحبوه بحبي وأكرموه بكرامتي، فإن جبريل أمرني بالذي قلت لكم عن الله تعالى»**، قال علي -رضي الله عنه-: من بات تعبان من كسب حلال بات الله راض عنه وعشرة تورث النسيان كثرة الهم والحجامة في النقرة والبول في الماء الراكد وأكل التفاح الحامض وأكل الكزبرة الخضراء وأكل سؤر الفأر، وقراءة ألواح القبور والنظر إلى المصلوب والمشي بين الجملين المقطورين وإلقاء القملة حية.

مسألة: يكره البول في الماء الراكد والجاري إذا كان قليلاً وإلقاء القملة حية في النار حرام كغيرها من المؤذيات.

حكاية: رأيت في شوارد الملح: قال رجل لعلي: إني أريد السفر وأخاف من السبع فدفع إليه خاتمه، وقال له: إذا جاءك السبع فقل له: هذا خاتم علي بن أبي طالب، فلما رآه السبع رفع رأسه إلى السماء وهمهم، ثم إلى الأرض كذلك، ثم إلى المشرق كذلك، ثم إلى المغرب كذلك، ثم ذهب مهرولاً فلما حضرت أخبرت عليًّا بذلك، فقال: إنه يقول: وحق من رفعها وحق من وضعها وحق من أطلعها وحق من غيبها لا أسكن ببلاد يشكوني فيها لعلي بن أبي طالب، ومن كراماته أيضًا أنه كان رضيعًا في مهده فقصدته حَيَّة فانحدر من مهده لقتلها فتعجبت أمه من ذلك فسمعت هاتفًا يقول: هذا حيدرة انحدر من مهده إلى عدوه فقتله حكاه ابن الجوزى، ونقل عنه أنه قال: (أنا الذي سمتني أمي حيدرة) ومن كراماته: أنه كان يتعرض في بطن أمه فيمنعها من السجود للصنم إذا أرادت ذلك، حكاه النسفي، قالت فاطمة: يا رسول الله إن عليًّا ينام ليلة الجمعة وهى فضيلة فقال: **«إن الله تعالى تصدق عليه بنومه ليلة الجمعة وإنه يخلق من روحه طيرًا أخضر يسرح في طريق السماء فما فيها موضع شبر إلا وفيه لروح علي ركعة وسجدة»**، قال النسفي: فلذلك قال: سلوني عن طرق السموات فإني أعلم بها من طرق الأرض فجاء جبريل في صورة رجل، فقال: إن كنت صادقًا فأخرني أين جبريل؟ فنظر إلى السماء يمينًا وشمالاً ثم إلى الأرض كذلك فقال: ما وجدته في السماء ولا في الأرض ولعله أنت. ومن كراماته أيضًا أن الله أعطاه علم البرزخ فلما مات عمر -رضي الله عنه- جلس على قبره ليسمع قوله للملكين: فلما دخلا عليه ارتعد منهما، ثم أجاب، فقالا له: نم،

فقال: كيف أنام وقد أصابتني منكما هذه الرعدة؟ وقد صحبا النبي ﷺ ولكن أشهد عليكما الله وملائكته أن لا تدخلا على مؤمن إلا في أحسن صورة ففعلا، فقال له علي: نم يا ابن الخطاب فجزاك الله عن المؤمنين خيرًا لقد كنت نفعًا للناس في حياتك ومماتك.

فائدة: البرزخ هو الحاجز، وبرزخ الآخرة: الحاجز بين الأحياء والأموات، وتزوج رجل في زمانه امرأتين فولدتا في ليلة مظلمة فأتت واحدة بصبي والأخرى بأنثى فاختصمتا في الصبي إليه، فأمر كل واحدة أن تحلب من لبنها شيئًا، ثم وزن اللبنين فرجح أحدهما فحكم لصاحبة الراجح بالصبي، فقيل له: من أين أخذت هذا؟ فقال: من قول الله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، فإن الله تعالى قد فضل الذكر في كل شيء حتى في غذائه، قال علي -رضي الله عنه-: كلوا اللحم فإنه جلاء للبصر ويصفي اللون ويحسن الخلق، من تركه أربعين يومًا ساء خلقه، وقال غيره: إنه يزيد سبعين قوة وعن النبي ﷺ: «**سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم**» وفي لفظ المنافع عن النبي ﷺ: «**للقلب فرحة عند أكل اللحم**» وفيه أيضًا: «**أردأ اللحم لحم الخيل والإبل**».

وفي نزهة النفوس: لحم الضأن يزيد في الحفظ ويقوى الذهن وأطيبه لحم الظهر والمطبوخ أنفع وأخف على المعدة من المشوي والمقلي وأنفع المشوي من الضأن ما عمره سنة وكذلك الفحل والسمين؛ لأنه من سنة إبراهيم الخليل - عليه السلام - ولحم المعز يورث السوداء والنسيان ويفسد الدم خصوصًا المشايخ ومن طبعه بارد، ولحم البقر كثير الضرر، إلا إذا أكل بالزنجبيل والفلفل الكثير وأجود اللحوم لحم الدجاج.

قال في لفظ المنافع: لحم الدجاج يحسن اللون ويقوى العقل خصوصًا التي لم تبض ولحم الديك العتيق ينفع من القولنج وهو دواء لا غذاء بمعنى أنه لا يكثر منه وأجود الديوك ما لم يصفق بجناحه، وقال أيضًا: يجب على الموسر في كل أسبوع لزوجته رطلان من اللحم والمعسر رطل والمتوسط رطل ونصف ويسن في يوم الجمعة فإنه أولى بالتوسعة واختلفوا في الخبز واللحم أيهما أفضل؟ قال ابن مفلح: إن اللحم أفضل؛ لأنه طعام أهل الجنة، فاللحم سيد الإدام والخبز أفضل القوت، ورأيت في كتاب رسائل الحاجات للغزالي أن جبريل - عليه السلام - أتى النبي ﷺ فقال: ألا أبشرك يا محمد؟ قال: «بلى»، فأتى به جبل قبيس فإذا علي ساجد قد بلت دموعه موضع خديه، وهو يقول: اللهم ارحم ذلي وضراعتي إليك ووحشتي من خلقك وآنسني بك يا كريم، فقال جبريل: يا محمد إنه لفي حال باهى الله به الملائكة ولا يدعو بهذا الدعاء أحد في سجوده إلا خرج من ذنوبه كما تخرج الحية من سلخها، قال علي: من قال كل يوم ثلاث مرات: صلوات الله وسلامه على آدم غفر الله الذنوب وإن كانت أكثر من زبد البحر وكان رفيق آدم - عليه السلام - في الجنة، وقال أبو هريرة -رضي الله عنه-: من لم يصل على آدم وحواء عند ذكرهما فقد عقهما صلوات الله وسلامه عليهما، وقال كعب

الأحبار: ما من مؤمن ولا مؤمنة يستغفران لآدم وحواء إلا عرض ذلك عليهما فيفرحان بذلك ويقولان: يا رب هذا فلان بن فلان قد استغفر لنا وصلى علينا فصل عليه يا رب وزده برًا وإحسانًا، حكاه الكسائي في قصص الأنبياء.

حكاية: قال أنس -رضي الله عنه-: قدمت للنبي ﷺ طعامًا فسمى وأكل لقمة، ثم قال: «**اللهم ائتني بأحب الخلق إليك وإليّ**» فطرق على الباب فقلت: من؟ قال: علي، فقلت: إن رسول الله مشغول، فأكل لقمة، ثم قال: «**اللهم ائتني بأحب الخلق إليك وإليّ**» فطرق علي الباب ورفع صوته، فقال ﷺ: «**افتح الباب يا أنس**» ففتحت فدخل علي فلما رآه النبي ﷺ تبسم وقال: «**الحمد لله فإني أدعو الله في كل لقمة أن يأتي بأحب الخلق إليه وإليّ**» فقال: والذي بعثك بالحق إني لأضرب الباب ثلاث مرات ويردني أنس فقال النبي ﷺ: «**ما حملك على ما صنعت يا أنس؟**» قال: رجوت يا رسول الله أن يكون رجلاً من الأنصار، فقال: «**أو في الأنصار من هو خير من علي وأفضل؟**» وقال علي -رضي الله عنه- على المنبر: ألا إن خير هذه الأمة أبو بكر وعمر، ثم قال: إن الله تعالى فتح الخلافة بأبي بكر وثناها بعمر وثلثها بعثمان، ثم ختمها بي بختم محمد ﷺ.

قال في مجمع الأحباب: ولي الخلافة خمس سنين. قال في شرح المهذب: إلا يسيرًا، وقتل علي في رمضان ليلة الجمعة سنة أربعين ودفن بالكوفة وأحاديثه عن النبي ﷺ خمسمائة حديث روى عنه من التابعين خلائق مشهورون.

قال مؤلفه: فهذا ما يسر الله تعالى به من مناقب بطل الأبطال من تمادى على أهل الزيغ واستطال سيف الله المسلول وابن عم الرسول وزوج الطاهرة البتول الطيب المناقب فارس المشارق والمغارب، والنجم الثاقب أمير المؤمنين أبي الحسنين علي بن أبي طالب، وسيأتي ذكر أولاده وبعض مناقبه في فضل زوجته فاطمة -رضي الله عنهم أجمعين.

باب: مناقب هؤلاء الأربعة -رضي الله عنهم إجمالاً

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، أي في محبة أبي بكر ﴿وَصَابِرُوا۟﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، أي في محبة عمر ﴿وَرَابِطُوا۟﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، أي في محبة عثمان ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ١٨٩]، أي في محبة علي ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩]، بذلك قال طاوس عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: في قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ﴾، هو أبو بكر ﴿وَٱلزَّيْتُونِ﴾ [التين: ١]، هو عمر ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ١-٣]، هو عثمان ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ٣]، هو علي - رضي الله عنهم أجمعين - وقال أبي بن كعب: قرأت على النبي ﷺ سورة العصر فقلت: يا نبي الله ما تفسيرها؟ قال: «﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ [العصر: ١]، قسم من الله تعالى بآخر النهار ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]، أبا جهل ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، أبو بكر ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥]، عمر ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ [العصر: ٣]، عثمان ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [البلد: ١٧]، علي بن أبي طالب»، وقال بعضهم في قوله تعالى: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، محمد ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٧]، أبو بكر ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [آل عمران: ١٧]، عمر، والقانت: الطائع، وقيل: هو الذي يصلي بين المغرب والعشاء ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٧]، عثمان ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]، علي بن أبي طالب، والسحر: هو ما بين الفجر الكاذب والصادق، ورأيت في شرح البخاري لابن أبي جمرة عن النبي ﷺ قال: «**أنا مدينة السخاء وأبو بكر بابها، وأنا مدينة الشجاعة وعمر بابها وأنا مدينة الحياء وعثمان بابها وأنا مدينة العلم وعلي بابها**» ورأيت في كتاب الفردوس عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «**أبو بكر تاج الإسلام وعمر بن الخطاب حلة الإسلام وعثمان بن عفان إكليل الإسلام، وعلي بن أبي طالب طبيب الإسلام**» وفي حديث آخر «**أنا مدينة العلم وأبو بكر أساسها وعمر حيطانها، وعثمان سقفها وعلي بابها**» وعن أنس عن النبي ﷺ قال: «**ما من نبي إلا وله نظير في أمته**» أي يشبهه في بعض خصاله، فأبو بكر نظير أبي إبراهيم وعمر نظير موسى وعثمان نظير هارون وعلي نظيري، وفي حديث آخر «**من أراد أن ينظر إلى إبراهيم فلينظر إلى أبي بكر الصديق ومن أراد أن ينظر إلى نوح فلينظر إلى عمر، ومن أراد أن ينظر إلى موسى فلينظر إلى عثمان، ومن أراد أن ينظر إلى هارون فلينظر إلى علي**» وعن النبي ﷺ قال: «**أبو بكر كعيني من رأسي وعمر كلساني وعثمان ككبدي وعلى كروحي من جسدي**» وعن النبي ﷺ قال: «**مثل أبي بكر وأمتي كمثل التكبيرة الأولى من الصلاة، ومثل عمر كمثل القراءة في الصلاة، ومثل عثمان كمثل الركوع ومثل علي كمثل السجود**» وقال رجل: يا نبي الله من أحب النساء إليك؟ قال: «**عائشة**» قال: ومن الرجال؟ قال: «**أبوها يرد يوم القيامة على فرس من مسك أزفر يعني لا خلط فيه**»، قال: فما تقول في عمر؟ قال: «**يرد يوم القيامة على فرس من عنبر أشهب**» قال: فما تقول في عثمان؟ قال: «**يرد يوم القيامة على فرس من كافور أبيض**» قال: فما تقول في علي؟ قال: «**أخي وابن عمي يرد يوم القيامة على ناقة من نوق الجنة**».

حكاية: قال محمد بن رزين: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت: يا نبي الله أنا شيخ خفيف البضاعة كثير العيال فعلمني دعاء أدعو به و أستعين به على أمري، فقال عليه الصلاة والسلام: «**عليك بثلاث دعوات في كل شدة وفي دبر كل صلاة قل: يا قديم الإحسان يا من إحسانه فوق كل إحسان يا ملك الدنيا والآخرة**»، ثم قال: «**واجتهد أن تموت على الإسلام والسنة وعلى حب هؤلاء الأربعة أبي بكر وهذا عمر وهذا عثمان وهذا علي، فإنه لا تمسك النار أبدًا**».

فائدة: نزل جبريل بطبق تفاح من الجنة وقال: يا محمد أعط من تحب وكان الطبق مستورًا فأدخل يده وأخذ تفاحة على جانبيها بسم الله الرحم الرحيم هذه هدية من الله لأبي بكر الصديق وعلى الجانب الآخر من أبغض الصديق فهو زنديق، ثم أخذ أخرى على جانبيها بسم الله الرحمن الرحيم هذه هدية من الله الوهاب لعمر بن الخطاب، وعلى الجانب الآخر من أبغض عمر فهو في سقر، ثم أخذ أخرى وعلى جانبيها بسم الله الرحمن الرحيم هذه هدية من الله الحنان المنان لعثمان بن عفان وعلى جانبها الآخر من أبغض عثمان فخصمه الرحمن، ثم أخذ أخرى وعلى جانبيها بسم الله الرحمن الرحيم هذه هدية من الله الغالب، لعلي بن أبي طالب وعلى الجانب الآخر من أبغض عليًا لم يكن لله وليًا فحمد الله محمد وأثنى عليه، وعن النبي ﷺ: «**أخبرني جبريل أن الله تعالى لما خلق آدم وأدخل الروح في جسده أمرني أن آخذ تفاحة من الجنة وأمرني أن أعصرها في حلقه فعصرتها فخلقك الله يا محمد من القطرة الأولى ومن الثانية أبا بكر ومن الثالثة عمر ومن الرابعة عثمان ومن الخامسة عليًا، فقال آدم: يا رب من هؤلاء الذين أكرمتهم؟ فقال الله تعالى: خمسة أشياخ من ذريتك وهؤلاء أكرم عندي من جميع خلقي فلما عصى آدم قال: يا رب بحرمة أولئك الأشياخ الخمسة إلا تبت علي فتاب الله عليه**»، وقال ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ: «**ينادي مناد تحت العرش: أين أصحاب محمد ﷺ فيؤتى بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي**، فيقال لأبي بكر: اذهب على باب الجنة فأدخل من شئت برحمة الله وامنع من شئت بعلم الله، ويقال لعمر بن الخطاب: قف عند الميزان فثقل من شئت برحمة الله وخفف من شئت بعلم الله، ويكسى عثمان حلتين ويقال له: البسهما فإني خلعتهما عليك وادخرتهما لك حين أنشأت خلق السموات والأرض ويعطى علي بن أبي طالب عصا موسى - عليه السلام - من الشجرة التي غرسها الله بيده في الجنة، فيقال: زد الناس فيذود بها بعض أصحاب محمد ﷺ عن الحوض أي يمنعهم» وفي رواية أخرى: «**ينادي مناد: ليقم أهل الله فيقوم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي فيقول الله تعالى لأبي بكر: اذهب إلى باب الجنة فأدخل من شئت، وامنع من شئت، ويقال لعمر: اذهب إلى الميزان فثقل من شئت وخفف من شئت ويقال لعثمان: اذهب إلى الحوض فاسق من شئت واصرف من شئت ويقال لعلي: اذهب إلى الصراط فاحبس من شئت وجوز من شئت**»، وعن النبي ﷺ: «**من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحب عليًا فقد**

استمسك بالعروة الوثقى» .

فائدة : روى أبو داود والترمذي وابن ماجه، عن النبي ﷺ: **«من أطعمه الله طعامًا فليقل: اللهم بارك لنا فيه وارزقنا خيرًا منه ومن سقاه الله لبنًا فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزودنا منه فإني لا أعلم ما يجزى عن الطعام والشراب إلا اللبن واعلم أن أجود اللبن حين يحلب، وهو أنفع المشروبات لبنى آدم ولبن الراعية خير من المعلوفة»**، قال ابن عباس -رضي الله عنهما- إذا استقر العلف في الدابة طبخته معدتها فيصير أعلاه دمًا وأوسطه لبنًا سائغًا أي لذيذًا لا يغص به شاربه وأسفله فرثًا فيذهب اللبن إلى الضرع والدم إلى العروق ويبقى الفرث في الكرش ولبن المرأة السوداء أصح وأنفع من لبن البيضاء، ولبن الجارية السوداء ينفع الصداع سعوطًا، وشربه بالسكر يحسن اللون ويقطع الحكة من أبدان المشايخ وبالعسل ينفع من النزلة ووجع العين واللبن من أفضل الأدوية للأخلاط السوداوية ينفع من الوسواس، ومن شربه لا يأكل شيئًا ثقيلاً بعده ولا ينام سريعًا بل يصبر قليلاً، ومن منافع الزبد البقري أنه يسهل طلوع الأسنان للصغير إذا دلك موضعها به أو بشحم الدجاج، ومن شرب من حليب البقر حين حلبه ثلاثة أيام متوالية قلع الصفار من الوجه، ولبن البقر يخصب البدن ويطلق البطن، وعن النبي ﷺ قال: **«تداووا بألبان البقر»** وفي حديث آخر: **«عليكم بألبان البقر فإنها شفاء»** والاكتحال بالسمن والزيت يقلع الجرب من العين والأجفان.

مسألة : لبن المأكول والآدمى طاهر، ويجوز بيع رطل من حليب بقرى برطلين من حليب الماعز، بشرط الحلول والتقابض في المجلس؛ لأن لبن البقر مع لبن الضأن أو الماعز جنسان ولو باع رطل حليب ماعز برطلين من حليب الضأن لا يجز؛ لأنهما جنس واحد كما لا يجوز بيع لبن البقر بلبن الجاموس متفاضلاً؛ لأنهما جنس واحد، وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف :٤٣]، أي من حقد، وإذا كان يوم القيامة ينصب كراسي من ياقوت أحمر فيجلس أبو بكر على كرسي وعمر على كرسي وعثمان على كرسي وعلي على كرسي، ثم يأمر الله الكراسي فتطير بهم إلى تحت العرش فتسبل عليهم خيمة من ياقوتة بيضاء، ثم يأتي بأربع كاسات فأبو بكر يسقي عمر وعمر يسقي عثمان وعثمان يسقي عليًا وعلي يسقي أبا بكر، ثم يأمر الله جهنم أن تتمحص بأمواجها فتقذف الروافض على ساحلها فيكشف الله عن أبصارهم فينظرون إلى منازل أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون: هؤلاء الذين أسعدهم الله وفي رواية فيقولون: هؤلاء الذين سعد الناس بمتابعتهم وشقينا نحن بمخالفتهم، ثم يردون إلى جهنم بحسرة وندامة، قال في الزهر الفاتح: من أحب أبا بكر وعمر وعثمان فهو يحب عليًا فهو مع من يدخل الجنة مع الخلفاء الثلاثة، ومن كان محبًا لعلى وحده ومبغضًا للثلاثة فليس له حظ في الجنة.

حكاية: قال أنس: صعد النبي ﷺ المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: **«أين أبو بكر؟»**

فقال: ها أنا يا رسول الله فقال: «ادن مني» فضمه إلى صدره وقبله بين عينيه وقال بأعلى صوته: «معاشر المسلمين هذا أبو بكر الصديق شيخ المهاجرين والأنصار هذا صاحبي وصديقي صدقني حين كذبني الناس وآواني حين طردني الناس وآنسني حين أوحشني الناس، هذا الذي أمرني الله أن أتخذه والدًا في الدنيا وخليلاً في الآخرة وواساني بنفسه وماله واشترى لي بلالاً من ماله فعلى مبغضه لعنة الله والله منه بريء، وأنا منه بريء فمن أحب أن يتبرأ من الله ومني فليتبرأ من أبي بكر الصديق وليبلغ الشاهد الغائب»، ثم قال: «أين عمر بن الخطاب؟» فوثب قائمًا، وقال: ها أنا يا رسول الله قال: «ادن مني» فدنا منه فضمه إلى صدره وقبله بين عينيه وقال: «بأعلى صوته معاشر المسلمين هذا عمر بن الخطاب شيخ المهاجرين والأنصار هذا الذي أنزل الله الحق على قلبه ولسانه، هذا الذي يقول الحق وإن كان مرًا فعلى مبغضه لعنة الله والله منه بريء وأنا منه بريء»، ثم قال: «أين عثمان بن عفان؟» فقال: ها أنا يا رسول الله قال: «ادن مني» فدنا فضمه إلى صدره وقبله بين عينيه، وقال: «معاشر المسلمين هذا عثمان شيخ المهاجرين والأنصار، وهذا الذي استحيت منه ملائكة السماء، هذا الذي أمرني الله أن أتخذه مسندًا وختنًا على ابنتي ولو كان عندي ثالثة لزوجته إياها فعلى مبغضه لعنة الله ولعنة اللاعنين»، ثم قال: «أين علي بن أبي طالب؟» فقال: ها أنا يا رسول الله قال: «ادن مني» فدنا فضمه إلى صدره وقبله بين عينيه، وقال بأعلى صوته: «معاشر المسلمين هذا علي بن أبي طالب شيخ المهاجرين والأنصار هذا أخي وابن عمي وختني، هذا لحمي ودمي هذا مفرج الكروب عني هذا أسد الله وسيفه في أرضه على أعدائه، فعلى مبغضه لعنة الله ولعنة اللاعنين والله منه بريء، فمن أراد أن يتبرأ من الله ومني فليتبرأ من علي بن أبي طالب».

حكاية: قال قتادة: سُئلَ أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن عرش رب العزة، قال أنس: سألت النبي ﷺ عن عرش رب العزة فقال: «سألت جبريل عن عرش رب العزة فقال جبريل: سألت ميكائيل عن عرش رب العزة، فقال ميكائيل: سألت إسرافيل عن عرش رب العزة، فقال إسرافيل: سألت الرفيع عن عرش رب العزة فقال الرفيع: سألت الروح عن عرش رب العزة فقال: إن العرش ثلثمائة ألف قائمة وستين ألف قائمة كل قائمة من قوائمه قدر طباق الدنيا ستين ألف مرة، وتحت كل قائمة ستون ألف أمة مثل الثقلين الجن والإنس ستين ألف مرة، ولا يعلمون أن الله خلق آدم ولا النبيين قد ألهمهم الله تعالى أن يستغفروا لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومحبيهم -رضي الله عنهم أجمعين-» وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي - ﷺ - أنه قال: «معاشر الناس ألا أدلكم على جنات عدن ونعيم لا يزول؟» قالوا: نعم يا رسول الله قال: «عليكم بحب الأربعة شهداء الله في أرضه وأركان جنته أبي بكر وعمر وعثمان وعلي فإن حبهم كفارة لذنوبكم فمن أحبهم أحبه الله وأحبته الملائكة»، وقال أنس -رضي الله عنه-: قال النبي ﷺ: «أربعة لا يجتمع حبهم في قلب منافق ولا يحبهم إلا مؤمن أبو بكر وعمر وعثمان وعلي».

حكاية: قال بعض الصالحين: كان لي جار كثير المعاصي فانتقلت من جواره فلما مات جاءني رجل في الليل طويل القامة فخفت من طوله، فقال: اذهب معي إلى قبر فلان فذهبت ففتحه، فرأيته على سرير في روضة خضراء فقلت له: بم نلت هذه الكرامة؟ قال: كنت أقول عقب كل صلاة: اللهم ارض عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وارحمني بحبهم.

باب: مناقب العشرة -رضي الله عنهم-

قالت عائشة -رضي الله عنها-: قال النبي ﷺ: «**أبوك في الجنة ورفيقه إبراهيم - عليه السلام -، وعمر في الجنة، ورفيقه نوح، وعثمان في الجنة ورفيقه أنا، وعلى في الجنة ورفيقه يحيى بن ذكريا، وطلحة في الجنة ورفيقه داود - عليه السلام -، والزبير في الجنة ورفيقه إسماعيل، وسعد بن أبي وقاص في الجنة ورفيقه سليمان، وسعيد بن زيد في الجنة ورفيقه موسى، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة ورفيقه عيسى، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة ورفيقه إدريس**»، ثم قال: «**يا عائشة أنا سيد المرسلين وأبوك أفضل الصديقين وأنت أم المؤمنين**» وعنه ﷺ قال: «**عشرة من قريش في الجنة**» وذكر هؤلاء وعن النبي ﷺ: «**أرأف أمتي بأمتي أبو بكر وأقواهم في دين الله عمر وأشدهم حياء عثمان وأقضاهم علي، ولكل نبي حواري وحواري طلحة والزبير وحيثما كان سعد بن أبي وقاص فالحق معه وسعيد بن زيد من أحباء الرحمن، وعبد الرحمن بن عوف من تجار الرحمن، وأمين الله أبو عبيدة بن الجراح، ولكل نبي سر وصاحب سري معاوية فمن أحبهم فقد نجا ومن أبغضهم فقد هلك**».

طلحة -رضي الله تعالى عنه-: كنيته أبو محمد، وأمه صفية، أسلم ولقبه النبي ﷺ يوم أحد طلحة الخير، ويوم حنين طلحة الجود وفي غزوة العشيرة طلحة الفياض؛ لأنه تصدق ببئر اشتراها ونحر جزورًا فأطعمهم وسقاهم، ودعاه النبي ﷺ الفصيح المليح الصبيح، وقال: «**أبشر يا طلحة فقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، وقد ثبت اسمك في ديوان المقربين**»، قال طلحة: حضرت سوق بصرى فرأيت راهبًا فقال: هل ظهر أحمد؟ قلت: ومن أحمد؟ قال: ابن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه، هو آخر الأنبياء مخرجه من الحرم، ويهاجر إلى نخل وسباخ فإياك أن تُسْبق إليه، قال طلحة: فوقع في قلبي ما قاله فرجعت مسرعًا إلى مكة فأخبروني أن محمد بن عبد الله ادعى النبوة وقد اتبعه ابن قحافة، فرأيت أبا بكر فقلت له: اتبعت محمدًا، قال: نعم فأخبرته بما قال الراهب، فقال: اتبعه يا طلحة فإنه يدعو إلى الحق فأسلم طلحة، قال: ففرح النبي ﷺ بإسلام طلحة وبما قاله الراهب ولم يزل اسمه: في الجاهلية طلحة ويقال له ولأبي بكر: القرينان؛ لأنهما لما أسلما ربطهما نوفل بن خويلد في حبل واحد، ثم نجاهما الله تعالى، قال النبي ﷺ: «**يا طلحة هذا جبريل يقرئك السلام، ويقول: أنا معك في أهوال يوم القيامة حتى أنجيك منها**» وفي رواية: «**هذا جبريل يخبرني أنه لا يراك يوم القيامة في هول إلا أنقذك منه**»، وأما طلحة الطلحات فهو رجل من خزاعة. قال المحب

الطبري: قتل طلحة سنة أربع وثلاثين.

الزبير بن العوام -رضي الله عنه-: ويكنى بأبي عبد الله وأمه صفية بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ، أسلم وهو ابن ست عشرة سنة، وقيل: ابن ثمان سنين، وأسلم شقيقاه، أخوه السائب وأخته أم حبيبة، وأسلم أخواه لأبيه عبد الرحمن وزينب، والزبير أول من سل سيفًا في الإسلام أي في سبيل الله، وقال النبي ﷺ: «**الزبير بن العوام ركن من أركان الإسلام**»، وجلس يومًا يذب عن وجه النبي ﷺ فاستيقظ وقال: «**جبريل يقرئك السلام ويقول: أنا معك يوم القيامة حتى أذب عن وجهك شرر جهنم**»، قتل الزبير سنة ثلاث وثلاثين وعمره سبع وستون سنة.

عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه-: كان اسمه: في الجاهلية عبد الكعبة وقيل: عبد الحارث وقيل: عبد عمر فسماه النبي ﷺ عبد الرحمن -رضي الله عنه- وعن شقيقه الأسود بن عوف وعن أخويه لأبيه عبد الله بن عوف، وعبد الرحمن بن عوف عاش ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الإسلام قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: وردت قافلة بتجارة من الشام لعبد الرحمن بن عوف، فحملها إلى النبي ﷺ فنزل جبريل، وقال: يا نبي الله إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول: أقرئ عبد الرحمن السلام وبشره بالجنة ومن فضائله أن النبي ﷺ خلفه في غزوة تبوك، وقال: «**ما قبض نبي حتى يصلي خلف رجل صالح من أمته**» وكان النبي ﷺ قد اشتغل بالوضوء فصلى عبد الرحمن بالناس في أول الوقت فأدرك النبي ﷺ ركعة معه، وقال النبي ﷺ: «**عبد الرحمن بن عوف سيد من سادات المسلمين سقى الله بن عوف من سلسبيل الجنة**»، وقال: «**عبد الرحمن بن عوف أمين في السماء أمين في الأرض**»، وروى خمسة وستين حديثًا.

حكاية: قال عبد الرحمن بن عوف: أغمي علي فجاءني ملكان فظّان غليظان فقالا: انطلق نخاصمك إلى العزيز الأمين فلقيهما ملك فقال: إلى أين؟ فقالا: نخاصمه إلى العزيز، فقال: خليا عنه فإنه ممن سبقت له السعادة في بطن أمه، وكان من تواضعه لا يفرق بين عبيده.

وفي صحيح البخاري: إن الصحابة لما توجهوا مع عمر إلى الشام فبلغهم أن الوباء وقع بها فاختلفوا في الرجوع وعدمه، فقال عبد الرحمن: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إذا سمعتم الوباء وقع فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه**».

فوائد: الأولى: عن النبي ﷺ: «**من أَمَرَّ المشط على حاجبيه عوفي من الوباء**».

الثانية: وقع بالقاهرة وباء عظيم فرأى رجل النبي ﷺ فعلمه هذا الدعاء، اللهم يا لطيفًا لم تزل ألطف بنا فيما نزل، إنك لطيف لم تزل حيًّا قيومًا صمدًا باقيًا له كنف واق، وقال الشافعي: من أصابه هم أو سقم فليقرأ كل يوم حين يقوم من منامه أربع مرات ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾.

الثالثة: رأيت في بعض المصنفات للحنفية من كتب حروف اسمه: وهذه الحروف: ح ح ح

د د ر ر س ش وجعلها في رأسه فإنه لا تصيبه آفة ولا عاهة ولا عين بإذن الله تعالى.

حكاية: قال عبد الرحمن بن عوف: من كان من أصحاب بدر فله أربعمائة دينار فتصدق عليهم في ذلك بمائة وخمسين ألفًا فلما جن عليه الليل كتب لفلان كذا ولفلان كذا حتى كتب قميصه وعمامته، ولم يترك من ماله شيء إلا كتبه للفقراء فلما صلى الصبح خلف النبي ﷺ نزل جبريل وقال: يا محمد إن الله تعالى يقول: أقرئ عبد الرحمن منى السلام وقل له: قد قبل الله صدقتك وهو وكيل الله ورسوله فليصنع في ماله ما يشاء ولا حساب عليه، وبشره بالجنة، وأعتق عبد الرحمن ثلاثين ألف رقبة وأوصى بحديقة لأمهات المؤمنين وبيعت بأربعمائة ألف فأمرته عائشة أن يدفن عند النبي ﷺ فقال: ما كنت لأضيق عليك بيتك وبيني وبين عثمان بن مظعون عهد أن من مات دفن إلى قبر صاحبه فيكون قبره وقبر عثمان في قبة إبراهيم ابن النبي ﷺ وترك أربع زوجات فورثت كل امرأة ثمانين ألفًا، مات سنة إحدى وثمانين وهو ابن خمس وسبعين سنة.

سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه-: ويكنى بأبي إسحاق -رضي الله عنه- وعن أخويه لأبويه عامر وعمير، أسلم سعد وهو ابن سبع عشرة سنة، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: قال النبي ﷺ: «**يعد سعد بن أبي وقاص بألف فارس**»، ثم قال: «**يا سعد أنت ناصر الدين حيث كنت**» مات بالعقيق على عشرة أميال من المدينة فحمل على أعناق الرجال، وذلك في سنة خمس وخمسين وله بضع وستون سنة، وهو آخر من مات من العشرة، وصلى عليه أزواج النبي ﷺ، روى مائتي حديث وسبعين حديثًا.

سعيد بن زيد -رضي الله عنه-: ويكنى بأبي الأعور -رضي الله عنه- وعن أبيه زيد بن نوفل، قال الواحدي وغيره: نزل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾[الزمر: ١٧]. نزلت في سليمان الفارسي وأبي ذر وزيد بن نوفل هداهم بغير كتاب ولا نبي، طلب ولده سعد من النبي ﷺ أن يستغفر لأبيه زيد فاستغفر له وقال: «**إنه يبعث يوم القيامة أمة وحده**»، وبنته عاتكة أخت سعيد كانت جميلة أسلمت فتزوجها عبد الله بن أبي بكر فشغلته عن الجهاد فأمره أبو بكر بطلاقها، فطلقها، ثم أنشد أبياتًا فأمره أبوه بمراجعتها، وتقدم بيانه في باب الخوف، مات سعيد بأرض العقيق وحمل إلى المدينة ودفن بها سنة خمسين، وروى ثمانية وأربعين حديثًا.

أبو عبيدة عامر بن الجراح -رضي الله عنه-: لم يزل اسمه: في الجاهلية والإسلام عامرًا وكنيته أبو عبيدة، قتل أباه كافرًا يوم بدر، وقبره بقبور بيسان، قال لأصحابه: بادروا السيئات القديمات بالحسنات الحادثات، فلو أن أحدكم عمل من السيئة ما بينه وبين السماء، ثم عمل حسنة لعلت فوق سيئاته حتى تقهرها، وقال عمر -رضي الله عنه- لأصحابه: تمنوا، فقال رجل: أتمنى أن هذه الدار ملئت ذهبًا أنفقه في سبيل الله، وقال الآخر: أتمنى أنها مملوءة جواهر ولؤلؤ أنفقه في سبيل الله، فقال: أتمنى أنها مملوءة رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح، مات سنة

ثماني عشرة في خلافة عمر -رضي الله عنه- وهو ابن ثماني وخمسين سنة في طاعون عمواس، قال بعض الصحابة: الطاعون دعوة نبيكم ورحمة ربكم وموت الصالحين قبلكم.

قال أهل العلم: لا يكون الطاعون شهادة إلا لمن صبر عليه، أما من فر منه فأصابه لا يكون شهيدًا، حكاه المحب الطبري في الرياض النضرة في مناقب العشرة، والله أعلم.

باب: مناقب فاطمة الزهراء -رضي الله عنها-

قال علي: يا رسول الله أنا أحب إليك أم فاطمة؟ قال: «**هي أحب إلي منك، وأنت أعز علي منها**»، قال الكلاباذي: معناه أني أرق لها؛ لأن الطبع له في المحبة أثر والعزة من الله تعالى، فعلي -رضي الله عنه- أجل قدرًا منها عند النبي ﷺ وليس للطبع في العزة أثر، وقال النبي ﷺ: «**إن الله تعالى فطم ابنتي فاطمة وولديها ومن أحبهم أعتق من النار**» وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ: «**أنا شجرة وفاطمة حملها وعلي لقاحها والحسن والحسين ثمارها، ومحبوا أهل البيت أوراقها وكلنا في الجنة حقًا حقًا صدقًا صدقًا**»، وفي آخر: «**من فقد الشمس فليتمسك بالقمر ومن فقد القمر فليتمسك بالزهرة، ومن فقد الزهرة فليتمسك بالفرقدين**» فسئل عن ذلك فقال: «**أنا الشمس وعلي القمر والزهرة فاطمة والفرقدان الحسن والحسين**» ذكره في العرائس، وعن النبي ﷺ: «**يا علي خلقت أنا وأنت من شجرة أنا أصلها وأنت فرعها والحسن والحسين أغصانها فمن تعلق بغصن من أغصانها دخل الجنة**» وعن النبي ﷺ قال: «**مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها سلم ومن تخلف عنها زج في النار**» وعنه ﷺ قال: «**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**» شبههم بالنجوم؛ لأن راكب البحر لا يستدل على النجاة إلا بالنجوم، كذلك حب الصحابة دليل على النجاة من أهوال القيامة وعنه ﷺ: «**من مات على حب آل محمد مات مؤمنًا ومن مات على حب آل محمد مات شهيدًا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة، ومن مات على حب آل محمد فتح الله له في قبره بابًا إلى الجنة، ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزارًا لملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيتها، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيام مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرًا، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة**» حكاه القرطبي في سورة الشورى وتقدم أن آله أهل دينه وأتباعه إلى يوم القيامة، قال الأزهري: وهو أقرب إلى الصواب واختاره غيره، وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني في بعض مجالس وعظه: قيل للنبي ﷺ: من آلك؟ قال: «**كل تقي من آل محمد**».

فائدة: القنبر طير صغير على رأسه تاج يقول في صياحه: اللهم العن باغض آل محمد، وعن أنس -رضي الله عنه- كان النبي ﷺ يمر على باب فاطمة إذا خرج لصلاة الفجر ويقول: الصلاة يا أهل البيت إنما يريد الله أن يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا، قال

بعضهم: الرجس: هو الطمع والبخل، والتطهير: التخلص من الأدناس.

لطيفة: وضع الله تعالى خمسة في خمسة، العز في القناعة، والذل في المعصية، والهيبة في قيام الليل، والحكمة في بطن جائع، والغنى في ترك الطمع، قال الكلبي وغيره: أهل البيت فاطمة والحسن والحسين، وقال ابن عباس وغيره: هم أزواج النبي ﷺ فقط، قال النسفي وغيره: لما دخل النبي ﷺ الجنة ليلة المعراج رأى قصر خديجة المقدم ذكره في مناقبها أخذ جبريل - عليه السلام - تفاحة من شجر القصر، وقال: يا محمد كل هذه التفاحة، فإن الله تعالى يخلق منها بنتًا تحمل بها خديجة ففعل فلما حملت خديجة بفاطمة -رضي الله عنها- وجدت رائحة الجنة تسعة أشهر، فلما وضعتها انتقلت الرائحة إليها فكان النبي ﷺ إذا اشتاق إلى الجنة قبل فاطمة، فلما كبرت، قال رسول الله ﷺ: **«يا ترى هذه الحورية لمن؟»** فجاءه جبريل - عليه السلام - في بعض الأيام وقال: إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك: اليوم كان عقد فاطمة في موطنها في قصر أمها في الجنة الخاطب إسرافيل، وجبريل وميكائيل الشهود والولي رب العزة، والزوج علي -رضي الله عنه-. قال أنس -رضي الله عنه-: بينما النبي ﷺ في المسجد إذ قال لعلي: هذا جبريل أخبرني بأن الله تعالى قد زوجك فاطمة وأشهد على تزويجها أربعين ألف ملك وأوحى إلى شجرة طوبى أن انثري عليهم الدر والياقوت والحلي والحلل فنثرت عليهم فابتدرت الحور العين يلتقطن في الأطباق الدر والياقوت والحلي والحلل فهم يتهادونه إلى يوم القيامة، وفي رواية قال: **«أبشر يا أبا الحسن فإن الله تعالى قد زوجك في السماء قبل أن أزوجك في الأرض وقد هبط إلي ملك من السماء قبل أن تأتيني لم أرى قبله في الملائكة مثله بوجوه شتى وأجنحة شتى»**، فقال: السلام عليك يا محمد أبشر باجتماع الشمل وطهارة النسل، قلت: **«وما ذاك؟»** قال: يا محمد أنا الملك الموكل بأحد قوائم العرش قد سألت ربي أن يأذن لي ببشارتك، وهذا جبريل على أثري يخبرك عن كرامة ربك لك فما تم كلامه حتى نزل جبريل على أثره وقال: السلام عليك يا رسول الله، ثم وضع في يدي حريرة بيضاء فيها سطران مكتوبان بالنور، فقلت: **«ما هذه الخطوط»**، فقال: إن الله تعالى اطلع إلى الأرض فاختارك من خلقه وبعثك برسالته، ثم اطلع إليها ثانيًا: فاختار لك أخًا وزيرًا وصاحبًا فزوجه ابنتك فاطمة، فقلت: **«يا جبريل من هذا؟ الرجل؟»** فقال: أخوك في الدارين ابن عمك في النسب علي بن أبي طالب. وإن الله تعالى أوحى إلى الجنان أن تزخرفي وإلى الحور أن تزيني وإلى شجرة طوبى أن انثري ما عليك من الحلي والحلل كما تقدم، قال جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-: دخلت أم أيمن على النبي ﷺ تبكي فسألها عن ذلك، فقالت: دخل على رجل من الأنصار قد زوج ابنته ونثر عليها الرز والسكر فتذكرت تزويجك فاطمة ولم تنثر عليها شيئًا، فقال: **«والذي بعثني بالكرامة وخصني بالرسالة إن الله تعالى لما زوج عليًا فاطمة أمر الملائكة المقربين أن يحدقوا بالعرش فيهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وأمر الجنان أن تتزخرف**

والحور العين أن تتزين، ثم أمرها أن ترقص فرقصت، ثم أمر الطيور أن تغني فغنت، ثم أمر شجرة طوبى أن تنثر عليهم اللؤلؤ الرطب مع الدر الأبيض مع الزبرجد الأخضر مع الياقوت الأحمر»، وفي رواية: «**كان الزواج عند سدرة المنتهى، ليلة المعراج وأوحى الله إليها: أن انثري ما عليك فنثرت الدر والمرجان**».

فصل: تزويج حواء بآدم عليهما الصلاة والسلام

وفيه نوع تشبيه بتزويج فاطمة بعلي -رضي الله عنهما- قال الكسائي وغيره: لما خلق الله آدم خلق من ضلعه الأيسر حواء، وهو في الجنة وأودعها حُسنَ سبعين حوراء فصارت حواء بين الحور العين كالقمر بين الكواكب وكان آدم نائمًا فلما استيقظ مد يده إليها، فقيل له: حتى تؤدي مهرها، قال: وما هو؟ قال: أن تصلي على محمد ثلاث مرات، وقيل: حتى تعلمها معالم دينها وكان آدم - عليه السلام - أودعه الله من الحسن والكمال حتى إن خده الأيمن يغلب شعاع الشمس، وكان نور محمد ﷺ في خده الأيمن والأيسر يغلب على القمر، وكان يوسف - عليه السلام - فيه، فلما نظر آدم في وجه حواء نظرت حواء في وجه آدم، قال: يا حواء ما أرى أن الله تعالى خلق خلقًا أحسن منك ومني، فأوحى الله تعالى إلى جبريل: خذ بيد حواء وآدم إلى الفردوس الأعلى وافتح لهما قصرًا من القصور ففتح باب قصر من الياقوت الأحمر فيه قبة من الكافور على قوائمه الزبرجد، في روضة من زعفران، ففتح جبريل باب القبة، فرأى سريرًا من الذهب قوائمه من الدر عليه جارية لها نور شعاع وعلى رأسها تاج من ذهب مرصع بالجواهر -لم ير آدم أحسن منه - عليه صورة جميلة، فقال آدم: يا رب من هذه الصورة؟ قال: فاطمة بنت نبينا محمد ﷺ قال: يا رب من يكون بعلها فقال الله تعالى: يا جبريل افتح باب قصر من ياقوت ففتح له فرأى فيه قبة من الكافور فيها سرير من ذهب عليه شاب حسنه كحسن يوسف - عليه السلام -، فقال: هذا بعلها علي بن أبي طالب فقال: يا رب هل لهما أولاد؟ فأمر الله تعالى جبريل - عليه السلام - أن يفتح باب قصر من اللؤلؤ ففتح باب قصر من اللؤلؤ، فيه قبة من الزبرجد فيها من العنبر عليه صورة الحسن والحسين -رضي الله عنهما- فرجع آدم إلى موضعه، فلما زوجه الله تعالى بحواء نثرت عليهما الملائكة نثار الجنة، فصار نثر اللوز والسكر والزبيب ونحو ذلك حلال، ويجوز التقاطه وتركه أولى، إلا إذا عرف أن الناثر لا يؤثر بعضهم على بعض ولم يقدح التقاطه في مروءته، ومن أخذه ملكه، وإن وقع في ثوابه بقصده، ويكره أخذه من الهواء، ثم أمر الله تعالى ناقة من الجوهر فركبها آدم - عليه السلام - وركبت حواء على ناقة من نوق الجنة والملائكة عن أيمانهما وشمائلهما حتى دخلت جنة عدن وإذا بسرير له سبعمائة قائمة من أنواع الجواهر وعلى السرير أربع قباب، قبة الرضوان، وقبة الغفران، وقبة الرحمة، وقبة الكرم، فنزل آدم وحواء وقد جيء لهما بفواكه من الجنة، ثم تحول إلى قبة الرحمة ونادى مناديًا أهل السموات: إن الله قد زوج آدم بحواء وقد

أباح لهما ما في الجنة إلا هذه الشجرة، فلما سبق في علم الله ما سبق هبط آدم من باب التوبة وحواء من باب الرحمة وإبليس من باب الخوف بزيادة، قال في ربيع الأبرار: حملت حواء بهابيل وأخته في الجنة ووضعتهما بغير وحم ولا ألم قبل الأكل من الشجرة وقابيل وأخته في الدنيا، والله أعلم.

فائدة: قال المحب الطبري في الرياض النضرة: قد ثبت أن النبي ﷺ قال: سألت ربي - عز وجل - أن لا يدخل النار أحدًا صاهرني أو صاهرته، قال الطبري: وأرجو أن تكون ثابتة فيمن صاهره في أحد من ذريته إلى يوم القيامة، فلما كان ليلة الزفاف بفاطمة على علي -رضي الله عنهما- أركبهما النبي ﷺ على بغلته الشهباء وأمر سليمان الفارسي أن يقودها، والنبي ﷺ يسوقها ولما كان في أثناء سيرهما في الطريق إذ سمع وجبة فإذا جبريل - عليه السلام - بسبعين ألفًا من الملائكة، فقال النبي ﷺ: «**ما أهبطكم؟**» قالوا: جئنا نزف فاطمة إلى زوجها فكبر جبريل وميكائيل والملائكة فصار التكبير على العرائس من تلك الليلة. وفي رواية: «**أن الله تعالى لما أمرني أن أزوج عليًا فاطمة قال جبريل: إن الله تعالى قد بنى جنة من اللؤلؤ بين كل قصبة وقصبة ياقوتة مشدودة بالذهب، وجعل سقوفها زبرجد أخضر وجعل فيها طاقات مكللة بالياقوت، ثم جعل عليهم غرفًا، لبنة من فضة ولبنة من ذهب ولبنة من ياقوت ولبنة من زبرجد، ثم جعل فيها عيونًا تنبع من نواحيها وحفها بالأنهار، وجعل على الأنهار قبابًا من در قد شعبت بسلاسل الذهب وحفها بأنواع الشجر وجعل في كل قبة أريكة من درة بيضاء، وفرش أرضها بالزعفران لكل قبة مائة باب على كل باب جاريتان وشجرتان مكتوب حول القبب آية الكرسي، فقلنا يا جبريل لمن هذه الجنة؟ فقال: هذه الجنة بناها الله تعالى لعلي وفاطمة -رضي الله عنهما-**» وفي رواية قال جبريل - عليه السلام -: «**إن الله تعالى أمر الملائكة أن تجتمع عند البيت المعمور**».

قال النسفي: إن السماء الرابعة أربعة أركان: ركن من ياقوت أحمر، وركن من زبرجد أخضر، وركن من فضة، وركن من ذهب.

وفي العرائس: عن النبي ﷺ: «**في السماء الدنيا بيت يقال له: المعمور بإزاء الكعبة، فهبطت الملائكة من الرفيق الأعلى وأمر الله تعالى رضوان أن ينصب منبر الكرامة على باب البيت المعمور، وأمر ملكًا يقال له: راحيل أن يصعد على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله فارتجت السموات فرحًا وسرورًا، وأوحى الله تعالى إليه: أن اعقد عقدة النكاح فإني زوجت عليًا بفاطمة أمتي بنت محمد** ﷺ رسولي، فعقدت وأشهدت الملائكة وكتبت شهادتهم في هذه الحريرة، وأمرني ربي أن أعرضها عليك وأختمها بخاتم مسك أبيض وأدفعها إلى رضوان خازن الجنان»، قال المحب الطبري: فخطب النبي ﷺ فقال: «**الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المرهوب من عذابه وسطوته، النافذ أمره في سمائه وأرضه بحكمته، الذي خلق الخلائق بقدرته وميزهم بأحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد** ﷺ ومله، إن الله تبارك وتعالت

عظمته جعل المصاهرة سببًا لاحقًا وأمرًا مفترضًا وشج به الأرحام وألزم به الأنام، فقال عز من قائل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان :٥٤]، فأمر الله أن يجري بقضائه، وقضاؤه يجري بقدرته لكل قضاء قدر ولكل أجل كتاب، ثم إن الله تعالى أمرني أن أزوج فاطمة بنت خديجة بعلي بن أبي طالب فاشهدوا أني قد زوجته على أربعمائة مثقال فضة إن رضي بذلك»، فقال علي: رضيت يا رسول الله، فقال: «**جمع شملكما وأسعد جدكما وبارك عليكما وأخرج منكما الكثير الطيب**».

مسألة: قال في الروضة: يسن أن لا يزاد في الصداق على صداق أزواج النبي ﷺ وبناته وهو خمسمائة درهم، وتقدم خلافه في مناقب أزواجه وأقل الصداق وعند الإمامين ما يصح بيعه، وعند مالك ربع دينار، وعند أبي حنيفة عشرة دراهم والمراد بالدرهم الدرهم الشرعي: كل درهم بأربعة عشر قيراطًا.

قال الرازي -رحمه الله-: قالوا: تجوز المغالاة في مهور النساء لقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ [النساء :٢٠] ونهى عمر -رضي الله عنه- عن المغالاة فيه على المنبر فقالت امرأة: الله يعطينا وأنت تمنعنا وقرأت الآية فقال -رضي الله عنه-: النساء أفقه من عمر ورجع النهي، قال النسفي: سألت فاطمة -رضي الله عنها- النبي ﷺ أن يكون صداقها شفاعة لأمته يوم القيامة فإذا صارت على الصراط طلبت صداقها، ولما نزل قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم :٧١]، صار النبي ﷺ كالمهموم على أمته فسألوه عن ذلك فلم يجبهم، فأخبروا فاطمة بذلك فجاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ما يبكيك؟ فأخبرها بقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم :٧١] فبكت بكاء كثيرًا وتوجهت إلى أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- وقالت: يا شيخ المهاجرين قد أنزل الله على نبيه محمد ﷺ ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم :٧١] فهل لك أن تكون فداء لشيوخ أمة محمد ﷺ من النار؟ قال: نعم، ثم سألت عليًا أن يكون فداء لشباب أمة محمد، قال: نعم، ثم سألت الحسن والحسين أن يكونا فداءً لأطفال أمة محمد ﷺ من النار، فقالا: نعم، ثم جعلت نفسها فداءً لنساء أمة محمد ﷺ فنزل جبريل - عليه السلام - وقال يا محمد: إن الله يقرئك السلام ويقول لك: قل لفاطمة: لا تحزني فإني أفعل بأمتك ما تحبه فاطمة.

لطيفة: رأيت في الحقائق أن فاطمة -رضي الله عنها- بكت ليلة عرسها، فسألها النبي ﷺ عن ذلك فقالت: تعلم أني لا أحب الدنيا ولكن نظرت إلى فقري في هذه الليلة فخشيت أن يقول علي: بأي شيء جئت؟ فقال النبي: «**لك الأمان، فإن عليًا لم يزل راضيًا مرضيًا**»، ثم بعد ذلك تزوجت امرأة من اليهود وكانت كثيرة المال فدعت القسان إلى عرسها فلبسن أفخر ثيابهن، ثم قلن: نريد أن ننظر إلى بنت محمد وفقرها فدعونها فنزل جبريل بحلة من الجنة، فلما لبستها واتزرت بإزارها وجلست بينهن ورفعت الإزار، فلمعت الأنوار، فقالت النساء: من

أين هذا يا فاطمة؟ قالت: من أبي؟ فقلن: من أين لأبيك؟ قالت: من جبريل فقلن: من أين لجبريل؟ قالت: من الجنة، فقلن: نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فمن أسلم زوجها استمرت معه وإلا تزوجت غيره، وذكر ابن الجوزي أن النبي ﷺ صبغ لفاطمة قميصًا خلقًا فأرادت أن تدفع إليه القميص المرقع فتذكرت قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢] ، فدفعت إليه الجديد، فلما قرب الزفاف نزل جبريل، وقال: يا محمد إن الله يقرئك السلام وأمرني أن أسلم على فاطمة وقد أرسل لها معي هدية من ثياب الجنة من السندس الأخضر، فلما بلغها السلام وألبسها القميص الذي جاء به لفها رسول الله ﷺ بالعباءة ولفها جبريل - عليه السلام - بأجنحة حتى لا يأخذ نور القميص بالأبصار، فلما جلست بين الكافرات ومع كل واحدة شمعة ومع فاطمة سراج رفع جبريل - عليه السلام - جناحه ورفع العباءة وإذا بالأنوار قد أطبقت المشرق والمغرب فلما وقع النور على أبصار الكافرات خرج الكفر من قلوبهن وأظهرن الشهادتين، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- لما زوج النبي ﷺ عليًا بفاطمة قالت: يا رسول الله زوجتني برجل فقير، فقال: «**أما ترضين أن الله تعالى اختار من أهل الأرض فجعل رجلين أحدهما أباك والآخر بعلك**».

وفي الإحياء: أن النبي ﷺ دخل على فاطمة، فقال: «**السلام عليك يا ابنتاه كيف أصبحت؟ فقالت: والله قد أصبحت وجعة قد ضرني الجوع، فبكى النبي ﷺ**، ثم قال: «**لا تجزعي فوالله ما ذقت طعامًا منذ ثلاثة أيام وإني لأكرم الخلق على الله منك، لو سألت الله لأطعمني، ولكن آثرت الآخرة على الدنيا**»، ثم ضرب بيده منكبها، وقال: «**أبشري فوالله لقد زوجتك سيدًا في الدنيا والآخرة فاقنعي بابن عمك فإنك سيدة نساء أهل الجنة**»، قالت: أين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران؟ فقال: «**آسية سيدة نساء عالمها، ومريم سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك**».

وعن أيوب الأنصاري -رضي الله عنه-: عن النبي ﷺ قال: «**إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش: يا أهل الجمع نكسوا رءوسكم وغضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد ﷺ**» قيل: حتى لا يراها قاتل الحسين فيتعلق بها فتعفو عنه، وقد قضى الله عليه بالعذاب، فتمر ومعها سبعون ألف جارية من الحور العين كالبرق اللامع.

مسألة: **قال ابن الملقن في الخصائص**: **قال القاضي حين قالت فاطمة لعائشة** -رضي الله عنهما-: أنا أفضل منك؛ لأني بضعة من رسول الله، فقالت عائشة: أما في الدنيا فكما تقولين، وأما في الآخرة فأكون من النبي ﷺ في درجة فانظري إلى الفضل بين الدرجتين فسكتت فاطمة -رضي الله عنهما- عجزًا عن الجواب، فقامت عائشة وقبلت رأسها وقالت: يا ليتني شعرة من رأسك، قال ابن الملقن: وهذا لا يوجب التفضيل، قالت أسماء: أقبلت فاطمة بولدها الحسن فلم أرى لها دمًا فقلت: يا نبي الله لم أرى لفاطمة دمًا من حيض ولا نفاس فقال: «**أما علمت أن فاطمة طاهرة مطهرة؟**» وهى أصغر أولاده ﷺ.

قال العلائي: أولهم القاسم ولد قبل النبوة وبه يكنى، ولا يجوز التكنية لغيره بأبي القاسم، ثم زينب فتزوجها ابن خالها ابن الربيع، فلما هاجرت تركته على الشرك، ثم أسلم فردها إليه النبي ﷺ بالعقد الأول وقيل: بعقد جديد، ومن أولاده ﷺ عبد المطلب بلقبين الطيب والآخر الطاهر مات صغيرًا بمكة وأم كلثوم ورقية وأمامة وكلهم من خديجة -رضي الله عنهم- وإبراهيم من مارية القبطية عاش ثمانية عشر شهرًا، قال في الفصول المهمة: ولدت فاطمة -رضي الله عنها- قبل النبوة بخمس سنين وقريش تبني في البيت، وماتت وهي بنت ثمان وعشرين سنة في رمضان سنة إحدى عشرة، بعد النبي ﷺ بستة أشهر، وصلى عليها أبو بكر إمامًا بأمر علي -رضي الله عنهم أجمعين- قال النسفي: خرجت فاطمة ليلًا فخاطبتها ناقة النبي ﷺ العضباء التي أصابها من خيبر، فقالت: السلام عليك يا بنت رسول الله ألك حاجة إلى أبيك فإني ذاهبة إليه؟ فبكت فاطمة وجعلت رأسها في حجرها حتى ماتت في تلك الساعة، فكفنتها في عباءة ودفنتها، ثم كفوا عنها بعد ثلاثة أيام فلم يجدوا لها أثرًا فنطقها لها من بعض كرامتها، فإنها لم تنطق إلا لها ولأبيها قالت: يا رسول الله كنت لرجل من اليهود فكنت أخرج أرعى فينادى النبات إلي: فإنك لمحمد ﷺ وإذا كان الليل نادى السباع بعضهم بعضًا: لا تقربوها فإنها لمحمد ﷺ قال علي كرم الله وجهه: دخلت يومًا بيتي فرأيت النبي ﷺ والحسن عن يمينه والحسين عن يساره وفاطمة بين يديه، فقال: «**يا حسن يا حسين أنتما كفتا الميزان وفاطمة لسانه ولا تعدل الكفتان إلا باللسان ولا يقوم اللسان إلا على الكفتين، أنتما الإمامان ولإمكما شفاعة**»، ثم التفت إلي وقال: «**يا أبا الحسن أنت توفي أجورهم وتقسم الجنة بين أهلها يوم القيامة**»، قال ابن عباس -رضي الله عنهما- بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع عليهم نور فظنوه شمسًا وقالوا: إن ربنا يقول: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٣]، فيقول رضوان: هذه فاطمة وعلي ضاحكان فأشرقت الجنان بنور ضحكهما.

فوائد: الأولى: عن النبي ﷺ قال: «**على من أراد حاجة فليبكر في طلبها يوم الخميس وليقرأ إذا خرج من منزله آية الكرسي وآخر آل عمران وإنا أنزلناه في ليلة القدر، والفاتحة، فيها قضاء حوائج الدنيا والآخرة**».

الثانية: في صحيح مسلم قال ﷺ: «**يا فاطمة قولي: اللهم رب السموات السبع ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر**».

الثالثة: قالت فاطمة -رضي الله عنها-: رغب النبي في الجهاد وذكر فضله فسألته الجهاد فقال: «**ألا أدلك على شيء يسير وأجره كثير؟ ما من مؤمن ولا مؤمنة يسجد عقب الوتر سجدتين،**

ويقول في سجوده: سبوح قدوس رب الملائكة والروح خمس مرات لا يرفع رأسه حتى يغفر الله له ذنوبه كلها، وإن مات في ليلته مات شهيدًا» وزاد في التتارخانية: لما ذكر هذا الحديث في باب صلاة الوتر: «**وأعطاه الله مائة حجة ومائة عمرة ويبعث الله له ألف ملك يكتبون الحسنات، وكأنما أعتق مائة رقبة واستجاب الله دعاءه ويقرأ بين السجدتين آية الكرسي**»، والله تعالى أعلم.

باب: مناقب الحسن والحسين -رضي الله عنهما-

قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩-٢٠] أي بحر النبوة من فاطمة وبحر الفتوة من علي -رضي الله عنه- بينهما حاجز من التقوى، فلا تبغي فاطمة على علي ولا يبغي على علي فاطمة، يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين -رضي الله عنهما- قال ابن عباس -رضي الله عنهما- مرج البحرين أي بحر السماء وبحر الأرض، فإذا وقع ماء بحر السماء على الأرض صارًا لؤلؤًا، وكان الحسن أول أولاد فاطمة الخمسة والحسن والحسين، والمحسن كان سقطًا، وزينب الكبرى وزينب الصغرى المكناة بأم كلثوم ولدت في حياة النبي ﷺ قال البرماوي في شرح البخاري: خطبها عمر من علي -رضي الله عنهما- فقال: أبعثها إليك فإن رضيتها فقد زوجتكها، فبعثها أبوها ببرد وقال لها: قولي لعمر: هذا البرد الذي قال لك أبي عنه، فلما قالت ذلك قال عمر: قولي له: رضيت -رضي الله عنك وعنه-، ثم وضع يده على ساقها، قالت: تفعل هذا لولا أنك أمير المؤمنين لكسرت أنفك، ثم رجعت إلى أبيها، وقالت: بعثتني إلى شيخ سوء فقال: يا بنية إنه زوجك.

قال المحب الطبري: ولد الحسن في النصف الثاني من رمضان في ثلاث من الهجرة، قال علي -رضي الله عنه-: لما حضرت ولادة فاطمة، قال النبي ﷺ لأسماء بنت عميس وأم سلمة -رضي الله عنهما-: «**أحضراها فإذا وقع ولدها واستهل صارخًا فأذنا في أذنه اليمنى، وأقيما في أذنه اليسرى، فإنه لا يفعل ذلك بمثله إلا عصم من الشيطان**» فلما كان اليوم السابع سماه النبي ﷺ حسنًا.

وقال النسفي: لما ولدت فاطمة الحسن قال النبي ﷺ لعلي: «**سمه، فقال: ما يسميه إلا جده، فقال النبي ﷺ**: ما كنت لأسبق تسمية ربي فجاء جبريل، وقال: يا محمد إن الله يهنئك بهذا المولود ويقول لك: سمه باسم ابن هارون سير» ومعناه حسن ولما ولدت الحسين، قال: يا محمد إن الله يهنئك بهذا المولود ويقول لك: سمه باسم ابن هارون سبير ومعناه حسين.

موعظة: قال وهب: كان يسرج في بيت المقدس كل ليلة ألف قنديل وكان يخرج من طور سيناء زيت مثل عنق البعير حتى يقع في القناديل من غير أن يمسه أحد وكانت تنزل نار بيضاء من السماء فتسرج بها القناديل بيد سير وسبير أولاد هارون وكانا قد أمرا أن لا يشعلا بنار الدنيا فاستعجلا ليلة فأسرجا بنار الدنيا فأحرقتهما النار فبلغ موسى ذلك، فقال: يا إلهي قد علمت

منزلة أولاد أخي مني فأوحى الله تعالى إليه هكذا أفعل بمن عصاني من أوليائي فكيف أفعل بأعدائي ومن عصاني؟ وقال أنس - رضي الله عنه - من أسرج من المسجد سراجًا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام ذلك الضوء في المسجد، قال جعفر الصادق - رضي الله عنه- في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة:٣٧]، كان آدم وحواء جالسين فجاءهما جبريل وأتى بهما إلى قصر من ذهب وفضة شرفاته من زمرد أخضر فيه سرير من الياقوت أحمر وعلى السرير قبة من نور فيها صورة فاطمة وعلى رأسها تاج وفي أذنيها قرطان من لؤلؤ وفي عنقها طوق من نور فتعجبت حواء من نورها وتعجب آدم من نورها حتى نسي حسن حواء، فقال: ما هذه الصورة؟ قال: فاطمة، والتاج أبوها، والطوق زوجها، والقرطان الحسن والحسين، فرفع آدم رأسه إلى القبة فوجد خمسة أسماء مكتوبة من النور: أنا المحمود وهذا محمد وأنا الأعلى وهذا علي وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا المحسن وهذا الحسن، منى الإحسان وهذا الحسين، فقال جبريل: يا آدم احفظ هذه الأسماء فإنك تحتاج إليها فلما هبط آدم بكى ثلثمائة عام، ثم دعا بهذه الأسماء، وقال: يا رب بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين يا محمود يا أعلى يا فاطر يا محسن اغفر لي وتقبل توبتي، فأوحى الله إليه: يا آدم لو سألتني في جميع ذريتك لغفرت لهم.

فائدة: قال الكسائي: عن وهب: الكلمات التي تلقاها آدم من ربه: لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملتُ سوء وظلمتُ نفسي فتب علي يا خير التوابين، من قالها في سجوده خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وعن النبي ﷺ: **«حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينًا»** رواه الترمذي وحسنه. وحجب الله اسم الحسن والحسين حتى سمى بهما النبي ﷺ ابني فاطمة -رضي الله عنهم- قال في الفصول المهمة: حملت فاطمة بالحسين بعد ولادة الحسن بخمسين ليلة، وقال غيره: لم يكن بينهما إلا طهر واحد.

مسألتان: الأولى: يسن أن يعق عن الغلام بشاتين، وإن حصل أصل السنة بواحدة كالجارية ويستحب أن تذبح أول النهار يوم السابع من الولادة ويحسب يوم الولادة من السبعة بالنسبة للختان: والفرق تقدم في المولد الشريف، وأن يقول عند ذبحها: بسم الله اللهم منك ولك وإليك عقيقة فلان، ويستحب أن يسمى المولود يوم السابع بعبد الله أو عبد الرحمن؛ لأنهما أحب الأسماء إلى الله تعالى، ولا بأس بالتسمية قبله، ويسن أن يحلق رأسه يوم السابع بعد ذبحها ويتصدق بزنته ذهبًا أو فضة ولا تفوت العقيقة بالتأخير عن سبعة ولكن لا تأخر إلى البلوغ. والنبي ﷺ عق عن نفسه بعد البلوغ.

موعظة: قال الإمام أحمد: إذا لم يعق الوالد عن ولده لم يشفع له يوم القيامة.

الثانية: يستحب ختانه يوم السابع في ختانه قبل عشر سنين؛ لأن ألمه فوق ألم الضرب على الصلاة، ولا يضرب عليها إلا بعد عشر سنين. وقال مكحول: ختن إبراهيم إسحاق لسبعة أيام

وإسماعيل لسبع عشرة سنة، والختان واجب عند الإمامين بعد البلوغ وقال أبو حنيفة ومالك باستحبابه، قال في الفصول المهمة: لما مات علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- خطب الحسن فحمد الله وأثنى عليه وصلى جده محمد ﷺ، ثم قال: لقد قبض الله تعالى في هذه الليلة رجلاً لم يسبقه الأولون ولم يدركه الآخرون كان يجاهد مع النبي ﷺ فيقيه بنفسه وماله وكان يوجهه برايته فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره، وبكى الناس، ثم قال: أنا ابن البشير النذير أنا ابن السراج المنير أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه أنا ابن الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا أنا ابن أهل بيت فرض الله تعالى محبتهم ومودتهم في كتابه، فقال عز وجل: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[الشورى:٢٣]، فقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: فقال معاشر المسلمين هذا ابن نبيكم فبايعوه فبايعه الناس فبلغ ذلك معاوية فأرسل إلى الكوفة والبصرة ليفسد على الناس الأمر فكان ما كان حتى نفذ أمر الله وسقت الحسن زوجته السم وأخذت على ذلك مائة ألف درهم ووعدها يزيد أن يتزوجها، فلما قتل الحسن بالسم نفر منها ولم يرض بتزوجها بعد أن أسلم الأمر إلى معاوية ومات الحسن سنة خمسين وله من العمر سبع وأربعون سنة ودفن بالبقيع عند جدته فاطمة بنت أسد قال النسفي وغيره: وقتل الحسين يوم الجمعة عاشر المحرم عام إحدى وستين وله من العمر ست وخمسون سنة وكسفت الشمس يوم موته فبطل قول المنجمين: إن الكسوف لا يكون إلا في ثامن وعشرين أو تاسع وعشرين.

ورأيت في ربيع الأبرار: عند هند بنت الحارس، قالت: نزل النبي ﷺ خيمة خالتها أم معبد واسمها: عاتكة فغسل يديه، ثم تمضمض ومج في عوسجة إلى جانب الخيمة فأصبحت كأعظم شجرة وجاءت بثمر في لون الورد ورائحة العنبر ما أكل منها جائع إلا شبع، ولا ظمآن إلا روي ولا سقيم إلا شفي ولا أكل ورقها بعير ولا شاة إلا كثر لبنها فكنا نسميها المباركة فأصبحنا ذات يوم قد سقط ورقها وصغر ثمرها ففزعنا من ذلك فجاء الخبر بأن النبي قد مات، ثم بعد ثلاثين سنة أصبحت ذات شوك من أسفلها ومن أعلاها وذهبت بهجتها فجاء الخبر بموت علي، فما أثمرت بعد ذلك فكنا ننتفع بورقها، ثم أصبحنا ذات يوم والدم ينبع من أصلها وسقط ورقها فجاء الخبر بقتل الحسين -رضي الله عنه- قال النبي لعلى وفاطمة: جعل الله منكما الكثير الطيب فوالله لقد خرَّج الله منهما الكثير الطيب.

قال في مجمع الأحباب: أولاد الحسن خمسة عشر ذكرًا، وثمان بنات، وقال غيره: أحد عشر فيهم بنت واحدة وهي أم محمد بن علي الباقر، وكان للحسين عشرة أولاد أربع بنات وستة ذكور.

لطيفة: تسرى الحسين بجارية من بنات كسرى فولدت عليًا الملقب بزين العابدين والد السيدة نفيسة، وذلك أن بنات كسرى الثلاثة جيء بهن إلى عمر فأراد بيعهن فقال علي -

كرم الله وجهه -: بنات الملوك لا يبعن، فقومهن فأعطاه ثمنهن فوهب واحدة لولده الحسين فولدت له عليًا، وواحدة لمحمد بن أبي بكر فولدت له القاسم، وواحدة لعبد الله بن عمر فولدت له سالمًا، وعن النبي ﷺ: «**بئس المال في آخر الزمان المماليك**» وقال مجاهد: إذا كثرت الخدام كثرت الشياطين.

فائدة: قال على رضي الله عنه: أخذ النبي ﷺ بيد الحسن والحسين وقال: «**من أحبني وأحب هذين وأباهما كان معي في درجتي يوم القيامة**».

لطيفة: قال النسفي: كتب الحسن والحسين في لوحين وقال كل واحد منهما: خطي أحسن فتحاكما إلى أبيهما فرفع الحكم إلى فاطمة، فرفعت الحكم إلى جدهما، فقال: لا يحكم بينهما إلا جبريل فقال جبريل: لا يحكم بينهما إلا رب العالمين، فقال الله تعالى: يا جبريل خذ تفاحة من الجنة واطرحها على اللوحين فمن وقعت على خطه فهو أحسن فلما ألقاها قال الله تعالى: كوني نصفين، فوقع نصفها على خط الحسن والنصف الآخر على خط الحسين ونزل جبريل بتفاحة من الجنة وألقها إلى النبي ﷺ وعنده الحسن والحسين فطلبها كل واحد منهما، فقال جبريل: دعهما يتصارعان فمن غلب أخذها فكان جبريل مع الحسين والنبي مع الحسن فلم يغلب أحدهما الآخر فنزل عليهما بتفاحة أخرى، وفي بعض الأيام قالت فاطمة: يا رسول الله إن الحسن والحسين قد غابا عنى ولا أعلم بموضعهما، فقام النبي إلى ذلك المكان فوجدهما نائمين متعانقين قد جعل الملك أحد جناحيه تحتهما والآخر فوقهما فقبلهما النبي فانتبها فجعل النبي أحدهما على عاتقه الأيمن والآخر على الأيسر فتلقاه أبو بكر، فقال: يا رسول الله ناولني أحد الصبيين لأحمله عنك فقال النبي: «**نعم المطي مطيتهما ونعم الراكبان**»، فلما دخل المسجد قال: يا معشر المسلمين ألا أدلكم على خير الناس جدًا وجدة؟ قالوا: نعم، قال: الحسن والحسين جدهما رسول الله وجدتهما خديجة، ألا أدلكم على خير الناس أبًا وأمًا؟ قالوا: نعم قال: الحسن والحسين أبوهما علي وأمهما فاطمة، ألا أدلكم على خير الناس عمًا وعمة؟ قالوا: نعم، قال: الحسن والحسين عمهما جعفر وعمتهما أم هانئ، ألا أدلكم على خير الناس خالاً وخالة؟ قالوا: نعم، قال: الحسن والحسين خالهما القاسم ابن رسول الله وخالتهما زينب بنت رسول الله ﷺ.

فائدة: رأيت في مجمع الأحباب عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ: «**اطلبوا الخير عند حسان الوجوه**».

وفي ربيع الأبرار: عن النبي ﷺ: «**أحشر أنا والأنبياء في صعيد واحد فينادي مناد: معاشر الأنبياء تفاخروا، فافتخرت أنا بولدي الحسن والحسين**»، وعن النبي ﷺ: «**ريح الولد من ريح الجنة**».

وفي ربيع الأبرار: عن النبي ﷺ: «**الولد ريحان من الجنة**» وعن النبي ﷺ: «**الولد في الدنيا**

سرور وفي الآخرة نور» وعن النبي ﷺ: **«من كان له بنت فهو متعب ومن كان له بنتان فهو مثقل ومن كان له ثلاث بنات فيا عباد الله أعينوه، فإنه معي في الجنة وجمع بين أصبعيه»** قاله في مجمع الأحباب: وعن النبي ﷺ: **«أكثروا من تقبيل أولادكم فإن لكم بكل قبلة درجة»**.

باب: مناقب العباس - رضي الله عنه -

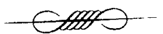
قال النبي ﷺ: **«ألا أبشرك يا عم؟»** قال: بلى قال: **«إن الله تعالى بنى لإبراهيم - عليه السلام - قصرًا من ياقوتة خضراء، وبنى لي قصرًا من ياقوتة بيضاء وبنى لك قصرًا من ياقوتة حمراء فأنت بين حبيب وخليل»** وقال له النبي ﷺ يومًا: **«يا عم اتبعني ببنيك فتبعه بهم فغطاهم بشمله** وقال: **اللهم إن هذا عمي وأهل بيتي وعترتي فاسترهم من النار كما سترتهم بهذه الشملة»** فما بقي باب ومدر إلا قال: آمين آمين آمين، وقال النبي ﷺ: **«اللهم اغفر للعباس ولولد العباس ولمن أحبهم»** وقال النبي ﷺ: **«من آذى عمي فقد آذاني»** قال عمر -رضي الله عنه- على المنبر: أيها الناس إن النبي ﷺ كان يرى العباس كما يرى الولد لوالده ويعظمه ويفخمه فاقتدوا أيها الناس برسول الله ﷺ في عمه واتخذوه وسيلة إلى الله تعالى فيما نزل بكم، قال المحب الطبري: هذا الحديث صحيح، مات العباس -رضي الله عنه- سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: سنة أربع وثلاثين، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، أدرك في الإسلام اثنتين وثلاثين سنة ودفن بالبقيع، قال مؤلفه -رحمه الله تعالى-: وقد زرت قبره والحمد لله وفي الصحابة العباس بن مرداس - رضي الله عنهما- قبره بالبقيع وقد زرت قبره أيضًا، والله أعلم.

باب: مناقب حمزة -رضي الله عنه-

فهو عم النبي ﷺ وابن بنت عم أمه وأخوه من الرضاعة، كما تقدم في المولد الشريف، وكان له ﷺ اثنا عشر عمًّا أدرك الإسلام منهم أربعة، أبو طالب مات كافرًا، وحمزة أسلم، والعباس أسلم، وأبو لهب مات كافرًا وهو أكبرهم سنًّا كناه الله تعالى بذلك؛ لأن اسمه: عبد العزى، والعزى: صنم ولم يصف العبودية في كتابه لصنم؛ ولأن الاسم أشرف من الكنية فحطه الله من الأعلى إلى الأدنى وكان أهله يريدون أن يسموه لكثرة جماله بأبي النور أو بأبي الضياء مع اتفاق أبويه على أحد الكنيتين فصرفهما وأجرى على ألسنتهما الكنية الأولى لتطابق المكنى.

أسلم حمزة في السنة الثانية من النبوة وسبب إسلامه أنه كان في الصيد فمر أبو جهل بالصفا فوجد النبي ﷺ فسبه وآذاه فلم يرد عليه النبي ﷺ وهناك جارية تسمع، فلما جاء حمزة أخبرته الجارية فغضب وأتى أبا جهل فضرب رأسه بالقوس وشجه، وقال أتسب محمدًا وأنا على دينه وأنا كما يقول محمد؟ فرفعت قريش عن محمد بإسلام حمزة. قال النبي ﷺ: **«والذي نفسي بيده إنه مكتوب عند الله في السماء السابعة حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد الرسول»**

وقال ﷺ: «**خير أعمامي حمزة**» وقال أبو هريرة -رضي الله عنه-: لما قتل حمزة ورآه النبي ﷺ قد مثل به بكى بكاء كثيرًا وقال: «**رحمك الله يا عم لقد كنت وصولاً للرحم فعولاً للخيرات فوالله؛ لأن أظفرني الله بالقوم لأمثلن بسبعين منهم فنزل عليه في مكان** ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ [النحل:١٢٦]، فقال النبي ﷺ: «**بل أصبر**» وكفر عن يمينه. وكان مقتله -رضي الله عنه- في غزوة أحد على رأس اثنين وثلاثين شهرًا من الهجرة وهو ابن تسع وخمسين سنة.



باب: فضائل هذه الأمة المرحومة زادها الله شرفًا وإكرامًا وذكر بعض من فيها من العلماء والأولياء بأسمائهم وتواريخهم وذكر إبراهيم وموسى وعيسى والخضر وإلياس -عليهم الصلاة والسلام-

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة :١٤٣] ، قال الرازي في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران :١١٠] ، أخرجت أي خلقت أي صرتم خير أمة؛ لأنكم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله، وقال النبي ﷺ: «**من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر كان خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه**» وقدم الأمر بالمعروف؛ لأنه أخف من النهي عن المنكر.

فإن قيل: الأمر والنهي فرع والإيمان أصل فكيف قدم الفرع على الأصل؟.

فالجواب: أن الإيمان اشترك فيه جميع الأمم والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من محاسن هذه الأمة.

فإن قيل: قد شاركهم في ذلك غيرهم.

فالجواب: أنهم يأمرون بالمعروف وهو الإسلام وينهون عن المنكر وهو الكفر بالسيف وغيرهم كان ينهى عن المنكر بلسانه، قال ابن عباس -رضي الله عنهما- أعطى الله أمة محمد ﷺ تشريفًا بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب :٤٣] ، ثم قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: أعندي أشرف من هذا؟ قال الله تعالى لموسى - عليه السلام -: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه :٦٨] ، وقال لهذه الأمة: ﴿وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران :١٣٩] ، وقال لإبراهيم - عليه السلام -: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء :١٢٥] ، وقال لهذه الأمة: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة :٥٤] ، وقال لموسى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء :١٦٤] ، وقال لهذه الأمة: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة :١٥٢] ، وقال لعيسى: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة :٨٧] ، وقال لهذه الأمة: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة :٢٢] ، وقيل لمحمد ﷺ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى :٥] وقال لأمته: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة :٨] ، وقال أيضًا: دخل النبي ﷺ على أم هانئ فقال عندها وضحك في نومه ثلاث مرات فلما استيقظ سألته، فقال: «**قال لي جبريل: إن الله تعالى قد وهب لك جميع أمتك فضحكت وسمعت صوتًا، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا صوت الجنة تقول كل يوم خمس مرات: واشوقاه إلى أمة محمد ﷺ**» وكونها تقول خمس مرات إشارة إلى الصلوات الخمس «**وعرضت علي الأمم فرأيت أمتي وجوههم كالقمر ليلة البدر**»، وقال سعد بن أبي وقاص - أحد العشرة - خرجنا مع النبي ﷺ من مكة نريد المدينة، فلما كنا قريبًا من عزور انزل، ثم رفع يديه ودعا ساعة، ثم خرَّ ساجدًا، ثم قام فرفع يديه ودعا ساعة، ثم خر ساجدًا،

ثم قام فرفع يديه ودعا ساعة، ثم خر ساجدًا فسألناه عن ذلك فقال: «**سألت ربي وشفعت لأمتي فأعطاني ثلثها فسجدت شكرًا لربي، ثم سألته فأعطاني ثلثها فسجدت شكرًا لربي، ثم سألته فأعطاني ثلثها الآخر فسجدت شكرًا لربي**»، رواه أبو داود، في الخبر: خلق الله تعالى للعرش ثلثمائة برج كل برج طوله ألف عام وبين البرج والبرج كذلك وخلق بينهم ملائكة كالجن والإنس يقولون: اللهم اغفر لعصاة أمة محمد ﷺ. ورأيت في النور للطوسي -رضي الله عنه- أوحى الله تعالى إلى شعيب - عليه السلام -: قل لبني إسرائيل: سميتكم أحبابي فهان عليكم ذلك، وسأوثر بهذا الاسم من يطعني ويعقل أمري هم قوم إذا زكت أعمالهم أو كثرت علموا أن ذلك مني وإذا أقسموا لم يقسموا بغيري أبعث إليهم نبيًا أميًا مختارًا أجعل أمته خير أمة رعاة للشمس، يعني يراعون بها أوقات الصلاة فيبادرون إلى أدائها، يصلون لي قيامًا وقعودًا يطهرون الوجوه والأطراف ينادى مناديهم من جو السماء لهم دوي كدوي النحل إذا غضبوا هللوني، وإذا فزعوا كبروني، وإذا تنازعوا سبحوني، قال الطوسي: من رحمة الله بهذه الأمة أن جعلهم آخر الزمان وجعل أعمارهم قصيرة وضاعف لهم الثواب، ويؤيده قول النبي ﷺ: «**اللهم أعط أمتي ثوابهم وأكثر من طاعتهم فإن أعمارهم قصيرة**»، فقال الله تعالى: ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [القصص:٥٤]، فقال: يا رب زدهم فقال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام:١٦٠]، قال: يا رب زدهم، قال: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة:٢٦١]، قال: يا رب زدهم قال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠].

لطيفة: رأيت في كتاب البركة: نزل جبريل على النبي ﷺ سبع مرات:

الأولى: يقول الله تعالى: يا محمد من أطاعني من أمتك جازيته كما ينبغي.

الثانية: انظر إلى جوارحهم السبعة فإن عصوني بستة وأطاعوني بواحدة وهبت الستة للواحدة.

الثالثة: من تاب منهم بالمعصية أخرجته من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

الرابعة: من أصر منهم على ذنب بليته بالأسقام حتى أطهره.

الخامسة: من أذنب ذنبًا ويعلم أنه قد أساء غفرت له ولا أبالي.

السادسة: أفتح عليهم الهاوية أربعين يومًا في الصيف والزمهرير أربعين يومًا في الشتاء؛ ليكون ذلك حظهم من النار يوم القيامة.

السابعة: إذا قامت القيامة، أحاسبهم حساب المولى الكريم للعبد الضعيف.

حكاية: قال وهب بن منبه: اشتريت جارية أعجمية فأصبحت فصيحة فسألتها عن ذلك فقالت: رأيت في المنام كأن الدنيا صارت جمرة نار وفيها طريق إلى الجنة، فأقبل موسى - عليه السلام - وخلفه اليهود فالتفت إليهم، وقال: أنا أمرتكم أن تتهودوا فسقطوا يمينًا

وشمالاً، ثم أقبل عيسى وخلفه النصارى فالتفت إليهم وقال: أنا أمرتكم أن تتنصروا فسقطوا يمينًا وشمالاً، ثم أقبل محمد ﷺ ومعه أمته فالتفت إليهم وقال: أمرتكم أن تؤمنوا بربكم فآمنتم فلا تخافوا ولا تحزنوا ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]، فمروا خلفه حتى دخلوا الجنة وبقيت أنا مع امرأتين على النار فقال الله تعالى: انظروا هل قرأتما قرآنًا؟ فقال ملك: هل قرأتما الفاتحة؟ فانتهيت وأنا فصيحة ليس بلساني عجمة، فعلمني يا مولاي الفاتحة، قاله في روض الأفكار.

فائدة: قال أبو هريرة وابن عباس -رضي الله عنهما-: من تولى أذان مسجد من مساجد الله يريد بذلك وجه الله أعطاه الله ثواب أربعين ألف نبي وأربعين ألف صديق وأربعين ألف شهيد، ويدخل في شفاعته أربعون ألف أمة في كل أمة أربعون ألف رجل وله في كل جنة من الجنان أربعون ألف مدينة في كل مدينة أربعون ألف قصر في كل قصر أربعون ألف دار في كل دار أربعون ألف بيت في كل بيت أربعون سرير على كل سرير زوجة من الحور العين بين يدي كل زوجة أربعون ألف وصيفة في يد كل وصيفة أربعون ألف مائدة على كل مائدة أربعون ألف قصعة، في كل قصعة لون من طعام وعليها من الحلي والحلل ما لا يعلم عدده إلا الله تعالى رأيته في تحفة الحبيب فيما زاد على الترغيب والترهيب.

لطيفة: قال النبي ﷺ: «**من بلغه عن الله فضيلة فلم يصدقها لم ينلها**» وقال جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ: «**من بلغه عن شيء فيه فضيلة فأخذ به إيمانًا ورجاء ثواب أعطاه الله ذلك وإن لم يكن كذلك**» وعن سمرة بن جندب -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ: «**من توضأ فأسبغ الوضوء، ثم خرج من بيته يريد المسجد فقال حين يخرج: بسم الله** ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨]، هداه الله لصواب الأعمال ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ [الشعراء: ٧٩]، أطعمه الله من طعام الجنة وسقاه من شرابها ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]، جعل الله مرضه كفارة لذنوبه ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء: ٨١]، أحياه الله تعالى حياة السعداء وأماته إماتة الشهداء ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢]، غفر الله له خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [الشعراء: ٨٣]، وهب الله له حكمًا وألحقه بصالحي من مضى وصالحي من بقي ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]، كتب عند الله صديقًا ﴿وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ [الشعراء: ٨٥]، جعل الله له المنازل في الجنة»، قال سمرة -رضي الله عنه- لقد سمعته من النبي ﷺ أكثر من عشر مرات، وعن النبي ﷺ: «**ليس من أعياد أمتي عيد أفضل من يوم الجمعة، وركعتان فيه أفضل من ألف ركعة في غيره، وتسبيحة فيه أفضل من ألف تسبيحة في غيره**» وتقدم في الجمعة أن يوم الجمعة خاص بهذه الأمة، وعن النبي ﷺ: «**من صام يوم الخميس والجمعة والسبت من الأشهر الحرم كتب الله له عبادة سبعمائة سنة**» ذكره في تحفة الحبيب فيما

زاد على الترغيب، وأما استغفار الملائكة والدعاء لهذه الأمة من الأنبياء وغيرهم فلا يخفى.
وتقدم أن إبراهيم - عليه السلام - قال في عرفة: اللهم لا تعذب أحدًا من أمة محمد ﷺ، فقال جبريل: الله أكبر، فقال إسماعيل: لا إله إلا الله ولله الحمد، قال النسفي وغيره: خُلق العرش على ثلثمائة وستين قائمة على قائمة دور الدنيا بين القائمة والقائمة خفقان الطير المسرع ثمانين ألف سنة، وخلق الله للعرش ألف ألف وستمائة رأس في كل رأس ألف ألف وستمائة وجه في كل وجه ألف ألف وستمائة فم في كل فم ألف ألف وستمائة لسان في كل لسان ألف ألف وستمائة لغة، يسبحون لله تعالى ويقدسونه لأمة محمد ﷺ.

قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: دخل النبي ﷺ المسجد فوجد رجلًا ساجدًا، وهو يقول: اللهم أعتقني من النار فإن لم تفعل فاجعلني فداء لأمة محمد ﷺ فقال النبي ﷺ: «**أبشر بالجنة لما بلغ من شفقتك على أمتي**» فمات في الحال فأدخله النبي ﷺ قبره وصار يقول: أنت أنت سبعين مرة، ثم خرج من قبره وإزاره مشقوق، فقيل يا رسول الله: ما هذا؟ قال: «**نزلت الحور العين فتنازعن فأصلحت بينهن فمن غضب أكثر ممن رضي**»، قال المقداد بن الأسود: دخلت على أبي هريرة -رضي الله عنه- فسمعته يقول: قال النبي ﷺ: «**تفكر يوم خير من عبادة سنة**»، ثم دخلت على ابن عباس فسمعته يقول: قال النبي ﷺ: «**تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة**» فدخلت على النبي ﷺ فأخبرته بذلك، فقال: «**صدقوا ادعهم لي**»، فدعوتهم، فسأل أبا هريرة عن تفكره فقال: في خلق السموات والأرض، فقال: تفكرك أفضل من عبادة سنة، نظر النبي ﷺ إلى السماء، وقال: «**تبارك خالقها ورافعها وممددها وطاويها طي السجل**»، ثم نظر إلى الأرض، وقال: «**تبارك خالقها ورافعها وممددها وطاويها وداحيها**»، وعن النبي ﷺ: «**لقد أنزلت علي آية ويل لمن قرأها ولم يتفكر**» وفي رواية: «**ويل له ويل له عشر مرات**» وهي: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:١٦٤]، ثم سأل ابن عباس -رضي الله عنهما- عن تفكره فقال: في الموت وأهواله، فقال: تفكرك خير من عبادة سبع سنين، وقال أبو هريرة: ما من دعاء أحب إلى الله تعالى من قول العبد: اللهم اغفر لأمة محمد وارحمهم رحمة عامة، قال في البردة:

لعل رحمة ربي حين يقسمها ... تأتي على حسب العصيان في القسم

قال في حقائق العقائق: قال جعفر الصادق: خلق الله ثلاث بسط من نور، سعة كل بساط ألف عام، فسمى الأول: بساط القربة والثاني: بساط الخدمة والثالث: بساط المحبة فأجلس نور محمد ﷺ على كل بساط ألف عام، ثم أمره أن يصلي على بساط الخدمة ركعتين فبكى في تكبيرة الإحرام ألف عام، وفي القيام كذلك وفي الركوع كذلك وفي الاعتدال كذلك وفي السجود كذلك وفي الجلوس بين السجدتين كذلك وفي السجدة الثانية كذلك وهكذا في الركعة الثانية، وبقى في السلام على اليمين ألف عام وفي السلام على الشمال كذلك، ثم قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير، اللهم

إني روح لطيف فاجعلني في بدن عزيز وابعثني إلى خلقك ليؤمنوا بوحدانيتك، وأدعوهم إلى خدمتك فإن قصروا فأنت الموصوف بالكرم والرحمة من الأزل إلى الأبد، واقبل شفاعتي فيهم، فأجابه الحق سبحانه وتعالى أقبل شفاعتك وأجود عليهم بالرحمة، وقيل: إنه ﷺ بكى عند الموت فسأله جبريل عن ذلك فقال: «**أخاف على أمتي أن يعذبهم الله**» قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾[الأنفال :٣٣] ، ثم غاب جبريل، ثم قال: إن الله يقرئك السلام ويقول لك: كن طيب النفس على أمتك فإن شفقتي عليهم أكثر من شفقتك ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[الأنفال :٣٣] ، وقال النبي ﷺ: «**كتب الله كتابًا قبل أن يخلق الخلق بألف عام في ورقة آس، ثم وضعها على العرش، ثم نادى: يا أمة محمد إن رحمتي سبقت غضبي أعطيتكم قبل أن تسألونى، وغفرت لكم قبل أن تستغفرونى**» قال النبي ﷺ: «**الله أرحم بأمتي من الوالدة الشفوق بولدها**» وعنه ﷺ: «**ما أمن أمة إلا وبعضها في النار وبعضها في الجنة وأمتي كلها في الجنة**» وعن أبي موسى الأشعرى عن النبي ﷺ: «**أمتي مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة، عجل عقابها في الدنيا بالزلازل والفتن، فإذا كان القيامة ودفع إلى كل رجل من أمتي رجل من أهل الكتاب فقيل: هذا فداؤك من النار**».

في ذكر إبراهيم - عليه السلام -

ابن آزر وهو تارح بمثناة فوقية وفتح الراء وحاء مهملة، قال العلائى في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[الإسراء :٧٩] : قال النبي ﷺ: «**أما ترضون أن يكون إبراهيم وعيسى فيكم يوم القيامة، أما إبراهيم فيقول: أنت دعوتي فاجعلني من أمتك**» وذكره في الشفاء أيضًا.

حكاية: رأى إبراهيم في منامه جنة عرضها السموات والأرض أشجارها لا إله إلا الله وأغصانها محمد رسول الله وثمارها سبحان الله والحمد لله، مكتوب على الأبواب: أُعدت لمحمد وأمته، فلما أصبح قص رؤياه على قومه فقالوا: ومن محمد وأمته؟ قال: لا أعلم فجاء جبريل وقال: إن الله تعالى يقول: محمد حبيبي وخيرتي من خلقي لولاه ما خلقت الدنيا ولا الجنة ولا النار وهو آخر نبي في الدنيا وأول شافع في القيامة وأمته أكرم الأمم على الجنة محرمة على الخلق حتى يدخلها محمد وأمته، وقال مقاتل: ذكر الله تعالى إبراهيم في القرآن في أحد وسبعين موضعًا منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾[الأنبياء :٥١] ، أي صلاحه وهداه من قبل بلوغه، قال الكواشي: وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: من قبل موسى وسماه الله تعالى شجرة بقوله تعالى: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾[النور: ٣٥] ؛ لأن الأنبياء من ذريته، كان مولده زمن النمروذ فبينما هو في داره وإذا بطائرين أبيضين، فقال أحدهما: ويلك يا نمروذ أنا طائر المشرق وهذا طائر المغرب وقد جاءتنا البشارة بظهور إبراهيم فإذا دعاك إلى الله فلا تكذبه، فأخبر آزر بذلك فقال: من مردة الجن، ثم نام تلك الليلة فرأى في منامه كأن بين عينيه ثورًا عظيمًا ضربه فقلع عينيه، فسأل المعبرين عن ذلك، فقالوا: لعل هذا من أخلاف

الأطعمة، فلما خرجوا من عنده قالوا: هذه الرؤيا تدل على زوال ملكه، ثم نام فرأى كأن القمر خرج من ظهر آزر واتصل نوره من الأرض إلى السماء وسمع قائلاً يقول: جاء، فأخبر آزر بذلك فقال: هذا من كثرة عبادتي للأصنام وخدمتي لهم، ثم نام النمروذ في تلك الليلة فرأى كأن سريره قد استدار بالأسرة وإذا برجل على سريره وهو من أحسن الناس وجهًا، في يده اليمنى الشمس وفي الأخرى القمر، فقال الرجل: اعبد إلهك، فقال النمروذ: وهل من إله سواي؟ قال: نعم إله الأرض والسماء، ثم قال لسريره: تزلزل بقدرة الله تعالى فتزلزل حتى سقط النمروذ عنه فانتبه النمروذ مرعوبًا فأخبر آزر بذلك، فقال: هذا يدل على زيادة الملك، ثم نام فرأى النمروذ نورًا ساطعًا من الأرض بعد موتها فأخبر الكهان بذلك وقال: إن لم تخبروني بهذه الرؤية وإلا عذبتكم، فقالوا: أمهلنا ثلاثة أيام فلما خرجوا قالوا لآزر: هذه رؤيا تدل على مولود من أقرب الناس إلى النمروذ ينازعه في ملكه فخذ لنا الأمان حتى نخبره ففعل، فقال: يا آزر أنت أقرب الناس إلى فلان فضرب عنقه، وأعماه الله تعالى عن آزر ووكّل الذباحين بالحوامل فذبحوا مائة ألف غلام.

وفي العرائس: أنه عزل الرجال عن النساء، فإذا حاضت المرأة تركها مع زوجها حتى تطهر، فإذا طهرت عزلها فدخل آزر على زوجته فواقعها فحملت بإبراهيم فلما كانت ليلة الولادة دخلت بيت الأصنام ليخففوا عنها الألم فرفعت الأصنام عن الأسرة فخرجت مرعوبة، فقال: من هذه؟ قالوا: امرأة وزيرك آزر ومعناه الأعرج، وقيل: الشيخ الهرم، فأراد أن يقول: اقبضوا عليها، فقال: اتركوها فوضعته في مغارة وسدت عليه وكانت تتعاهده فرأته يمص من أحد أصابعه لبنًا والآخر عسلاً، قيل: ولدته بين الكوفة والبصرة، وقيل: ولدته بقرية من قرى دمشق يقال لها: برزة، قال العلائي: والأشهر من الأقوال أنه ولد بأرض من العراق ولما هاجر إلى الشام تعبد في المقابر ببرزة فلما بلغ سنة كان أول كلامه أن قال: يا أماه من ربي؟ قالت: أنا قال: فمن ربك؟ قالت: أبوك، قال: فمن رب أبي؟ قالت: النمروذ، قال: فمن رب النمروذ؟ فلطمت وجهه وفي العرائس لم يمكث إبراهيم في السرب الذي أخفته أمه إلا خمسة عشر يومًا اليوم كالشهر والشهر كالسنة، ثم طلب الخروج بعد غروب الشمس فأخرجته واسمها نونًا فنظر إلى الدواب وقال: ما هذا؟ قيل: إبل وبقر وخيل، فقال: لا بد لها من رب خالق، ثم نظر إلى السماء وقال: يا أماه ما هذه القبة الخضراء المستديرة على الأقطار؟ وما هذه الأشجار والجبال والخلائق فيهم الطويل والقصير والقوي والضعيف والغني والفقير؟ هذا ربي، ثم طلعت الشمس فقال: هذا ربي فقالت أمه لأبيه هذا المولود الذي يغير ديننا فبلغ ذلك النمروذ، فقال: يا إبراهيم من تعبد؟ قال: الرب قال: وأي رب؟ قال: رب العالمين فقال النمروذ: أين هو الرب؟ فقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨]، قال: فصف لي ربك قال: يحيي ويميت قال: أنا أحيي وأميت، ثم دعا برجلين وجب عليهما القصاص فقتل أحدهما وترك الآخر فقال إبراهيم: إن الله يأتي بالشمس من

المشرق فأت بها من المغرب فتحير النمروذ وكان أمام إبراهيم فقال الله تعالى : يا جبريل إن قال : أنا الذي أتيت بها من المشرق فاقلب الفلك وأت بها من المغرب قال أبوه : إبراهيم لو خرجت إلى عيدنا لأعجبك ديننا فخرج معهم فلما كان في أثناء الطريق نظر في النجوم أي فيما نجم له من الرأي ، وقالت عائشة : كان علم النجوم من النبوة ، ثم بطل ، فقال : إني سقيم ؛ لأن كل من يموت يسقم ، وقيل : إنه كان محمومًا في تلك الساعة فرجع إلى بيت الأصنام وأخذ فأسًا فجعلهم جذاذًا أي قطعًا ، ثم علق الفأس في عنق الصنم .

مسألة : قال أبو الطيب : الحيلة جائزة واستدل بما فعله إبراهيم - عليه السلام - وبقوله تعالى : ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾[ص :٤٤] ، فلو قال لزوجته : إن دخلت الدار فأنت طالق ثلاثًا فالحيلة أن يخلعها ، ثم تدخل الدار ، ثم يتزوجها فتنحل اليمين وإن تزوجها بعد الخلع وقبل دخولها الدار فلا يقع الطلاق أيضًا فلو قال لعبده : إن دخلت الدار فأنت حُرٌّ فالحيلة أن يبيعه أو يهبه ، فإذا دخل الدار فلا يقع العتق ويسترده من الذي اشتراه ببيع أو هبة فلما رجعوا إلى بيت الأصنام قالوا : ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ﴾[الأنبياء : ٥٩] ؟ قالوا : ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ۝ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾[الأنبياء: ٦٠-٦١] عليه بالفعل أو يشهدون عذابه الذي نعذبه له فلما ظهرت عليهم الحجة بعد أن أجرى الله على ألسنتهم الحق بقوله : ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[الأنبياء :٦٤] بعبادة من لا ينطق وأدركتهم الشقاوة فرجعوا إلى كفرهم ، وقال : ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾[الأنبياء :٦٥] ، أي انقلبوا عن تلك الحالة التي أقروا على أنفسهم بالظلم إلى المجادلة بالباطل فقال رجل من الأكراد : حرقوه ، فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ، قال القزويني : قال إبليس - لعنه الله - أنا مع الأكراد في راحة فإنهم لا يخالفونه فبثوا حظيرة طولها ثمانون ذراعًا وعرضها أربعون ذراعًا ، ونادى النمروذ : أيها الناس اجمعوا الحطب لنار إبراهيم فكانت المرأة تغزل وتشتري الحطب بغزلها لنار إبراهيم فلما جمعوا الحطب أوقدوا النار من كل جانب سبعة أيام فلما أراد إلقاءه عجزوا ، فعلمهم إبليس صنعة المنجنيق وأول من رمى به في الإسلام نبي الله إبراهيم الخليل - عليه السلام - فقيدوا إبراهيم وجعلوه في المنجنيق فضجت السموات والأرض والملائكة ضجة واحد وقالوا : ربنا خليلك يلقى في النار وليس في الأرض من يعبدك غيره فأذن لنا في نصره ، فقال : هو خليلي وليس لي خليل غيره وأنا الله ليس له إله غيري فإن استغاث بكم فأغيثوه فإن لم يدع غيري فأنا وليه فخلوا بيني وبينه ، فلما أرادوا إلقاءه في النار جاء خازن المياه ، وقال : إن أردت أخمدت النار عنك بالمياه ، وجاء خازن الهواء وقال : إن شئت طيرت النار عنك في الهواء ، قال : لا حاجة إليكم حسبي الله ونعم الوكيل ، وعن النبي ﷺ لما قيدوا إبراهيم ليلقوه في النار قال : لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ، قال العلائي : لما أرادوا إلقاءه في النار جاءه عشرة رجال فلم يقدروا على وضعه في المنجنيق فعجزوا فجاءه مائة رجل فعجزوا ، فجاءه مائتان فعجزوا ، فقال إبراهيم : أراكم لا

تطيقون إلقائي في النار فقالوا : نعم ، فقال : اذكروا الله فقالوا - على وجه الاستهزاء - : بسم الله الرحمن الرحيم فرموه في النار فعارضه جبريل في الهواء ، فقال : ألك حاجة؟ قال : أما إليك فلا ، قال : ألا تستعين بربك في خلاص نفسك؟ قال : النفس معيبة فلا تسأل من رب طاهر ، قال : تسأل روحك ، قال : الروح عارية والعارية مردودة ، قال : تسأل قلبك قال : القلب له يفعل به ما يشاء ، قال : ألا تخاف النار؟ قال : من أوقدها؟ قال : النمروذ قال : من حكم لك؟ قال : الجليل قال : فالجليل راضٍ بحكم الجليل ، فقال الله تعالى : ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾[الأنبياء :٦٩] ، قال الإمام النووى في تهذيب الأسماء واللغات : فبردت النار من المشرق إلى المغرب .

لطيفة : موسى - عليه السلام - خاف من العصا وإبراهيم - عليه السلام - ما خاف من النار ؛ لأن الحية من صنع الله والنبي يخاف صنع الخالق سبحانه وتعالى والنار من صنع النمروذ ؛ والنبي لا يخاف إلا من صنع الله ، فإن قيل : إبراهيم حين ألقى في النار لم ينزعج وعند ذبح الولد انزعج؟ .

فالجواب : لما ألقى في النار كان نور محمد في جبينه وعند الذبح كان النور قد انتقل إلى إسماعيل ، وتقدم في فضل البسملة سّنه يوم ألقي فيها وكم أقام بها ، قال العلائى : بعث الله جبريل إلى إبراهيم - عليهما الصلاة والسلام - بقميص من الجنة وقال : إن ربك يقرئك السلام ويقول : أما علمت أن النار لا تحرق أحبابي؟ فلما رآه النمروذ بالذال المعجمة سأله قال : يا إبراهيم تستطيع أن تخرج منها سالمًا قال : نعم فلما خرج قال : نعم الرب ربك لأذبحن له أربعة آلاف بقرة قربانًا ، قال : لا يتقبل الله حتى تؤمن به فاستمر على كفره حتى أهلكه الله بالبعوض وقيل : إنه سجد لإبراهيم سجدة واحدة فقال الله تعالى : لو كانت هذه السجدة لي لغفرت له .

فائدة : من سنن إبراهيم - عليه الصلاة والسلام- الختان وتقدم في مناقب الحسن والحسين وهو أول من اختتن من الرجال ، وأول من اختتن من النساء هاجر ، وأول من ثقب أذنها ، وقد ولد جماعة من الأنبياء - عليهم السلام- مختونين : آدم وشيث وإدريس ونوح ولوط ويوسف وموسى وشعيب وسليمان ويحيى وعيسى ومحمد ﷺ أي شاء الله لهم الختان فكان ، ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس :٨٢] ورأيت في البسيط للواحدي : أوحى الله إلى إبراهيم تطهر فتمضمض فأوحى الله إليه تطهر فاستنشق ، فأوحى الله إليه تطهر فاستاك ، فأوحى الله إليه تطهر فقص شاربه ، فأوحى الله إليه تطهر فاستنجى ، فأوحى الله إليه تطهر ففرق رأسه ، فأوحى الله إليه تطهر فحلق عانته ، فأوحى الله إليه تطهر فنتف إبطه ، فأوحى الله إليه تطهر فقلم أظافره ، فأوحى الله إليه تطهر فنظر في جسده ماذا يصنع؟ فاختتن بعد مائة وعشرين سنة ، وقال غيره : ابن ثمانين سنة فختن نفسه بالقدوم فتألم ألمًا شديدًا ، فقال له جبريل : قد استعجلت يا إبراهيم قبل أن آتيك بآلة الختان فقال : امتثلت أمر ربي فرفع الله عنه الألم في الحال . وختن إسماعيل وهو ابن ثلاث عشرة سنة وختن إسحاق وهو ابن سبع عشرة

سنة فالختان واجب إلا على الخنثى فيحرم، والحكمة في الختان، لكل عضو عبادة وعبادة الفرج الختان وقيل: سبب الختان، أن إبراهيم - عليه السلام - وقع بينه وبين العمالقة فجعل الختان لأهل الإسلام وهو أول من ختن، وتقدم في فضل الخضاب والتسريح أن الحناء تنفع من الأورام البلغمية والسوداوية وتقوي الأعضاء المخضوبة وهو بارد يابس وإذا نقع القرنفل في الماء وعجنت به الحناء سود الشعر وحسنه. وعن النبي ﷺ: «**عليكم بسيد الخضاب الحناء**»، وأول من قص شاربه وقلم أظافره فصار ذلك سنة لأمة محمد ﷺ؛ لأن إبراهيم - عليه السلام - لما ابتلاه الله بهذه الأشياء المتقدمة فأتمها ووفي بها وجعله الله إمامًا يقتدى به أهل الأديان كلهم يعظمونه ويتشرفون به دينًا ونسبًا، ويسن أن يبدأ في قص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط باليمين ويكره تأخيرها عن أربعين يومًا كراهة شديدة، قاله في الروضة، وقد اعتبر هذا العدد في مواضع منها: خمر الله طينة آدم أربعين يومًا، قاله في الروضة، وأوعد موسى أربعين ليلة للمناجاة والنبوة تكون بعد أربعين سنة. وفي قواعد الزركشي عن الحليمي: من تمنى أن يكون نبيًّا في زمن من نبي فإن تمنى أن يكون هو النبي فقد كفر، وكذا لو تمنى بعد نبينا محمد ﷺ والحكمة تظهر بعد أربعين يومًا وغالب النفاس أربعين يومًا والنطفة تتغير من حال في كل أربعين يومًا والأرض تتغير في كل أربعين يومًا فلهذا اختار الأنبياء في كل أربعين يومًا أكلة واحدة وكل واحد وكل نبي من الأنبياء أعطاه الله قوة أربعين رجلًا ومحمد ﷺ أعطاه قوة أربعين نبيًّا والأبدال من هذه الأمة أربعون وإذا مات واحد مؤمن بكى عليه موضع عبادته أربعين يومًا، ومن شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين يومًا وحد الحر في شرب الخمر أربعون جلدة ومعظم الشتاء أربعون يومًا وبين النفختين أربعون سنة وينزل المطر على الخلق بعد موتهم أربعين يومًا، حتى تنبت الأجسام، والمولود يضحك أربعين يومًا ولا تصح الجمعة عند الشافعي والإمام أحمد إلا بأربعين رجلاً، ويونس - عليه السلام - تنعم بسنة الله في بطن الحوت أربعين يومًا، ومحمد ظهر أمره لما بلغ أصحابه أربعين رجلاً.

فائدة: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ: من قلم أظافره يوم السبت خرج من الداء ودخل فيه الشفاء، ومن قلم أظافره يوم الأحد خرج منه الفقر ودخل فيه الغنا ومن قلم أظافره يوم الإثنين خرج منه البرص ودخلت فيه الصحة ومن قلم أظافره يوم الثلاثاء خرج منه البرص ودخل فيه الشفاء ومن قلم أظافره يوم الأربعاء خرج منه الوسواس والخوف، ودخل فيه الأمن ومن قلم أظافره يوم الخميس خرج منه الجذام ودخلت فيه العافية، ومن قلم أظافره يوم الجمعة خرجت منه الذنوب ودخلت فيه الرحمة، قال في تحفة الحبيب فيما زاد على الترغيب والترهيب: إنه حديث متصل الإسناد، وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ من أخذ شاربه يوم الجمعة كان له بكل شعرة تسقط منه عشر حسنات، والله أعلم.



فصل: ذكر موسى - عليه السلام -

كان بينه وبين إبراهيم – عليه السلام – ألف عام وهو موسى بن عمران بن يصهر بن فاهت بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

قال موسى: يا رب إني أجد في التوراة أمة هي خير أمة أخرجت للناس اجعلها أمتي، قال: تلك أمة محمد قال: يا رب إني أجد في التوراة أمة يحجون فلا يرجعون إلا وقد غفرت لهم فاجعلها أمتي، قال: تلك أمة محمد. قال: يا رب إني أجد في التوراة أمة أناجليهم في صدورهم فاجعلها أمتي، قال: تلك أمة محمد قال: يا رب إني أجد في التوراة أمة يصومون شهرًا واحدًا فتغفر لهم ذنوبهم أحد عشر شهرًا فاجعلها أمتي قال: تلك أمة محمد قال: يا رب إني أجد في التوراة أمة تبدل سيئاتهم حسنات فاجعلها أمتي، قال: تلك أمة محمد قال: يا رب إني أجد في التوراة أمة هم آخر الأمم في الإسلام السابقون إلى الجنة فاجعلها أمتي قال: تلك أمة محمد قال: يا رب فاجعلني من أمة محمد ﷺ فلهذا قال النبي ﷺ: **«لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي»**.

قال كعب الأحبار: وجدت في التوراة أمة محمد ﷺ يمشون على الأرض تستغفر لهم، ووجدت مع كل واحد قضيبًا من نور وهو الإسلام ووجدت أحدهم يخر ساجدًا فلا يرفع رأسه حتى يغفر الله له، ووجدت الجنة تشتاق إليهم كل يوم خمس مرات ووجدتهم يصومون شهرًا وهو رمضان فيعطون بكل يوم تباعد خمسمائة عام من جهنم ووجدتهم طوبى لهم وحسن مآب، قال في روضة العلماء: قال موسى: يا رب اغفر لي ولبنى إسرائيل، قال: قد غفرت لمحمد ولأمته وثوابهم عندى كثواب الأنبياء غضبي عليهم بعيد، أقبل منهم اليسير وأعطيهم الكثير ولا أحجب عنهم التوبة ما داموا يقولون: لا إله إلا الله، فخر موسى ساجدًا، وقال: يا رب اجعلني من أمة محمد، فقال: أنت وجميع الأنبياء من أمة محمد ﷺ، قال الطوسي في كتاب نور النور: أمة محمد ﷺ تدعى في التوراة صفوة الرحمن، وقال النسفي: قال وهب: حملت أم موسى به ليلة عاشوراء وهى ليلة الجمعة، وذلك أنه قيل لعمران: إذا رأيت نجم كذا يلقى شعاعه على وجهك فانطلق إلى أهلك وأودع الوديعة التي في ظهرك فكان عمران يراقب النجم وكان لا يفارق فرعون ليلاً ولا نهارًا فلما رأى النجم ألقي النوم على فرعون فذهب عمران إلى زوجته يوحانذ بنت يصهر بن لاوى بن يعقوب وكان فرعون قد جعل حول قصره سباعًا فقالت السباع: يا عمران انطلق في حفظ الله تعالى، قال وهب: لما حملت أم موسى نطقت كل دابة قالت لفرعون: يا ملعون حملت أم موسى به فأين المهرب؟ فلما ولدته في تابوت وطرحته في اليم فلم تبق دابة في البحر إلا نثرت على التابوت الجواهر، وكان في البحر سبعون ألف جاموسة لكل جاموسة سبعون ألف قرن من ذهب بالذال المعجمة فحملته على قرونها وقالوا: هذا موسى كليم الله، وعلق حول النيل ألف قنديل من قناديل الفردوس ومكث في البحر ثلاثة أيام، وقيل: أربعين يومًا، وكان آخر من حمله حوت يونس – عليه السلام –

فرجعت أمه إلى بيتها حين ألقته فجاءها الشيطان في صورة إنسان، وقال: موسى أخذه فرعون وأطعمه للسباع، فأخبرها جبريل بالحق، فخرجت بنات فرعون يومًا إلى النيل وبهن بلاء فسمعن صوتًا: من حمله أعطاه الله العافية فحملنه كلهن فعافاهن الله تعالى فلما نظرت إليه آسية عرفت أنه عدو فرعون فأنطقه الله تعالى وقال: يا آسية خذيني فإني قرة عين لك وبلاء على فرعون أي وهو الوليد بن مصعب، فإن الفراعنة ثلاث: فرعون موسى الوليد بن مصعب وسنان فرعون إبراهيم والريان بن الوليد فرعون يوسف، قال العلائي: في سورة يوسف لما أخذته آسية وبلغ من العمر سنتين حمله فرعون وقبله بين عينيه فقبض لحيته بشماله وضربه بيمينه فدعا بالسيف ليقتله فتعرضت له آسية، فامتحنته بكلب وجمل فقبض على ذنب الكلب فسكن غضبه فلما بلغ أربع سنين صنع فرعون مائدة ونادى مناد أن فرعون يريد أن يأكل مع ولده، فاجتمع الناس وكان فرعون لا يأكل إلا لقمة واحدة فقدم له طعام فأكل منه لقمة وأمر برفعه فقبضه موسى فأكل لقمة أخرى وأمر برفعه فقبضه موسى فأكل لقمة أخرى وأمر برفعه فأخذ موسى وصبه على رأسه فدعا بالسيف ليقتله فتعرضت إليه آسية فامتحنه بتمرة وجمرة فأخذ الجمرة فأحرقت لسانه، فإن قيل: كيف أحرقت لسانه دون يديه؟ فالجواب من وجوه: الأول: أن الكهنة أخبرت بزوال ملكه على يد مولود لا يضره ماء ولا نار فلما وجده في البحر سالمًا قال فرعون: هذه العلامة الأولى فأراد أن ينظر إلى العلامة الثانية فامتحنه بجمرة وتمرة فحرقت لسانه سترًا من الله تعالى لحال موسى عن فرعون، الثاني: أحرقت لسانه؛ لأنه قال لفرعون: يا أبت وسلمت يده؛ لأنها صكت وجه فرعون، الثالث: أحرقت لسانه دون يديه؛ لأنه كان - عليه السلام - لقي في خلقه حدة وعنده عجلة وسرعة فأراد الله منع لسانه من النطق حتى لا يبوح بسر الرسالة قبل وقتها.

قال مؤلفه -رحمه الله تعالى-: وهذا الجواب أحسن من الثاني؛ لأن اللسان أول ما تحرك، بقوله: يا نبي في كتاب العقائق قالت آسية لفرعون: كيف تقتله وقد صار في منزلك وبين يديك؟ كذلك العبد إذا قام إلى الصلاة بين يدي ربه يتجاوز عن عقابه ويكرم بإحسانه، قال العلائي: في سورة القصص: أن كاهنًا قال: يا فرعون يولد مولود في بني إسرائيل يكون هلاكك على يديه فأمر بذبح الأطفال وهذا من سخافة عقله وحمقه، فإنه صَدَّقَ الكاهن ولم ينفعه القتل، قال وهب: قتل سبعين ألف طفل. وقال غيره: مائة وأربعين، ووكل القوابل بالحوامل فكانت القابلة التي وكلها بأم موسى صديقة لها فلما وضعته دخل حبه في قلب القابلة، قالت لأمه: احفظيه فإني أظنه عدونا فلما خرجت القابلة رآها بعض أتباع فرعون فأرادوا الدخول على أم موسى فألقته في التنور وهو يلتهب نارًا فلما دخلوا قالوا: ما صنعت القابلة قالت: هي صديقة فلما خرجوا لم تعلم مكانه حتى سمعت بكاءه من التنور، ثم أخرجته من النار وهي دهشة وقد طاش عقلها، ثم أوحى الله إلى أمه في المنام، وقيل: قال: لها

جبريل ذلك؛ فيكون وحي إعلام لا وحي رسالة كما تكلمت الملائكة مع مريم وغيرها ولا يلزم من كلامهم الرسالة ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص :٧] فأرضعته ثلاثة، وقيل: أربعة، قال مجاهد: كان الوحي قبل الولادة وقال السدي: بعدها، قال القرطبي: الأول أظهر، والثاني يساعده قوله تعالى: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص :٧] ، وهو نيل مصر ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾ [القصص :٧] والخوف من شيء لم يقع والحزن من شيء وقع فذهبت إلى نجار فقالت: اصنع لي تابوتًا قال: ولم؟ قالت: أخبئ فيه ولدي - كرهت الكذب - فلما وضعته في التابوت انطلق لسانه فرجع إليهم فانعقد لسانه وأخذ الله ببصره، فقال في نفسه: إن رد الله علي بصري وأطلق لساني أكن مع هذا الغلام ولا أدل عليه أحدًا فرد الله عليه بصره وأطلق لسانه فخر ساجدًا، وقال: يا رب دلني على هذا العبد الصالح فدله الله عليه فآمن به.

قال الماوردي: وهو مؤمن آل فرعون، وقال القرطبي: هو أيضًا الذي قال لموسى: يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك أي يتشاورون على قتلك واسمه حزقيل وهو ابن عم فرعون، وقيل: اسمه: شمعان، قال الدارقطني: ولا يعرف شمعان بالشين المعجمة إلا مؤمن آل فرعون.

فائدة: إشارة النطق لغو إلا فيما لو أشار مسلم إلى كافر انحاز من صف الكفار إلى صف المسلمين، وأشار الكافر بالقول إشارة مفهومة قال كل منهما: أردت الأمان كان أمانًا تغليبًا لحقن الدماء وإشارة الشيخ في رواية الحديث كنطقه ولو قال: أنت طالق وأشار بأصابعه وقع الطلاق، ويعد ما أشار به من أصبعين أو الثلاث إن نوى ذلك، وإشارة الأخرس كنطقه إلا إذا شهد بالإشارة فلا تقبل أو حلف بالإشارة فلا تنعقد يمينه أو حلف لا يكلم زيدًا، ثم حصل الخرس فكلمه بالإشارة لا يحنث أو خاطب بالإشارة في الصلاة لا تبطل على الأصح والإشارة مقدمة على العبارة في مسائل منها لو قال: أصلي خلف زيد هذا فبان غيره صحت صلاته وكذا لو قال: أصلي خلف هذا الإمام واعتقد زيدًا فبان غيره ولو صلى خلف رجل وعنده أنه زيد فبان غيره رجح النووي الصحة أيضًا، ولو صلى على جنائز ظن أنهم عشرة فلما سلم ظهر أنهم أحد عشر أعاد على الجميع، قال الزركشي: ويحتمل أنه يصلي على من لم يصل عليه أولاً. ولو قال لحائض: أنت طالق في هذا الوقت للسنة وقع الطلاق تغليبًا للإشارة والله أعلم، قال ابن العباس -رضي الله عنهما-: كان لفرعون بنت برصاء فجمع الأطباء فقالوا: لا تبرأ إلا من البحر في يوم كذا فلما كان ذلك اليوم جلس فرعون على النيل ومعه آسية وبنته تلاعب الجواري وتنضح عليهن الماء وإذا بالتابوت تضربه الأمواج فوضعوه بين يدي فرعون فأرادوا فتحه فعجزوا فرأت آسية النور فيه فإذا هو موسى يمص من أحد أصبعيه فألقى الله محبته في قلب آسية فأخذت بنت فرعون من ريقه وتمسحت به فذهب برصها فقال بعض أتباعه: لعل هذا المولود الذي يخاف منه فأمر بقتله فقالت آسية: هذا أكبر من سنة وأنت أمرت بذبح أطفال هذه السنة فدعه يكون عندي قرة عين لي ولك فقال فرعون: قرة عين لك وأما أنا فلا حاجة لي به،

وعن نبينا ﷺ لو قال: «**قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها**» فلما علمت أمه أن فرعون أخذه طاش عقلها وأصبح فؤادها فارغًا من غير ولدها قالت لأخته مريم وقيل: كلثوم قصيه أي اتبعي خبره فلما رأته وصل إلى فرعون ولم يرضع من امرأة غير أمه كما قال تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾ [القصص: ١٢]، أي منعناه من الارتضاع فهو تحريم منع لا تحريم شرع من قبل مجيء أمه فجاءت بها، والصبي على يد فرعون يبكي ويطلب ارتضاعًا فلما رآها التقم ثديها قال فرعون: إنه لم يرضع إلا منك فقالت: لبن طيب فدفعه إليها وأعطاها كل يوم دينارًا فلم يبق أحد من آل فرعون إلا أهدى لها الجواهر، وإنما جاز لها أخذ الأجرة على إرضاع ولدها؛ لأنه مال حربي فكانت تأخذه على وجه الإباحة، قال الكواشي: فلما فطمته ردته إلى فرعون فلما بلغ أشده وهو أربعون سنة وأتاه الله العلم في دينه ودين آبائه علم أن فرعون وقومه على الباطل فتكلم بالحق فدعاهم إلى الله تعالى وطلب فرعون منه علامة النبوة فأوحى الله إليه يا موسى: ألق عصاك، فإذا هي حية تسعى لها صوت تجاوبه الجبال وكانت قبل ذلك كالفرس يركبها وإذا نام تدور حوله وتطرد الذباب عن غنمه وإذا اشتد الحر ارتفعت فيكون في ظلها وفي الظلام تنور عليه وإذا عطش خرج منها عين ماء فيشرب منها وإذا استقى من ماء بئر تصير شفتاها دلوًا وإذا استوحش تؤانسه بالخطاب فأقبل موسى على فرعون وقال: إن الله تعالى أرسلني إليك وهو يقول: يا عبدي خلقتك ورزقتك وأحسنت إليك وأنعمت عليك ولك أربعمائة عام تبارزني بالعداوة فهل لك من المصالحة بكلمة واحدة: لا إله إلا الله أغفر لك ما قد سلف وأعطيك غرائب التحف وأزيدك أربعمائة أخرى كان فرعون في قبة طولها ثمانون ذراعًا، وله كرسي في أعلاها فقال: يا موسى أمهلنا إلى يوم الزينة قيل: يوم السبت، وقيل: هو يوم عيدهم فأمهلهم فجمع سبعين ألف ساحر فاختار منهم سبعة آلاف فاجتمع الناس في ذلك اليوم وفرعون على سريره في القبة على رأسه تاج بصفائح الذهب وفيه جوهرة عظيمة إذا طلعت الشمس لا يستطيع أحد أن يملأ عينيه من النظر إلى وجهه فألقوا سبعين حبلاً من الحبال والعصي المملوءة من الزئبق قال وهب: كانت الحبال فرسخًا في فرسخ فلما اشتد الحر تحرك ذلك كله فأقبل موسى - عليه السلام - وعليه جبة صوف وبيده العصى وقد حصل له خوف فقال الله تعالى: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه: ٦٨]، وألق عصاك فألقاها فصارت حية أنيابها كالأسنة ففتحت فاها وكانت العصا كلما مرت على صخرة صارت رملة فابتلعت سحرهم، ثم مالت نحو العساكر فحطم بعضهم بعضًا ونفذت فيه سهام العصا، ثم توجهت نحو قبة فرعون فوضعت فكها الأسفل على أسفل القبة والأعلى على أعلاها فنادى: يا موسى الأمان فلما رأت السحرة ذلك علموا أنه من قدرة الله تعالى لمالك فخروا ساجدين وقالوا: آمنا برب العالمين.

لطيفة: الباطل له صولة وما له دولة كان للسحرة صولة، وما كان لسحرهم دولة جاء الأجل وفرعون وهامان عليهم ثياب الخذلان فسبق لهم من ربهم توقيع الأمان فجازاهم بسجدة واحدة

قصور الجنان، وأنت يا مؤمن تسجد كثير لأجل الرحمن فلك الفوز والأمان.

فائدة: لما توجه موسى صلوات الله عليه إلى فرعون لعنة الله عليه دعا بهؤلاء الدعوات، لا إله إلا الله العلي العظيم سبحان الله رب السموات السبع والأرضين وما فيهن وما بينهن ورب العرش العظيم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، اللهم إني أدرأ بك في نحره وأعوذ بك من شره فاكفنيه وأستعين بك عليه فاكفنيه بما شئت فتحول خوفه أمنًا.

موعظة: رأيت في البحر المحيط لأبي حيان: كلم الله موسى في ألف مقام وعلى أثر كل مقام يرى النور على وجهه ثلاثة أيام ولم يقرب النساء منذ كلم الله وفي غير البحر المحيط ناجاه بمائة ألف كلمة وأربعة ألف عشر كلمة في كل كلمة، يقول: يا موسى قتلت نفسًا بغير نفس، وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ: لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم. وروى النسائي والبيهقي عن النبي ﷺ: **«قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا»** وقال النبي ﷺ: **«ثلاثة من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة من أي باب شاء وزوج من الحور العين كما شاء، من أدى دينًا خفيًا وعفا عن قاتله وقرأ كل صلاة مكتوبة قل هو الله أحد عشر مرات»** فقال أبو بكر الصديق: أو إحداهن يا رسول الله فقال: **«أو إحداهن»** رواه الطبراني وقوله: دينًا خفيًّا أي من غير بينة عليه.

حكاية: لما دخل موسى - عليه السلام - مصر وقت القيلولة، وقيل: بين المغرب والعشاء وذلك قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾[القصص:١٥]، فوجد بها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى بيده في صدره فقتله، فدفنه في الرمل والوكز: يكون في الصدر، فلما كان في اليوم الثاني وإذا بالكافر من شيعة موسى قد استغاث به أيضًا على كافر آخر فلما أراد موسى أن يضربه، قال الذي من شيعته - وقد ظن أن موسى يريد ضربه - لما قال موسى: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾[القصص: ١٨] -: يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس فهرب الكافر إلى فرعون فقال: إن الذي قتل فلانًا بالأمس هو موسى.

ومن المحن التي رفع الله بها درجات موسى - عليه السلام - قارون ابن عمه، وقيل: ابن خالته وذلك أن الله تعالى لما أهلك فرعون أمره أن يكتب التوراة في ألواح الذهب فقال: يا رب وأين الذهب؟ فأرسل الله إليه جبريل فعلمه الكيمياء فعلم موسى أخته زوجة قارون ثلثًا ويوشع ثلثًا وطالوت ثلثًا فتعلم قارون من زوجته ولم يزل يتضرع إلى موسى حتى علمه الجميع فركب في زينته في أربعين ألف فارس بالأقبية والحرير المنسوج بالجواهر فلقي موسى - عليه السلام - في طريقه فقال: إني ركبت لقتلك فقال: وأنا دعوت الله لأجلك يا أرض خذيه فلما غابت قوائم فرسه قال: إنما دعوت لأجل مالي وداري فقال: يا أرض خذي الجميع، وقيل إنه قال: يا موسى خذ المال واعف عني فقال: يا أرض خذيه فاستغاث بموسى سبعين مرة فقال الله تعالى: وعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة لأغثته، قال القرطبي: فهو يخسف كل يوم قامة فإذا وصل السابعة نفخ في الصور،

قال في العقائق: إن الله تعالى قال للحوت: لا تجعل يونس في حساب القوت إنما هو وديعة عندك كما كان موسى في التابوت وأقام يونس في بطن الحوت ثلاثة أيام، وقيل: أربعين يومًا فلما سمع يونس تسبيح أهل البحر سبح معهم فسمعه قارون فقال للزبانية: من هذا؟ قالوا: يونس قال: دعوني أكلمه فقالوا: لم يؤذن لنا في ذلك، فجاءهم الإذن فقال: أيها العبد الصالح ما فعل بموسى؟ فأرسل إليه صوته إلى يونس وقال: من أنت؟ قال: أنا قارون الشقي فقال: إن موسى قد مات فتأسف قارون عليه وعلى موت زوجته أخت موسى فقال الله للزبانية: ارفعوا عنه العذاب إلى قيام الساعة حيث رحم أهله، والله أعلم.

لطيفة: رأيت في ربيع الأبرار عن ابن عباس -رضي الله عنهما- خلق الله تعالى طيرًا في زمن موسى - عليه السلام - له وجه كوجه الإنسان وأربعة أجنحة من كل جانب، وخلق الله له ذكر أمثالها وقال: يا موسى خلقت طيرًا عجيبًا تستأنس به وجعلناه زيادة في كرامتك على بنى إسرائيل وجعلت رزقها في الوحوش التي حول بيت المقدس فكثر نسلها فلما مات موسى انتقلت إلى أرض الحجاز وصارت تخطف الصبيان فدعا عليها خالد بن سنان العبسي - عليه السلام - بعد ارتفاع عيسى ابن مريم - عليه السلام - فقطع الله نسلها، وفي غيره لما قال موسى - عليه السلام -: رب أرني أنظر إليك قال: ارفع رأسك يا موسى إن أردت أن تسكن ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلي فكن لليتيم كالأب الرحيم وللأرملة كالزوج العطوف، يا موسى ارحم ترحم، يا موسى كما تدين تدان، يا موسى قل لبنى إسرائيل: إنه من لقيني وهو جاحد بمحمد أدخلته النار قال: يا رب ومن محمد؟ قال: وعزتي وجلالي ما خلقت نبيًّا أكرم من محمد كتبت اسمه: مع اسمي على العرش قبل السموات والأرض والشمس والقمر بألفي عام وعزتي وجلالي الجنة محرمة على جميع الخلق حتى يدخلها محمد وأمته، قال: يا رب ومن أمة محمد؟ قال: أمته الحمادون على كل حال يشدون أوساطهم ويطهرون الأطراف صائمون النهار رهبان بالليل أقبل منهم اليسير وأدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله، قال: يا رب اجعلني نبي تلك الأمة قال: نبيها منها قال: يا رب اجعلني من أمة ذلك النبي قال: يا موسى استقدمت واستأخرت ولكن سأجمع بينك وبينه في دار الجلال.

قال العلائي: في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص: [illegible]]، قال وهب: قال موسى: يا رب أرني محمدًا وأمته قال: إنك لن تصل إليه ولكن إن شئت ناديت أمته وأسمعتك أصواتهم، قال: نعم فقال الله تعالى: يا أمة محمد فقالوا من أصلاب الآباء وبطون الأمهات: لبيك اللهم لبيك، فقال: إن رحمتي سبقت غضبي وعفوي سبق عقابي قد أعطيتكم قبل أن تسألوني وأجبتكم قبل أن تدعوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني من جاءني منكم يوم القيامة بشهادة لا إله إلا الله وأن محمدًا عبدي ورسولي أدخلته الجنة وإن كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر فالحمد لله على نعمه التي ذكرنا بها إلهامًا وإعلامًا وقوم موسى أعلمهم وما ألهمهم

قال الله تعالى لموسى - عليه السلام - : ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم:٥] ، أي بما أنعم عليهم من هلاك فرعون وسلامتهم، وقيل: ذكرهم بما فعل الله بالأمم الماضية وأما قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الجاثية:١٤] ، هو عمر بن الخطاب، ﴿يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية:١٤] لا يخافون، وذلك أن جاهلاً شتم عمر بن الخطاب بمكة. اهـ.

فائدة: قال النبي ﷺ: «**ثلاثة من كن فيه حاسبه الله حسابًا يسيرًا وأدخله الله الجنة برحمته، تعطى من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك**» رواه الطبراني وقال الحاكم: صحيح الإسناد وقال النبي ﷺ: «**اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، فإن الله يصلح بين المسلمين**» وقال الحاكم: صحيح الإسناد والله أعلم.

فصل: في ذكر عيسى - عليه السلام -

وأمه من بنات سليمان - عليه السلام - بينهما وبينه أربعة وعشرون جدًا، وفي الحديث أنها سألت ربها أن يطعمها لحمًا لا دم له فأطعمها الجراد وأهبط إبليس - لعنه الله - قال: لأتخذن من عبادك جندًا وهن النساء، فقال الله تعالى: لأتخذن من خلقي جندًا وهو الجراد ومكتوب على صدر الجراد جند الله الأعظم.

قال الطوسي في كتاب نور النور: إن أمة محمد تدعى في الإنجيل الحكماء العلماء.

حكاية: قال محمد بن جرير: خرجنا جماعة في طلب العلم فنزلنا بمدينة واشتغلنا بالعلم فنفدت نفقتنا فأردنا الرجوع وإذا بيهودي فدفع لكل واحد منا ثلاثة دراهم، وهكذا أربعين مرة فسألناه عن ذلك فقال: قرأت في التوراة فإذا فيها أفضل نفقة في سبيل الله متعلمي العلم فما رأيت أحدًا من اليهود يطلب ما تطلبون فودعنا، وقصدنا الحج فرأيته يومًا حول الكعبة فقلت له: ما السبب؟ قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقال: إن الله تعالى قد أكرمك بالإسلام بإنفاقك على أهل العلم فأسلمت على يديه، وكان في داري سبعة عشر نفسًا وكل منهم رأى مثل ما رأيت فأسلموا جميعًا.

قال في تحفة الحبيب فيما زاد على الترغيب والترهيب: عن النبي ﷺ قال في عيسى: «**يا رب أخبرني عن هذه الأمة المرحومة قال: إنها أمة محمد حكماء وعلماء كأنهم من الحكمة والعلم أنبياء يرضون مني باليسير من العطاء وأرضى منهم باليسير من العمل وأدخلهم الجنة بقول: لا إله إلا الله**»، وعن أبي ذر عن النبي ﷺ قال الله تعالى: يا عيسى إني باعث من بعدك أمة إذا أصابهم ما يحبون حمدوا الله تعالى وإذا أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا، ولا حلم ولا علم قال: يا رب كيف يكون هذا؟ قال: أعطيهم من حلمي وعلمي، قاله العلائي في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩] ، قال النبي ﷺ في حديث: «**وإن عيسى أخي ليس بيني وبينه نبي وأنا أولى الناس به**»، قال في كتاب العرائس: كانت مريم تتعبد في

المسجد الحرام مع رجل من قومها يقال له: يوسف ولها: قليب - يعني بئر - كل واحد منهم يأتي بماء في يوم من كهف فلما كان في يوم مريم خرجت إلى الماء فنزعت درعها في الكهف فجاءها جبريل في صورة رجل، وهو قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾[آل عمران: ٤٥] الآية، فأخذ التراب الذي فضل من تراب آدم ونفخ في جيب درعها فلما استقت الماء ولبست درعها تحرك الولد في بطنها فلما جاءها المخاض تحولت إلى أختها من الجامع فأنكر يوسف وقال: يا مريم هل ينبت الزرع من غير بذر؟ قالت: نعم أنبت الله الزرع يوم خلقه من غير بذر فلما تحولت عند أختها امرأة زكريا وكانت حاملًا بيحيى قالت: يا مريم أجد الذي في بطني يسجد للذي في بطنك، وتقدم في باب الزهد في فضل التوكل أن الحمل والوضع كان في ساعة واحدة، قال النيسابوري: كان الوضع بعد الزوال، قال الرازي في قوله تعالى: ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾[آل عمران: ٤٢]، أي رضيها لخدمة المسجد وهي أنثى وما غذتها أمها طرفة عين، وكان رزقها يأتيها من الجنة، وقال الأكثرون: كفلها زكريا في حال طفولتها، وقيل: بعد فطمها وأسمعها كلام الملائكة شفاهًا ولم يتفق ذلك لغيرها من النساء وطهرك أي من الحيض - فقالوا: إن مريم لم تحض -، ومن كذب اليهود ومن كل معصية، واصطفاك على نساء العالمين بأن وهب لها عيسى من غير أب وفي حديث: «**حسبك من نساء العالمين أربع مريم وآسية امرأة فرعون وخديجة وفاطمة**» قال الرازي: وهذه الآية تدل على أن مريم أفضل من الجميع، وإما أن يكون الاصطفاء الثاني هو الأول؛ لأن التكرار غير لائق، قال البرماوي في شرح البخاري: حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشر سنة وعاشت بعد رفع عيسى ست وستين سنة، وماتت ولها مائة واثنتا عشرة سنة وأم يحيى اسمها أيشا - بفتح الهمزة وبالمعجمة - وأمها حمنة - بفتح المهملة وتشديد النون - فلما وضعت عيسى وبلغ تسعة أشهر دفعته إلى المكتب، قال الزمخشري في ربيع الأبرار: أكيس الصبيان أشدهم بغضًا للكتاب، فقال المعلم: يا عيسى قل: بسم الله فقال عيسى: بسم الله الرحمن الرحيم فقال: قل «**أبجد**» فقال: أتدري ما معناه؟ قال: لا، قال: الألف هو الله والباء بهاء الله والجيم جلال الله والدال الله دين، «**هوز**»: الهاء هاوية جهنم والواو ويل لأهل النار والزاي زفير جهنم، «**حطي**»: حطت الخطايا عن المستغفرين، «**كلمن**»: كلام الله غير مخلوق، «**سعفص**»: أي صاع بصاع، «**قرشت**»: أي تقرشهم أي تحشرهم جميعًا، فقال المعلم: يا مريم خذي ولدك؛ لأن ولدك لا يحتاج إلى معلم. وعن النبي ﷺ: «**عيسى أرسلته أمه للكتاب فقال له المعلم: قل بسم الله فقال عيسى: ما معنى بسم الله؟ قال: لا أدرى قال: الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم ملك الله**»، قال في ربيع الأبرار: عن النبي ﷺ: «**أمتي يأتون يوم القيامة وهم يقولون: بسم الله الرحمن الرحيم، فتثقل حسناتهم في الميزان فتقول الأمم: ما أرجح موازين أمة محمد؟ فتقول الأنبياء: كان ابتداء كلامهم ثلاثة أسماء من أسماء الله تعالى لو وضعت في كفة وسيئات الخلائق في كفة لرجحت حسنات أمة محمد ﷺ**».

حكاية: مر عيسى - عليه السلام - وهو صغير مع أمه على مدينة فوجد أهلها مجتمعين على باب ملكهم فسألهم عن ذلك فقالوا: إن زوجته تريد الولادة وقد عسر عليها وهم يسألون الأصنام في التخفيف عنها، فقال: إن وضعت يدي على بطنها خرج الولد سريعًا فتعجبوا من صغره فأدخلوه على ملكهم، فقال: إن أخبرتك بما في بطنها تؤمن بالله، قال: نعم، قال: في بطنها صبى في خده شامة سوداء وفي ظهره شامة بيضاء، ثم قال: أقسمت عليك يا ولدى بالذي خلق الخلق وقسم الرزق أن تخرج فخرج الولد سريعًا. وتقدم في باب الدعاء ما يقال عند الولادة من امرأة غيرها، فأراد الملك أن يؤمن فمنعه قومه، وقالوا: إن مريم ساحرة وقد أخرجها قومها من بيت المقدس، قال وهب: أوله آية عيسى - عليه السلام - أن أمه أضافت به رجلاً من أكابر مصر يأوي إليه المساكين فسرق ماله فتهم به المساكين، فقال عيسى: يا أماه دعيه يجمع المساكين في داره فلما جمعهم أخذ مقعدًا وجعله على عاتق أعمى وقال: قم به فقال الأعمى: أنا ضعيف، فقال له عيسى: كيف قويت على ذلك البارحة؟ وكان هو الذي أخذ المال من المقعد، ثم إن هذا الرجل اتخذ عرسًا لولده ولم يكن عنده شراب فاغتم لذلك فدخل عيسى بيتًا له وكل إناء وضع يده فيه امتلأ شرابًا، وهو يومئذ ابن اثنتي عشرة سنة.

حكاية: قال الكلاباذي: اعترض إبليس - لعنه الله - لعيسى - عليه السلام - بالطريق في عقبة بقرب بيت المقدس، فقال: من أنت؟ قال: روح الله وعبده وابن أمته، فقال إبليس لعنه الله: لا بل ما أنت إلا الأرض؛ لأنك تحيي الموتى وتبرئ المريض والأبرص والأكمه، - وهو الذي خلق أعمى -، فقال عيسى - عليه السلام -: الله الذي خلقني وبإذنه شفيتهم ولو شاء أمرضني، فقال إبليس: هلم حتى آمر الشياطين بالسجود لك فيراهم بنو آدم فيسجدون لك فتكون إله الأرض فقال عيسى: سبحان الله وبحمده وتعالى عما تقول ملء سمائه وأرضه وعدد خلقه ورضاء نفسه ومبلغ علمه ومنتهى كلماته وزنة عرشه، فنزل جبريل وميكائيل وإسرافيل فنفخ ميكائيل على إبليس نحو المشرق فصدم عين الشمس فوقع محترقًا، ثم نفخ عليه إسرافيل نحو المغرب فوقع في عين حمئة التي تغرب فيه الشمس كلما طلع غرقه جبريل حتى قام فيها سبعة أيام فكان بعد ذلك يخاف من عيسى.

حكاية: أن عيسى - عليه السلام - يخبر الصبيان بما يأكله آباؤهم وما يدخرونه فيأتي الولد إلى أبويه فيقول: أطعموني من كذا، فيقولون: من أخبرك؟ فيقول: عيسى، فمنعوا صبيانهم من عيسى وجعلوهم في بيت واسع، فقال عيسى: أين صبيانكم هل هم في هذا البيت؟ فقالوا: ما فيه إلا قردة وخنازير، فقال: كذلك يكونون، ففتحوا الباب فوجدوا أولادهم قردة وخنازير، وعن النبي ﷺ: «**كيف أمة تهلك وأنا أولها والمسيح في آخرها**»، رأيته في قوت القلوب لأبى طالب المكي، وفي حديث آخر للقرطبي: «**ولن يخزي أمة أنا في أولها وعيسى في آخرها**» والله تعالى أعلم.

فصل: في ذكر الخضر وإلياس -عليهما السلام-

قال أنس بن مالك -رضي الله عنه-: رأيت شيخًا يقول: اللهم اجعلني من أمة محمد ﷺ فقلت له: من أنت؟ قال: الخضر، ورأيت في تفسير القرطبي في سورة الصافات، قال أنس: كنت في غزوة مع النبي ﷺ فلما كنا عند الحجر وهو مدائن صالح سمعنا صوتًا يقول: اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة المغفور لها فقال النبي ﷺ: «**يا أنس انظر ما هذا الصوت؟**» فدخلت الجبل فرأيت رجلًا أبيض الرأس واللحية طوله أكثر من ثلثمائة ذراع فقال: أقرئ محمدًا مني السلام وقل له: أخوك إلياس يريد الاجتماع بك، فجاءه محمد ﷺ فتأخرت عنهما فتحدثا طويلًا فنزلت عليهما مائدة من السماء فدعوني فأكلت معهما كمثرى ورمانًا وكرفسًا فلما أكلنا جاءت سحابة فأخذت إلياس وأنا أنظر إلى بياض ثيابه فقلت: يا رسول الله هذا طعام من السماء؟ قال: نعم قال: ينزل به جبريل في كل أربعين يومًا مرة، وله في كل عام شربة من زمزم فالخضر وإلياس يصومان رمضان كل عام ببيت المقدس» قال ابن مسعود: هذه الأمة تكون يوم القيامة ثلاثة أثلاث ثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يحاسبون حسابًا يسيرًا وثلث يأتون بذنوب عظام فيقول الله تعالى وهو أعلم: من هؤلاء؟ فتقول الملائكة: هؤلاء المذنبون، فيقول الله تعالى: أدخلوهم في سعة رحمتي، قال في الزهر الفاتح: كان لعمر بن الخطاب جارية تسمى زائدة فخرجت يومًا لتأتي بالحطب للعجين فرأت فارسًا لم تر أحسن منه، فقال الفارس لها: يا زائدة إذا رأيت محمدًا فقولي له: رضوان خازن الجنان يقرئك السلام وقولي له: إن الله قسم الجنة ثلاثًا لأمتك ثلث يدخلون بغير حساب وثلث يحاسبون حسابًا يسيرًا وثلث يشفع فيهم النبي ﷺ، قال العلائي في سورة الكهف: اسم الخضر خضرون بن عاميل بن الهيص بن إسحاق بن إبراهيم ﷺ، قال الثعلبي: إنه نبي معمر محجوب عن الأبصار.

موعظة: قال موسى للخضر -عليهما السلام-: بم أطلعك الله على الغيب؟ قال: بترك المعاصي، قال: أوصني قال: يا موسى كن بسامًا ولا تكن غضابًا، كن نفاعًا ولا تكن ضرارًا وانزع عن اللجاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تضحك في غير عجيب ولا تعير الخطائين بخطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران، وروى الإمام أحمد بسنده، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ: «**سمي الخضر: خضر؛ لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز خضراء**»، وقال مجاهد: الخضر باقٍ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال عمر بن دينار: الخضر وإلياس حيان ما دام القرآن في الأرض فإذا رفع ماتا. قال القرطبي في سورة الصافات: أصاب إلياس مرض شديد فبكى فأوحى الله إليه بكاؤك حرصًا على الدنيا أو خوفًا من الموت أو خوفًا من النار فقال: لا وعزتك إنما جزعي كيف يحمد الحامدون بعدي، ويصوم الصائمون بعدي فقال الله تعالى: لأؤخرنك إلى وقت لا يذكرني فيه ذاكر يعني إلى يوم القيامة، وقال إبراهيم التيمي: رأيت النبي ﷺ في المنام فقال: «**كل ما يحكى عن الخضر حق، وهو عالم أهل**

الأرض ورأس الإبدال وهو من جنود الله تعالى» .

حكاية: قال الشيخ عثمان الصرفيني: كنت في بداية أمري نائمًا على سطح داري تحت السماء ليلاً فمر بي خمس حمامات فقالت إحداهن بلسان فصيح: سبحان من عنده خزائن كل شيء، وسمعت الأخرى تقول: كل ما في الدنيا باطل إلا ما كان لله ورسوله، وسمعت الأخرى تقول: يا أهل الغفلة قوموا إلى رب عظيم يعطي الجزيل ويغفر الذنب العظيم، قال: فوقعت مغشيًّا علي، فلما أفقت نزع الله من قلبي حب الدنيا فعاهدت الله أن أسلم نفسي إلى شيخ يدلني على الله تعالى، ثم سافرت لا أدري أين أتوجه؟ فرأيت شيخًا كثير الهيبة، فقال الشيخ: السلام عليك يا عثمان فقلت له: وعليك السلام من أنت؟ قال: الخضر كنت الساعة عند الشيخ عبد القادر -رضي الله عنه- فقال: يا أبا العباس قد جذب البارحة رجل من أهل صرفين اسمه: عثمان قد نودي من فوق سبع سماوات مرحبًا بك يا عثمان يا عبدي وقد عاهد ربه أن يسلم نفسه لشيخ يدله على ربه، فاذهب إليه فإنك تجده في الطريق فائتني به، قال الخضر: يا عثمان الشيخ عبد القادر الكيلاني -رضي الله عنه- سيد العارفين في عصره فعليك بملازمته، فما شعرت بنفسي إلا وأنا عند الشيخ عبد القادر، فقال: مرحبًا بمن جذبه مولاه بألسنة الطير وجمع له كثيرًا من الخير، ثم ألبسني طاقية وأجلسني في الخلوة شهرًا وأصبت من صحبته خيرًا، وتقدم منافع الحمام في باب الكرم، قال العلائي: كان الخضر - عليه السلام - ابن خالة ذي القرنين ووزيره ومشيره، وذو القرنين من ذرية يونان بن نوح - عليه السلام - ويساعده ما في العرائس فإنه جعل بين الخضر وبين سام بن نوح أربعة أجداد وكان في زمان إبراهيم، وقد اجتمع به في مكة، قال مقاتل: كان إبراهيم بفلسطين فسمع صوتًا فقيل: ما هذا؟ قال ذو القرنين: فقال الرجل: اذهب إليه فأقرئه مني السلام فلما جاءه قال الخليل: ههنا؟ قال: نعم فنزل عن فرسه فقيل لي: بينك وبينه مسافة بعيدة فقال: ما كنت لأركب بأرض فيها خليل الله، فقام له إبراهيم وسلم عليه وأهدى له بقرًا وغنمًا وجعل له ضيافة وكان الخضر صاحب لوائه الأعظم، وقيل: كان ذو القرنين بين موسى وعيسى، وهو أحد الأربعة الذين ملكوا الدنيا وسليمان - عليه السلام - وبختنصر والنمروذ وسيملكها خامس من هذه الأمة وهو المهدي، قال جعفر بن محمد: كان لذي القرنين صديق من الملائكة فقال له: أخبرني عن عبادة الملائكة في السماء قال: منهم قيام وقعود وسجود إلى يوم القيامة، ثم يقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، فقال ذو القرنين: إني أحب أن أعيش حتى أعبد الله حق عبادته، فقال الملك: إن أردت ذلك فإن في الأرض عينًا يقال لها: عين الحياة من شرب منها لا يموت حتى يسأل ربه الموت لكنها في ظلمة، فجمع العلماء وقال: هل قرأتم في كتب الله أن في الأرض عينًا يقال لها: عين الحياة؟ فقال واحد منهم: نعم عند مطلع الشمس في ظلمة فسار ذو القرنين على ألف فرس من الخيل الخضر البكر لقوة نظرها، وتقدم الخضر أمامه بألف فارس فقال

الخضر: كيف يفعل من ضل منا عن صاحبه ونحن في ظلمة؟ فقال: إن ضللت الطريق فألق هذه الخرزة. فإذا هي في الأرض ودفع إليه خرزة حمراء فإذا صاحت فليرجع إليها الضال، فسار الخضر بين يديه فإذا ارتحل هذا فبينما الخضر يسير إذ عارضه وادٍ فغلب على ظنه أن العين فيه فرمى الخرزة، فأضاءت الظلمة وصاحت الخرزة فإذا هي على حافة عين ماؤها أبيض من اللبن وأحلى من العسل، فقال لأصحابه: امكثوا، ثم نزل فشرب منها واغتسل وسار ذو القرنين وقد أخطأ العين فنزلوا بأرض حمراء فيها ضوء لا يشبه الشمس والقمر وفيها قصر عليه حديدة طويلة عليها طير مزموم أنفه إلى الحديد متعلق بين السماء والأرض فقال الطير: يا ذا القرنين ما جاء بك إلى هنا أما كفاك ما وراءك؟، ثم قال: يا ذا القرنين أخبرني هل كثر البناء بالجص والآجر؟ قال: نعم، فانتفض الطير وانتفخ حتى بلغ ثلث الحديد، ثم قال: كثرت شهادة الزور؟ قال: نعم فانتفخ وانتفض حتى ملأ الحديد وسد جدار القصر فخاف ذو القرنين، ثم قال: هل ترك الناس شهادة أن لا إله إلا الله؟ قال: لا فرجع إلى عادته، ثم رأى رجلًا فوق سطح القصر، فقال: من أنت؟ قال: صاحب الصور وقد اقتربت الساعة وأنا أنتظر أمر ربي، ثم أعطاه حجرًا، وقال: إن شبع شبعت يا ذا القرنين وإن جاع جعت فأخذ الحجر ورجع إلى أصحابه وأخبرهم بالقصر وبما رآه، وجعل الحجر في كفة الميزان وآخر في كفة فرجح ذلك الحجر حتى زاد أحجارًا كثيرة وفي كل ذلك يرجع عليهم الحجرة فوضع في مقابلة الحجر كف تراب فاستوى الميزان، فقال الخضر - عليه السلام -: هذا مثل ضربه الله لابن آدم لا يشبع حتى يحثوا عليه التراب ورجع الإسكندر إلى بلده وعمر منارة الإسكندرية طولها أربعمائة ذراع وخمسون ذراعًا بناها على قناطر من زجاج على سرطان من نحاس في أعلاها مرآة يرى منها جيش الروم إذا تجهزوا عليهم للغزو فأرسل ملك الروم يقول: إن فيها كنز ذي القرنين، فهدموا منها شيء فبطل طلسم المرآة ولما مات ذو القرنين اجتمع الخضر بموسى -عليهما السلام- وكان من أمرهما ما ذكره الله في كتابه العزيز حتى دخلا القرية التي أقام الخضر - عليه السلام - فيها الجدار وهى أنطاكية، وقيل: الناصرة وأنطاكية أيضًا هي مدينة الرجل الذي في يس ومدينة الرجل الذي في القصص مصر والرجل حزقيل والذي في يس حبيب النجار آمن بالنبي ﷺ وبينهما ستمائة عام على يد رسل عيسى الثلاثة وهم يحيى ويونس وشمعون، قال له قومه: آمنت، قال: وما لي لا أعبد الذي فطرني أي خلقني، وإليه ترجعون وأضاف الفطرة إليه؛ لأن الفطرة أثر النعمة وكانت عليه أظهر وأضاف الرجوع إليهم؛ لأنه فيه معنى الزجر وهو بهم أليق. قال البغوى: إنه في الجنة حي يرزق، وكان يتصدق بنصف كسبه ويطعم عليه نصفًا ومدائن مصر ومدينة النمل ومدينة صالح وهى الحجر والتسعة الرهط كانوا أشراف قوم صالح فلما أهلكهم الله خرج صالح بالمؤمنين وهم أربعة آلاف إلى مدينة حضر باليمن فلما حضر فيها صالح مات فسميت حضرموت، قال الكلبي في قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ [النمل:٥٩]، قال: هم أمة محمد ﷺ اصطفاهم الله تعالى لمعرفته وطاعته،

فلما أقام الخضر الجدار قال موسى : ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف :٧٧] .

فإن قيل : كيف كره موسى أكل طعام شعيب حين دعاه للأكل لما سقى الأغنام لبناته منهن صفوريا تزوجها موسى وإليها تنسب بلد المؤلف -رحمه الله تعالى- صفورية ماتت بها أو نزلتها ولم يكره ذلك مع الخضر ، حيث قال : ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف :٧٧] قيل : لأن أخذ الأجرة على الصدقة لا يجوز وأما الاستئجار فيجوز .

إشارة : الجدار المائل هو العبد العاصي تحته كنزه وهو قلبه فيه التوحيد وأبواب المعاصي أربعة وأبو العبد العاصي إبراهيم قال تعالى : ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج :٧٨] ، فكما أن الخضر أقام الجدار للغلامين اليتيمين ؛ لأجل أبيهما الصالح كذلك العبد العاصي يقومه الله تعالى بالتوبة لأجل أبيه إبراهيم ونبيه محمد ﷺ، قاله الدامغاني وتقدم غيره .

ونظيره : جوارح المؤمن سفينة والبحر هو الدنيا والتجارة هي الطاعة والملك الظالم هو الشيطان فوسمك ربك بالمعصية حتى لا يرغب الشيطان في أخذك كما أن السفينة التي عليها الخضر لم يأخذها الملك ، وعن النبي ﷺ «**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أشد منه وهو العجب**» ، ولما أنكر موسى على الخضر خرق السفينة نودي يا موسى : لما ألقتك أمك في التابوت في البحر ألست كنت في حظنا؟ كذلك نحفظ السفينة ، فلما أنكر عليه قتل الغلام نودي يا موسى : أنسيت أنك قتلت نفسًا بغير حق؟ ، يا موسى لو أن النفس التي قتلتها أقرت لي بالتوحيد طرفة عين لأصابك العذاب والسفينة كانت لعشرة مساكين أخوة ورثوها من أبيهم ، خمسة يعملون في السفينة أحدهم مجذوم والثاني أعور والثالث أعرج والرابع آدر أي إحدى خصيتيه أكبر من الأخرى ، والخامس محموم لا تفارقه الحمى ، وخمسة لا يطيقون العمل أحدهم مقعد والثاني أصم والثالث أبكم والرابع أعمى والخامس مجنون والله أعلم ، قال العلائى : إن الخضر وإلياس يدوران في الجبال يهديان من ضل فيها هذا دأبهما في النهار ، وفي الليل يجتمعان عند سد يأجوج ومأجوج يحرسانه ، قال قتادة : ليس في ناحية البحر المظلم طريق إلى البر إلا من ناحية السد في ناحية الشمال في منقطع بلاد الترك وليس ليأجوج ومأجوج طعام إلا الأفاعي من ذلك البحر يرسل الله تعالى سحابة ، فتغرف منه الأفاعي ، ثم تمطرها عليهم فيأكلها يأجوج ومأجوج . وسئل النبي ﷺ عن يأجوج ومأجوج هل بلغتهم دعوتك؟ قال : جزت عليهم ليلة المعراج فدعوتهم إلى الله فلم يجيبوا وقد بسطنا الكلام على يأجوج ومأجوج في صلاح الأرواح ، قال علي : اسم ذي القرنين : عبد الله بن الضحاك وقيل : مرزبان وسمي بذي القرنين ؛ لأنه ملك المشرق والمغرب ، وقيل : عاش قرنين وهما مائتا سنة ، وقيل : غير هذا ، قوله تعالى : ﴿تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف :٨٦] ، قيل حارة ، وقال الجمهوري : أي ذات حمأ وطين أسود ، قال بعض العلماء : ليس المراد من قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ [الكهف :٨٦] ، أنه انتهى إلى حرها ومسها ؛ لأنها تدور مع السماء حول الأرض وهي أعظم من أن تدخل في عين من عيون الأرض ؛ لأنها أكبر

من الأرض بمائة وستين مرة وإنما المراد أنه انتهى إلى مد العمران من الجهتين فوجدها في رأي العين تغرب في عين حمئة كما تشاهدها في الأرض المستوية كأنها تدخل تحتها كما أن مراكب البحر، كأنها تغيب في البحر. ورأيت في تفسير القرطبي في سورة يس أن الشمس إذا غربت دخلت محرابًا تحت العرش تسبح ربها حتى تصبح وهى مخلوقة من نور العرش، والقمر من نور الكرسي وهو أسرع سيرًا منها وهو في غلاف من ماء فكل ليلة يظهر منه شيء من الغلاف حتى يتكامل فيقطع الفلك في ثمانية وعشرين ليلة وذلك عدد المنازل المنقسمة على اثني عشر برجًا لكل برج منزلتان وثلث، والسنة تدور على أربع فصول ولكل فصل سبعة منازل، أول الفصول فصل الربيع وأيامه اثنان وتسعون يومًا أولها خامس عشر من آذار، تقطع الشمس فيه سبعة منازل وثلاثة بروج، وهى الحمل بالحاء المهملة والثور والجوزاء، ثم يدخل فصل الصيف في خمسة عشر يومًا من حزيران وعدد أيامه اثنان وتسعون يومًا وتقطع الشمس فيه سبعة منازل وثلاثة بروج وهى السرطان والأسد والسنبلة، ثم يدخل فصل الخريف في خمسة عشر يومًا من أيلول وعدد أيامه أحد وتسعون يومًا وتقطع الشمس فيه سبعة منازل وثلاثة بروج وهي الميزان والعقرب والقوس، ثم يدخل فصل الشتاء في أحد عشر يومًا من كانون الأول وعدد أيامه تسعون يومًا وربما تكون أحد وتسعين يومًا وتقطع الشمس فيه سبعة منازل وثلاثة بروج وهي الجدي والدلو والحوت.

قال مؤلفه -رحمه الله تعالى-: هذا باعتبار زمان القرطبي أما باعتبار زماننا فقد أخبرني من له قوة في علم التقويم أن فصل الربيع يدخل في ثاني عشر آذار وفصل الصيف في ثالث عشر حزيران والخريف في خامس عشر أيلول والشتاء في ثالث عشر من كانون الأول، وأيام كل فصل أحد وتسعون يومًا وثمن يوم ونصف ثمن يوم والله أعلم، ثم إن فصل الربيع معتدل بين الحرارة والبرودة يصلح فيه إخراج الدم بالحجامة والفصادة ولا يمتلئ فيه من الطعام، والصيف حار يابس يصلح فيه الاغتسال بالماء البارد ولبس الكتان وأكل الحوامض كالحصومية والخوخية، والخريف بارد يابس يصلح فيه ترك الجماع والاغتسال بالماء الفاتر للشيوخ بالحقنة والكهول بالإسهال، والشتاء بارد رطب يصلح فيه أكل لحم الضأن دون السمك واللبن. وكان النبي ﷺ يحب أن يدخل بيته ليلة الجمعة ويخرج منه إذا جاء الصيف ليلة الجمعة.

تشرين الأول: أحد وثلاثون يومًا فتحرك الشرقية في أوله وفي ثالث عشرين منه يدخل الناس بيوتهم من البرد وإذا قطع الخشب في ثالث عشرة لا يسوس.

فائدة: قال علي بن أبى طالب -رضي الله عنه- رأيت رجلًا متعلقًا بأستار الكعبة وهو يقول: يا من لا يشغله شأن أذقني برد عفوك وحلاوة رحمتك، فقلت: يا عبد الله أعد على كلامك فقال: والذي نفس الخضر بيده وكان هو الخضر، لا يقولهن عبد عقب كل فريضة إلا غفرت ذنوبه وإن كانت مثل رمل عالج أو عدد القطر وأوراق الشجر، قال اليافعي في روض الرياحين: كنت جالسًا ببيت المقدس بعد عصر الجمعة فرأيت رجلين أحدهما في خلقنا

والآخر طويل عرض وجهه ذراع، فقلت: من أنتما؟ قال: أنا الخضر وهذا إلياس من صلى العصر يوم الجمعة، ثم استقبل القبلة، ثم قال: يا الله يا رحمن حتى تغيب الشمس لم يسأل الله شيئًا إلا أعطاه فقلت للخضر: ما طعامك؟ قال: الكرفس والكمثرى، وعن النبي ﷺ: «**أن أخوي الخضر وإلياس يحجان في كل عام ويشربان من زمزم شربة فتكفيهما إلى قابل، وطعامهما الكرفس**»، وكان الخضر - عليه السلام - يقول: اللهم إني أستغفرك لما تبت إليك منه، ثم عدت إليه وأستغفرك لما وعدتك من نفسي، ثم أخلفتك وأستغفرك لما أردت به وجهك فخالطه ما ليس لك، وأستغفرك للنعم التي أنعمت بها علي فتقويت بها على معصيتك، وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم من كل ذنب أذنبته أو معصية في ضياء النهار وسواد الليل في ملأ أو خلاء أو سر أو علانية يا حكيم، قال الأوزاعي: من قاله غفرت ذنوبه ولو كانت مثل ورق الشجر وقطر السماء.

لطيفة: تكلم ابن الجوزى في معنى قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن :٢٩] ، عامين فأعجب بنفسه فوثب إليه رجل من المجلس، فقال: يا ابن الجوزي ما يصنع ربنا في هذه الساعة؟ فسكت وختم المجلس، ثم قال في الثاني والثالث فرأى في تلك الليلة النبي ﷺ في المنام، فقال: يا ابن الجوزي أتدري من السائل؟ قلت: لا يا نبي الله، قال: هو الخضر فإذا سألك فقل له: شئون يبديها ولا يبتديها، فلما أصبح قال له: ما يصنع ربنا في هذه الساعة؟ قال: شئون يبديها ولا يبتديها، فقال الخضر: صلى وسلم على من علمك في المنام.

فائدة: اعلم - جعلني الله من صالحي الأمة - أن أولها نبي الله محمد ﷺ وآخرها نبي الله عيسى ابن مريم والسلام ولكن من أمته ﷺ وفيها رجل مختلف في نبوته أي وهو الخضر - عليه السلام - وأوسطها الصحابة كل واحد له شفاعة، وقال الشافعي -رحمه الله تعالى-: مات النبي ﷺ والمسلمون ستون ألفًا بالمدينة وثلاثون في غيرها، حكاه الذهبي في التحرير، قال في تفسير ابن عطية في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ﴾ [التحريم: ٨]، وعن النبي ﷺ: «**أتضرع في أمته فأوحى الله إليه إن شئت جعلت حسابهم إليك، قال: لا يا رب أنت أرحم بهم مني، فقال الله تعالى: إذًا لا نخزيك فيهم**».

حكاية: قال سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنهم-: رأيت البارحة في المنام جميع الأنبياء مع كل نبي أربعة مصابيح ومع كل واحد من أصحابه مصباح واحد ورأيت واحدًا قد أضاء له المشرق والمغرب في كل شعرة من رأسه مصباح ومع كل واحد من أصحابه أربع مصابيح، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا محمد ﷺ وكان كعب الأحبار خلفه يسمع، فقال عمر: كيف تروي هذا؟ قال عن رؤيا رأيتها في المنام، فقال: والله لكأنك قرأت التوراة فرأيت هذا فيها وفيها رجل مختلف في نبوته وهو الخضر - عليه السلام - وأوسطها الصحابة كل واحد منهم له شفاعة، وفي الحديث «**أهل الجنة مائة وعشرون صفًا ثمانون من هذه الأمة فتكون**

هذه الأمة ثلثي أهل الجنة» .

فإن قيل : أهل الجنة أكثر أم أهل النار؟ .

فالجواب: من وجوه:

الأول : قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة :٢٧٧] ، وقليل ما هم .

الثاني : قوله ﷺ: «**من كل ألف واحد والباقي لإبليس**» ذكره الرازي في تفسير سورة النساء .

الثالث : قوله ﷺ: «**أنتم في الأمم كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود**»، ولا شك أن المؤمنين بالنبي ﷺ أكثر ممن آمن بالأنبياء من أممهم .

فإن قيل : إذا كان أهل جهنم أكثر من أهل الجنة فكيف يقول مولانا - عز وجل - حكاية عن إبليس - لعنه الله - : ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء :١١٨] والنصيب لا يقتضى الكثرة . فالجواب : هذا باعتبار البشر أما إذا اعتبرنا الملائكة مع المؤمنين من البشر صار حزب الله أكثر .

وجواب آخر : المؤمنون وإن كانوا قليلين فهم كثيرون عند الله بالمنزلة والدرجة بخلاف حزب الشيطان .

فصل: في ذكر ما تيسر من المشهورين بالكنية بأسمائهم وتواريخهم من الصحابة - رضي الله عنهم وغيرهم

أبو بكر الصديق : اسمه : عبد الله ، أسلم أبوه عثمان يوم الفتح وتقدم في مناقب أبى بكر .

أبو أيوب الأنصاري : اسمه : خالد بن زيد قبره ببلاد الروم يستسقون به .

أبو عبيدة بن الجراح : تقدم في مناقب العشرة .

أبو موسى الأشعري : اسمه : عبد الله بن قيس .

ولده أبو بردة : اسمه : الحارث .

عمه أبو بردة : اسمه : عامر .

أبو بردة الأسلمي : اسمه : فضلة .

أبو جحيفة : اسمه : وهب بن عبد الله .

أبو الجعد : عم عائشة من الرضاعة ، اسمه : أفلح .

أبو بكرة : من فضلاء الصحابة بالبصرة ، اسمه : نفيع بن حارث .

أبو الدرداء : اسمه : عويمر بن مالك ، قال في شرح المهذب : كان أبو الدرداء فقيهًا ولي القضاء بدمشق لعثمان بن عفان ، مات سنة اثنتين وثلاثين ، قبره في دمشق في باب القصير .

أبو ذر: اسمه: جندب بن جنادة بن العماد، كنى بأبي ذر؛ لأنه خبز خبزًا فطلع عليه الذر فوزنه فلم يزن شيئًا، فقال: انظروا إلى هذا الذر لم يظهر في ميزان الدنيا وميزان الآخرة يطيش بذرة واحدة أي وهي النملة الصغيرة الحمراء، قال في الروضة: يحل قتله دون النمل الأسود.

أبو سعيد الخدري: اسمه: سعد بن مالك وأمه أم سليط. قال في شرح المهذب: ومالك أبو سعيد كان صحابيًّا أيضًا.

أبو طيبة: حاجم النبي ﷺ اسمه: دينار، وقيل: ميسرة.

أبو طلحة الأنصاري: اسمه: زيد بن سهر.

أبو العاص بن الربيع: زوجه النبي ﷺ زينب كما تقدم في مناقب فاطمة وقيل: القاسم.

أبو قتادة: اسمه: الحارث وقيل: النعمان.

أبو كامل: اسمه: قيس وقيل عبد الله.

أبو واقد الليثي: اسمه: الحارث بن مالك.

أبو ليلى: اسمه: بلال وقيل: داود، شهد بدرًا.

أبو هريرة: اسمه: عبد الرحمن، قال: يا رسول الله إن أمي دعوتها إلى الإسلام فأسمعتني فيك ما أكره، فقال: «**اللهم اهد أم أبي هريرة**» قال: فخرجت أعدو لأبشرها فرأيت الباب مردودًا فلما أحست بي خرجت وهي تقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، فرجعت وأنا أبكي من الفرح كما كنت أبكي أولاً من الحزن، وقلت: يا نبي الله قد استجاب الله دعاءك ادع الله أن يحببني وأمي إلى المؤمنين فما من مؤمن ولا مؤمنة إلا ويحبنا، واسم أمه: أميمة وقيل: آمنة.

أبو أمامة: اسمه: صُدَى - بضم الصاد وفتح الدال وتشديد الياء -، روى عن النبي ﷺ مائة حديث وخمسين حديثًا.

أبو زرعة الحافظ: اسمه: عبد الله بن عبد الكريم.

أبو بكر: اسمه: دلف.

أبو تراب النخشبي: اسمه: عسكر، مات ببلده، وبلده نخشب من وراء النهر مات سنة خمس وأربعين ومائتين.

أبو سليمان الداراني: اسمه: عبد الرحمن.

أبو يزيد البسطامي: اسمه: طيفور بن عيسى مات سنة إحدى وستين ومائتين.

أبو على الروذباذي: اسمه: محمد بن أحمد مات سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وروذباذ قرية من قرى بغداد.

أبو عبد الرحمن السلمي: اسمه: حسين بن محمد مات سنة أربعمائة واثنتي عشرة.

أبو سعيد الخزاز: اسمه: أحمد بن عيسى مات سنة اثنتين وسبعين ومائتين.

الإمام أبو حنيفة -رضي الله عنه-: اسمه: النعمان بن ثابت مات ببغداد سنة خمسين ومائة، وهو ابن تسعين سنة، ختم القرآن في الموضع الذي مات فيه ستة آلاف مرة وجاءته امرأته وهو في الدرس فألقت له تفاحة نصفها أحمر ونصفها أصفر فأخذها وكسرها وأعادها إليها ففهمت المرأة الجواب، فسئل عن ذلك فقال: إنها ترى الحمرة والصفرة فمتى تغتسل؟ فقلت لها: حتى ترى الطهر الأبيض كباطن التفاحة، وتقدم بعض محاسنه في باب التقوى وفي باب فضل العلم.

الإمام مالك -رضي الله عنه-: مات سنة تسع وتسعين ومائة وكان يمنع من الصلاة بعد العصر فدخل يومًا الجامع، فقال له صبي: قم فاركع ركعتين فقام فصلى، فقيل له: كيف خالفت مذهبك؟ فقال: خشيت أن أكون من الذين إذا قيل لهم: اركعوا لا يركعون.

الإمام الشافعي -رضي الله عنه-: اسمه: محمد بن إدريس ولد سنة خمسين ومائة ومات سنة أربع ومائتين، أخبر عنه النبي ﷺ: «**أنه عالم قريش يملأ طباق الأرض علمًا**» وأوصى قبل موته أن يمروا بجنازته على باب السيدة نفيسة ففعلوا فصلت عليه، ثم ماتت بعده بأربع سنين -رضي الله عنهما.

الإمام أحمد بن حنبل -رضي الله عنه-: مات سنة إحدى وأربعين، قال الشافعي -رضي الله عنه-: رأيت النبي ﷺ في المنام فقال: اكتب إلى أبى عبد الله أحمد بن حنبل وأقرئه مني السلام وقل له: إنك ستمتحن وتدعى إلى خلق القرآن فلا تجبهم فيرفع الله لك علمًا يوم القيامة، قال أحمد بن شمعون: من زار قبر أحمد بن حنبل وبشر الحافي يطالبني يوم القيامة قال: أحمد بن حنبل، قال بعضهم: رأيت النبي ﷺ في المنام فسألته عن أحمد فقال: «**اسأل عن موسى**» فسألته فقال: هو من الصديقين وقال بعضهم: رأيت زبيدة في المنام وكنيتها أم العزيز، وشعرها أبيض فسألتها عن ذلك فقالت: لما جردوا الإمام أحمد للضرب زفرت جهنم زفرة فلم يبق أحد في القبور إلا ابيض شعره ولما ضربه الجلاد أول ضربة بالسوط شق خاصرته فقال: اللهم أعم بصره، ثم رآه بعد ذلك وهو أعمى فسأله عن ذلك فقال: حتى تخرج الروح قبل أن تقول: القرآن مخلوق، فقال الإمام أحمد: اللهم إن كان صادقًا فرد عليه بصره فرد الله عليه بصره، وفي السوط الأول قال: بسم الله وفي الثاني قال: لا حول ولا قوة إلا بالله وفي الثالث قال: القرآن كلام الله غير مخلوق، وفي الرابع قال: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]، ثم انقطعت حاشية سراويله فقال: اللهم إني أسألك باسمك الذي ملأت به العرش إن كنت تعلم أني على صواب فلا تهتك ستري فرفعت سراويله، قال معروف الكرخي: رأيت رجلاً في المنام فقلت له: من أنت؟ قال: موسى بن عمران، قلت:

موسى بن عمران الذي كلم الله قال: نعم، ثم رأيت ثلاثة نزلوا من سقف البيت فقلت: من هؤلاء؟ قال: عيسى ابن مريم ونبيكم محمد وأحمد بن حنبل وحملة العرش والملائكة يشهدون أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

إمام الحديث أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: آية من آيات الله يمشي على وجه الأرض، قال النووي: سمع البخاري من البخاري أي سمع صحيح البخاري من البخاري سبعون ألف رجل وكان يحضر مجلسه عشرون ألفًا، روى عنه الترمذي والنسائي، وقال محمد بن بشار شيخ البخاري: حفاظ الدنيا أربعة مسلم النيسابوري والبخاري ببخار وأبو زرعة بالري وعبيد بن عبد الرحمن الدارمي بسمرقند.

إمام المحدثين مسلم بن الحجاج: مات سنة إحدى وستين ومائتين.

ابن بنت الشافعي: اسمه: أحمد بن محمد وأمه اسمها: زينب مات سنة تسع ومائتين.

الأوزاعي: تقدم في باب المحبة.

القفال الكبير: اسمه: محمد بن على مات سنة خمس وستين وثلاثمائة والقفال الصغير تقدم في فضل إكرام المشايخ في باب العدل.

الروياني: صاحب الحلية اسمه: عبد الواحد بن إسماعيل مات سنة اثنين وخمسمائة.

القاضي أبو الطيب: اسمه: طاهر بن عبد الله مات سنة خمسين وأربعمائة، قال له النبي ﷺ في المنام: «**يا فقيه**» فكان يفتخر بذلك ويقول: سماني النبي ﷺ فقيهًا، عاش مائة عام وعامين.

الماوردي: اسمه: على بن محمد، مات سنة أربع وستين وثلاثمائة.

أبو منصور البغدادي الأستاذ: اسمه: عبد القاهر بن طاهر مات سنة تسع وعشرين وأربعمائة.

العبادي: - بفتح العين وتشديد الباء - اسمه: محمد بن أحمد مات سنة تسع وعشرين وأربعمائة.

الشيخ أبو حامد: اسمه: أحمد بن محمد مات سنة ست وأربعمائة.

الثعلبي: تقدم في المعراج.

البغوي: اسمه: حسين بن مسعود كان يأكل الخبز وحده، ثم أكله بالزيت فقد مات سنة عشر وخمسمائة.

إمام الحرمين: اسمه: عبد الملك مات سنة ثمان وسبعين وأربعمائة.

والده الشيخ أبو محمد: اسمه: عبد الله بن يوسف مات سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة، قال

بعضهم: لو جاز أن يبعث الله نبيًّا بعد محمد لكان الشيخ أبو محمد الجويني.

القشير: اسمه: عبد الكريمٌ مات سنة خمس وستين وأربعمائة.

الشيخ أبو إسحاق الشيرازي: تقدم في باب فضل العدل.

الخطابي: اسمه: حمد بفتح الحاء وسكون الميم مات سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة.

الحناطي: اسمه: حسين بن محمد كان في زمانه يبيع الحنطة مات بعد الأربعمائة.

المحاملي: اسمه: أحمد بن محمد مات سنة خمس عشرة وأربعمائة.

المتوالي: اسمه: عبد الرحمن مات سنة ثمان وسبعين وأربعمائة.

الحاكم: تقدم في باب المولد.

النسائي: اسمه: أحمد بن شعيب مات سنة ثلاثمائة.

الترمذي: اسمه: محمد بن عيسى مات سنة تسع وسبعين ومائتين بترمذ.

أبو داود: اسمه: سليمان مات بالبصرة سنة خمس وسبعين ومائتين.

ابن يزجة: اسمه: محمد بن يزيد القزويني مات سنة ثلاث وتسعين ومائتين.

البزار: اسمه: أحمد بن عمر مات بالرملة سنة اثنتين وتسعين ومائتين.

ابن أبي الدنيا: اسمه: عبد الله بن محمد القرشي مات سنة إحدى وثمانين ومائتين.

الطبراني: منسوب إلى طبرية ببلاد صفد مات سنة ثلاث وثلاثين بأصبهان.

الدارقطني: اسمه: على مات ببغداد سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة.

البيهقي: اسمه: أحمد بن حسين وكان جبلاً من جبال العلم مات سنة ثمان وخمسين وأربعمائة.

الغزالي: اسمه: محمد بن محمد بن محمد قال القاضي أبو بكر: أخذت علم التصوف عن الغزالي، فلما رجعت إلى بلادي ركبت البحر فهاجت أمواجه، فقلت: أيها البحر اسكن فإنما عليك بحر مثلك فظهرت لي دابة وقالت: أخبرني عن عدة الممسوخ زوجها فلم أعلم جوابها فرجعت إلى الإمام الغزالي وأخبرته: فقال: إن مسخ حيوانًا تعتد عدة الطلاق؛ لأن الروح باقية، وإن مسخ جمادًا فتعتد عدة وفاة؛ لأن الروح فارقت البدن، ورجعت إلى البحر فطلعت الدابة فأخبرتها بالجواب، فقالت: ذاك البحر لا أنت، مات سنة خمس وخمسمائة.

المحب الطبري: اسمه: أحمد بن عبد الله مات سنة ست وسبعين وخمسمائة.

الرافعي: اسمه: عبد الكريم بن محمد مات سنة ثلاث وعشرين وستمائة.

الرازي: اسمه: محمد بن عمر وهو شيخ شيوخ النووي مات سنة ست وستمائة.

ابن الصلاح: اسمه: عثمان بن عبد الرحمن، قال: ما فعلت صغيرة في عمري، مات سنة ست وأربعين وستمائة.

ابن عبد السلام: اسمه: عبد العزيز مات سنة اثنتين وثلاثين وستمائة.

النووي: اسمه: يحيى مات سنة ست وسبعين وستمائة.

قال مؤلفه -رحمه الله تعالى-: رأيته في المنام فقرأت عليه الفاتحة فقال: ما يتوفاك الله إلا وهو عنك راض، ثم نقل عن والده -رحمه الله تعالى- أنه قال: رأيت في المنام كأن السماء كتب عليها بالنور بخطٍ غليظ، فقلت: ما هذا؟ قال: كلام النووي.

السهرودي صاحب العوارف: اسمه: عمر بن محمد مات سنة اثنتين وثلاثين وستمائة.

القرطبي: اسمه: محمد بن أحمد مات سنة إحدى وسبعين وستمائة.

ابن دقيق العيد: مات سنة اثنتين وستمائة.

ابن الرافعة: اسمه: أحمد بن محمد مات سنة ست عشرة وأربعمائة.

السبكي: اسمه: على الكافي مات سنة ست وخمسين وسبعمائة.

الأذرعي: اسمه: أحمد بن أحمد مات سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة.

الإسنوي: اسمه: عبد الرحيم مات سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة.

النيسابوري: اسمه: حسن بن محمد، لم أقف على وفاته بل رأيت قطعة من تفسيره بخطه قال: فرغت من تعليقه حادي عشر المحرم عام ثمان وعشرين وسبعمائة.

اليافعي: اسمه: عبد الله مات بمكة سنة ثمان وستين وسبعمائة.

البلقيني: اسمه: عمر بن رسلان مات سنة ثمان وثمانمائة.

الدميري: اسمه: محمد بن موسى مات سنة ثمان وثمانمائة.

الحصيني: اسمه: أبو بكرٌ مات سنة تسع وثمانمائة. فهذا ما يسر الله تعالى به ذكر الصحابة والعلماء والأولياء الذين شرفت بهم هذه الأمة وغالبهم مذكور في كتابي هذا تبركًا ومحبة، والمرء مع من أحب إن شاء الله تعالى، والله أعلم.

باب: ذكر أشياء من فعلها حرمه الله على النار وأعتقه منها

وهي بحمد الله كثيرة وها أنا إن شاء الله تعالى أذكر من الكثير اليسير، ومن اليسير عن النبي ﷺ: **«ما من عبدين متحابين في الله يستقبل أحدهما الآخر فيصافحه ويصليان على النبي ﷺ** لم يتفرقا حتى يغفر ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر» رواه ابن السني. وفي البخاري عن النبي ﷺ: **«من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله عن النار»** وعن النبي ﷺ: **«من صلى قبل الظهر أربعًا وبعده أربعًا حرمه الله على النار»** وعن النبي ﷺ: **«من صلى أربع ركعات بعد زوال**

الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن، صلى معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى الليل» وفي كتاب «**البركة**» عن النبي ﷺ: «**من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي عصمه الله في أهله وماله ودينه ودنياه**» وعن النبي ﷺ: «**لا تزال أمتي يصلون هذه الأربع ركعات قبل العصر حتى يمسي أحدهم - يعني على الأرض - مغفور له مغفرة حتمًا**» رواه الطبراني. قال في العوارف: يقرأ في الأربع قبل العصر إذا زلزلت والعاديات والقارعة وألهاكم، وفي رواية ابن عمر: «**رحم الله امرءًا صلى قبل العصر أربعًا**»، وعن ابن سعد عن النبي ﷺ: «**من قعد في مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى يصلي ركعتي الضحى لا يقول إلا خيرًا غفر له خطاياه وإن كانت أكثر من زبد البحر**» وفي رواية الحسن بن علي - رضي الله عنهما-: «**لم تمس جلده النار**» وفي رواية عائشة: «**خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**» وفي رواية: «**من صلى صلاة الفجر، ثم قعد في مجلسه حتى تطلع الشمس ستره الله من النار**» ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب «**الذكر**»، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ: «**من مشى مع أخيه في حاجة فناصحه الله فيها جعل الله بينه وبين النار سبع خنادق، ما بين الخندق والخندق كما بين السماء والأرض**».

وفي طبقات الأتقياء: عن النبي ﷺ: «**من كبر تكبيرة عند غروب الشمس على ساحل البحر رافعًا صوته أعطاه الله من الأجر بعدد كل قطرة في البحر عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات**» رأيته في كتاب الذريعة لابن العماد بخط مؤلفه وفي كتاب الأبرار عن النبي ﷺ: «**استكثروا من الإخوان فإن الله تعالى حيي كريم يستحيي من عبد أن يعذبه بين إخوانه يوم القيامة**».

وفي كتاب البركة: عن جعفر الصادق - رضي الله عنه -: أطيلوا الجلوس على المائدة مع الإخوان فإنها ساعة لا تحسب من أعمارهم، وورد الأكل مع الإخوان شفاء، وعن النبي ﷺ: من رد عن عرض أخيه بالغيب كان حقًّا على الله أن يعتقه من النار، وقال النبي ﷺ: «**أيما عبد قال: لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كان حقًّا على الله أن يحرمه على النار**» وعن النبي ﷺ: «**من قال حين يصبح: لا إله إلا الله والله أكبر أعتقه الله من النار**» وعن النبي ﷺ: «**إذا قال العبد: يا معتق الرقاب، يقول الله تعالى: يا ملائكتي قد علم عبدي أنه لا يعتق الرقاب غيري أشهدكم يا ملائكتي أني أعتقه من النار**» وعن النبي ﷺ: «**إذا قال العبد في ركوعه: سبحان ربي العظيم أعتق الله ثلث جسده من النار، وإذا قال ثلاث مرات أعتق الله جسده كله من النار**» وتقدم أن النبي ﷺ قال: «**من بلغه عن الله فضيلة فلم يصدق بها فلما ينلها**» وعن النبي ﷺ: «**إذا لعق الرجل القصعة استغفرت له القصعة وتقول: اللهم أعتقه من النار كما أعتقني من الشيطان**»؛ لأن الشيطان يلعقها عند فراغها. وعن النبي ﷺ: «**من لعق القصعة ولعق أصابعه أشبعه الله في الدنيا والآخرة**» وعن النبي ﷺ: «**اغسلوا القصعة واشربوها فمن فعل ذلك كان كمن أعتق أربعين رقبة من ولد إسماعيل**» وقال أنس -رضي الله عنه-: أحب

الشيء إلى الله تعالى أن يرى عبده المؤمن مع امرأته وولده على مائدة يأكلون، فإذا اجتمعوا عليها نظر الله إليهم بالرحمة ويغفر لهم قبل أن يتفرقوا.

وفي ربيع الأبرار: قال ابن المبارك: من كان في قلبه مودة لأخيه المسلم ولم يعلمه بها فقد خانه، وقال علي -رضي الله عنه-: أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان وكان ﷺ يكره الطعام الحار، ويقول: عليكم بالطعام البارد فإنه دواء ألا وإن الحار لا بركة فيه.

وفي العوارف: عن النبي ﷺ: **«النفخ في الطعام يذهب البركة»** وقال أنس رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: **«من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجره مني»**.

لطيفة: قال رجل: يا رسول الله أريد منك ناقة أركبها وشاة أحلبها، فقال له: أعجزت أن تكون مثل عجوز بني إسرائيل؟ قال: إن موسى لما خرج ببني إسرائيل من مصر أظلم عليهم القمر فقال: ما هذا؟ فقال العلماء: إن يوسف أخذ علينا العهد أن لا نخرج إلا بجسده فقال موسى: أيكم يعلم قبره؟ قالوا: لا يعلم قبره إلا هذه العجوز، فسألها عن ذلك فقالت: لا أفعل حتى تعطيني حكمي، قال: وما حكمك؟ قالت: أكون معك في الجنة.

قال مؤلفه -رحمه الله تعالى-: آدم - عليه السلام - علم الأسماء فحصل له الشرف عند الملائكة، والهدهد كان يعلم موضع الماء فحصل له الشرف عند الطيور فكان يقول لسليمان: يا نبي الله الماء ههنا، فينزل في المكان فإذا حفروا وجدوا الماء، وهذه العجوز أفادها علمها بقبر يوسف أن تكون في الجنة مع موسى - عليه السلام - كذلك المؤمن إذا استفاد علمًا ظهر شرفه على غيره، قال النبي ﷺ: **«من طلب العلم لغير الله لم يخرج من الدنيا حتى يأتي قلبه للعلم فيكون لله ومن طلب العلم فهو كالصائم نهاره وكالقائم ليله فإن بابًا من العلم يتعلمه الرجل خير من أن يكون له أبو قبيس ذهبًا ينفقه في سبيل الله»** وقال علي -رضي الله عنه-: العلم يقوي الرجل على المرور على الصراط، ذكره كله الرازي في تفسيره وسيأتي على هذا زيادة، وتقدم في باب فضل العلم، قال القرطبي: من أطاع مولاه وخالف هواه كانت الجنة مأواه ومن تمادى عصيانه وأرخى زمام طغيانه واتبع هوى نفسه وشيطانه كانت النار أولى به. وذكر في الوجوه المسفرة عن اتساع المغفرة: عن النبي ﷺ: **«من قال: أستغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة»**.

فائدة نختم بها الباب: رأيت في الوجوه المسفرة عن اتساع المغفرة أن أبي بن كعب قال للبراء بن مالك -رضي الله عنهما-: ما تشتهي؟ قال: سويقًا وتمرًا فأطعمه حتى أشبعه، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: **«إن المرء إذا فعل ذلك بأخيه لوجه الله لا يريد بذلك جزاء ولا شكورًا بعث الله إلى منزله عشرة من الملائكة يسبحون الله ويهللونه ويكبرونه ويستغفرون له حولاً كاملاً فإذا كان الحول كتب الله له مثل عبادة أولئك الملائكة وحق على الله أن يطعمه من طيبات الجنة في**

جنة الخلد وملك لا يبلى» .

قال مؤلفه : البراء بن مالك -رحمه الله تعالى- لم أره في تهذيب الأسماء واللغات وإنما ذكره البراء بن عازب وروى ثلاثمائة وخمسة أحاديث وهو صحابي، وأبى بن كعب -رضي الله عنه- روى مائة حديث وأربعة وستين حديثًا، قالت عائشة -رضي الله عنها- : قال لي النبي ﷺ: «**إذا قال العبد : يا رب الأرباب، قال الله تعالى : لبيك يا عبدي سل تعط فرحم الله امرءًا قال : يا رب الأرباب أسألك النجاة من النار وهي دار الهون والعقاب والفوز بالجنة ومحل الرضوان ومجمع الأحباب لي وللمسلمين**» ولمؤلف هذا الكتاب من غير عذاب يسبق يا كريم يا وهاب، والله أعلم .

باب: في ذكر الجنة

قال الله تعالى : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [آل عمران :١٣٣]، أي بادروا بالطاعة والقرب إلى ربكم، ﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [آل عمران :١٣٣]، قال ابن عباس -رضي الله عنهما- : تقترن السموات والأرض بعضهما إلى بعض فذلك عرض الجنة، قال الطبري : لما خلق الله الجنة قال لها : امتدي، قالت : يا رب إلى كم أمتد؟ قال : امتدي مقدار رحمتي فهي تمتد إلى أبد الآبدين ليس لها طرف كما أن رحمة الله ليس لها طرف، ورأيت في تفسير ناصر الدين السمرقندي في قوله تعالى : ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾ [الكهف :١٠٩]، أي لو كان البحر مدادًا لما أعد الله تعالى للمؤمنين في الجنة لنفد البحر قبل أن ينفد ثواب المؤمن، وقال ابن عباس -رضي الله عنهما- : إنها تمد من حين خلقها الله تعالى إلى يوم القيامة .

لطيفة : لما خرج يوسف من الجب وضربه إخوته قالت الملائكة : ربنا إنهم يضربون يوسف فقال : هذا في ملك مصر والتولية على خزائنها قليل، كذلك المؤمن إذا وقع في سكرات الموت، تقول الملائكة : ربنا قد وقع عبدك في كرب الموت فيقول الله تعالى : هذا في نعيم الجنة قليل. وعن النبي ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة واستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار أمر الله تعالى جبريل أن يحضر الأولياء في مقعد صدق أي في مجلس حق، فيأتي أهل الجنان والأولياء في مقاصيرهم فينادي الأولياء فيخرجون من قصورهم فيقول الله تعالى : ما يريدون؟ فيقولون : نريد وعدك من رؤيتك مع لذيذ كلامك أنت وعتنا بذلك فيناديهم : يا معشر الأولياء والأحباب ها أنا رب الأرباب فإذا شاهدوا وجهه الكريم خروا له سجدًا فيقول : ارفعوا رءوسكم وانظروا إلى حبيبكم فليس هذا يوم نصب (أي تعب) أنتم أحبتي وهذا الحبيب، ينظرون، ثم يقول قائل منهم : هو . قد حفت بهم الولدان فهم يأكلون وإلى وجه الحبيب ينظرون، ثم يقول قائل منهم - هو علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- : مولانا قد كنت وعدتنا في كتابك أن تسقينا أنت، فيقول الله تعالى : صدق وليي اشرب هنيئًا مريئًا فما يشعر إلا والكأس على فمه وتتبادر الكاسات**

إلى أفواه الأولياء من تحت أذيال العرش بلا واسطة، ثم يقول الله تعالى: أحبابي ما تحبون مني؟ فيقولون: صوت داود، فيقول الله تعالى: يا داود أتل على الأولياء كلامي، فيقول داود: بسم الله الرحمن الرحيم إن المتقين في مكان أمين في جنات وعيون يلبسون من سندس خضر وإستبرق متقابلين، فيطوفون وفي رواية فيطيرون مائتي عام، ثم يقول الله تعالى: أتحبون كلامي مني، فيقولون: نعم جل جلاك فيقول: أنا الرحمن الرحيم علم القرآن فيتيهون في الملكوت ألف عام»، وتقدم أن سورة الرحمن عروس القرآن عن أنس -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ: **«يبعث الله جبريل إلى غرفة من غرف الجنة فينادي بأعلى صوته: يا أهل السعادة يا أهل الكرامة السلام يقرئكم السلام ويأمركم أن تزوروه فيستوون على الخيل كالبرق وعلى نجائب من ياقوت حتى يلتقوا بالجبار جل جلاله، فيقول: مرحبًا بزواري ووفدي وجيراني في جنتي اسقوهم، فتؤتوا إلى أسفلهم درجة بتسعين ألف إبريق في كل إبريق مع سبعمائة ألف غلام، ثم يقول الجبار جل جلاله: مرحبًا بزواري ووفدي اكسوهم فيؤتوا بكسوة أحدهم بين أصبع الملك سبعين حلة، ثم مرحبًا بزواري ووفدي طيبوهم فتفوح رائحة من تحت العرش يقال لها: المنيرة فيهطل عليهم المسك شبه الندى، ثم يقول: مرحبًا بزواري ووفدي وعزتي وجلالي ما خلقت الجنة إلا لأجلكم فيكشف الحجاب فينظرون إليه جل جلاله»**.

ومما رأيته في نعيم الجنة: إنهم إذا استقروا في الجنة يرسل الله إلى كل واحد تفاحة مع ملك فيأخذها فيرى جارية وكتاب من العزيز الحكيم: قد اشتقت إليك فزرني فيركب الرجال على خيل من ياقوتة حمراء لكل فرس جناحان من فضة وجناحان من ذهب، ويركب النساء على الهودج فتسير الرجال إلى محمد وتسير النساء إلى فاطمة قد جعلهن الله ﴿عُرُبًا﴾ [الواقعة :٣٧] أي عاشقات لأزواجهن ﴿أَتْرَابًا﴾ [الواقعة :٣٧] أي على سن واحد ثلاث وثلاثين سنة كسن عيسى – عليه السلام – فأجلها على سن عيسى وطول آدم وهو ستون ذراعًا في سبعة أذرع وعلى حسن يوسف وعلى خلق محمد وعلى صوت داود فتنزل النساء في إيوان من درة بيضاء عند فاطمة والرجال في ميدان من مسك فيه كراسي من الذهب وبين الرجال والنساء حجاب من نور فيسلم الحق جل جلاله على الرجال واحد بعد واحد ويسلم على النساء كذلك، ويقول: مرحبًا بعبادي وأوليائي فيضيفوهم، ثم يقول: يا ملائكة أطربوهم فتأتيهم الملائكة بمغاني الجنة وهم الحور العين فيتواجدون من الطرب فإذا أفاقوا قالوا: ربنا نحب أن نسمع كلامك، فقال: يا داود أسمعهم كلامي فيرقى على منبره ويقرأ الزبور فيتواجدون من الطرب فإذا أفاقوا قال: يا عبادي هل سمعتم صوتًا أطيب من هذا؟ فيقولون: لا يا ربنا، فيقول: وعزتي وجلالي لأسمعنكم أطيب منه يا محمد قم وارق واقرأ سورة طه ويس فيزيد في صوت محمد في الحسن على صوت داود سبعين ضعفًا فيتواجدون من الطرب وتهتز الكراسي من تحتهم، فإذا أفاقوا قال: يا عبادي هل سمعتم صوتًا أطيب من هذا؟ فيقولون: لا يا ربنا فيقول: وعزتي وجلالي

لأسمعنكم أطيب منه فيتكلم سبحانه وتعالى في سورة الأنعام فيطرب القوم فتتمايل الأشجار والقصور ويهتز العرش فيكشف الحجاب عن وجهه جل جلاله، ويقول: يا عبادي من أنا؟ فيقولون: أنت ربنا فيقول: أنا السلام وأنتم المسلمون، ثم يقول: يا ملائكتي قدموا لهم نجائب غير النجب التي قدموا عليها فيركب الرجال على خيل بلق أجنحتها خضر والنساء على نجائب أقتابها من ذهب، ثم يدخلون سوق المعرفة فيسأل بعضهم بعضًا أين أنت يا فلان؟ فيقال: مسكني الفردوس ويقول الآخر: أنا في جنة عدن، ويقول الآخر: أنا في جنة الخلد ويقول الآخر: أنا في جنة المأوى على اختلاف درجتهم.

وأول الجنان: دار الجلال من اللؤلؤ الأبيض.

وثانيها: دار السلام من ياقوت أحمر.

وثالثها: جنة المأوى من زبرجد أخضر.

ورابعها: جنة الخلد من مرجان أصفر.

وخامسها: جنة النعيم من فضة بيضاء.

وسادسها: جنة الفردوس من ذهب أحمر.

وسابعها: جنة عدن من در أبيض.

وثامنها: دار القرار.

لطيفة: عن أنس -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء، ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجدة خضراء حيطانها مسك وحشيشها زعفران وحصباؤها اللؤلؤ وترابها العنبر، ثم قال لها: انطقي، فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]، فقال: وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل، وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: وإن في الجنة شجرة ثمرها كأنه الرمان فإذا أراد وَلي الله الكسوة انحدرت من غصنها، فانفلقت عن اثنتين وسبعين حلة ألوانًا بعد ألوان، ثم تنطبق فترجع كما كانت.

قال في روضة الحقائق: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله أفي الجنة سماع؟ فسكت حتى جاء جبريل فقال: أين السائل؟ فقال: ها أنا يا رسول الله، فقال: إن في الجنة لمدينة لها حافتان من لؤلؤ أحمر يسير الراكب فيها سبعين عامًا، فيها حور أبكار قد علمن القرآن، فإذا أراد أهل الجنة أن يتلذذوا ركبوا دوابهم، الراكب على فرس من ياقوتة حمراء ومنهم الراكب على نجيبة من زمردة خضراء، فإذا أتوا المدينة نزلوا عن دوابهم فتوضع لهم منابر من نور ويصطف الجواري بين أيديهم يقرءون القرآن بأصوات لم يسمع السامعون مثلها، فقال الأعرابي: هل أنت مزوجني واحدة منهن إذا أطعتك؟ قال: «**علي أن أزوجك باثنتين وسبعين زوجة**»، فقال: لا أعصيك أبدًا، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: قصور الجنة عدد نجوم السماء وأنهارها عدد نجوم السماء

فيها نهر يقال له: نهر الرحمة يجري في جميع الجنان.

وفي تذكرة القرطبي: يعرفون الصباح برفع الحجاب والمساء بإرخائه وأوقات الصلاة والتهليل والتكبير ويعرفون يوم الجمعة بالزيارة لله تعالى ويعرفون الشهر بالهدايا والتحف تأتيهم الملائكة بها من الله تعالى في رأس كل شهر ويعرفون العام بقول الملائكة لهم: إن الله تعالى يدعوكم للطعام فهو لهم عيد من العام للعام، ويزوجون من الحور العين في ذلك اليوم. وذكر القرطبي في سورة الواقعة عن خالد بن الوليد عن رسول الله ﷺ: «**أن الرجل من أهل الجنة ليمسك التفاحة من تفاح الجنة فتتعلق في يده فتخرج منها حوراء لو نظرت للشمس لأخجلتها من حسنها ولا تنقص التفاحة**»، فقال رجل: يا أبا سليمان إن هذا لعجب لا ينقص من التفاحة شيء، قال: «**نعم كالسراج إذا أخذت منه سرج كثيرة لم ينقص منه شيء**»، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما-: خلق الله الحوراء من أصابع رجليها إلى ركبتيها من الزعفران ومن ركبتيها إلى ثدييها من المسك ومن ثدييها إلى عنقها من العنبر ومن عنقها إلى رأسها من الكافور الأبيض وشعرها القرنفل عليها سبعون حلة مثل شقائق النعمان.

وذكر القرطبي في سورة الرحمن: في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمٰن :٥٨] ، أي هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان. وقال النبي ﷺ: «**إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة**» قال قتادة: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمٰن :٧٠] أي خيرات الأخلاق، حسان الوجوه ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ﴾ [الرحمٰن :٧٢] أي محبوسات ﴿فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمٰن :٧٢] من الدر ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمٰن :٥٦] أي لم يمسسهن أحد قبل أزواجهن. وسمى الله الحور العين هذا الاسم لشدة بياض عيونهن وسوادها، قال أبو هريرة: والذي أنزل القرآن على محمد ﷺ إن أهل الجنة ليزدادون حسنًا وجمالاً كما يزداد أهل الدنيا هرمًا وضعفًا، إن الفقير من أهل الجنة ليبلغ ملكه ألف عام.

وذكر القرطبي: في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ [الواقعة :١٥] أي منسوجة من الذهب مشبكة بالدر والياقوت ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة :٣٤] ارتفاعها كما بين السماء والأرض ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الواقعة :١٧] ، قيل: هم أطفال المسلمين وقيل: هم أطفال المشركين وقيل: هم غلمان خلقت في الجنة، بأكواب وهي كيزان لا عرى لها ولا خراطيم وأباريق سميت بذلك؛ لأن لونها يبرق. وعن أنس عن النبي ﷺ: «**أقل أهل الجنة درجة مني رجل على رأسه عشرة آلاف خادم وبيد كل خادم صفحتان واحدة من ذهب والأخرى من فضة، في كل واحدة لون ليس في الأخرى مثل ما يأكل من آخرها مثل ما يأكل من أولها يجد لآخرها من اللذة والطيب مثل ما يجد لأولها، ثم يكون بعد ذلك عرقًا كريح المسك الأزفر**» يعنى الذي لا خلط فيه لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ﴿إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر :٤٧] ، وفي حديث أبى هريرة: «**خمسة عشر ألف خادم**»، وفي حديث أبى سعيد الخدري: «**ثمانون ألف خادم**»، ثم قرأ ﴿إِذَا

رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان :١٩] ، إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه شرفهم الرب جل جلاله فينظرون إلى وجهه، فيقول: يا أهل الجنة هللوني فيجوبون بتهليل الرحمن، وقال رجل: يا نبي الله إذا كان الخادم كاللؤلؤ فكيف يكون المخدوم؟ فقال: بينهما كما بين القمر ليلة البدر وبين أصغر الكواكب، وعن النبي ﷺ: «**ما من عبد يصوم يومًا من رمضان إلا زوج من الحور العين سبعين في خيمة من درة مجوفة على كل امرأة منهن سبعون حلة ليس منها حلة على لون الأخرى ويعطى سبعين لونًا من الطيب ليس منها لون على لون الأخرى لكل امرأة منهن سرير من ياقوتة حمراء موشحة بالدر وعلى كل سرير سبعون فراشًا على كل فراش سبعون أريكة - والأرائك السرر - لكل امرأة سبعون ألف وصيفة لحاجتها وسبعون ألف وصيف مع كل وصيف صفحة من ذهب يجد لآخر لقمة منها لذة لم يجدها لأولها ويعطى زوجها مثل ذلك على سرير من ياقوتة حمراء عليه سواران من ذهب موشح بياقوت أحمر هذا بكل يوم يصومه من رمضان سوى ما عمل من الحسنات**» وعن النبي ﷺ: في الجنة شجرة يقال لها: طوبى يقول الله لها: تفتقي لعبدي عما شاء فتفتق عن فرس بسرجه ولجامه وهيئته كما شاء، تتفتق عن الراحلة برحلها وزمامها وهيئتها كما شاء. وقال النبي ﷺ: «**إن أدنى أهل الجنة منزل الذي يركب في ألف ألف من خدمه من الولدان المخلدين على خيل من ياقوت أحمر لها أجنحة من ذهب، وأكرمهم عند الله من ينظر إلى وجهه الكريم بكرة وعشيًا، ثم قرأ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾**».

قال في فردوس العارفين: قال محمد بن الصباح: يؤتى بأهل الولاية يوم القيامة فيقسمون ثلاثة أقسام: فيقول الله تعالى لكل واحد من القسم الأول: ماذا عملت من الطاعات؟ فيقول: يا رب خلقت الجنة ونعيمها فسهرت لها ليلي وظمئت لها نهاري، فيقول: أنت إنما عملت للجنة ومن فضلي عليك أني أعتقك من النار، ثم يقول لكل واحد من القسم الثاني: ماذا عملت من الطاعات؟ فيقول: يا رب خلقت النار وعذابها فسهرت لها ليلي وظمئت لها نهاري، فيقول: إنما عملت خوفًا من النار فقد أعتقتك منها، ثم يقول لكل واحد من القسم الثالث: ماذا عملت من الطاعات؟ فيقول: حبًا لك وشوقًا إلى لقائك، فيقول: أنت عبدي حقًا؟ ارفعوا الحجاب عن عبدي فقد كان شوقه إلي شوقي إليه أشد فيرفعون الحجاب، ثم يقول الله: يا ولي فها أنا أحببتك فوعزتي وجلالي ما خلقت الجنة إلا لأجلك فلك اليوم ما شئت، وعن النبي ﷺ: يبعث الله تعالى جبريل إلى أهل الجنة فيأمرهم برؤية الله تعالى فيخرج آدم - عليه السلام - ومعه ملائكة لهم زجل بالتسبيح والتهليل فيمد أهل الجنة أعناقهم فيقولون: من هذا الذي لم نر أحسن منه؟ فيقولون: هذا آدم يمضي لزيارة ربه سبحانه وتعالى، ثم يخرج إبراهيم في مثل هيئته وموكبه، ثم موسى، ثم عيسى، ثم محمد ﷺ في مثل موكب إبراهيم وموسى وعيسى وآدم وجميع مواكب أهل الجنة وحوله من تسبيح الملائكة ما لا يعلمه إلا الله تعالى، فيقول الله تعالى: مرحبًا بعبادي ووفدي وزواري وجيراني وأوليائي، يا ملائكتي أكرموهم،

فيطرحون للأنبياء منابر النور وللشهداء كراسي النور ولسائر الناس كثائب المسك، ثم يقول الله تعالى: أطعموهم، فيأتون بأنواع الطعام فيوضع بين يدي أسفل أهل الجنة منزلة سبعون ألف صحفة من ذهب كل صحفة ألوان لا يشبه بعضها بعضًا فيأكل ولي الله من تلك الألوان ويجد لآخرها طعمًا لا يجده لأولها، ثم يقول الله سبحانه وتعالى: اسقوهم، فيأتون بالشراب وإنه ليقوم على رأس أسفل أهل الجنة منزلة سبعون ألف ملك شبه اللؤلؤ بأيديهم أواني الفضة وأباريق الذهب فيها شربة ليس فيها لون على لون الآخر كلهم يبتدرون إليه زيهم يأخذ الإناء معه، ثم يقول الله سبحانه وتعالى: اكسوا عبادي، فيستبقون فيؤتون بحلل مطوية مصقولة بنور الرحمن يكسوهم إياها، ثم يقول الله تعالى: طيبوا عبادي، فتثور عليهم ريح تسمى المثيرة فتنشر عليهم المسك الأزفر، ثم يقول الله: مرحبًا بعبادي وعزتي وجلالي لأرينكم وجهي فيتجلى لهم فيرونه سبحانه من غير تكيف وتتصدع قصور الجنة ويصيح أهلها وما فيها من الثمار والأشجار والأنهار يقولون: سبحانك فإذا رأوه خروا له سجدًا فيمكثون في السجود ما شاء الله فيقول سبحانه وتعالى: ارفعوا رءوسكم فقد رضيت عنكم فيرفعون رءوسهم قد زادهم الله بهاء ونورًا وجمالاً، ثم تقدم إليهم خيلهم فيركبونها ويرجعون إلى قصورهم وقد رضوا عن ربهم ورضي عنهم فيدخلون على أزواجهم، فتقول: لهم أزواجهم وقد أوتوا من الحسن من رؤية مولاهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر: يا أولياء الله قد زينتكم كرامة الله فزادتكم نورًا على نوركم وبهاء على بهائكم، قال جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ: إن أهل الجنة ليحتاجون إلى العلماء في الجنة كما يحتاجون إليهم في الدنيا وذلك أنهم يزورون الله تعالى كل جمعة فيقول الله تعالى: تمنوا على ما شئتم فيلتقون بالعلماء فيقولون: ماذا نتمن؟ فيقولون: تمنوا عليه كذا وكذا.

وفي تفسير الرازي: عن النبي ﷺ: العلماء مفاتيح الجنة وخلفاء الأنبياء، وقال النبي ﷺ: للجنة ثمانية أبواب ما بين المصراعين من كل باب كما بين السماء والأرض وفي رواية: كما بين المشرق والمغرب، وفي تذكرة القرطبي: لها ثلاثة عشر بابًا، باب للكاظمين الغيظ وتقدم في باب الحلم وفي البخاري ما بين المصراعين كما بين مكة وبصرى ولعل بعض الأبواب أوسع من بعض لاختلاف الروايات وفي الحديث للترمذي: من قال عقب وضوئه - الحديث المشهور -: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك فتحت له أبواب الجنة الثمانية، وقال مجاهد: الجنة من فضة وترابها من مسك، وقيل: زعفران، وأصول شجرها من ذهب وفضة وأغصانها من لؤلؤ وزبرجد وياقوت والتمر تحت الأغصان من أكل قائمًا لم يؤذه وكذلك القاعد والمضطجع، ثم قرأ: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾[الإنسان:١٤] ، ومثله ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾[الرحمن:٥٤] ، ثمرها قريب

يناله القائم والقاعد والمضطجع فهاتان الجنتان لمن يخاف مقام ربه من ذهب ومن دونهما جنتان من فضة لأصحاب اليمين، قال الله تعالى في الأولين: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمٰن :٥٢] ، وفي الأخيرتين ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمٰن :٦٨] ، فالأول أبلغ وقال في الأوليين: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمٰن :٥٠] ، وفي الأخيرتين: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمٰن :٦٦] ، بالخاء المعجمة فهو أكثر من النضح بالحاء المهملة والمعين أي فوارتان بالماء والمسك والنضح دون الجري وقال في الأوليين: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمٰن :٥٤] ، وجهها من نور جامد وفي الأخيرتين ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ [الرحمٰن :٧٦] ، وقيل هو رياض الجنة وقيل هو شيء إذا جلس عليه الرجل طار به والعبقري هي البسط ولا شك أن الفرس أفضل وقال في الأوليين: في صفة الحور ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمٰن :٥٨] ، وفي الأخيرتين: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمٰن :٧٠] ، والصفة بالياقوت والمرجان أفضل وأحسن؛ لأنهن في الحمرة كالياقوت وفي البياض كالمرجان وهو صغار اللؤلؤ وقال ابن عباس ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ [الرحمٰن :٤٨] ، أي ذواتا ألوان من الفاكهة وفي الأخيرتين: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ [الرحمٰن :٦٤] ، أي خضراوان كأنهما من شدة خضرتهما سوداوان وكثرة الأغصان أفضل من الخضرة فالأوليان لمن خاف مقام ربه والأخيرتان لمن قصر حاله في الخوف من الله تعالى، وقيل: إن الأخيرتين أدنى أي أقرب إلى العرش فتكونان أفضل والله أعلم.

فائدة: قوله تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [الواقعة :٢٩] ، قال أكثر المفسرين: إنه شجر الموز منضود أي بعضه فوق بعض ومن منافعه أنه يرطب المعدة اليابسة ويلين البطن وينفع من السعال اليابس وينبغي أكله قبل الطعام، قيل: إنه متولد من القلقاس أخذ فرعون نواة وجعلها في قلقاسة وزرعها منها الموز، وعن أنس عن النبي ﷺ يقول الله تعالى: انظروا في ديوان عبدي فمن رأيتموه سألني الجنة فأدخلوه الجنة ومن استعاذ بي من النار فاصرفوه عنها.

قال مؤلفه: إنما ذكرت باب الجنة عقب باب فضل الأمة؛ لأنهم السابقون إليها، وهم أكثر أهل الجنة، قال النبي ﷺ: «**إن أهل الجنة مائة وعشرون صفًا ثمانون من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم**» رواه ابن ماجه، وقال النبي ﷺ: «**إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة بل ثلث أهل الجنة بل نصف أهل الجنة، ثم تقاسمونهم في النصف الثاني**» حكاه القرطبي في سورة الواقعة.

ونظيره. في صحيح البخاري، قال البرماوي في شرح البخاري: لم يقل ﷺ أولاً نصف أهل الجنة؛ لأن ذلك أوقع في نفوسهم وأبلغ في إكرامهم فإن إعطاء السائل مرة بعد مرة دليل على الاعتناء به وفيه أيضًا حملهم على تجديد الشكر لله تعالى وقوله: فكبرنا في رواية البخاري أي عظمنا ذلك، وقيل: قالوا: الله أكبر فرحًا بهذه البشارة العظيمة وقال النبي : «**وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا**»، في حديث آخر: «**أن الله أعطاني سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب**»، فقال عمر -رضي الله عنه-: يا رسول الله فهلا استزدته فقال: «**استزدته فأعطاني**

هكذا «وفتح الراوي يديه وفي رواية: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب» فقال عمر: زدنا يا رسول الله فقال: «مع كل واحد من السبعين ألفًا سبعون ألفًا» قال: زدنا يا رسول الله قال: «وثلاث حثيات من حثيات الرب عزّ وجلّ» قال: زدنا يا رسول الله، فصاح أبو بكر وقال: حسبنا يا عمر، فقال عمر: يا أبا بكر دع رسول الله ﷺ يزدنا من فضل ربنا، فقال أبو بكر: والذي بعثه بالحق نبيًّا أن الخلق كله لا يأتي حثية من حثيات ربنا عزّ وجلّ، وذكر في كتاب العقائق: دخل أبو بكر الصديق في الأيام التي مات فيها رسول الله ﷺ وبكى عند قبره فغلبه النوم فرآه عمر كأنه يتكلم في منامه فأيقظه، فقال: يا عمر قطعت منامي كنت الساعة عند رسول الله ﷺ تحت العرش وهو يقول بإلحاح: «يا رب أمتي، يا رب أمتي» فقلت يا رسول الله: دع ربك يقض مراده فخرج النداء: وهبناك وهبناك قالها مرتين فأيقظتني يا عمر فلا أدري كم وهبه؟ فهتف بهما هاتف من القبر الشريف: «وهبني الكل» والله أعلم، قال أبو حازم -رضي الله عنه-: بلغني أن من قال إذا فرغ المؤذن: لا إله إلا الله وحده لا شريك له كل شيء هالك إلا وجهه اللهم أنت الذي مننت على بهذه الشهادة وما شهدت بها إلا لك لا يتقبلها غيرك مني فاجعلها لي قربة عندك وحجابًا من نارك واغفر لي ولوالدي ولكل مؤمن ومؤمنة برحمتك يا أرحم الراحمين إنك على كل شيء قدير أدخله الله الجنة بغير حساب، والله أعلم.

قال مؤلفه - رحمه الله تعالى-: إنما ختمت بهذه الفائدة لقول النبي ﷺ من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة فكما ختمت كتابي بها أرجو من الله تعالى الكريم أن يختم لي وللمسلمين بها، ولقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾[الرحمن: ٦٠] ، قال البغوي: أي جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة. قال القرطبي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ يقول الله تعالى: «هل جزاء من أنعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي إلا أن أسكنه جنتي وحظيرة قدسي برحمتي»، وفي المورد العذب، إذا قال العبد: لا إله إلا الله خرج من فمه عمود من نور فيقف بين يدي الله تعالى فيقول الله تعالى للنور: اذهب إلى عرشي، فيقول: لا وعزتك لا أذهب حتى تغفر لقائلي فيقول الله تعالى: وعزتي وجلالي إني لم أجرك على لسانه إلا وقد غفرت له وهذه الكلمة تقابل بالنظر إلى وجه الله تعالى.

قال الخواص -رضي الله عنه-: رأيت رجلاً تحت شجرة قد أشرف على الموت من العطش فقلت: يا إلهي أنهارك في الأرض جارية وبحارك في أقطارها طامية وهذا المحب يموت عطشًا ففتح عينيه وقال: يا خواص وعزته لو سقاني بحار المشارق والمغارب ما رويت إلا بالنظر إلى وجهه الكريم، قال علي -رضي الله عنه-: من أراد أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر، فليكن آخر كلامه في مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

(تم بحمد الله الكريم الوهاب)

الفهرس

مقدمة المؤلف ٥
باب: الإخلاص ٩
كتاب العقائد وفضل الذكر والقرآن وآيات منه وسور ١٣
فصل: في الذكر ١٧
فصل: في فضل البسملة ٣٦
فصل: في الأذكار غير القرآن ٦١
فصل: في أذكار الصباح والمساء للإمام النووي رحمه الله تعالى ٦٦
باب: المحبة ٦٨
باب: في ذكر الموت والأمل وفضل الصبر والرضا والأدب ٨٣
فصل: في الأمل ٨٨
فصل: في الصبر ٨٩
فصل: في الرضا ٩٥
فصل: في الأدب ١٠٠
باب: فضل الدعاء ١٠٥
باب: التقوى وفعل الخيرات والكف عن المنكرات ١٢٤
باب: فضل الصلوات ليلاً ونهارًا ومتعلقاتها ١٣١
باب: في فضل الجمعة ويومها وليلتها وكرمها ١٦٠
باب: فضل الزكاة ١٧٢
فصل: في زكاة الأعضاء وهي كفها عن المحرمات ١٧٤
باب: في ذم الكبر ١٧٩
باب: في ذم الغيبة والنميمة ١٨٤
باب: في الإحسان لليتيم ١٨٦
باب: فضل رجب وصومه ١٩٠
باب: فضل شعبان وفضل صلاة التسابيح ١٩٥
باب: فضل رمضان والترغيب في العمل الصالح فيه وما فيه من الفضل وفيه فائدتان ١٩٨
فصل: في ليلة القدر وبيان فضلها ٢٠٥

باب: فضل عرفة والعيدين والتكبير والأضحية ٢٠٨
باب: فضل صيام عاشوراء، وصيام الأيام البيض والسود أيضًا ٢١٤
باب: فضل الجوع وآفات الشبع ٢١٨
باب: فضل الحج ٢٢١
فصل: في أركان الحج وهي خمسة ٢٢٦
باب: في فضل الجهاد ٢٣١
باب: بر الوالدين ٢٣٥
باب الحلم والصفح عن عثرات الإخوان ٢٤٤
باب: الكرم والفتوة ورد السلام ٢٤٨
فصل: في كرم الله تعالى ٢٥٨
نزهة المجالس ومنتخب النفائس الجزء الثاني ٢٦٣
باب: في فضل الصدقة وفضل المعروف خصوصًا مع القريب والجار الغريب .. ٢٦٥
فصل: في إكرام الجار ٢٧٢
باب: الزهد والقناعة والتوكل ٢٧٥
فصل: في القناعة ٢٨١
فصل: في التوكل علي الله ٢٨٢
باب: حفظ الأمانة وترك الخيانة وذكر النساء وفضل الزواج وذم الطلاق والتحذير
من اللواط ٢٨٥
فصل: في الزراعة وبيان قوله ﷺ: «خلقتم من سبع ورزقتم من سبع» ٢٩٥
فصل: في قوله ﷺ: «خلقتم من سبع» ٢٩٧
باب: الخوف ٣٠١
باب: التوبة ٣٠٧
باب: في فضل العدل واجتناب الظلم والشفقة على خلق الله وإكرام المشايخ
وفضل الخضاب ٣١٨
فصل: في العدل ٣٢٢
فصل: في الشفقة على خلق الله تعالى ٣٢٦
فصل: في إكرام المشايخ ٣٣٠
فصل: في الخضاب والتسريح ٣٣٣
باب: فضل العقل ٣٣٤
باب: فضل العلم وأهله والشام ٣٣٦

فصل: في سكنى الشام ٣٤٠
باب: ذكر مناقب سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين إلى يوم الدين وهو حي سميع بصير في قبره صلوات الله وسلامه عليه ٣٤٢
باب: مولد المصطفي وحبيب الله المجتبي سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين إلى يوم الدين وهو حي سميع بصير في قبره صلوات الله وسلامه عليه ٣٤٩
فصل: في نسبه ﷺ ٣٥٣
فصل: في رضاعه ﷺ ٣٥٤
باب: فضل الصلاة والتسليم على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ٣٥٨
باب قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ ٣٦٥
فصل: في المعراج ٣٧٣
فصل ٣٧٩
باب: وفاة النبي ﷺ ٤٠٧
باب: مناقب أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ٤١٢
فضائل: الصحابة -رضي الله عنهم- أجمعين إجمالاً وتفصيلاً ٤٢٩
مناقب أفضل خلق الله على التحقيق أبي بكر الصديق -رضي الله عنه ٤٢٩
مناقب سراج أهل الجنة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه ٤٣٤
مناقب أبي بكر وعمر جميعًا -رضي الله عنهما- ٤٣٧
باب: مناقب عثمان بن عفان -رضي الله عنه ٤٤٠
باب: مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- ٤٤٣
باب: مناقب هؤلاء الأربعة -رضي الله عنهم إجمالاً ٤٤٩
باب: مناقب العشرة -رضي الله عنهم- ٤٥٣
باب: مناقب فاطمة الزهراء -رضي الله عنها- ٤٥٦
فصل: تزويج حواء بآدم عليهما الصلاة والسلام ٤٥٨
باب: مناقب الحسن والحسين -رضي الله عنهما- ٤٦٣
باب: مناقب العباس - رضي الله عنه - ٤٦٧
باب: مناقب حمزة -رضي الله عنه- ٤٦٧

باب: فضائل هذه الأمة المرحومة زادها الله شرفًا وإكرامًا وذكر بعض من فيها من العلماء والأولياء بأسمائهم وتواريخهم وذكر إبراهيم وموسى وعيسى والخضر وإلياس -عليهم الصلاة والسلام- ٤٦٩
في ذكر إبراهيم - عليه السلام - ٤٧٣
فصل: ذكر موسى - عليه السلام - ٤٧٨
فصل: في ذكر عيسى - عليه السلام - ٤٨٤
فصل: في ذكر الخضر وإلياس -عليهما السلام- ٤٨٧
فصل: في ذكر ما تيسر من المشهورين بالكنية بأسمائهم وتواريخهم من الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم ٤٩٣
باب: ذكر أشياء من فعلها حرمه الله على النار وأعتقه منها ٤٩٨
باب: في ذكر الجنة ٥٠١
الفهرس ٥٠٩

